تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج١، ص ١٩٣

خطبة المؤلف

بسم اللّه الرحمن الرحيم و به نستعين الحمد للّه أنزل القرآن على عبيده بلسان النبيّ الصّادق الكريم، و جعل افتتاحه تبرّكا و تيمّنا باسمه الأعظم الّذي هو بسم اللّه الرّحمن الرّحيم، و جعله جامعا للكتب السماويّة المنزّلة على أنبيائه و رسله من عيسى و موسى و داود و إبراهيم، و وشحه بجميع الحقائق و الدقائق العلويّة و السفليّة من الحقير و العظيم، ليظهر على خلقه أسرار الشريعة و الطريقة و الحقيقة التي هي عبارة عن دينه القويم، و يحصل لكلّ واحد منهم الاستقامة على طريق الحقّ الذي أشار إليه بصراطه المستقيم.

و صلّى اللّه على من خصّ أزلا بمثل هذه الموهبة و لطفه الجسيم، و على آله و أصحابه و أهل بيته أهل الفوز و الجنّة و النعيم.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج١، ص ١٩٥

(بقيّة خطبة الكتاب)

(دليل تأليف الكتاب و جامعيّته بجميع المراتب المحمّديّة (ص)) ... أن أكتب لهم كتابا جامعا للتأويل و التّفسير مشحونا بتلك النحو، بحيث يكون التأويل مطابقا لأرباب التّوحيد و أهل الحقيقة غير خارج عن قاعدة أهل

البيت (ع) بحسب الظاهر. أعني يكون جامعا للشّريعة و الطريقة و الحقيقة، لقول النبي (ص):

«الشّريعة أقوالي، و الطّريقة أفعالي، و الحقيقة أحوالي» الحديث «١».

لأن كلّ كتاب يكون جامعا لهذه المراتب الثّلاث الّتي هي جامعة لجميع المراتب المحمديّة يكون جامعا لجميع المراتب الإلهيّة و الكونيّة، حاويا لمجموع الكمالات المنسوبة إلى الأنبياء و الأولياء بأجمعهم لقوله (ع):

---

(١) قوله: «الشّريعة أقوالي الحديث».

في أسرار التّوحيد في مقامات الشيخ أبي سعيد ج ٢، ص ٣٠٩: الشريعة أفعال في أفعال، و الطّريقة أخلاق في أخلاق، و الحقيقة أحوال في أحوال، فمن لا أفعال له بالمجاهدة و متابعة السّنّة فلا أخلاق له بالهداية و الطّريقة، و من لا أخلاق له بالهداية و الطّريقة فلا أحوال له بالحقيقة و الاستقامة و السّياسة.

روى الحديث ابن أبي جمهور في عوالي اللئالئ مجلد ٤، ص ١٢٤، ح ٢١٢، و رواه أيضا مستدرك الوسائل عن النّبيّ (ص)، ج ١١، ص ١٧٣ كتاب الجهاد، أبواب جهاد النفس باب ٤، ح ٨، و تمام الحديث على ما في المستدرك هكذا: عن النبيّ (ص) قال:

الشريعة أقوالي، و الطريقة أفعالي، و الحقيقة أحوالي، و المعرفة رأس مالي، و العقل أصل ديني، و الحبّ أساسي، و الشوق مركبي، و الخوف رفيقي، و العلم سلاحي، و الحلم صاحبي، و التوكّل زادي (ردائي)، و القناعة كنزي، و الصّدق منزلي، و اليقين مأواي، و الفقر فخري و به أفتخر على سائر الأنبياء و المرسلين. و يأتي نقل الحديث في المقدّمة

السّادسة من الكتاب مع شرح و تبيين إن شاء اللّه فانتظر.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ١، ص ١٩٦

«أو تيت جوامع الكلم» «٢».

«و بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» «٣».

---

(٢) قوله (ص): «أوتيت جوامع الكلم».

نهج الفصاحة ص ١٩٥، حديث ٩٦٩. عوالي اللئالئ ج ٤، ص ١٢٠، حديث ١٩٤، و كنز العمال ج ١١، ص ٤٤٠، حديث ٣٢٠٦٨: أوتيت جوامع الكلم، و اختصرت لي الأمور اختصارا.

و في صحيح مسلم ج ١، ص ٣٧١، حديث ٥٢٣ كتاب المساجد، بسنده عن رسول اللّه (ص) قال: فضّلت على الأنبياء بستّ: أعطيت جوامع الكلم (بعثت بجوامع الكلم) و نصرت بالرّعب، و أحلّت لي الغنائم، و جعلت لي الأرض طهورا و مسجدا، و أرسلت إلى الخلق كافّة، و ختم بي النبيّون. و في مسند أحمد ج ٢، ص ٢٥٠، مثله في جملتين فقط، و في ص ٢١٢ بسنده عن رسول اللّه (ص) فقال: أنا محمّد النبيّ الأميّ، أنا محمّد النبيّ الأميّ ثلاثا، و لا نبيّ بعدي، أوتيت فواتح الكلم و جوامعه و خواتمه، و علمت كم خزنة النار و حملة العرش، و تجوّز بي، و عوفيت و عوفيت أمّتي. الحديث.

و أيضا في البحار ج ١٨، ص ٣٧٠، حديث ٧٧، عن الشيخ الطوسي في أماليه عن المفيد، عن أحمد بن الوليد، عن أبيه، عن سعد، عن عبد اللّه بن موسى، عن محمد بن عبد

الرحمان العرزمي، عن المعلّى بن هلال، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عبّاس، قال: سمعت رسول اللّه (ص) يقول:

أعطاني اللّه تعالى خمسا، و أعطى عليّا خمسا: أعطاني جوامع الكلم، و أعطى عليّا جوامع العلم، و جعلني نبيّا، و جعله وصيّا، و أعطاني الكوثر، و أعطاه السلسبيل، و أعطاني الوحي، و أعطاه الإلهام، و أسرى بي إليه، و فتح له أبواب السماء و الحجب حتّى نظر إليّ و نظرت إليه.

الحديث و في صحيح البخاري باب المفاتيح في اليد من أبواب باب التعبير ج ۹، ص ٤٧، و أيضا في سنن النسائي كتاب الجهاد باب وجوب الجهاد ج ٦، ص ٣، بسندهما عن النبيّ (ص) قال:

بعثت بجوامع الكلم، و نصرت بالرّعب، و بينا أنا نائم أتيت بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت في يدي الحديث فراجع.

و في الجامع الصغير للسيوطي ج ١، ص ٣٩٣، الحديث ٢٥٧٣: إنّما بعثت فاتحا و خاتما، و أعطيت جوامع الكلم و فواتحه الحديث.

(٣) قوله (ص): «بعثت لأتمّ مكارم الأخلاق».

رواه أمين الإسلام الطبرسي في مجمع البيان ذيل الآية: **وَ إِنَّكَ لَعَلىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ [من سورة القلم، الآية: ٤]**.

و روى عنه مستدرك الوسائل ج ١١، ص ١٨٧، باب استحباب التخلّق بمكارم الأخلاق من أبواب جهاد النفس.

و الحديث معروف و روي مضمونه و معناه بألفاظ مختلفة، روى البيهقي في باب بيان مكارم الأخلاق من كتاب الشهادات ص ١٩٢ بسنده عنه (ص): إنّما بعثت لأتمّم مكارم

الأخلاق.

و روى أيضا بسند آخر: بعثت لأتمّم صالح الأخلاق. و رواه أيضا مالك في الموطأ باب ما جاء في حسن الخلق ح ٨، ص ٤٧، من كتاب حسن الخلق ج ٢ و قال:

و حدّثني عن مالك، أنّه قد بلغه أنّ رسول اللّه (ص) قال: بعثت لأتمّم حسن الأخلاق.

و رواه أيضا في المستدرك على الصحيحين ج ٢، ص ٦١٣.

و في جامع الصغير أيضا ٢٥٨٤: إنّما بعثت لأتمّم صالح الأخلاق.

و رواه أيضا أحمد بن حنبل في مسنده ج ٢، ص ٣٨١.

و في الأمالي للشيخ الطوسي (رض) ج ٢، ص ٢٠٩، بإسناده عن إسحاق بن جعفر عن أخيه موسى بن جعفر (ع) عن أبيه عن آبائه عن رسول اللّه (ص) قال: بعثت بمكارم الأخلاق و محاسنها.

و فيه ص ٩٢ أيضا بإسناده عن محمد بن علي بن الحسين بن زيد بن علي، عن موسى بن جعفر (ع) عن أبيه، عن آبائه عن رسول اللّه (ص):

عليكم بمكارم الأخلاق، فإنّ اللّه عزّ و جلّ بعثني بها الحديث.

و في معاني الأخبار للصدوق (رض) ص ١٩١ باب معنى مكارم الأخلاق الحديث ٣: بإسناده عن عبد الله بن مسكان، عن أبي عبد اللّه (ع) قال: إن اللّه تبارك و تعالى خصّ رسول اللّه (ص) بمكارم الأخلاق الحديث.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ١، ص ١٩٧

فحيث رأيت أنّ هذا أيضا إلهام إلهي، و فيض ربّانيّ وارد على قلوبهم من عالم الغيب و حضرة القدس المشار إليه في قوله:

أُولٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمانَ وَ أَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ [سورة المجادلة: ٢٢].

و تحقّقت أنّه من أعظم عبادة اللّه و أفضل طاعاته، لقوله:

وَ مَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ ابْتِغٰاءَ مَرْضٰاتِ اللهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً [سورة النساء: ١١٤].

شرعت فيه بموجب التماسهم، و سلكت مسلكا مناسبا بحالهم، و شرطت على نفسي أن أكتب لهم هذا الكتاب، بعون اللّه و حسن توفيقه من غير إهمال و لا إخلال شيء يتعلّق به و أضفت إليه تلك اللطائف و النّكات كما سبق ذكره.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج١، ص ١٩٨

(ترتيب كتابته في نسخته رحمه اللّه)

و ترتيبه، أن أكتب القرآن أوّلا في كلّ موضع منه بالحمرة ليتميّز كلام الخالق عن المخلوق، ثمّ التفسير المنقول، ثمّ التأويل الّذي يفيض علينا من اللّه الجواد المطلق بحسب الوقت و الحال مع إضافة تلك اللطائف و النّكات المذكورة، و جعلت علامة التفسير أن أكتبه بعد القرآن بلا فصل بينه و بينه، و علامة التأويل:

تأويل، بالحمرة، لئلاّ يشتبه الكلام بعضه بالبعض، أعني التفسير بالتأويل و التأويل بالتّفسير، و وشحته بمقدّمات سبعة معتبرة متقدمة على الكتاب، و هي مقدّمات لا بدّ لهذا الكتاب منها بحيث لو خلّى عنها لم يكن تامّا في طريقه و لا مشبعا في فنّه.

(عناوين المقدّمات السبع)

المقدمة الأولى منها، في بيان التأويل و التفسير، و الفرق بينهما و بيان أنّ تأويل القرآن واجب عقلا و شرعا.

المقدّمة الثانية، في بيان كتاب اللّه الكبير الآفاقي و تطبيقه بكتاب اللّه القرآني الجمعي.

المقدمة الثالثة، في بيان حروف اللّه الآفاقية و تطبيقها بحروف اللّه القرآنية.

المقدمة الرابعة، في بيان كلمات اللّه الآفاقية و تطبيقها بكلمات اللّه القرآنية.

المقدمة الخامسة، في بيان آيات اللّه الآفاقية و تطبيقها بآيات اللّه القرآنية.

المقدمة السادسة، في بيان الشريعة و الطريقة و الحقيقة، و بيان أنها أسماء مترادفة صادقة على حقيقة واحدة باعتبارات مختلفة.

المقدمة السابعة، في بيان التوحيد و أقسامه و مراتبه من التوحيد الفعلي و الوصفي و الذّاتي، انحصارها في التوحيد الألوهي و الوجودي، و ما اشتمل عليهما من الأبحاث الدقيقة و الأسرار الشريعة.

و رتّبت هذه المقدمات ... في مجلدات كبار بحيث تكون المقدّمات ..

و سمّيته بالمحيط الأعظم في البحر الخضم «٤».

---

(٤) قوله: و سمّيته بالمحيط الأعظم في البحر الخضمّ أقول: نقل في عنوان الكتاب عبارات مختلفة:

(أ) المحيط الأعظم و البحر الخضّم في تأويل كتاب اللّه العزيز المحكم.

(ب) المحيط الأعظم في البحر الخضمّ.

(ج) المحيط الأعظم في تفسير القرآن الكريم.

(د) المحيط الأعظم و الطود الأشمّ في تأويل كتاب اللّه العزيز المحكم.

و من العناوين العنوان: ب و العنوان: د من المؤلّف، قال بالأول في المجلد الثاني من النسخة في تفسير سورة الحمد و بالثاني في مقدمة كتابه نصّ النصوص و فصّلنا التوضيح في عنوان الكتاب في مقدمتنا للكتاب فراجع. و أمّا معنى الخضمّ: البحر الواسع و البحر المحيط و البحر العظيم و الجمع الكثير و السيف القاطع فراجع الصحاح و لسان العرب و المعجم الوسيط و المنجد.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ١، ص ١٩٩

جزى اللّه خيرا من تأمّل صنعتي

و قابل ما فيها من السّهو بالعفو

و أصلح ما أخطأت فيها بفضله

و فطنته و استغفر اللّه من سهوي

و العذر عند كرام الناس مقبول.

اللّهم اغفر لي رمزات الألحاظ «٥»، و سقطات الألفاظ، و شهوات الجنان، و هفوات «٦» اللّسان، برحمتك يا أرحم الراحمين، إنك أنت الوهاب.

و إذا تقرّر هذا، و تحقق ترتيب الكتاب و علة تصنيفه و تأليفه فاعلم: أن هذا المكان قبل الخوض في المقدمات، و التأويلات، يحتاج إلى تحقيق ثلاثة أشياء:

الأوّل: إلى علّة تقديم المقدّمات و وجه انحصارها في السبع.

و الثاني: إلى علّة تطبيق التأويل.

و الثالث: إلى علّة خصوصيّة التأويل بأهل التوحيد و أهل البيت (ع) دون غيرهم و بيان الأولويّة و التّرجيح و تخصيص الرسوخ بهم، و بيان تفضيلهم في جميع ذلك على غيرهم صورة و معنى بحكم العقل و النقل.

---

(٥) قوله: رمزات الألحاظ:

أقول: لحظه و لحظ إليه، أي نظر إليه بموخّر عينه عن يمين و يسار أي من أحد جانبيه. اللّحاظ:

موخّر العين ممّا يلي الصدغ. لحظ العين: باطنها، اللّحظ مصدر جمعه لحاظ و ألحاظ: باطن العين. لاحظ الشيء: راقبه، تلحّظ: ضاق.

(٦) قوله: و هفوات اللسان:

أقول: هفو، هفوا و هفوة و هفوانا: اسرع. الهفوة جمعها هفوات يعني السقطة و الزّلة، يقال: الإنسان كثير الهفوات. الأهفاء: الحمقى من النّاس.

و حيث إن تحقيق هذا البحث الأخير يحتاج إلى بسط تامّ، فالأصلح ان يجعل مكانه آخر المقدمة الأولى في فصل منفرد برأسه.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج١، ص ٢٠١

علّة تقديم المقدمات و وجه حصرها في السّبع

البحث الأوّل في علّة تقديم المقدّمات و وجه حصرها في السّبع

(سبب تقديم المقدّمات)

اعلم، وفّقك اللّه تعالى لتحصيل مرضاته، أن كل من يريد أن يكتب تأويل القرآن على طريقة أهل اللّه، و أرباب التوحيد، لا بدّ له من تقديم هذه المقدمات السبعة، لأنها كالأسّ بالنسبة إلى تشييد «٧» أركانه و بنيانه، و كالسّلّم للعروج إلى ذروة «٨» معانيه و علوّ أسراره، لأن الطالب أو السالك إن لم يتحقّق هذه القواعد و الأصول في أوّل الكتاب و لم يتبيّن له هذه الضوابط و القوانين في صدر الفصول و الأبواب، لم يلتفت أصلا إلى التأويل و إلى ما في ضمنه من الأسرار و اللّطائف

---

(٧) قوله: لأنّها كالأسّ بالنسبة إلى تشييد:

أقول: شيّد البناء: رفعه و أعلاه. تشييد البناء: إحكامه قال تعالى: **وَ قَصْرٍ مَشِيدٍ [الحج: ٤٥]، و قوله تعالى: فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ [النساء: ٧٨]. كلّ ما أحكم من البناء، فقد شيّد. شيّد قواعده: أحكمها. و في حديث عن الرّضا (ع): إن**

الإمامة خصّ اللّه عزّ و جلّ بها إبراهيم (ع) و أشاد بها ذكره الحديث (أصول الكافي ج ١، ص ١٩٨، ح ١، يعني رفع بها قدره و محلّه و منزلته حتى كادت لا تخفى على أحد.

(٨) قوله: إلى ذروة:

أقول: الذروة: بالكسر و الضمّ: من كلّ شيء أعلاه و اسماه، و الجمع الذّرى: العلوّ و المكان المرتفع.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج١، ص ٢٠٢

و الحقائق و المعارف، و يكون ذلك موجبا لتنفّره منه، و سببا للطعن فيه و في أهل اللّه خاصة، و يمكن أن يؤدّي إلى غير ذلك من المفاسد كالقصد بالقتل و البراءة و أمثالها، و دفع ذلك و رفعه عن الوجود واجب على كل عاقل مسلم، خصوصا على العلماء و الرّاسخين الذين هم في صدد إثبات هذه الدعوى، و في موضع إظهار هذا المعنى.

و الشيخ الكامل نجم الدين الرازي، و كمال الدين عبد الرزاق رحمة اللّه عليهما، قد غفلا عن ضبط هذه المعاني، و تمهيد هذه المباني، و حيث ما حصل لهما هذه السعادة العظمى و الدرجة الشريعة الكاملة العليا، و كان الحق تعالى قد ادّخرها «٩» لأجلي، و أودعها خزائن سرّي، فها أنا أبرزتها على الوجه المذكور، و جعلتها متقدمة على الكل لاحتياج الكل إليها، و دوران الكل عليها.

و الحمد للّه الذي هدانا لهذا و ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا اللّه، هذا علة

التقديم لها.

(وجه حصر المقدّمات في السبع)

و أما وجه حصرها في السبع فلعدم الاحتياج إلى أكثر منها و شدة الاحتياج إليها، و للتبرك و التيمّن أيضا بسبع القرآن التي هي عبارة عن الأقسام السبعة القرآنية باتفاق القراء من حيث الصورة، و لاشتمال القرآن على العلوم السبعة الكلية القرآنية المطابقة للمراتب السبعة الآفاقية ... و السبعة الآفاقية كالأقطاب بحسب المعنى، و الأفلاك بحسب الصورة أو الأقاليم السبعة، و الأرضين السبع، و الكواكب السبعة السموات ... الظاهر و الباطن.

---

(٩) قوله: قد ادّخرها لأجلي، أقول: ادّخر و اذّخر: بمعنى ذخر، ذخرا الشيء: خبأه لوقت الحاجة.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج١، ص ٢٠٣

بيان الأغراض من المقدمات إجمالا

لقوله (ع):

إن للقرآن ظهرا و بطنا و لبطنه بطنا إلى سبعة أبطن (١٠).

و أمّا التفصيل في موضعها، لكن هاهنا على سبيل الإجمال و الاختصار، فنقول:

الغرض من المقدمة الأولى التي في بيان التأويل و تعريفه و

(وجوب تأويل القرآن عقلا و نقلا) فهو أن يتحقق عندك، أن تأويل القرآن واجب عقلا و نقلا (.......)

---

(١٠) قوله (ع): إن للقرآن ظهرا و بطنا الخ، رواه الفيض رحمه اللّه أيضا في تفسيره الصافي عن النبيّ (ص) (ج ١، ص ١٨).

و أمّا مضمون الرّواية مرويّة عن الخاصّة و العامّة بتعابير مختلفة، و نحن نذكر بعضها إجمالا:

١- عن الصادق (ع) قال: إنّ للقرآن ظاهرا و باطنا، الحديث (فروع الكافي، ج ٤، ص ٥٤٩، ح ٤).

أقول: راجع الحديث فتدبّر فيه فتعرف أنّ باطن القرآن ليس رزق كلّ أحد.

٢- عن الباقر (ع) قال: إن للقرآن ظاهرا و باطنا، الحديث. (علل الشرائع ص ٦٠٦، ح ٨١).

أقول: راجع الحديث فتدبّر جيدا- جعلك اللّه تعالى مؤمنا مستبصرا- حتّى تعرف ما قيمة الإيمان مع الولاية و ما قيمة العمل بلا ولاية؟ و تجد فيه كيف يكون العلم علما مكنونا من خزائن علم اللّه سبحانه و تعالى، و ما معنى البطون في القرآن، و بعض مصاديقه في بعض آياته.

۳- عن الكاظم (ع) قال: إنّ القرآن له ظهر و بطن الحديث. (أُصول الكافي، ج ۱، ص ۳۷٤، ح ۱۰).

٤- عن الصّادق (ع)، عن آبائه، عن رسول اللّه (ص) قال: له ظهر و بطن فظاهره حكمة و باطنه علم، ظاهره أنيق و باطنه عميق، له تخوم و على تخومه تخوم الحديث. (تفسير العيّاشي ج ۱، ص ۲، ح ۱).

٥- عن الباقر (ع) قال: ما في القرآن آية إلاّ و لها ظهر و بطن، و ما فيه حرف إلاّ و له حدّ و لكلّ حدّ مطلع. (تفسير العيّاشي ج ۱، ص ۱۱، ح ٥) و قريب من ذلك في كنز العمال ج ۱، ص ٥٥۰، الحديث ۲٤٦۱.

٦- عن حمّاد بن عثمان، قال: قلت لأبي عبد الله (ع): إنّ الأحاديث تختلف عنكم، قال: فقال: إنّ القرآن نزل على سبعة أحرف و أدنى ما للإمام أن يفتي على سبعة وجوه، ثم قال: هذا عطاءنا فامنن أو أمسك بغير حساب. (تفسير العياشي ج ۱، ص ۱۲، ح ۱۱) الخصال ج ۲، ص ۳٥۸ الحديث ٤۳.

۷- عن ابن عبّاس، عن رسول اللّه (ص) قال: أقرأني جبرائيل (ع) على حرف فراجعته فلم أزل أستزيده فيزيدني، حتّى انتهى إلى سبعة أحرف. (صحيح مسلم ج ۱، ص ٥٦۱، ج ۸۱۹، و صحيح البخاري ج ٤، ص ۲۲۷، و البيهقي ج ۲، ص ۳۸۳ قريب من ذلك).

أقول: لعلّ و اللّه سبحانه العالم، أنّ المراد من النزول على سبعة أحرف هو هذا المعنى (أعني سبعة أبطن) و هذا لا ينافي ما روي عن الصادق (ع) بأنّه قال: إن القرآن واحد نزل من عند واحد. و ما روي أيضا عن الباقر (ع): نزل على حرف واحد من عند الواحد (أُصول الكافي ج ۲، ص ٦۳۰، ح ۱۳- ۱۲).

لأنّ حقيقة القرآن واحدة ظهرت في مواطن و نزلت على مراتب، و ما أمر اللّه إلاّ واحدة، و قوله تعالى خطابا لرسوله الأمين (ص): اقرأ، لعلّه يعني: أنزله على مرتبة القراءة أي المادة و الطبيعة و التكلّم، هذا فتدبّر حتى تتبيّن لك الحقيقة إن شاء اللّه تعالى.

٨- عن الباقر (ع) قال: تفسير القرآن على سبعة أحرف، منه ما كان، و منه ما لم يكن بعد، ذلك تعرفه الأئمّة. (بصائر الدرجات ص ١٩٦، حديث ٨).

٩- عن جابر بن يزيد الجعفي قال: سألت أبا جعفر (ع) عن شيء من التفسير فأجابني، ثمّ سألته عنه ثانية فأجابني بجواب آخر، فقلت: جعلت فداك، كنت أجبتني في هذه المسألة بجواب غير هذا قبل اليوم؟ فقال: يا جابر إنّ للقرآن بطنا و للبطن بطنا، و له ظهر و للظهر ظهر، يا جابر! ليس شيء أبعد من عقول الرّجال من تفسير القرآن، إنّ الآية يكون أوّلها في شيء و آخرها في شيء، و هو كلام متّصل منصرف على وجوه. (المحاسن ص ٣٠٠، حديث ٥).

١٠- عن فضيل بن يسار قال: سألت أبا جعفر (ع) عن هذه الرواية: ما من القرآن آية إلاّ و لها ظهر و بطن، فقال: ظهره تنزيله و بطنه تأويله. الحديث. (بصائر الدرجات ص ١٩٦، حديث ٧).

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ١، ص ٢٠٥

و المراد بجاء ربّك، جاء أمر ربّك، فيكون تقديره: و جاء ثواب ربك و الملائكة صفا صفا، و الوجهان موجّهان و ليس فيهما شيء من المفاسد، مع أن هذا على طريق أهل الظاهر و أرباب الأصول تنزيها للحق من النقائص و تقديسا له من العيوب اللازمة للإمكان و الحدوث.

و أما على طريق أهل الباطن و أرباب التأويل فلهما معان، ستعرفها في موضعها إن شاء اللّه. هذا من حيث الدلائل العقلية.

و أما من حيث الشواهد النقلية، فمنها قوله تعالى:

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتٰابَ مِنْهُ آيٰاتٌ مُحْكَمٰاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتٰابِ وَ أُخَرُ مُتَشٰابِهٰاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مٰا تَشٰابَهَ مِنْهُ ابْتِغٰاءَ الْفِتْنَةِ وَ ابْتِغٰاءَ تَأْوِيلِهِ وَ مٰا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّٰهُ وَ الرّٰاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنّٰا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنٰا وَ مٰا يَذَّكَّرُ إِلاّٰ أُولُوا الْأَلْبٰابِ [سورة آل عمران: ٧].

و منها قول النبي (ص):

«ما من آية إلا و لها ظهر و بطن و لكل حرف حدّ و لكل حدّ مطلع» «(١١)».

فإن هذين القولين شاهدان على أن التأويل واجب و مع وجوبه مخصوص باللّه و الخواص عبيده، و مدار التأويل و أربابه على هذه الآية و الخبر، فإنهما برهانان قاطعان على صدق دعواهم و سيجيء بيانهما أبسط من ذلك في موضعهما إن شاء اللّه.

---

(١١) عن الصادق (ع): كتاب اللّه على أربعة أشياء: العبارة و الإشارة، و اللطائف و الحقائق، فالعبارة للعوام، و الإشارة للخواصّ، و اللطائف للأولياء، و الحقائق للأنبياء.

رواه الفيض في المقدمة الرابعة من تفسيره الصافي ج ١، ص ١٩ و رواه أيضا الجيلاني في كتابه بيان الآيات ص ٦.

و فيه أيضا عن المجمع: ما من حرف من حروف القرآن إلاّ و له سبعون ألف معنى.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج١، ص ٢٠٦

و أما الغرض من المقدمة الثانية التي في بيان الكتاب الآفاقي و تطبيقه بالكتاب القرآني

(في أنّ العالم المعبّر عنه بالآفاق مصحف ربّاني) فهو أن يتحقق عندك و عند غيرك أيضا، أن العالم المعبّر عنه بالآفاق كلّه كتاب إلهي و مصحف ربّاني مشتمل على الآيات و الكلمات و الحروف، لأن البسائط و المفردات منه كالحروف البسيطة المفردة من القرآن، و المركبات منه من المواليد و أمثالهما كالكلمات الممكنة من القرآن، و الكليات منه كالأفلاك و الأجرام، و العلويات و السفليات مطلقا كالآيات من القرآن لأن القرآن صورة إجماله و تفصيله و شهد بصحة الآيات الآفاقية الممكنة من الكلمات و الحروف المذكورة في قوله تعالى:

اللهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمٰاوٰاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهٰا ثُمَّ اسْتَوىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيٰاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقٰاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ [سورة الرعد: ٢].

لأن الآيات لا تكون مركبّة إلا من الكلمات، و لا الكلمات إلا من الحروف، و شهد أيضا بأن لقاء اللّه و الوصول إليه موقوف على مطابقة آياته و كلماته في ضمن كتابه الآفاقي بموازنة كتابه القرآني، و قوله أيضا:

سَنُرِيهِمْ آيٰاتِنٰا فِي الْآفٰاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتّٰى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَ وَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ، أَلاٰ إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقٰاءِ رَبِّهِمْ أَلاٰ إِنَّهُ بِكُلِّ

شَيْءٍ مُحِيطٌ [سورة فصّلت: ٥٣- ٥٤].

شاهد على صدق هذه الدعوى أي على صدق هذين المعنيين أعني على أن العالم صدق على كتابه الكريم و مصحفه المجيد، و على أن مشاهدة الكتاب موقوفة على مطالعته و مطالعة آياته و كلماته.

أما الأول فلأن الآية لا تنسب إلا إلى الكتاب، و قد نسب الحق تعالى الآية إلى الآفاق، فعرفنا أنه الكتاب، لأن الآية عبارة عن الهيئة الجامعة المركبة من

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‏١، ص ٢٠٧

الكلمات، و الكلمات عن الهيئة الجامعة من الحروف، و الكل لازمة للكتاب لأن الكتاب هيئة جامعة عن هذه الثّلاث، و صدق على العالم أنه كتاب إلهي و مصحف ربّاني.

و أما الثاني، فلقوله الدالّ عليه:

سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ [سورة فصّلت: ٥٣].

(الآفاق و القرآن كلاهما مظهران لأسمائه و صفاته و أفعاله تعالى) و عند التحقيق إلى هذين الكتابين أي الآفاقي و القرآني الدالين على ذاته و صفاته من مظاهر أفعاله و أسمائه أشار بقوله:

قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ [سورة القصص: ٤٩].

لأن غير هذين الكتابين ليس هناك كتاب يدل على مشاهدته و مشاهدة أسمائه و صفاته، و الذي قال: المراد به التوراة و الإنجيل ليس بصحيح و إن

جاز ذلك بحسب الظاهر مع أنه لا يخلو من فساد، و هو أن هدايتهما أعلى من هداية القرآن، و هذا غير جائز و علّة ذلك قوله فيهما: (أهدى منهما)، و من هذا ذكرنا في الخطبة:

أن معرفته علما و بيانا و مشاهدته كشفا و عيانا لا يمكن إجمالا إلا بمطالعة هذين الكتابين و مشاهدة هاتين النسختين، إذا كانت المطالعة و المشاهدة على شرائط المطالعة و المشاهدة و ذلك لأن مشاهدة الظاهر بدون المظاهر مستحيل ممتنع، و إدراك المعاني بدون الألفاظ ممنوع متعذر، فكما أنك إذا شاهدت الألفاظ شاهدت المعاني منها من غير منع، فكذلك إذا شاهدت المظاهر شاهدت الظاهر منها من غير مانع، و حجاب الحقّ بالمظاهر بعينه حجاب المعنى بالألفاظ، و لهذا قال جعفر بن محمد الصادق (ع):

لقد تجلى اللّه لعباده في كتابه و لكن لا يبصرون (١٢).

---

(١٢) قوله: لقد تجلّى اللّه في كتابه و لكن لا تبصرون. (عوالي اللئالئ ج ٤، ص ١١٦، رقم [.....]

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ١، ص ٢٠٨

و فيه قيل:

ظهرت فلا تخفى على أحد   إلا على أكمه لا يعرف القمرا

لكن بطنت بما أظهرت محتجبا

فكيف يعرف من بالعرف مستترا؟

و القرآن لو لم يكن صورة إجماله و تفصيلة و الحقائق التي تحدّه آياته و كلماته المعبّرة عنهما بالعلويات و السفليات و البسائط و المركبات، لم يكن الحق يصفه بأنّه:

لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هٰذَا الْقُرْآنِ لاٰ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَوْ كٰانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً [سورة الإسراء: ٨٨].

لا و اللّه لم يكن يصفه بل تعظيمه و تشريفه ليس إلا من هذا، و كذلك جميع الأقوال الواردة، فيه كقوله تعالى:

وَ مٰا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقٰالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَ لاٰ فِي السَّمٰاءِ وَ لاٰ أَصْغَرَ مِنْ ذٰلِكَ وَ لاٰ أَكْبَرَ إِلاّٰ فِي كِتٰابٍ مُبِينٍ [سورة يونس: ٦١].

فإنه عند البعض إشارة إلى اللوح المحفوظ الذي كان القرآن فيه مسطورا أولا لقوله:

الحديث: ١٨١، بحار الأنوار ج ٩٢، ص ١٠٧ باب فضل التدبر في القرآن).

و قد رواه العارف عبد الرّزاق القاساني في تأويلاته (المطبوع أخيرا باسم محيي الدين العربي سهوا) ج ١، ص ٤، إلاّ أنه نقل: في كلامه، عوض: في كتابه. و عن الوصيّ أمير المؤمنين عليه الصلاة و السلام في خطبة له (ع) قال: فتجلّى لهم سبحانه في كتابه من غير أن يكونوا راوه.

(خطبة ١٤٧، نهج البلاغة صبحي الصالح ص ٢٠٤، و الوافي ج ٣، ج ١٤، ص ٣٢).

و قد ذكر الرّواية العارف ميرزا جواد الملكي التبريزي في كتابه المراقبات ج ١، ص ٣١٧ و نقله عن الصدوق رحمه اللّه في كتابه التوحيد: إن اللّه تجلّى لعباده في كلامه و لكن لا تبصرون. و قد رواه أيضا الإمام الخميني رضي اللّه عنه في شرح دعاء السحر ص ٩٢.

هذا و قد ورد عن النبيّ (ص) أيضا: «إن اللّه خلق آدم فتجلّى فيه». ذكره صدر المتألهين في تفسيره سورة يس، ص ٢٧٤.

أقول: فتدبّر في الحديثين و تطبيق الإنسان مع القرآن و بالعكس و كريمتين من القرآن الحكيم:

لاٰ رَطْبٍ وَ لاٰ يٰابِسٍ إِلاَّ فِي كِتٰابٍ مُبِينٍ [سورة الأنعام: ٥٩]. وَ كُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنٰاهُ فِي إِمٰامٍ مُبِينٍ [سورة يس: ١٢].

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ١، ص ٢٠٩

بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ [سورة البروج: ٢١، ٢٢].

و عند البعض إشارة إلى القرآن و الكل صحيح.

و كقوله تعالى:

وَ لاٰ رَطْبٍ وَ لاٰ يٰابِسٍ إِلاَّ فِي كِتٰابٍ مُبِينٍ [سورة الأنعام: ٥٩].

(المقصود من الرّطب و اليابس)

لأن المراد بالرطب بالنسبة إلى الآفاق: العلويات و الروحانيات للطافتها و رطوبتها الجبلية، و باليابس: السفليّات الجسمانيات لكثافتها و يبسها الطبيعيّة، و بالنّسبة إلى القرآن المراد بالرطب: المعاني الخفيّة و التأويلات الباطنة، و باليابس: التفاسير الظاهرة و الأحكام الشرعية.

و قوله أيضا:

كٰانَ ذٰلِكَ فِي الْكِتٰابِ مَسْطُوراً [سورة الإسراء: ٥٨].

المراد به الكتاب الآفاقي المعبّر عنه من حيث الإجمال بالعقل الأوّل، و النفس الكلية. و من حيث التفصيل بالآفاق و الأنفس، كما قيل في معنى قوله:

وَ الطُّورِ وَ كِتٰابٍ مَسْطُورٍ فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ [سورة الطور: ١- ٣].

لأنه أيضا إشارة إلى هذا، و من هذا قال العارف:

تجلّى لي المحبوب من كلّ وجهة
فشاهدته في كلّ معنى و صورة

فقال: كذاك الأمر لكنما إذا
تعيّنت الأشياء بي كنت نسختي

لأن هذا خطاب إلى الإنسان الكبير المسمّى بالآفاق، أو الإنسان الصغير المسمّى بالأنفس لأنّهما المظهران الأعظمان اللّذان لا يمكن مشاهدة الحق

إلا بهما، و هذه الأبيات تعضد جميع ما قلناه، و اللّه أعلم و أحكم.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج١، ص ٢١٠

و أما الغرض من المقدمة الثالثة التي في بيان حروف اللّه الآفاقية و تطبيقها بحروف اللّه القرآنية

(الملكوت لا تنفكّ عن الملك كما أنّ الباطن لا ينفكّ عن الظاهر)

فهو أن يتحقق عندك أن حروف الكتاب القرآني كما هي بسائط حروف التهجي و مفرداته، فكذلك حروف الكتاب الآفاقي فإنها عبارة عن بسائط حروف الموجودات و مفرداتها كما أشرنا إليها في أول الخطبة، و أن حروف القرآن و مفرداتها كما هي منحصرة في ثمانية و عشرين حرفا، فكذلك حروف الآفاق و مفرداتها فإنّها أيضا منحصرة في ثمانية و عشرين حرفا، أما الحروف القرآنية فتلك معلومة مشهورة، و أمّا الحروف الآفاقية فتلك من حيث الملك عبارة عن الهيولى الكلية الأولية و العرش و الكرسي و الأفلاك السبعة و العناصر الأربعة، و من حيث الملكوت عن بواطن هذه البسائط، لأن الملكوت قط لا تنفك عن الملك، كما أن الباطن لا ينفك عن الظاهر، و معلوم أن ملكوت كل شيء هو باطنه لا غير، و إليه أشار الحق تعالى في قوله:

فَسُبْحانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ [سورة يس: ٨٣].

و ذلك لو لم يكن كذلك ما قال النبي (ص):

«ظهرت الموجودات من باء بسم اللّه الرحمن الرحيم» «١٣».

و ما قال أمير المؤمنين عليه الصلاة و السلام:

---

(١٣) قوله: قال النبيّ (ص): «ظهرت الموجودات من باء بسم اللّه الرحمن الرحيم».

أقول: قال الهمداني في كتابه بحر المعارف ص ٣٩٤:

ورد عن النبيّ (ص): ظهرت الموجودات من باء بسم اللّه الرّحمن الرحيم.

و فيه أيضا ص ٣٧٤: قال علي عليه الصلاة و السلام: ظهرت الموجودات عن بسم اللّه الرّحمن الرحيم.

و في بيان الآيات للجيلاني ص ٣٢: عن أمير المؤمنين (ع): ظهرت الموجودات عن باء بسم اللّه الرّحمن الرحيم و أنا النّقطة الّتي تحت الباء.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ١، ص ٢١١

أنا النّقطة تحت الباء «١٤».

و ما قال العارف: بالباء ظهر الوجود، و بالنقطة تميّز العابد عن المعبود «١٥».

و قال الآخر: ما رأيت شيئا إلا و رأيت الباء عليه مكتوبة «١٦». و إليه وردت الإشارة في الأبيات المتقدمة:

كنّا حروفا عاليات لم نقل   متعلّقات في ذرى أعلى القلل

أنا أنت فيه و نحن أنت و أنت هو
و الكلّ في هو هو فسل عمن وصل

«١٧»

---

(١٤) قوله: أنا نقطة تحت الباء.

أقول: قال الهمداني في كتابه بحر المعارف ص ٣٣٣: قال أمير المؤمنين (ع):

أنا نقطة باء بسم اللّه الرّحمن الرحيم، أنا جنب اللّه الّذي فرّطتم فيه، و اللوح و أنا القلم، و أنا العرش و أنا الكرسي، و أنا السموات السبع و الأرضون.

قال الشيخ البلخي في ينابيع المودّة ص ٦٩:

قال الإمام علي كرّم اللّه وجهه: أنا النّقطة الّتي تحت الباء. راجع ملحقات إحقاق الحقّ ج ٧، ص ٦٠٨، حديث ٢٤ و في بحار الأنوار للمجلسي رحمه اللّه ج ٤٠، ص ١٦٥: قال عليّ (ع):

أنا النّقطة، أنا الخطّ، أنا الخطّ أنا النقطة، أنا النّقطة أنا الخطّ.

رواه أيضا في مصابيح الأنوار ج ١، ص ٣٩٤، حديث: ٢١٦ مع توضيح فراجع و في كتاب بيان الآيات للجيلاني ص ٣٣: سرّ الكتب المنزلة في القرآن و سرّ القرآن في فاتحة الكتاب و سرّ فاتحة الكتب في بسم اللّه الرحمن الرحيم، و سر بسم اللّه الرحمن الرحيم

في نقطة تحت الباء و أنا نقطة تحت الباء.

و في مصابيح الأنوار للشّبر ج ١، ص ٤٣٥، الحديث ٨٤ عن المحدّث الشريف الجزائري في شرح العيون، عن مولانا أمير المؤمنين (ع) قال: كلّ العلوم تندرج في الكتب الأربعة، و علومها في القرآن، و علوم القرآن في الفاتحة، و علوم الفاتحة في بسم اللّه الرحمن الرحيم، و علومها في باء بسم اللّه.

أقول: فتدبّر في الحديث فيأتي أيضا من السيّد المؤلّف في تفسير الفاتحة بيان في هذا فانتظر.

(١٥) قوله: بالباء ظهر الوجود و بالنقطة تميّز العابد عن المعبود.

أقول: و هو من كلمات صاحب الفتوحات قاله في المجلد الأوّل ص ١٠٢ سطر ١٠.

(١٦) قوله: ما رأيت شيئا إلا و رأيت الباء عليه مكتوبة.

أقول: قال الشيخ الأكبر ابن العربي في الفتوحات ج ١، ص ١٠٢: و كان الشيخ أبو مدين رحمه اللّه يقول: ما رأيت الخ.

(١٧) قوله: كنّا حروفا عاليات الشعر.

الشاعر هو الشيخ الأكبر محيي الدين عربي، قاله في الفتوحات، انظر شرح فصوص الحكم للخوارزمي ج ١، ص ٣٨.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج١، ص ٢١٢

و ستعرف تحقيق ذلك أكثر من ذلك في موضعه إن شاء اللّه.

و أما الغرض من المقدمة الرابعة التي في بيان كلمات اللّه الآفاقية و تطبيقها بكلمات اللّه القرآنية

فهو أن يتحقق عندك، أن كلمات القرآن كما هي عبارة عن الكلمات المركبة من الحروف المفردة و البسيطة التي هي حروف التهجّي، فكذلك كلمات الآفاق فإنها عبارة عن الكلمات المركبة من الحروف البسيطة الآفاقية، المشار إليها في قوله:

وَلَوْ أَنَّ مٰا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلاٰمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مٰا نَفِدَتْ كَلِمٰاتُ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ [سورة لقمان: ٢٧].

(المقصود من الكلمات الآفاقيّة)

و هذه الكلمات إجمالا، فهي عبارة عن المواليد الثّلاثة من المعدن، و النبات، و الحيوان. و تفصيلا، عن كل متعيّن بتعيّن شخصي صوريا كان أو معنويا، من الملك و الجن و الإنس و الحيوان و الدّواب و غير ذلك.

و هذه الإشارة لو كانت إشارة إلى الكلمات القرآنية لم يكن يبالغ في عدم إنفادها إلى هذه الغاية، لأن الكلمات القرآنية بحسب الصورة تنفد بوقته من المداد فضلا عن البحور، و إن فرض من حيث المعنى، فإنفادها و عدم إنفادها يرجع إلى ما قلناه، و هو أنه مشتمل على الكتاب الآفاقي و أسراره و حقائقه، و أنه نسخة إجماله و تفصيله، و يعضد ذلك ما ورد في اصطلاح القوم من تعريف الكلمة و تقسيمها، و هو قولهم:

الكلمة يكنّى بها عن كل واحدة من الماهيات و الأعيان و الحقائق و الموجودات الخارجية، و على الجملة عن كل متعيّن، و قد تخصّ المعقولات بين الماهيّات و الحقائق و الموجودات و الأعيان بالكلمة المعنوية الغيبية، و الخارجيات بالكلمة الوجودية، و المجردات المفارقات

بالكلمة التامة.

و الكل راجع إلى الكلمات الآفاقية دون القرآنية، و إليها الإشارة بقوله تعالى:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‏١، ص ٢١٣

وَ تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَ عَدْلاً لاٰ مُبَدِّلَ لِكَلِمٰاتِهِ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ [سورة الأنعام: ١١٥].

لأن كلماته الآفاقية الباقية الدائمة لا تبديل لها من حيث هي هي بل من حيث النقل من صورة إلى صورة أخرى، كما هو مقرر في بحث المعاد، و ستعرفه في موضعه إن شاء اللّه.

(إطلاق الكلمة في القرآن على الموجودات الخارجيّة)

و الكلمة و الآية و الحروف لو لم تصدق على الموجودات الخارجية لم يكن تعالى يسمّي الإنسان تارة بالحروف، لقوله في حق نبيّنا (ص): يس و طه و أمثال ذلك «١٨».

---

(١٨) قوله: في حق نبيّنا (ص)، يس و طه و أمثال ذلك.

في معاني الأخبار للشيخ الجليل الصدوق ص ٢٢ حديث ١ بإسناده عن سفيان بن سعيد الثوري، قال: قلت: لجعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ع): ما معنى قول اللّه عزّ و جل: **طه، و يس؟ قال (ع): و أمّا (طه) فاسم من أسماء النبيّ (ص) و معناه: يا طالب الحقّ الهادي إليه. و أمّا (يس)، فاسم من أسماء النبيّ (ص)، و معناه: يا أيّها السامع للوحي. الحديث، و الحديث**

مفصّل نقلنا منه ما يكفينا هاهنا فراجع.

قال العلاّمة الطباطبائي رحمه اللّه في تفسيره الميزان ج ١٤، ص ١٢٧: ورد عن أبي جعفر (ع) كما في روح المعاني و عن أبي عبد الله (ع) كما عن معاني الأخبار بإسناده عن الثوري أن طه من أسماء النبيّ (ص) كما ورد في روايات أخرى أنّ يس من أسمائه، و روى الاسمين معا في الدّر المنثور عن ابن مردويه عن سيف عن أبي جعفر.

أورد البحراني في تفسيره البرهان ج ٣، ص ٢٩ نقلا عن بصائر الدرجات لسعد بن عبد الله بإسناده عن الكلبي، عن أبي عبد الله (ع)، قال: قال: يا كلبي كم لمحمّد (ص) من اسم في القرآن؟ فقلت اسمان أو ثلاثة، فقال: يا كلبي له عشرة أسماء: **وَ مٰا مُحَمَّدٌ إِلاّٰ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ [آل عمران: ١٤٤]، و قوله: وَ مُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ [الصف: ٦]، وَ أَنَّهُ لَمّٰا قٰامَ عَبْدُ اللّٰهِ يَدْعُوهُ كٰادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَداً [الجنّ: ١٩]. و طه مٰا أَنْزَلْنٰا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقىٰ، و: يس وَ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ عَلىٰ صِرٰاطٍ مُسْتَقِيمٍ و: ن وَ الْقَلَمِ وَ مٰا يَسْطُرُونَ مٰا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ، و: يٰا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ، و: يٰا أَيُّها الْمُزَّمِّلُ. و قوله: فَاتَّقُوا اللّٰهَ يٰا أُولِي الْأَلْبٰابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللّٰهُ إِلَيْكُمْ ذِكْراً [الطلاق: ١٠].**

قال الذّكر من أسماء محمّد (ص) و نحن أهل الذّكر. الحديث.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج١، ص ٢١۴

و لم يكن يقول أمير المؤمنين علي (ع):

أنا النقطة تحت الباء. [قد مر بيانه و مرجعه في التعليقة رقم ١٤].

و تارة بالكلمة في حقّ عيسى (ع):

إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَ كَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ [سورة النساء: ١٧١].

و لم يكن يقول أمير المؤمنين (ع):

أنا الم ذلك الكتاب، أنا كهيعص، أنا القرآن الناطق، أنا كلمة اللّه العليا (١٩).

و تارة بالآية، لقوله في حق عيسى و مريم (ع):

وَ جَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَ أُمَّهُ آيَةً [سورة المؤمنون: ٥٠].

و لم يكن يقول أمير المؤمنين (ع):

أنا آية الجبار، أنا فلك الاقتدار، و أمثال ذلك مما ورد في خطبة الافتخارية (٢٠).

---

(١٩) و (٢٠) قوله (ع): أنا الم ذلك الكتاب الخ و قوله (ع): أنا آية الجبّار الحديث.

أقول: بما أنّ السيّد المؤلّف نوّر اللّه سرّه استشهد كثيرا بخطبة البيان، و الخطبة الافتخاريّة المنسوبتين إلى أمير المؤمنين عليّ (ع)، في موارد عديدة في التفسير، و في كتابه جامع الأسرار، نذكر بعد مقدّمة متن الخطبتين أوّلا و بعض الأحاديث الواردة في مضمونهما في الجملة ثانيا.

أمّا المقدّمة، ذكر خطبة البيان و الافتخاريّة و الطتنجيّة و غيرها المنسوبة لمولانا علي بن أبي طالب عليه آلاف التحيّة و السلام، الحافظ البرسي في كتابه المعروف (مشارق الأنوار ص ١٥٩ إلى ص ١٧٢) و أشار بها أيضا الفيض في كتابه قرّة العيون في الكلمة الثالثة من

المقالة السابعة ص ٤٠٩ مع بيان و تأويل منه، و أيضا ذكرها الهمداني في كتابه القيّم (بحر المعارف) مع توضيح قبل ذكرها ص ٣٦٦.

ألّف بعض العلماء شرحا لخطبة البيان، منها شرح العلاّمة الدهدار و المسمّى (بخلاصة الترجمان في تأويل خطبة البيان) و هو شرح مبسوط ممتع و ليس بمطبوع و مخطوطه موجود في بعض المكتبات العامّة و الخاصّة منها في المكتبة العامّة للمدرسة الحجتيّة بقم، و منها شرح للميرزا أبي القاسم الحسيني المسمّى بمعالم التأويل و التبيان في شرح خطبة البيان، و منها للحكيم مير سيد

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۱، ص ۲۱۵

شريف، و هو رسالة موجزة مع متن الخطبة و ليست بمطبوعة ظاهرا و بقيت مخطوطة.

على أنها خطبة معروفة أنشدها على ما نقل أمير المؤمنين في الكوفة أو في البصرة، و هي منقولة بتفاوت، و إنّا لم نجدها في الجوامع الروائية و ليس لها سند متصل بل نقلت مرسلة، و لكن مع ذلك مضمونها متقن يمكن إثبات فقراتها عقلا و نقلا وردت في بعض معانيها آيات و روايات يمكن تطبيقها معها بسهولة، و رأيت لخطبة البيان نسخة مخطوطة في المكتبة العامّة للعلاّمة الحجّة المرعشي النجفي رضوان اللّه تعالى عليه تحت رقم ٢٤٥، نقلها و كتبها السيّد حسن بن السيد علي بن السيّد حسن بن السيد علي بن حسين الحسيني البحراني التوبلي التنكابني، كتبها في يوم الأحد ١٨ ذي حجّة الحرام في سنة ٩٦٧ في جزيرة جرون، و ذكر لها سندا و قال:

بسم اللّه الرّحمن الرحيم حدثنا محمّد بن أحمد الأنباري، قال: حدثنا الحسن بن محمّد الجرجاني قاضي الريّ، قال:

حدثنا طوق بن مالك عن أبيه عن جده، عن عبد الله بن مسعود، يرفعه إلى علي بن أبي طالب (ع).

قال: إنّه لمّا تولّى الخلافة بعد الثلاثة و أقام ما أقام و أتى البصرة، فرقى المنبر بجامعها، و خطب للناس خطبة بليغة تذهل منها العقول، و تقشعر منها الجلود، قال: فلمّا سمعوا منه ذلك أكثروا البكاء و النحيب، فكثر الصياح و الصراخ، قال: و كان رسول اللّه (ص)، لمّا قرب أجله أسرّ إلى علي (ع) السّر الخفيّ الّذي بينه و بين اللّه عزّ و جلّ، و لأجل ذلك انتقل النور الّذي كان في وجهه إلى وجه علي بن أبي طالب (ع)، قال: و مات النبيّ (ص) في مرضه الّذي أوصى فيه لأمير المؤمنين (ع) و كان قد أوصى أن يخطب للنّاس خطبة بليغة بعد موته تسمّى خطبة البيان، و فيها علم ما كان و ما يكون إلى يوم القيامة، قال: فأقام أمير المؤمنين بعد موت النبيّ (ص) صابرا على ظلم الأمّة الباغية إلى أن قرب أجله، و جاءت وصية النبيّ الّتي له بالخطبة الّتي تسمّى خطبة البيان، فأقام أمير المؤمنين (ع) بالبصرة ورقا المنبر و هي آخر خطبة خطبها، فحمد اللّه، و أثنى عليه، و ذكر النبيّ (ص) و قال: أيّها النّاس: الخطبة ... انتهى كلامه، هذا ما في ذلك الكتاب المخطوط و اللّه العالم.

و أمّا متن خطبة البيان (المسمّاة أيضا بالخطبة الأنانيّة) على ما نقل الحكيم مير سيّد شريف في رسالة مخطوطة منه في شرح الخطبة في المكتبة العامة الهامّة للعلاّمة البارع الحجّة النجفي المرعشي (رض) الرقم ۲۲۹۱، قال:

خطبة البيان من كلام مولانا أمير المؤمنين عليه الصلاة و السلام.

بسم اللّه الرّحمن الرحيم أنا الذي عنده مفاتيح الغيب لا يعلمها بعد محمّد (ص) غيري،

أنا بكلّ شيء عليم، أنا ذو القرنين المذكور في الصّحف الأولى أنا الحجر الّذي انفجر منه اثنتا عشرة عينا، أنا الذي عندي خاتم سليمان، أنا الّذي أتولّى حساب الخلائق أجمعين، أنا اللوح المحفوظ، أنا جنب اللّه، أنا قلب اللّه، إن إلينا إيابهم، ثم إن علينا حسابهم، أنا الّذي قال رسول اللّه (ص) الصراط صراطك و الموقف

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ١، ص ٢١٦

موقفك، أنا الّذي عنده علم الكتاب ما كان و ما يكون، أنا آدم الأوّل، أنا نوح الأوّل، أنا إبراهيم الخليل حين ألقي في النّار، أنا موسى مؤنس المؤمنين، أنا فتاح الأسباب، أنا منشئ السحاب، أنا مورق الأشجار، أنا مونع الثمار، أنا مفجّر العيون، أنا مطرد الأنهار، أنا داحي الأرضين، أنا سمّاك السموات، أنا الّذي عندي فصل الخطاب، أنا قسيم الجنة و النّار، أنا ترجمان وحي اللّه، أنا معصوم من عند اللّه، أنا خازن علم اللّه، أنا حجّة اللّه على من في السّماء و فوق الأرضين، أنا دابّة الأرض، أنا الرّاجفة، أنا الرّادفة، أنا الصيحة بالحق يوم الخروج الّذي لا يكتم عنه خلق السموات و الأرض، أنا الساعة الّذي اعتدنا لمن كذّب بها سعيرا، أنا ذلك الكتاب لا ريب فيه، أنا الأسماء الحسني، الّتي أمر اللّه أن يدعى بها، أنا الّذي اقتبس موسى منه فهدى، أنا هادم القصور، أنا مخرج المؤمنين من القبور، أنا المتكلّم بكلّ لغة في الدنيا، أنا صاحب نوح و منجيه، أنا صاحب أيوب المبتلى و شافيه، أنا صاحب يونس و منجيه، أنا أقمت السّموات السّبع بنور ربّي و قدرته، أنا الغفور الرحيم و عذابي هو العذاب الأليم، أنا الّذي أسلم إبراهيم الخليل لربّ العالمين و أقرّ بفضلي، أنا

عصا الكليم و به أخذ بناصية الخلق أجمعين، انا الّذي نظرت في الملكوت فلم يعدّ غيري شيء و غاب غيري، أنا الّذي أحصى هذا الخلق و إن كثروا حتّى أؤدّيهم إلى اللّه، أنا الّذي لا يبدّل القول لديّ، و ما أنا بظلاّم للعبيد، أنا ولي اللّه في أرضه و المفوّض إليه أمره و الحكام في عباده، أنا الّذي دعوت السبع السّموات بما فيها فأجابتني و أمرتها فانتصبت لأمري، أنا الّذي بعثت النبيّين و المرسلين، أنا الّذي دعوت الشمس و القمر فأجاباني، أنا فطرة العالمين، أنا داحي الأرضين و العالم بالأقاليم، أنا أمر اللّه و الرّوح كما قال اللّه تعالى: **وَ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي** [سورة الإسراء، الآية: ۸۵] **أنا الّذي قال اللّه تعالى لنبيّه: أَلْقِيٰا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفّٰارٍ عَنِيدٍ** [سورة ق، الآية: ۲٤]، **أنا الّذي أرسيت الجبال و بسطت الأرضين، أنا مخرج العيون و منبت الزّروع و مغرس الأشجار و مخرج الثمار، أنا الّذي أقدّر أقواتها و منزل القطر و مسمع الرعد و مبرق البرق، أنا مضيء الشمس و مطلع القمر و منشئ النجوم، و أنا مجرى الفلك في البحور، أنا الّذي أقوّم السّاعة، أنا الّذي إن متّ فلم أمت، و إن قتلت فلم أقتل، أنا الّذي أعلم ما يحدث ساعة بعد ساعة، أنا الّذي أعلم خطرات القلوب و لمع العيون و ما تخفي الصدور، أنا صلاة المؤمنين و زكاتهم و حجّهم و جهادهم، أنا الناقور، أنا الّذي قال اللّه تعالى:**

فَإِذٰا نُقِرَ فِي النّٰاقُورِ [سورة المدثر، الآية: ۸]، **أنا صاحب النشر الأوّل و الآخر، أنا صاحب الكوكب و مزيل الدولة، أنا صاحب الزلازل و الرّجف، أنا الّذي أعلم المنايا و البلايا و فصل الخطاب، أنا صاحب أرم ذات**

العماد الّتي لم يخلق مثلها في البلاد و نازلها و المنفق بما فيها، أنا الـّذي أهلكت الفراعنة و الجبارين المتقدمين بسيـف ذي الـفـقـار، أنـا الـّذي حملت نوحا في السفينة، أنا الّذي أنجيت إبراهـيـم مـن نـار نـمـرود و مؤنسه، أنا مؤنس يوسف الصديق في الجبّ و مخـرجـه، أنـا صـاحـب موسى و الخضر و معلّمهما، أنا منشئ الملكوت في الكون، أنـا الـبـارئ و أنا المصوّر في الأرحام، أنا الّذي أبرئ الأكمة و الأبرص و أعـلـم مـا فـي الضمائر، أنا أنبئكم بما تأكلون و ما تدّخرون في بيوتكم، أنا الـبـعـوضـة الّتي ضرب اللّه المثل، أنا الذي أقامني اللّه و الخلق في الظلمة

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ١، ص ٢١٧

و دعا إلى طاعتي فلمّا ظهرت أنكروا أمره ثم قال عزّ و جلّ: **فَلَمّٰا جٰاءَهُمْ مٰا عَـرَفُـوا كَفَرُوا بِهِ [سورة البقرة، الآية: ٨٩] أنا الّذي كسوت العظام لـحـمـا ثـمّ أنشأته بقدرته، أنا حامل لعرش اللّـه مـع الأبـرار مـن ولـدي و حـامـل العلم، أنا أعلم بتأويل القرآن و الكتب السالفة، أنا المرسوخ في العلم، أنا وجه اللّه في السموات و الأرض كما قال اللّه تعالى: كُلُّ شَيْءٍ هٰالِكٌ إِلاّٰ وَجْهَهُ [سورة القصص، الآية: ٨٨] أنا صاحـب الـجـبـت و الـطـاغـوت و محرقهما، أنا باب اللّه الذي قال اللّه تعالى:**

إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيٰاتِنٰا وَ اسْتَكْبَرُوا عَنْهٰا لاٰ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوٰابُ الـسَّمٰـاءِ وَ لاٰ

يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَ كَذٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ [سورة الأعراف، الآية: ٤٠].

و لا يكون ذلك أبدا. أنا الّذي خدمني جبرائيل و ميكائيل، أنا الّذي ردّت عليّ الشمس مرّتين، أنا الّذي خصّ اللّه جبرائيل و ميكائيل بالطاعة لي، أنا اسم من أسماء اللّه الحسنى و العليا، أنا صاحب الطور، أنا الكتاب المسطور، أنا البيت المعمور، أنا الحرث و النسل، أنا الّذي فرض اللّه على كلّ قلب ذي روح متنفّس من خلق اللّه، أنا الّذي أنشر الأوّلين و الآخرين، أنا قاتل الأشقياء و محرقهم بناري، أنا الّذي أظهرني اللّه على الدّين، أنا المنتقم من الظالمين، أنا الّذي أرى دعوة الأمم كلّها و كفرت و أصرّت و مسخت، أنا الّذي أرد المنافقين من حوض رسول اللّه، أنا باب فتح اللّه لعباده من دخله كان آمنا، و من خرج منه كان كافرا، أنا الّذي بيدي مفاتيح الجنان و مقاليد النيران، أنا الّذي جهد الجبابرة بإطفاء نور اللّه و إدحاض محجّته. فيأبى اللّه إلاّ أن يتمّ نوره و ولايته، أعطى اللّه نبيّه نهر الكوثر و أعطاني نهر الحياة، أنا مع رسول اللّه في الأرض فعرّفني من يشاء و يمنع من يشاء، أنا قائم في ظلّة خضر حيث لا روح يتحرّك و لا نفس يتنفّس غيري، أنا علم صامت و محمد علم ناطق، أنا صاحب القرون الأولى، أنا صاحب القرن، أنا جاوزت موسى الكليم في البحر و أغرقت فرعون، أنا عذاب يوم الظلّة، أنا الّذي أعلم هماهم البهائم و منطق الطير، أنا آيات اللّه و حجج اللّه و أمين اللّه، أنا أحيي و أميت، أنا أخلق و أرزق، أنا السميع العليم، أنا الّذي أجوز السموات السبع و الأرضين السبع في طرفة عين، أنا ذو القرنين في هذه الأمّة كما قال رسول اللّه (ص): إنّك ذو القرنين في هذه الأمّة، أنا صاحب الناقة الّتي أخرجها اللّه لنبيّه صالح، أنا الّذي أنقر في الناقور ذلك يومئذ عسير على الكافرين غير يسير، أنا كهيعص، أنا المتكلّم على لسان عيسى في المهد صبيّا، أنا

المتكلّم على لسان الصبيّ، أنا يوسف الصديق، أنا الّذي تاب الله بي على داود، أنا الّذي يصلّي عيسى خلفي، أنا المتقلّب في الصور، أنا الّذي ليس كمثله شيء، أنا العذاب الأعظم، أنا الآخرة و الأولى، أنا أبدأ و أعيد، أنا فرع من فروع الزيتونة و قنديل من قناديل النبوّة، أنا مصباح الهدى، أنا مشكوة فيها نور المصطفى، أنا الّذي أرى أعمال العباد لا يعزب عنّي شيء في الأرض و لا في السماء، أنا خازن السماوات و خازن الأرض، أنا قائم بالقسط، أنا عالم بتغيّر الزمان و حدثانه، أنا الّذي ليس شيء من عمل عامل إلاّ بمعرفتي، أنا الّذي أعلم عدد النّمل و وزنها و خفّتها، و مقدار الجبال و وزنها، و عدد قطر الأمطار، أنا آيات الله

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج١، ص ٢١٨

الكبرى الّتي رآها فرعون، أنا الّذي أقتل القتلين و أحيي مرتين و أظهر كيف أشاء، أنا الّذي رميت وجه الكفّار كفّ تراب، فرجعوا الهلكى، أنا الّذي أحصى هذه الخلائق و إن كثروا، أنا الّذي عندي ألف كتاب من كتب الأنبياء، أنا الّذي جحد ولايتي ألف أمّة فمسخوهم، أنا المذكور في سالف الزمان و الخارج في آخر الزمان، أنا قاصم فراعنة الأوّلين و مخرجهم و معذّبهم في الآخرين، أنا معذّب الجبت و الطاغوت و محرقهم، و معذّب يغوث و يعوق و نسرا، أنا معذّبهم عذابا شديدا، أنا المتكلّم بسبعين لسانا، و مفتي شيء على سبعين وجها، أنا الّذي أعلم تأويل القرآن و ما تحتاج إليه الأمّة، أنا الّذي أعلم ما يحدث بالليل و النهار أمرا بعد أمر شيئا إلى يوم القيامة، أنا الّذي عندي اثنان و سبعون اسما من

أسماء اللّه العظام، أنا الّذي أرى أعمال الخلائق في مشارق الأرض و مغاربها و لا يخفى عليّ منهم شيء، أنا الكعبة و البيت الحرام، أنا البيت العتيق كما قال اللّه عزّ و جلّ:

فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هٰذَا الْبَيْتِ، الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ [سورة قريش، ٣، ٤].

أنا الذي يملكني اللّه شرق الأرض و غربها أسرع من طرفة عين و لمح البصر، أنا محمّد المصطفى (ص): عليّ منّي و أنا منه، الممدوح بروح القدس أخلق و أرزق و أحيي و أميت، أنا المعنى الّذي لا يقع عليّ اسم و لا شبه، أنا أظهر كيف أشاء، أنا باب نصيبهم، و لا حول و لا قوّة إلاّ باللّه العليّ العظيم و صلى اللّه على خير خلقه محمّد و آله أجمعين، تمّت الخطبة المباركة بالخير و العافية.

و أمّا الخطبة الافتخارية فذكرها الحافظ رجب البرسي في كتابه مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين ص ١٦٤ و قال: رواها الأصبغ بن نباتة قال: خطب أمير المؤمنين (ع) فقال في خطبته:

أنا أخو رسول اللّه و وارث علمه، و معدن حكمه، و صاحب سرّه، و ما أنزل اللّه حرفا في كتاب من كتبه إلاّ و قد صار إليّ، و زاد لي علم ما كان و ما يكون إلى يوم القيامة، أعطيت علم الأنساب و الأسباب، و أعطيت ألف مفتاح يفتح كل مفتاح ألف باب، و مددت بعلم القدر، و إن ذلك يجري في الأوصياء من بعدي، و ما جرى الليل و النهار حتّى يرث اللّه الأرض و من عليها و هو خير الوارثين، أعطيت الصراط و الميزان و اللواء و الكوثر، أنا المقدّم على بني آدم يوم القيامة، أنا المحاسب للخلق، أنا منزلهم منازلهم، أنا عذاب أهل النار، إلى كلّ ذلك فضل من اللّه عليّ، و من أنكر أنّ لي في الأرض كرة بعد كرة و عودا بعد رجعة، حديثا كما كنت قديما، فقد ردّ علينا، و من ردّ علينا فقد ردّ على اللّه، أنا

صاحب الدعوات، أنا صاحب الصلوات، أنا صاحب النقمات، أنا صاحب الدلالات، أنا صاحب الآيات العجيبات، أنا عالم أسرار البريات، أنا قرن من حديد، أنا أبدا حديد، أنا منزل الملائكة منازلها، أنا آخذ العهد على الأرواح في الأزل، أنا المنادي لهم: ألست بربكم بأمر قيوم لم يزل، أنا كلمة اللّه الناطقة في خلقه، أنا آخذ العهد على جميع الخلائق في الصلوات، أنا غوث الأرامل و اليتامى، أنا باب مدينة العلم، أنا كهف الحلم،

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۱، ص ۲۱۹

أنا عامّة اللّه القائمة، أنا صاحب لواء الحمد، أنا صاحب الهبات بعد الهبات، و لو أخبرتكم لكفرتم، أنا قاتل الجبابرة، أنا الذخيرة في الدنيا و الآخرة، أنا سيّد المؤمنين، أنا علم المهتدين، أنا صاحب اليمين، أنا اليقين، أنا إمام المتقين، أنا السابق إلى الدين، أنا حبل اللّه المتين، أنا الّذي أملأها عدلا كما ملئت ظلما و جورا بسيفي هذا، أنا صاحب جبرائيل، أنا تابع ميكائيل، أنا شجرة الهدى، أنا علم التقى، أنا حاشر الخلق إلى اللّه بالكلمة الّتي بها يجمع الخلائق، أنا منشئ (منشأ) الأنام، أنا جامع الأحكام، أنا صاحب القضيب الأزهر و الجمل الأحمر، أنا باب اليقين، أنا أمير المؤمنين، أنا صاحب الخضر، أنا صاحب البيضاء، أنا صاحب الفيحاء، أنا قاتل الأقران، أنا مبيد الشجعان، أنا صاحب القرون الأوّلين، أنا الصديق الأكبر، أنا الفاروق الأعظم، أنا المتكلّم بالوحي، أنا صاحب النجوم، أنا مدبرها بأمر ربّي و علم اللّه الّذي خصّني به، أنا صاحب الرايات الصفر، أنا صاحب الرايات الحمر، أنا الغائب المنتظر لأمر العظيم، أنا المعطي، أنا المبذل، أنا القابض يدي على

القبض الواصف لنفسي، أنا الناظر لدين ربي، أنا الحامي لابن عمي، أنا مدرجة في الأكفان، أنا والي الرحمن، أنا صاحب الخضر و هارون، أنا صاحب موسى و يوشع بن نون، أنا صاحب الجنة، أنا صاحب القطر و المطر، أنا صاحب الزلازل و الخسوف، أنا مروع الألوف، أنا قاتل الكفار، أنا إمام الأبرار، أنا البيت المعمور، أنا السقف المرفوع، أنا البحر المسجور، أنا باطن الحرم، أنا عماد الأمم، أنا صاحب الأمر الأعظم، هل من ناطق يناطقني، أنا النار، و لو لا أنّي أسمع كلام اللّه و قول رسول اللّه (ص) لوضعت سيفي فيكم و قتلتكم عن آخركم، أنا شهر رمضان، أنا ليلة القدر، أنا أمّ الكتاب، أنا أفصل الخطاب، أنا سورة الحمد، أنا صاحب الصلاة في الحضر و النحر، أنا الواضع عن أمّة محمّد الوزر، أنا باب السجود، أنا العابد، أنا المخلوق، أنا الشاهد، أنا المشهود، أنا صاحب السندس الأخضر، أنا المذكور في السماوات و الأرض، أنا الماضي مع رسول اللّه في السماوات، أنا صاحب الكتاب و القوس، أنا صاحب شيث بن آدم، أنا صاحب موسى و ارم، أنا بي تضرب الأمثال، أنا السماء الخضر، أنا صاحب الدنيا الغبراء، أنا صاحب الغيث بعد القنوط، ها أنا ذا فمن ذا مثلي. أنا صاحب الرعد الأكبر، أنا صاحب البحر الأكدر، أنا مكلم الشمس، أنا الصاعقة على الأعداء، أنا غوث من أطاع من الورى و اللّه ربّي لا إله غيره، ألا و إن للباطل جولة و للحقّ دولة، و إني ظاعن عن قريب فارتقبوا الفتنة الأمويّة و الدولة الكسرويّة، ثم تقبل دولة بني العباس بالفرح و البأس، و تبنى مدينة يقال لها الزوراء بين دجلة و دجيل و الفرات، ملعون من سكنها، منها تخرج طينة الجبارين، تعلى فيها القصور، و تسبل الستور، و يتحلون بالمكر و الفجور، فيتداولها بنو العباس ٤٢ ملكا على عدد سني الملك، ثمّ الفتنة الغبراء، و القلادة الحمراء في عنقها قائم الحق، ثمّ أسفر عن وجهي بين أجنحة الأقاليم كالقمر المضيء بين الكواكب، ألا و إن لخروجي علامات

عشرة، أولها تحريف الرايات في أزقة الكوفة، و تعطيل المساجد، و انقطاع الحاج، و خسف و قذف بخراسان، و طلوع الكواكب المذنب، و اقتران النجوم، و هرج و مرج و قتل و نهب، فتلك علامات عشرة، و من العلامة إلى العلامة عجب، فإذا تمت العلامات قام قائمنا قائم الحقّ، ...

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۱، ص ۲۲۰

ثم قال: معاشر الناس نزهوا ربكم و لا تشيروا إليه، فمن حد الخالق فقد كفر بالكتاب الناطق، ثم قال: طوبى لأهل ولايتي الذين يقتلون فيّ، و يطردون من أجلي، هم خزان اللّه في أرضه، لا يفزعون يوم الفزع الأكبر، أنا نور اللّه الّذي لا يطفأ، أنا السرّ الّذي لا يخفى.

و أمّا ذكر بعض الأحاديث المنقولة عنهم (ع) الّتي تنطبق على بعض فقرات الخطبتين نأتي بها ذيلا:

(أ) عن محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (الصدوق)، بإسناده عن أبي بصير، عن أبي عبد اللّه (ع) قال:

قال أمير المؤمنين في خطبته:

أنا الهادي و أنا المهتدي (المهدي)، و أنا أبو اليتامى و المساكين و زوج الأرامل، و أنا ملجأ كلّ ضعيف و مأمن كلّ خائف، و أنا قائد المؤمنين إلى الجنّة، و أنا حبل اللّه المتين، و أنا العروة الوثقى و كلمة التقوى، و أنا عين اللّه و لسانه الصّادق و يده، و أنا جنب اللّه الّذي يقول: **أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يٰا حَسْرَتىٰ عَلىٰ مٰا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللّٰهِ** [الزمر:

٥٦]، و أنا يد اللّه المبسوطة على عباده بالرحمة و المغفرة، و أنا باب حطّة، من عرفني و عرف حقّي فقد عرف ربّه لأني وصيّ نبيّه في أرضه، و حجته على خلقه، لا ينكر هذا إلاّ رادّ على اللّه و رسوله. كتاب التوحيد باب ٢٢ ص ١٦٤ الحديث ٢.

و نقله أيضا المفيد رضي اللّه عنه بإسناده عن أبي بصير في كتابه الاختصاص ص ٢٤٨.

(ب) الصدوق بإسناده عن عبد الرّحمن بن كثير، عن أبي عبد اللّه قال: إنّ أمير المؤمنين (ع) قال: أنا علم اللّه، و أنا قلب اللّه الواعي، و لسان اللّه النّاطق، و عين اللّه، و جنب اللّه، و أنا يد اللّه.

التوحيد ص ١٦٤ باب ٣٢ ح ١.

(ج) المفيد، بإسناده عن الحسين بن عبد الله، عن الصّادق (ع) قال: خطب أمير المؤمنين صلوات اللّه عليه فقال فيما يقول: أيّها النّاس سلوني قبل أن تفقدوني، أيّها النّاس أنا قلب اللّه الواعي، و لسانه النّاطق، و أمينه على سرّه، و حجّته على خلقه، و خليفته على عباده، و عينه النّاظرة في بريّته، و يده المبسوطة بالرأفة و الرّحمة، و دينه الّذي لا يصدّقني إلاّ من محض الإيمان محضا، و لا يكذّبني إلا من محض الكفر محضا، الاختصاص ص ٢٤٨.

(د) بحار الأنوار ج ١٨ ص ٣٧٧ ح ٨٢ عن بصائر الدّرجات. إبراهيم بن هاشم، عن البرقي، عن ابن سنان و غيره، عن عبد الله بن سنان قال: قال أبو عبد اللّه (ع): قال رسول اللّه (ص):

لقد أسرى بي ربّي فأوحى إليّ من وراء الحجاب ما أوحى، و كلّمني، و كان ممّا كلّمني أن قال: يا محمّد، عليّ الأوّل، و عليّ الآخر، و الظّاهر و الباطن، و هو بكلّ شيء عليم، فقال:

يا ربّ أليس ذلك أنت؟ قال: فقال: يا محمّد أنا اللّه لا إله إلاّ أنا الملك القدّوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبّار المتكبّر سبحان اللّه عمّا يشركون، إنّي أنا اللّه لا إله إلاّ أنا الخالق البارئ المصوّر، لي الأسماء الحسنى، يسبح لي من في السموات و الأرضين، و أنا العزيز الحكيم، يا محمد إنّي أنا اللّه لا إله إلاّ أنا الأوّل و لا شيء قبلي، و أنا الآخر فلا شيء بعدي، و أنا الظاهر فلا شيء فوقي، [.....]

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۱، ص ۲۲۱

و أنا الباطن فلا شيء تحتي، و أنا اللّه لا إله إلاّ أنا بكلّ شيء عليم، يا محمّد، عليّ الأوّل: أوّل من أخذ ميثاقي من الأئمّة، يا محمّد، عليّ الآخر: آخر من قبض روحه من الأئمّة، و هي الدّابة الّتي تكلّمهم، يا محمّد، عليّ الظاهر أظهر عليه جميع ما أوحيته إليك، ليس لك أن تكتم منه شيئا، يا محمّد، عليّ الباطن: أبطنته سرّي الّذي أسررته إليك، فليس فيما بيني و بينك سرّ أزويه يا محمد عن عليّ، ما خلقت من حلال أو حرام إلاّ و عليّ عليم به.

(ه) روى المفيد (رض) في كتابه الاختصاص ص ۱۶۳ كتاب المحنة: أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات اللّه عليه كان قاعدا في المسجد و عنده جماعة، فقالوا له: حدثنا يا أمير المؤمنين، فقال لهم، و يحكم إنّ كلامي صعب مستصعب، لا يعقله إلاّ العالمون، قالوا: لا بدّ من أن تحدّثنا، قال: قوموا بنا فدخل الدّار، فقال: أنا الذي علوت فقهرت، أنا الّذي أحيي و أميت، أنا الأوّل و الآخر و الظاهر و الباطن، فغضبوا و قالوا: كفر

و قاموا، فقال عليّ صلوات اللّه عليه و آله للباب: يا باب استمسك عليهم، فاستمسك عليهم الباب، فقال: ألم أقل لكم: إنّ كلامي صعب مستصعب لا يعقله إلاّ العالمون؟ تعالوا أفسرّ لكم.

أما قولي: أنا الّذي علوت فقهرت، فأنا الّذي علوتكم بهذا السيف فقهرتكم حتّى آمنتم باللّه و رسوله.

و أمّا قولي: أنا أحيي و أميت، فأنا أحيي السنّة و أميت البدعة.

و أمّا قولي: أنا الأوّل، فأنا أوّل من آمن باللّه و أسلم.

و أمّا قولي: أنا الآخر، فأنا آخر من سجّى على النبيّ ثوبه و دفنه.

و أمّا قولي: أنا الظاهر و الباطن، فأنا عندي علم الظاهر و الباطن. قالوا فرّجت عنّا فرّج اللّه عنك.

أقول: فتدبّر أيها القارئ العزيز هدانا اللّه و إيّاك بحقائق علومهم أنه (ع) كيف فسرّ قوله بالظاهر حتّى يمنع عن ارتدادهم و يحفظ عن شرّهم و أن ليس لهم تحمّل الحقائق و غربته (ع) في أصحابه.

(و) فرات الكوفي، في تفسيره ص ٦٧ الحديث ٣٧، بإسناده عن عبد الواحد بن علي قال: قال أمير المؤمنين (ع):

أنا أؤدي من النبيّين إلى الوصيّين، و من الوصيّين إلى النبيّين، و ما بعث اللّه نبيّا إلاّ و أنا أقضي دينه و أنجز عداته، و لقد اصطفاني ربّي بالعلم و الظفر، و لقد وفدت إلى ربّي اثني عشر وفادة فعرفني نفسه و أعطاني مفاتيح الغيب.

ثم قال: يا قنبر من على الباب؟ قال: ميثم التمار! ما تقول أن أحدثك، فإن أخذته كنت مؤمنا، و إن تركته كنت كافرا؟ (ثمّ) قال: أنا الفاروق الّذي أفرق بين الحق و الباطل، أنا

أدخل أوليائي الجنّة و أعدائي النار، أنا الذي قال اللّه (تعالى):

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمامِ وَ الْمَلائِكَةُ وَ قُضِيَ الْأَمْرُ وَ إِلَى اللهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ [سورة البقرة، الآية: ٢١٠].

و للسيّد كاظم الرشتي شرح مبسوط للخطبة الطتنجيّة، قال بعد خطبة الكتاب:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۱، ص ۲۲۲

اعلم، العلماء في هذه الخطبة الشريفة و أمثالها من الخطب، البيان و خطبة الافتخار و غيرها من الأخبار كخبر معرفتهم بالنورانيّة، و خبر بيان مقامات المعرفة و غيرها، تشعّبوا على أربع شعب:

الاولى، طرحوا هذه الأخبار و أسقطوها عن نظر الاعتبار، و قالوا: إنّها أخبار آحاد لا تفيد علما و لا عملا، و من قال: بحجيّة الظنّ المطلق قال: و إن استفيد الظنّ بصحّة مضمون هذه الأخبار، إلاّ أنّه لا يعوّل عليه في مثل هذه المطالب، و من قال: بحجيّة الخبر الواحد قال: إنّ ذلك هو الخبر الصحيح من العدل الإمامي، و تلك الأخبار أكثرها ضعيفة، سيّما الخطب، و أغلبها في «مشارق الأنوار» للشيخ رجب البرسي، و قد حكم العلماء بغلوّه، و ما هذا شأنه لا حجيّة فيه، مع أنّ هذه الأخبار و الخطب تخالفها العقول، و فيها رفع الإمكان عن مكانه و إثبات الربوبيّة للمخلوق، و استلزام التفويض الّذي أطبق العلماء وفقا للأخبار الصحيحة الصريحة المحكمة على بطلانه، و تكفير القائل به، و مخالفة الكتاب الصريح حيث يقول اللّه سبحانه:

هَلْ مِنْ خٰالِقٍ غَيْرُ اللّٰهِ [سورة فاطر، الآية: ۳].

أَرُونِي مٰا ذٰا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ [سورة فاطر، الآية: ٤٠].

اللّٰهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكٰائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذٰلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحٰانَهُ وَ تَعٰالىٰ عَمّٰا يُشْرِكُونَ [سورة الروم، الآية: ٤٠].

و قد دلّت الأخبار و شهد صحيح الاعتبار أنّ الخبر إذا خالف الكتاب المجيد، يضرب على عرض الحائط، و قد شاع و ذاع شيوع الغلاة القائلين بالألوهيّة لأمير المؤمنين و أولاده الطيّبين الطاهرين كالنصيريّة و الخطابيّة و الشلمغانيّة و أمثالهم، و أغلب رواة هذه الأخبار هم، فثبت أنّ هذه الخطب ليست من أمير المؤمنين و لا الأخبار من أولاده المعصومين، و إنّما هي من موضوعات الغلاة المفوّضة.

الثانية، توقّفوا في تصديقها و تكذيبها، حيث رأوا شيوع هذه الأخبار و تكرّرها و تواردها في كتب الفرقة المحقّة، و ورود الأدعية الكثيرة بمضمونها و الزيارات الواردة عن أهل بيت العصمة و الطهارة، و ورود الأخبار الكثيرة بمعناها عن أخبار الثقات أيضا، إلاّ أنّ هنا أخبار بظاهرها تنفي هذه المضامين و يؤيّدها ظواهر بعض الآيات، مع أنّ العقل يقصر عن إدراكها و معرفتها، فالتوقّف و السكوت فيها أولى. لما قال (ع):

الوقوف عند الشبهات خير من الاقتحام في الهلكات.

الثالثة، تلقّوها بالقبول و شهدوا على حقّيّتها لكنّهم حاولوا معرفتها بالعقول، و لم يستندوا فيها إلى آل الرسول (ع) بباطن دعوتهم و لسان أعمالهم، و إن ادّعوا خلافه بظاهر مقالهم فجروا في بيان هذه الخطب مجرى الصوفيّة الملاحدة القائلين بوحدة الوجود «أقول: و الظاهر أن المؤلّف لم يفهم معنى قول أهل المعرفة و التوحيد بوحدة الوجود أي وحدة

وجود الواجب و كثرة مظاهره و آياته و هو سبحانه صمد أحد مطلق لا سبيل إلى تصور وجود الغير في مقابله، أينما تولّوا فثمّ وجه اللّه و هو معكم أينما كنتم و هو في السماء إله و في الأرض إله، و القول به عين القول بالتوحيد القرآني توحيد أهل البيت (ع) و لعل عقله و قلبه قاصران عن فهم هذا التوحيد و الحق هذا عسير

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۱، ص ۲۲۳

جدا بل كاد أن لا يمكن إلاّ لأوحدي من الموحّدين الطاهرين». قال الملاّ محسن في قرّة العيون:

قال بعض العارفين: إذا تجلّى اللّه بذاته لأحد يرى كلّ الذوّات و الصفات و الأفعال متلاشية في أشعّة ذاته و صفاته و أفعاله، و يجد نفسه مع جميع المخلوقات كأنّها مدبّرة لها و هي أعضاؤه لا يلمّ بواحد منها شيء إلاّ و هو يراه ملمّا به و يرى ذاته الذات الواحدة و صفته صفتها و فعله فعلها لاستهلاكه بالكلّيّة في عين التوحيد، و لمّا انجذب بصيرة الروح إلى مشاهدة جمال الذات استتر نور العقل الفارق بين الأشياء في غلبة نور الذات القديمة و ارتفع التمييز بين القدم و الحدوث لزهوق الباطل عند مجيء الحقّ إلى أن قال: و لعل هذا هو السّر في صدور بعض الكلمات الغريبة من مولانا أمير المؤمنين في خطبة البيان، و في خطبته الموسومة بالطتنجيّة و غيرها من نظائرهما كقوله (ع): أنا آدم الأوّل، أنا نوح الأوّل إلى آخر ما قال من أمثال ذلك. انتهى كلامه.

الرابعة، عملوا بمقتضى قوله تعالى:

فَلاٰ وَ رَبِّكَ لاٰ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمٰا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاٰ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَ يُسَلِّمُوا تَسْلِيماً [سورة النساءِ، الآية: ٦٥].

فأولئك المؤمنون، الممتحنون الّذين امتحن اللّه قلوبهم للإيمان، و شرح صدورهم للإسلام، و هم المتّبعون لقادة الدّين الأئمّة الهادين الّذين يتأدّبون بآدابهم و ينهجون نهجهم، بهم العلم على حقيقة الإيمان، فاستجابت أرواحهم لقادة العلم، و استلانوا من أحاديثهم ما استوعر على غيرهم، و آنسوا بما استوحش منه المكذّبون و أباه المسرفون، فانقطعوا إلى ربّهم و حاولوا قراءة الألواح الآفاقيّة و الأنفسيّة التي قد نقش اللّه سبحانه فيها جميع الأسرار المخزونة في ملكوته و جبروته و لاهوته، فعرفوها بتعليم اللّه سبحانه و تعالى بألسنة أوليائه بعد ما جاهدوا في اللّه حقّ جهاده، فنظروا في العالم و الكتاب و السنّة من غير معاندة و لجاج، و لا قاعدة مأخوذة من غير أهل الحقّ (ع) ليتلوا ما يوافقها و يتركوا ما يخالفها، أو يؤلوا (إليها)، و لا استئناس بطائفة ليميلوا بقلوبهم ليمنعهم عن إصابة الواقع بتلون مرآة حقائقهم بلون ذلك الميل، بل نظروا إلى الكتاب و السنّة و الآيات الآفاقيّة و الأنفسيّة بخالص الفطرة و صافي الطويّة طالبي الحقّ و الصواب من اللّه سبحانه بأهل فصل الخطاب عليهم سلام اللّه في المبدأ و المآب، فقابلت مرايا قلوبهم عالم النور الّذي هو وجه اللّه سبحانه، قال اللّه تعالى: **اللّٰهُ نُورُ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ فظهرت في قلوبهم صور الحقائق المنتزعة من كتاب الأبرار في علّيّين فنطقوا بالحق و الصواب و هو قوله عزّ و جلّ:**

وَ الَّذِينَ جٰاهَدُوا فِينٰا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنٰا [سورة العنكبوت، الآية: ٦٩].

و هذه كيفيّتها و طريقها، فعرفوا الشيء الواحد في مقامات عديدة هي خزائن وجوده قال اللّه تعالى:

وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ عِنْدَنا خَزائِنُهُ [سورة الحجر، الآية: ٢١].

فعرفوا في جميع الخزائن و إن قال تعالى:

وَ عِنْدَهُ مَفاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُها إِلاَّ هُوَ [سورة الأنعام، الآية: ٥٩].

لكنّه قال تعالى:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‏١، ص ٢٢۴

عالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلى غَيْبِهِ أَحَداً إِلاَّ مَنِ ارْتَضى مِنْ رَسُولٍ [سورة الجنّ، ٢٤، ٢٧].

و قالوا: نحن العلماء و شيعتنا المتعلّمون، إذ كلّهم محمّد، أوّلهم محمّد و آخرهم محمّد، و أوسطهم محمّد (ص)، و لمّا كان الشيء الواحد له أطوار و أحوال قال تعالى:

ما لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقاراً وَ قَدْ خَلَقَكُمْ أَطْواراً [سورة نوح، ١٣، ١٤].

طور الإجمال، و طور التفصيل، و طور البساطة، و طور التركيب، و طور التصوير، و طور التجريد، كما قال عزّ و جل:

وَ ما كانَ النَّاسُ إِلاَّ أُمَّةً واحِدَةً فَاخْتَلَفُوا [سورة يونس، الآية: ١٩].

و عرفوا كلّ هذه الأطوار و ما تقتضيه الأوطار في عالم الأنوار بتعليم الأئمّة الأطهار (ع) صار لا يشتبه عليهم شيء في مقام الاختلاف و الكثرة و عدم الائتلاف، فيعطون كلّ ذي حقّ حقّه من الأحكام و إن ظهر بألف طور مختلف إذ عرفوا اللطيفة السارية في المجموع الواحدة.

فلا يحصل عندهم تعارض و لا تناقض و لا تضادّ لا في الأكوان و لا في الصفات، و لا في الألفاظ و العبارات، و لا في أخبار سادة البريّات، و لا في الآيات من المحكمات و المتشابهات، فهم مطمئنّو القلب، باردو الفؤاد، بالغو المراد، يعرفون الغريب من القريب، و يأخذون النصيب من المعلّى و الرقيب، فلا يحتاجون إلى طرح الأخبار و لا إلى اختلاف الأنظار، و هم الّذين قال اللّه تعالى فيهم:

فَهَدَى اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ [سورة البقرة، الآية: ٢١٣].

لأنّ أهل البيت (ع) علماء، حكماء، عارفون بمواقع الكلام، و لحن الخطاب، و لم يتكلّموا بشيء إلاّ جعلوا فيه من تسديدهم قرينة تنفيه أو تثبته، و إلاّ لم يكونوا حجّة بالغة.

إلى أن قال: و هؤلاء تلقّوا هذه الخطبة و أشباهها من الخطب و الأخبار بالقبول و عرفوها و بيّنوها على ما فهموا من كلمات آل الرسول (ع) كما نبيّن إن شاء اللّه في خلال الشرح

و قال في ردّ الأقوال الثلاثة:

و أمّا الطائفة الأولى الذين طرحوا هذه الخطبة و شبهها من الأخبار، و أسقطوها عن الاعتبار و نسبوها إلى الغلاة و المفوّضة و غيرهم من الأشرار فأخطأوا جدّا و استعجلوا كثيرا، أمّا دعواهم بأنّها من أخبار الآحاد فليس بصحيح لأنّها فوق الاستفاضة بل لا يبعد تواترها معنى لكثرة تكرّرها، و ورودها في الكتب في مواضع عديدة و الأدعية المأثورة، سيّما في دعاء رجب المرويّ عن القائم (ع) على ما رواه الشيخ في المصباح، و الزيارات سيّما الزيارة الرجبيّة، و الزيارة الخارجة عن الناحية المقدّسة للحجّة (ع)، سلام على آل يس، و زيارات أمير المؤمنين، و شيوع أنّهم يد اللّه و عين اللّه و لسان اللّه، و أذن اللّه، و الزيارة الجامعة، و أحاديث خلق أنوارهم قبل الخلق و أمثالها من الأمور الّتي لا يشكون و

لا يختلفون في صحّتها، إلى أن قال:

و طرح الأخبار الكثيرة لعدم المعرفة و البصيرة ليس من شأن المؤمنين الممتحنين، و لو سلّمنا أنّها من أخبار الآحاد نقول: إنّ الخبر الواحد إذا طابق العقل الصحيح الصريح وجب القول به و العمل عليه، و كذلك هذه الأخبار فإنّ الأدلّة العقليّة القطعيّة دالّة على مضامينها و مدلولاتها، بل لا يستقيم

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ۱، ص ۲۲۵

(المراد من عدم الإنفاذ للكلمات)

و يكفي في هذا قوله تعالى:

قُلْ لَوْ كانَ الْبَحْرُ مِداداً لِكَلِماتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِماتُ رَبِّي وَ لَوْ جِئْنا بِمِثْلِهِ مَدَداً [سورة الكهف: ۱۰۹].

لأن كل شخص يكون له أدنى تأمّل يعرف أن هذا ليس إشارة لا إلى كلمات القرآن، و لا التوراة، و لا الإنجيل، و لا الزبور، و لا الصحف، و لا الكتب المنزلة من السماء مطلقا، لأن كل ذلك و أمثالها قابل للإنفاد و الانتهاء، فلم يبق إلا الكلمات الآفاقية المسماة بالموجودات و الممكنات الغير القابلة للانتهاء و النفاد، و هذا ظاهر جليّ غير خفيّ. إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَذِكْرىٰ لِمَنْ كانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَ هُوَ شَهِيدٌ [سورة ق: ۳۷].

التوحيد إلاّ بالقول بها، إلى أن قال: و دعوى معارضتها ببعض الأخبار باطلة لصحّة الجمع

بينها و وجدان الدليل عليه من الأخبار الصحيحة أو ما يقوم مقامها، و القول بأنّها من حيث السند ضعيفة، فيه أنّه ليس كلّها كذلك بل فيها أخبار صحيحة الأسانيد باصطلاحهم، و الّذين حكموا عليهم بالغلو ما ثبت عندنا ذلك، و ما وجدنا منهم شيئا يدلّ عليه، و ليس الحكم بغلوّهم إجماعيّا حتّى يحصل القطع به، إلى أن قال: مع أنّ القميّين الّذين كان أكثر الجرح و التعديل في الأخبار و الرواة عنهم كانوا يحكمون بالغلوّ بأدنى شيء، فعلى قولهم نحن كلّنا غلاة عندهم كما قال الصدوق في الفقيه عن شيخه محمد بن الحسن بن الوليد: أن أدنى الغلوّ إنكار سهو الأنبياء و الأئمّة، و لا شكّ إنّا ننكر ذلك بل نجعلهم معصومين مطهّرين عن كلّ دنس ...

إلى أن قال:

و أمّا الطائفة الثانية، فهم و إن سلموا في ظاهر الأمر حيث أقرّوا بعجزهم و قصورهم عن إدراكها إلاّ أنّ دعوى معارضتها بالأخبار و ظاهر الكتاب باطلة كما عرفت، و أمّا موافقة الجمهور فليست شرطا سيّما في مثل هذه الأمور الّتي معرفتها حظّ المؤمنين الممتحنين الّذين هم أعزّ من الكبريت الأحمر.

إلى هنا كلام السيد كاظم الرشتي في أوّل كتابه شرح الخطبة الطتنجيّة نقلناه لأن فيه فائدة و إن كان في كلامه مواقع من النظر.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ١، ص ٢٢٦

و أما الغرض من المقدمة الخامسة التي في بيان آيات اللّه الآفاقية و تطبيقها بكلمات اللّه القرآنية

(المراد من آيات اللّه الآفاقيّة)

فهو أن يتحقق عندك أن آيات الله القرآنية كما هي عبارة عن هيئة جامعة مركبة من كلمات قرآنية، فكذلك آيات الله الآفاقية، فإنها عبارة عن هيئة جامعة مركبة من كلمات آفاقية مسماة بالأجناس و الأنواع و الأصناف و الأشخاص، كما سبق ذكرها، كالعرش و الكرسي، و الأفلاك و الأجرام، و السموات و الجبال و العنصر و السّحاب و أمثال ذلك، المشار إليها في قوله تعالى:

اللهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمٰاوٰاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهٰا ثُمَّ اسْتَوىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيٰاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقٰاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ [سورة الرعد: ٢].

و في قوله:

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلاٰفِ اللَّيْلِ وَ النَّهٰارِ لَآيٰاتٍ لِأُولِي الْأَلْبٰابِ [سورة آل عمران: ١٩٠].

(المقصود من الآية)

هذا من حيث التعيّن و أما من حيث الإطلاق فكل ما في العالم، فإنه آية إلهية كلّيا كان أو جزئيا، أنواعا كان أو أجناسا، مركبا كان أو بسيطا، لأن الكل من حيث الكل، أو كل واحد واحد منه دالّ على معرفته، و معرفة ذاته و صفاته و أفعاله، شاهد على وحدته و وجوبه و وجوده و بقائه كما قيل:

ففي كل شيء له آية　　　تدل على أنه واحد

«٢١» و ليس المراد من الآية إلا ما تدل عليه و على معرفته، و ما سمّى العالم

عالما

(٢١) قوله: و في كلّ شيء له آية الشعر.

ذكره ابن العربي في الفتوحات ج ١، ص ١٨٤ و طبع القاهرة ج ٣، ص ١٧٣، و نسبه إلى ابى العتاهيّة، و هو أبو إسحاق إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان، الشاعر العربي المشهور المتوفى ٣١٠.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ١، ص ٢٢٧

إلاّ لأجل ذلك أي لأنه مأخوذ من العلامة، فهو الدلالة فكأنه علم لذاته المقدسة و دلالة على معرفتها. و عند الأكثرين أسماء اللّه تعالى بمثابة الأعلام خصوصا الاسم اللّه الذي هو اسم الذات مطلقا كما سنبيّنه إن شاء اللّه. لأن العلم في الوضع هو ما يعلم به الشيء، و يدل على معرفة ذلك الشيء، و العالم يدل على ذاته و يعلم به صفاته و أسمائه و أفعاله كما قيل ... فيكون العالم حينئذ علما على ذاته بالضرورة و شاهدا عليها، و الذي ورد في اصطلاح المحققين من أهل اللّه يعضد ذلك كله، و هو قولهم بالنسبة إلى العالم و تعريفه:

العالم هو الظل الثاني، و ليس إلا وجود الحق الظاهر بصور الممكنات كلها،

فلظهوره بتعيّناتها سمّي باسم السّوى، و الغير باعتبار إضافته إلى الممكنات إذ لا وجود للممكن إلا بمجرد هذه النسبة، و إلا فالوجود عين الحق، و الحق هوية العالم و روحه، و هذه التعينات في الوجود الواحد أحكام اسمه الظاهر الذي هو مجلى لاسمه الباطن، و أعظم شاهد في هذا قوله الذي سبق مرارا:

سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ [سورة فصّلت: ۵۳].

و نعم الشاهد القرآن، و نعم الدليل الوجدان، و اللّه المستعان و عليه التكلان.

و أما الغرض من المقدمة السادسة التي في بيان الشريعة و الطريقة و الحقيقة

(المقصود من الشريعة و الطريقة و الحقيقة و أن كلّها حقيقة واحدة)

فهو أن يتحقق عندك أن الشريعة و الطريقة و الحقيقة، أسماء مترادفة «الدلالة» على حقيقة واحدة التي هي حقيقة الشرع المحمّدي باعتبارات مختلفة، و ليس بين هذه المراتب مغايرة أصلا في الحقيقة لأن الشرع كاللّوزة مثلا المشتملة على القشر، و اللّبّ، و لبّ اللبّ، فالقشر كالشريعة الظاهرة، و اللّبّ كالطريقة الباطنة،

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ۱، ص ۲۲۸

و لبّ اللبّ كالحقيقة الباطنة للباطن، و اللّوزة جامعة للكلّ، كما قيل في الصلوات و مراتبها المترتبة عليها:

الصلاة خدمة و قربة و وصلة، فالخدمة هي الشريعة، و القربة هي الطريقة، و الوصلة هي الحقيقة، و اسم الصلاة جامع للكل.

و قيل أيضا:

الشريعة أن تعبده، و الطريقة أن تقوم بأمره، و الحقيقة أن تقوم به.

و يعضد ذلك كله قول النبي (ص):

«الشريعة أقوالي، و الطريقة أفعالي، و الحقيقة أحوالي، و المعرفة رأس مالي، و العقل أصل ديني، و الحب أساسي، و الشوق مركبي، و الخوف رفيقي، و العلم سلاحي، و الحلم صاحبي، و التّوكّل ردائي، و القناعة كنزي، و الصدق منزلي، و اليقين مأواي، و الفقر فخري، و به أفتخر على سائر الأنبياء و المرسلين» [قد مرّ بيانه و مرجعه في تعليقة رقم (١) فراجع].

و كذلك قوله تعالى:

لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَ مِنْهاجاً وَ لَوْ شاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً واحِدَةً وَ لٰكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي ما آتاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْراتِ إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ [سورة المائدة: ٤٨].

و عند التحقيق، علم اليقين و عين اليقين، و حق اليقين، إشارة إلى المراتب المذكورة، و كذلك أصحاب الشمال، و أصحاب اليمين، و المقرّبين، و أهل الإسلام، و الإيمان، و الإيقان، و كذلك العام و الخاص، و خاص الخاص، و المبتدي، و المتوسط، و المنتهى، و أمثال ذلك، كما سنفصّله في موضعه إن شاء الله تعالى.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج١، ص ٢٢٩

و أما الغرض من المقدمة السابعة التي في بيان التوحيد و أسراره و حقائقه

(علم التأويل أعظم العلوم و سرّه أعظم الأسرار)

فهو أن يتحقق عندك أن التأويل لا يمكن إلا على قاعدته و أصوله و قوانينه، لأنه أصل في الدين و أساس في الإسلام، و علمه أعظم العلوم و أشرفها، و سرّه أعظم الأسرار و أنفعها، و ليس هناك سرّ إلا و هو معدنه، و لا علم إلا و هو مشربه، و هو أول الواجبات على الخلق في الدين، و آخر المقامات عند أرباب الكشف، و أصحاب اليقين، كما أشار إليه بعض العارفين في قوله:

كلّ المقامات و الأحوال بالنسبة إلى التوحيد، كالطرق و الأسباب الموصلة إليه.

و هو المقصد الأقصى و المطلب الأعلى، و ليس للإنسان وراء هذا المقام مرمى و لا مرتبة و فيه قيل:

ليس وراء عبّادان قرية.

و من هذا قال سلطان الأولياء و الوصيّين أمير المؤمنين (ع) في بعض خطبه:

أول الدين معرفته، و كمال معرفته التصديق به، و كمال التصديق به توحيده، و كمال توحيده الإخلاص له، و كمال الإخلاص له نفي الصفات عنه، لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف، و شهادة كل موصوف أنه غير الصفة. [نهج البلاغة الخطبة الأولى].

(الإسلام هو التسليم و بعثة الأنبياء لإظهار التوحيد)

و قال أيضا في تعريف الإسلام و الحقيقة الذي هو التوحيد في الحقيقة، أبلغ من هذا و هو قوله:

لأنسبنّ الإسلام نسبة لم ينسبها أحد قبلي، الإسلام هو التسليم، و التسليم هو اليقين، و اليقين هو التصديق، و التصديق هو الإقرار، و الإقرار هو الأداء، و الأداء

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۱، ص ۲۳۰

هو العمل الصالح. [نهج البلاغة الحكمة ۱۲۵].

و إن حقق عرف أن بعثة جميع الأنبياء و الرسل، و إنزال جميع الكتب و الصحف، لم يكن إلا لإظهار التوحيد و دعوة الخلق إليه، كما أشار إليه الإمام الكامل جعفر بن محمد الصادق (ع) في قوله:

اللهم إني أسألك بتوحيدك الذي فطرت عليه العقول، و أخذت به المواثيق، و أرسلت به الرسل، و أنزلت به الكتب، و جعلته أول فرائضك و نهاية طاعتك، فلم تقبل حسنة إلا معه، و لم تغفر سيئة إلا بعده «۳۲».

و الكلام في التوحيد أكثر من أن يحتمل مثل هذا المكان، و سنشرع في تحقيقه و تفصيله في موضعه كما ينبغي إن شاء اللّه. هذا آخر الأغراض التي تجبّ المقدمات السبع إجمالا.

---

(۳۲) قوله: كما أشار إليه الإمام الكامل الخ.

لم أعثر عليه في أدعيته (ع) و لكن دلّت على مضمونه آيات و روايات و منها ما في خطبته

الأولى من نهج البلاغة عن علي (ع).

أول الدين معرفته إلى أن قال: فبعث فيهم رسله، و واتر إليهم أنبياءه، ليستأدوهم ميثاق فطرته، و يذكّروهم منسيّ نعمته، و يحتجّوا إليهم بالتبليغ، و يشيروا لهم دفائن العقول الخ.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج١، ص ٢٣١

و أما البحث الثاني المخصوص بالكتب الأربعة من التفسيرين و التأويلين و الأغراض التي تخص كل واحد منها

إن الغرض من مجمع البيان و النّقل منه هو أنه تفسير معتبر متّفق عليه علماء الإماميّة بأجمعهم لأنه على طريقة أهل البيت (ع)، و كل قول يكون منه يكون صحيحا واقعا من غير خلاف، و هو موافق في أكثر الأصول للمعتزلة.

و الغرض من الكشّاف و النظر فيه و هو أنه أيضا تفسير معتبر متفق عليه علماء المحققين بأجمعهم من المعتزلة و غيرهم، و كل نقل يكون منه لا يقدر أحد على منعه و يكون حجّة لنا على مخالفينا، و الجمع بين هذين التفسيرين ... عين الحكمة، و من أعظم القربات، لأنه من قبيل إصلاح ذات البين و ذلك بالاتفاق معتبر و يشهد به قوله تعالى:

لاٰ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوٰاهُمْ إِلاّٰ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاٰحٍ بَيْنَ النّٰاسِ [سورة النساء: ١١٤].

و عدم تعرّضي بغيرهما من التفاسير ... أنهما عديما المثل في أنفسهما صورة و معنى.

و الثاني أن الكشاف مطابق لمجمع البيان و مجمع البيان للكشاف في أكثر الصور أصولا فما كل واحد منهما على طريقة قوم يكون بينهما مغايرة ما بوجه من الوجوه، و موافقة مّا بوجه من الوجوه، (و موافقتهما بوجه من وجوه أخر) و هذا حسن جدا.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۱، ص ۲۳۲

(التفسير بالرّأي غير جائز)

و التفسير لو لا أنه غير جائز إلا من حيث النقل و الرواية الصحيحة من النبي (ص)، ما تعرضت شيء منه أصلا، لا من التفسيرين المذكورين و لا من غيرهما. و إليه أشار النبي (ص) في قوله:

«من فسّر القرآن برأيه فليتبّوأ مقعده في النار» «۲۳».

و كذلك الأئمّة و العلماء و أرباب التفسير في أقوالهم، و منهم الشيخ الكامل نجم الدين الرازي قدس اللّه سرّه، فإنه ذكر في أول تأويلاته هذا المعنى بعينه و قال:

التفسير علم نزول الآية و شأنها و قصّتها و الأسباب التي نزلت فيها، و هذا و أضرابه مخطور (محظور) على الناس القول فيه إلا بالسماع، و أما التأويل فصرف الآية إلى معنى تحتمله موافق لما قبلها و ما بعدها، و ليس بمحظور على العلماء

(٢٣) قوله (ص): من فسّر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده في النار.

أقول: الحديث مشهور كما قال به صدر المتألهين رحمه اللّه في كتابه مفاتيح الغيب ص ٦٩، و ورد مضمونه أيضا بتعابير عديدة نورد بعضها ذيلا لمزيد الفائدة:

(أ) في كمال الدين للصدوق رحمه اللّه ص ٣٦٩ الباب الرابع و العشرون الحديث الأول بإسناده عن عبد الرحمن بن سمرة قال: قال رسول اللّه (ص):

من فسّر القرآن برأيه فقد افترى على اللّه الكذب.

(ب) في تفسير العيّاشي ج ١، ص ١٨ الحديث ٦: عن عمار بن موسى عن أبي عبد اللّه (ع)، قال:

من فسر برأيه آية من كتاب اللّه فقد كفر.

(ج) في تفسير البرهان ج ١، ص ١٨ الحديث ٣، عن محمد بن يعقوب الكليني بإسناده عن زيد الشحام عن الباقر (ع) قال:

ويحك يا قتادة إن كنت إنما فسرت القرآن من تلقاء نفسك فقد هلكت و أهلكت.

(د) الشهيد الثاني في كتابه منية المريد ص ٢١٦ قال: و عن النبي (ص):

من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده في النار.

و أخرجه بعينه أيضا الترمذي ج ٥، ص ١٩٩ باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه الحديث ٢٩٥٠.

و أخرجه أيضا أحمد بن حنبل في مسنده ج ١، ص ٣٣٣.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ١، ص ٢٣٣

استنباطه و القول فيه بعد أن يكون موافقا للكتاب و السنة، لقوله تعالى:

فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَ الرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ ذٰلِكَ خَيْرٌ وَ أَحْسَنُ تَأْوِيلاً [سورة النساء: ٥٩].

و لقوله: وَ إِذٰا جٰاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذٰاعُوا بِهِ وَ لَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَ إِلىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَ لَوْ لاٰ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطٰانَ إِلاَّ قَلِيلاً [سورة النساء: ٨٣].

و مع ذلك النقل من كتب المتقدمين و الاستشهاد لكلام المحققين ليس ببعيد مني و لا بغريب عني، و لا هو مسلك ما سلكه غيري، فإن هذا سنة جارية بين العلماء و أصحاب الفضل خصوصا المصنّفين منهم، و من جملتهم الشيخ نجم الدين المذكور، فإنه ذكر في أول تأويله: بأنه أخذ التفسير من كتاب الثعلبي الذي جمعه من مائة كتاب أو أكثر، و أنه أخذ تأويله من أقوال المشايخ الثقات تلقّيا أكثر من ثلاثمائة شيخ، غير ما قرأ بنفسه من الكتب و طالع من الرسائل و المتفرقات من الأجزاء، و الحمد للّه أن نقلي ليس إلا من الكتابين فقط و ذلك أيضا في غاية القلة، و من حيث اللفظ، كما قرّرناه أولا. هذا بالنسبة إلى التفسيرين.

و أما التأويلين:

(موارد اختلاف التأويل بين المؤلّف و الشيخ نجم الدين)

فالغرض من تأويل الشيخ نجم الدين قدّس سرّه و التعرّض به ليس النقل المجرّد فقط كالتفسير، فإني ما أنقل منه إلا شيئا قليلا في النوادر، و ذلك أيضا للفرق بين كلامنا و كلامه، و كشفنا و كشفه، و للاعتراف أيضا فيه، و إلا بعناية اللّه تعالى و حسن توفيقه فالاستغناء حاصل منه و من غيره من

هذه الحيثيّة، بل المراد منه غير ما قلناه، أن كل موضع يكون فيه نكتة أو لطيفة أقول منها ما أتمكن بحسب الجهد و الطاقة، و إن أوله آية أو سورة و لم يوافق مذهب المتأخرين من أرباب التوحيد، أبيّن صلاحه و فساده، و أؤوّله على الوجه الذي ينبغي، من طريق الأخوّة و الشفقة، لا من طريق العصبية و الجدال، نعوذ باللّه منهما سيّما في موضع المشيّة و الإرادة، مثل قوله تعالى:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‌١، ص ٢٣٤

فَلَوْ شٰاءَ لَهَدٰاكُمْ أَجْمَعِينَ [سورة الأنعام: ١٤٩].

و مثل قوله:

وَ مَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً [سورة الأنعام: ١٢٥].

فكذلك في مخاطبات الأنبياء و الرسل (ع) مثل قوله بالنسبة إلى آدم:

وَ عَصىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوىٰ [سورة طه: ١٢١].

و مثل قوله بالنسبة إلى نبيّنا:

لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ [سورة الزمر: ٦٥].

لأنه ليس في القرآن أشد و أصعب من هذين الموضعين بعد الحروف المقطعة التي هي في أوائل السور، و القسم التي يفتتح بها بعض السور، و قلّ من خلص قدمه من هذه المزالق «٢٤» و وقع (وضع) نظره على فتح هذه المغالق «٢٥».

وَ قَلِيلٌ مِنْ عِبٰادِيَ الشَّكُورُ [سورة سبأ: ١٣].

وَ مٰا يُلَقّٰاهٰا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَ مٰا يُلَقّٰاهٰا إِلّٰا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ [سورة فصّلت:

۳۵].

و أكثر حاشيتنا المذكورة على كتابه لم يكن إلاّ في هذه المواضع، فإنّه في مثل هذا المقام يأخذ طرف الأشاعرة و الجبريّة، و يحكم بعدم عصمة الأنبياء و الرسل، و نحن نأخذ طرف الحق من طريق الأئمة من أهل البيت (ع)، و نضيف إليه اصول المعتزلة و نلزمه إلزاما لا مفرّ منه و نعقبه بقوله تعالى:

وَ فَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ [سورة يوسف: ٧٦].

---

(٢٤) قوله: المزالق.

الزّلق و الزّلل متقاربان، مكان زلق. أي دحض، و صعيد زلق، أي دحض لا نبات فيه، زلقت القدم زلقا، من باب تعب، لم يثبت حتّى سقطت، و هو في الأصل مصدر زلقت رجله. أرض مزلقة و مزلقة و زلق و زلق و مزلق: لا يثبت عليها قدم.

(٢٥) قوله: الغالق.

غلق الباب غلقا: ضدّ فتحه، غلق الباب غلقا عكس فتح، و غلق الباب جمعه، و الغلق في الرّهن: ضدّ الفكّ.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‌١، ص ٢٣٥

و كذلك بقوله:

ذٰلِكَ فَضْلُ اللّٰهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشٰاءُ وَ اللّٰهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ [سورة الحديد: ٢١].

و أمّا الغرض من تأويل مولانا كمال الدين قدّس سرّه و التعرّض له

فهذا كلّه و زيادة أخرى هي انّه أخذ في أكثر المواضع طريق التوحيد الإجمالي دون التفصيلي، و ليس الطريق عند أهل اللّه و أهل التحقيق هذا، بل الطريق أن نأخذ في طريق الحق، و قاعدة الجمع بينهما كما هو رأي أرباب التوحيد و أهل الذوق، و شيء آخر و هو انّه ما أوّل القرآن بأجمعه، و الّذي أوّل أيضا فيه ما فيه كما قال في أوّل تأويله:

و لا أزعم أني قد بلغت الحد فيما أوردته كلاّ، فإن وجوه الفهم لا تنحصر فيما فهمت، و علم اللّه لا يتقيّد بما علمت، إلى قوله: و عسى أن يتّجه لغيري وجوه أحسن منها طوع القيادة، فإن كلّ ذلك سهل لمن تيسّر له من أفراد العباد. [ج ۲ ص ۵ المطبوع أخيرا باسم ابن العربي سهوا]. و شيء آخر، و هو أنه مال في الأصول إلى المعتزلة و الشيعة كما أن الشيخ نجم الدين مال إلى الأشعرية و السّنّة، و الجمع بينهما يكون كالجمع في التفسيرين أعني يكون من إصلاح ذات البين و يكون تأويلنا هذا جمعا للجمع شاملا للكل من غير ميل إلى طرف و انحراف إلى جانب غير طرف الحق و جانبه كما هو عادة أهل اللّه و أهل الذوق من أرباب التوحيد، فإنّهم يشاهدون مقامهم و مرتبتهم كالنقطة المركزية، و الطرق المتنوّعة من المذاهب و الملل كالخطوط الناشئة من المحيط إلى المركز و يعذرون الكل من وجه، و يتمسّكون فيه، بقوله تعالى:

مٰا مِنْ دَابَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنٰاصِيَتِهٰا إِنَّ رَبِّي عَلىٰ صِرٰاطٍ مُسْتَقِيمٍ [سورة هود:

[٥٦].

و بقول النبي (ص):

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج١، ص ٢٣٦

«الطرق إلى اللّه بعدد أنفاس الخلائق».

و يعضد ذلك قولهم نظما:

لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبي
إذا لم يكن قلبي إلى دينه دان

لقد صار قلبي قابلا كل صورة
فمرعى لغزلان و ديرا لرهبان

و بيتا لأوثان و كعبة طائف
و ألواح توراة و مصحف قرآن

أدين بدين الحب أنّى توجّهت
ركائبه، أرسلت ديني و إيماني

«٢٦» و هاهنا أبحاث كثيرة و أسرار جليلة سيجيء أكثرها عند تأويل فاتحة الكتاب، و كان الغرض هاهنا بيان الأعراض الكلية من المقدمات السبع و الكتب الأربعة المذكورة و الأغراض التي تحتها.

و إذا فرغنا من هذا البحث إجمالا، فلنشرع فيه تفصيلا كما شرطناه أولا.

و أما البحث الثالث الذي في بيان الرسوخ و تعيين الراسخين منهم

و تخصيصه بأهل البيت و أرباب التوحيد الموعود به في أوّل الفهرست فذلك بحث طويل إن شرعنا فيه الآن ضاع المطلوب و خرج الكلام عن المقصود، فالأولى أن نشرع أوّلا في بيان التأويل و تعريفه و وجوبه و تحقيقه في أول المقدمة المخصوصة به، ثم نشير إلى ذلك البحث في آخر تلك المقدمة مبسوطا إن شاء اللّه و المقدمة هذه، و اللّه أعلم بالحقائق و إليه المرجع و المآب و هو يقول الحق فهو يهدي إلى صراط المستقيم (السبيل).

---

(٢٦) قوله: لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبي الخ.

أقول: و انظر ديوان ترجمان الأشواق لابن العربي الحاتمي بيروت، دار صادر ١٩٦١ ص ٤٣.

ذكره هنري كربن و عثمان يحيى في تعليقاتهما على جامع الأسرار للمؤلّف رضي اللّه عنه ص ٨٠٩.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ١، ص ٢٣٧

المقدمة الأولى في بيان التأويل و تعريفه و تحقيقه، و بيان أنّه

واجب عقلا و نقلا، و بيان أنّه مخصوص بالعلماء و الرّاسخين من أهل البيت و أرباب التوحيد دون غيرهم

(في بيان ترتيب مباحث المقدّمة الاولى) اعلم أيها الطالب هداك اللّه إلى سبيله، و أرشدك إلى تأويل القرآن و تحقيقه، أن هذه المقدمة مشتملة على بيان التأويل و تعريفه، و بيان أنه واجب عقلا و نقلا، و إثبات هذا المعنى يفتقر إلى وجوه خمسة:

الوجه الأول: في بيان التأويل و تعريفه و تحقيقه، و الفرق بين الحق و الباطل منه.

الوجه الثاني: في بيان وجوب التأويل عقلا و نقلا و التمسك فيه بقول اللّه تعالى و قول أنبيائه و أوليائه (ع).

الوجه الثالث: في بيان أن القرآن مترتّب على ترتيب طبقات الخلق بأجمعهم مع أنه غير قابل للانتهاء و الانقطاع بحسب المعنى.

الوجه الرابع: في بيان بعض المتشابهات منه و تطبيقه بالمحكمات، مضافا إليه بيان المشيّة و الإرادة و العلم و الأمر و الجبر و القدر.

الوجه الخامس: في بيان أن تأويله مخصوص بالعلماء و الراسخين من أهل البيت و أرباب التوحيد دون غيرهم.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ١، ص ٢٣٨

الوجه الأول في التأويل و تعريفه و تحقيقه و الفرق بين الحق و الباطل منه

اعلم أن التأويل على قسمين، حق و باطل، أما الباطل فهو تأويل أهل الزّيغ و الضّلال الذين يأخذون المتشابهات دون المحكمات و يعملون عليها و يأولونها على رأيهم و اعتقاداتهم كالمجسّمة و المعطّلة و أمثالهم، و سنبيّن عقائدهم مفصّلا إن شاء اللّه.

و أما الحق فالذي هو تأويل أرباب العلم و أهل الرسوخ منهم، و ذلك ينقسم إلى قسمين، قسم يتعلق بأرباب الظاهر و أهل الشريعة، و قسم يتعلق بأهل الباطن و أرباب الطريقة، و لكل واحد منهما أقوال:

و أمّا قول أرباب الظاهر و أرباب الشريعة:

فهو أنّ التأويل هو صرف الآية إلى معنى موافق لما قبلها و ما بعدها و يطابق الكتاب و السّنّة، و التفسير علم نزول الآية و شأنها و قصتها، و الأسباب التي نزلت فيها.

و قيل: التأويل ردّ أحد المحتملين إلى ما يطابق الظاهر، و التفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل.

و التفسير لغة: البيان من الفسر، و قيل: الفسر كشف المغطى، و التأويل انتهاء الشيء و مصيره و ما يؤول إليه أمره، و روي عن النبيّ (ص) أنه قال:

«إن القرآن ذلول ذو وجوه فاحملوه على أحسن الوجوه» «۲۷».

و هذا يدل على التأويل، و روى عنه قال:

من فسّر القرآن برأيه فليتبّوأ مقعده في النار. [قد مرّ بيان مرجعه في تعليقه رقم ۲۳].

(۲۷) قوله: و روى عن النبي (ص) قال: إن القرآن ذلول الحديث رواه أمين الإسلام الطبرسي في تفسيره مجمع البيان ص ۸۱ في الفن الثالث ج ۱.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۱، ص ۲۳۹

و هذا يدل على عدم التفسير بالرأي من عند نفسه.

و روي عن عبد اللّه بن عباس أنه قال:

قسم (اقسم) وجوه التفسير على أربعة أقسام: تفسير لا يعذر أحد بجهالته، و تفسير تعرفه العرب بكلامها، و تفسير يعلمه العلماء، و تفسير لا يعلمه إلا اللّه عزّ و جلّ، فأما الذي لا يعذر أحد بجهالته فهو ما يلزم الكافة من الشرائع التي في القرآن و جمل دلائل التوحيد، و أما الذي تعرف العرب بلسانها فهو حقائق اللغة و موضوع كلامهم، و أما الذي يعلمه العلماء فهو تأويل المتشابه و فروع الأحكام، و أمّا الذي لا يعلمه إلا اللّه عزّ و جلّ فهو ما يجري مجرى الغيوب و قيام الساعة «۲۸».

و قيل: التأويل هو التوفيق و التطبيق بين المحكمات و المتشابهات على قانون العقل و الشرع و هذا حسن، و ذلك يكون بردّ المتشابهات إلى المحكمات و تطبيقها بها بحيث لا يخرج عن القانون الأصلي الأصولي و الأساس الكلّي الكمّلي المقرر بينهم في العلوم العقلية و النقلية و تمسكهم في هذا بقوله تعالى:

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتٰابَ مِنْهُ آيٰاتٌ مُحْكَمٰاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتٰابِ وَ أُخَرُ

مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَ ابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَ مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَ مَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُوا الأَلْبَابِ [سورة آل عمران: ٧].

و معناه على قول بعضهم آيات محكمات، أي آيات أحكمت عبارتها بأن حفظت من الاحتمال و الاشتباه، هنّ أمّ الكتاب أي أصل الكتاب تحمل المتشابهات عليها و تردّ إليها، و أخر متشابهات محتملات من الوجوه الحقّة و الغير الحقّة و قيل:

قوله: آيات محكمات هنّ أمّ الكتاب، جعل المحكم أمّا، لأنه يرد إليه المتشابه من حيث إن المحكم موافق العقل، و المتشابه يرد إلى ما يوافق العقل.

و قالوا: إنما قال أمّ الكتاب و لم يقل أمهات الكتاب لأن الآيات كلها في

---

(٢٨) قوله: و روى عن عبد الله بن عباس أنه قال: قسّم وجوه التفسير الخ. ذكره الطبرسي في مجمع البيان ج ١ الفن الثالث ص ٨١.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‌١، ص ٢٤٠

تكاملها و اجتماعها كالآية الواحدة، و بل كل آية منهن أم الكتاب، لقوله تعالى:

وَ جَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَ أُمَّهُ آيَةً [سورة المؤمنون: ٥٠].

و قالوا: المحكم هو الناسخ و المتشابه المنسوخ.

و قالوا: المحكم ما لا يحتاج إلى تأويل و المتشابه ما يحتاج إليه، و مثال المحكم قوله تعالى:

فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاٰ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ [سورة محمّد: ١٩].

و مثال المتشابه قوله تعالى:

الرَّحْمٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوىٰ [سورة طه: ٥].

و علة احتياجهم إلى هذا التأويل و إلى ردّ المتشابه إلى المحكم و غير ذلك، و هي أنهم وجدوا في القرآن: وجه اللّه، و يد اللّه، و جنب اللّه و روحه و نفسه و سمعه و بصره و قوله و كلامه و مجيئه و استواءه و غضبه، و سخطه و مكره و استهزاؤه و خدعه و نسيانه و غير ذلك من المتشابهات، و عرفوا أن هذه الإشارات لو فسّروها على الظاهر من غير تأويل لأدّى إلى كثير من المقايسة من التشبه و التعطيل و التجسيم و الكفر و الزندقة و الإلحاد، فاحتاجوا إلى التأويل و التجئوا إليه ليخلصوا من الوقوع في المقايسة المذكورة و نعم ما فعلوا، وَ مَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ ابْتِغٰاءَ مَرْضٰاتِ اللهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً [سورة النساء: ١١٤].

و أمّا قول أرباب الباطن و أهل الطريقة

فالتأويل عندهم هو التطبيق بين الكتابين، إلى الكتاب القرآني الجمعي و حروفه و كلماته و آياته، و الكتاب الآفاقي التفصيلي و حروفه و كلماته و آياته كما مرّ ذكره في الخطبة إجمالا. [إن الخطبة المشار إليها ليست موجودة في النسخة و هي مفقودة مع الأسف و لعل اللّه سبحانه يحدث بعد الأمر شيئا].

(بيان أن أصول الحقائق ثلاثة: معرفة الحق، معرفة العالم، معرفة الإنسان)

و سيجيء في المقدمات المذكورة تفصيلا. و العلة الغائيّة في ذلك و هي أن رئيس «۱» المعارف كلها و أصول الحقائق بأجمعها باتفاق الأنبياء و الأولياء (ع): ثلاث:

(۱) الرئيس غير مناسب في العبارة، رءوس المعارف و أصول الحقائق. مرتضايي. [.....]

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۱، ص ۲۴۱

معرفة الحق تعالى، و معرفة العالم، و معرفة الإنسان، و إن كان هذه الثّلاث في الحقيقة ترجع إلى واحدة منها هي معرفة الحق تعالى، لأن معرفة العالم و معرفة الإنسان سلّم و معارج إلى معرفة الحق التي هي المقصود بالذات من الكل و هذه الثّلاث موقوفة على معرفة القرآن و أسراره و حقائقه و على تطبيقه بالكتاب الآفاقي الذي هو العالم تفصيلا، و بالكتاب الأنفسي الذي هو الإنسان إجمالا، لقوله تعالى في الجميع:

سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الْآفاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَ وَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ. أَلا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقاءِ رَبِّهِمْ أَلا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ [سورة فصّلت: ۵۳- ۵۴].

(تأثير قراءة الكتاب القرآني الجمعي و الآفاقي التفصيلي)

لأن من قرأ الكتاب القرآني الجمعي على الوجه الذي ينبغي أعني من حيث التطبيق بالكتاب الآفاقي إجمالا و تفصيلا، تجلّى له الحق تعالى في صورة كتابه بحسب ملابس حروفه و كلماته و آياته تجلّيا معنويا حقيقيا، تجلّى المعنى في لباس الحروف و الكلمات و الآيات بمصداق قول من قال:

لقد تجلّى اللّه لعباده في كتابه و لكن لا تبصرون. [قد مرّ مرجعه في تعليقه رقم ۱۲ فراجع].

و من قرأ الكتاب الآفاقي التفصيلي أيضا على ما هو عليه في نفس الأمر أعني من حيث الإجمال و التفصيل و طابقه بالكتاب القرآني حرفا بحرف و كلمة بكلمة و آية بآية، تجلّى له الحق تعالى في صورة مظاهره الأسمائية و ملابسه الفعلية تجليا شهوديا كليا تفصيليا بمصداق قوله:

هُوَ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ وَ الظَّاهِرُ وَ الْباطِنُ وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ [سورة الحديد: ۳].

و قوله المتقدّم:

أَ وَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلى‌ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ إلى آخره. [سورة فصلت: ۵۳].

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۱، ص ۲۴۲

و بمصداق قول العارفين من عبيده:

ليس في الوجود سوى اللّه تعالى و أسمائه و صفاته و أفعاله، فالكل هو و به و منه و إليه «۲۹».

و فيه قيل:

تجلّى لي المحبوب من كل وجهة

فشاهدته في كلّ معنى و صورة

فقال كذاك الأمر لكنّما

إذا تعيّنت الأشياء بي كنت نسختي

و قولهم:

أحد بالذات، كل بالأسماء. إشارة إلى هذا، و كذا قول الكامل المكمّل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع):

نور يشرق من صبح الأزل فيلوح على هياكل التوحيد آثاره.

و كذا قوله تعالى أيضا:

اللّهُ نُورُ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكٰاةٍ فِيهٰا مِصْبٰاحٌ الْمِصْبٰاحُ فِي زُجٰاجَةٍ الزُّجٰاجَةُ كَأَنَّهٰا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبٰارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاٰ شَرْقِيَّةٍ وَ لاٰ غَرْبِيَّةٍ إلى آخره. [سورة النور ٥٣].

(تأثير تفسير الكتاب الأنفسي الإنساني تجلّي الحق)

و من فسر الكتاب الأنفسي الإنساني أيضا بحكم قوله تعالى:

اقْرَأْ كِتٰابَكَ كَفىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً [سورة الإسراء: ١٤].

على الوجه الذي ينبغي - أي تطابق الكتابين المذكورين أو الكتاب الآفاقي - تجلّى له الحق في الصورة الإنسانية الحقيقية، و النشأة الجامعة الكلية تجلّيا ذاتيا عيانيا، و شهودا كشفيا ذوقيا، بمصداق قول النبيّ (ص):

(٢٩) قوله: ليس في الوجود سوى اللّه.

منقول عن جنيد، قال الرازي في مرصاد العباد ص ١٦٨: يقول جنيد قدس اللّه سره: ما في الوجود سوى اللّه.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج١، ص ٢۴٣

«من عرف نفسه فقد عرف ربه» (٣٠).

(٣٠) قوله (ص): من عرف نفسه فقد عرف ربه.

حديث مشهور روى عن النبي (ص) إلا أن في الغرر رواه عن علي (ع).

مصباح الشريعة الباب الثاني و الستون في العلم ص ٢٥٧ عن النبي (ص) و نقله أيضا عوالي اللئالي ج ٤، ص ١٠٢، ح ١٤٩ عن النبي (ص). و في الغرر و الدرر للآمدي عن علي (ع) ج ٥، ص ١٩٤، ح ٧٩٤٦. و أيضا في شرح البحراني على المائة كلمة عن علي (ع) ص ٥٧ الكلمة الثالثة.

أقول: يستفاد من الحديث أن النفس الإنساني هي مجلى الحق سبحانه و تعالى لمن تدبر فيها و عرفها و عرف قدرها و منزلتها في الخلق و لا يظلم نفسه بجهله على كرامتها و مرآتيّتها لجلاله و جماله عزّ اسمه و لكن الإنسان **كٰانَ ظَلُوماً جَهُولاً [سورة الأحزاب، الآية: ٧٢] و هذا هو السر في قوله تعالى:**

وَ فِي أَنْفُسِكُمْ أَ فَلاَ تُبْصِرُونَ [سورة الذاريات، الآية: ٢١].

و قوله تعالى:

سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ [سورة فصلت، الآية: ٥٣].

و كيف لا و الإنسان هو أحسن المخلوقين و خالقه تعالى أحسن الخالقين لقوله تعالى:

لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ [سورة التين، الآية: ٤].

و قوله تعالى:

ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللّٰهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ [سورة المؤمنون، الآية: ١٤].

و لهذا لا بد له في تربيته و تزكيته و تعاليه إلى مراتب كماله المناسب شأنه، من دستور و قانون يكون أحسن الدستور و كتابا أكمل الكتب و هو القرآن الحكيم و هذا هو قوله تعالى: **اللّٰهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ الآية [سورة الزمر، الآية: ٢٣]. و قوله تعالى:**

إِنَّ هٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ [سورة الإسراء، الآية: ٩]. و كان معلمه و مربيه و رسوله المذكر هو خاتم الأنبياءِ يعني صمدهم و أكملهم و أفضلهم و هو أحسنهم من كل جهة، قال تعالى:

مٰا كٰانَ مُحَمَّدٌ أَبٰا أَحَدٍ مِنْ رِجٰالِكُمْ وَ لٰكِنْ رَسُولَ اللّٰهِ وَ خٰاتَمَ النَّبِيِّينَ [سورة الأحزاب، الآية: ٤٠].

و لذلك لا بد للإنسان الإقدام بأحسن الأعمال و أحسن العاقبة و أحسن القول في سلوكه و عمله و عاقبة أمره و غيرها من شئونه و أطواره و حالاته المتنوعة و جميع الأمور

المتوقعة المتعلقة بالإنسان بما هو إنسان و لا ينبغي له و لا يكفي له الاكتفاء بخير الأعمال و حسن الأحوال في وصوله إلى أعلى مراتب الكمال، فانظر في القرآن الحكيم قال تعالى:

الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَ الْحَيٰاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ [سورة الملك، الآية: ٢].

و قوله تعالى: **صِبْغَةَ اللّٰهِ وَ مَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّٰهِ صِبْغَةً [سورة البقرة، الآية: ١٣٨]. و أيضا:**

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‌١، ص ٢۴۴

و بمصداق قوله أيضا:

«خلق اللّه تعالى آدم على صورته» (٣١).

وَ مَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّٰهِ وَ هُوَ مُحْسِنٌ وَ اتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرٰاهِيمَ حَنِيفاً [سورة النساء، الآية: ١٢۵].

و أيضا: **إِنّٰا جَعَلْنٰا مٰا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهٰا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً [سورة الكهف، الآية: ٧].**

و أيضا: **الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ [سورة الزمر، الآية: ١٧] و غير ذلك من الآيات الكريمة.**

و معلوم أنّ هذا السير و السلوك و الإقدام بأحسن الأعمال و الأقوال و الأحوال لا يمكن

إلا بتكميل النفس و تزكيتها بعد استعلائها على قواها من الوهم و الخيال و الحس و البدن و انقيادها في سلوكها إلى معرفة ربّها، قال تعالى:

وَ أَمَّا مَنْ خٰافَ مَقٰامَ رَبِّهِ وَ نَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوىٰ [سورة النازعات، الآية: ٤٠- ٤١].

و قال أيضا:

وَ نَفْسٍ وَ مٰا سَوّٰاهٰا، فَأَلْهَمَهٰا فُجُورَهٰا وَ تَقْوٰاهٰا، قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكّٰاهٰا وَ قَدْ خٰابَ مَنْ دَسّٰاهٰا [سورة الشمس، ٧- ١٠].

فنذكر هاهنا بعض الأحاديث في معرفة النفس لمزيد الفائدة:

(أ) دخل رجل على رسول اللّه (ص) فقال يا رسول اللّه كيف الطريق إلى معرفة الحق فقال:

معرفة النفس. عوالي اللئالي ج ١، ص ٢٤٦، ح ١- و البحار ج ٧٠، ص ٧٢ عن عوالي اللئالي.

(ب) قال علي (ع): أكثر الناس معرفة لنفسه أخوفهم لربه. الحديث ٣١٢٦- شرح غرر الحكم ج ٢، ص ٤٢٢.

(ج) عن علي (ع):

عجبت لمن يجهل نفسه كيف يعرف ربه؟ شرح الغرر و الدّرر الحديث ٦٢٧٠- ج ٤، ص ٣٤١.

(د) قال صدر المتألهين في تفسيره ج ٢، ص ٢٩٩:

جاء في الوحي الإلهي: اعرف نفسك يا إنسان تعرف ربك، و في كلام النبي (ص): أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه.

في مشارق أنوار اليقين للبرسي ص ١٨٨:

يقول الرب الجليل في الإنجيل: اعرف نفسك أيها الإنسان تعرف ربك، ظاهرك للفناء و باطنك أنا.

(٣١) قوله: و بمصداق قوله (ص) أيضا: خلق اللّه تعالى آدم على صورته.

أقول: رواه الصدوق رحمه اللّه في التوحيد في باب أنه عز و جل ليس بجسم و لا صورة

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج١، ص ٢٤٥

الحديث ١٨، ص ١٠٣:

بإسناده عن محمد بن مسلم، قال: سألت أبا جعفر (ع) عمّا يروون أن اللّه عز و جلّ خلق آدم على صورته، فقال: هي صورة محدثة مخلوقة، اصطفاها اللّه و اختارها على سائر الصور المختلفة، فأضافها إلى نفسه كما أضاف الكعبة إلى نفسه و الروح إلى نفسه، فقال: **بَيْتِيَ [سورة البقرة، الآية: ١٢٥] و قال: وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي [سورة الحجر، الآية: ٢٩].**

و أيضا رواه في باب تفسير قول اللّه عز و جلّ: **كُلُّ شَيْءٍ هٰالِكٌ إِلاّٰ وَجْهَهُ الحديث ١١- ١٠، بإسناده عن أبي الورد بن ثمامة عن علي (ع) و بإسناده عن الحسين بن خالد: قال: قلت للرضا (ع) يا ابن رسول اللّه إن الناس يروون أن رسول اللّه (ص) قال: إن اللّه خلق آدم على صورته، فقال: قاتلهم اللّه، لقد حذفوا أول الحديث، إن رسول اللّه**

(ص) مرّ برجلين يتسابّان، فسمع أحدهما يقول لصاحبه: قبّح اللّه وجهك و وجه من يشبهك، فقال (ص): يا عبد الله لا تقل هذا لأخيك، فإن اللّه عزّ و جلّ خلق آدم على صورته.

أقول: ليس المراد بالصورة الصورة الظاهرة و الوجه البدني، لأنه تعالى ليس بجسم و لا له صورة بهذا المعنى و هذا ثابت عقلا و نقلا و ثانيا هذه الصورة صورة واحدة متعلقة للإنسان بما أنه إنسان و الصورة الظاهرة للآدميين متنوعة و مختلفة كثيرة عددها مطابق بتعداد الناس من الأولين و الآخرين و ليس فيهم أحد له مشابهة تامة للآخر منهم و هذا دليل على قدرته تعالى و حكمته سبحانه، بل المراد كما ذكرنا أن الإنسان بما أنه إنسان خلق طورا له مظهرية و مرآتيّة تامة لجلاله و جماله تعالى و هذا ظاهر لمن ناله و طوبى لمن عرف قدره.

و نقل الحديث في البحار عن التوحيد عن الاحتجاج، ج ٤، ص ١٣- ١٢ و رواه أيضا البخاري ج ٨، ص ٦٢ و أحمد بن حنبل في مسنده ج ٢، ص ٢٤٤ و ٣٥١ و ٣١٥ و ٣٢٣ و ٤٣٤ و ٤٦٣ و ٥١٩. و رواه أيضا مسلم في كتاب الجنة الحديث ٣٨، ج ٤، ص ٢١٨٣.

أقول: هنا أحاديث أخرى في معناه.

حديث: خلق اللّه الإنسان على صورة الرحمن.

و حديث: إن اللّه خلق آدم فتجلّى فيه.

و حديث: و خمّرت طينة آدم بيدي أربعين صباحا. عوالي اللئالي ج ٤، ص ٨٨.

و حديث: من عرف نفسه فقد عرف ربه.

و حديث: من رآني فقد رأى الحق.

و حديث أمير المؤمنين (ع) قال: ما للّه عز و جلّ آية هي أكبر مني- رواه الكليني في

الكافي ج ١، ص ٢٠٧، ح ٣.

و كل هذا معنى قوله تعالى:

وَ عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمٰاءَ كُلَّهٰا [سورة البقرة، الآية: ٣١].

إِنِّي جٰاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً [سورة البقرة، الآية: ٣٠].

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج١، ص ٢۴۶

(صورة الإنسان أحسن الصور و خلقته أحسن الخلقة)

و قوله ليلة المعراج:

«رأيت ربي ليلة المعراج في أحسن صورة» «٣٢».

إشارة إلى صورة نفسه التي هي الصورة الإنسانية الجامعة الكاملة فإنه ليس في الواقع أحسن منها، لقوله تعالى فيها:

وَ صَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ [سورة التغابن: ٣] فَتَبٰارَكَ اللّٰهُ أَحْسَنُ الْخٰالِقِينَ [سورة المؤمنون: ١٤].

و لقوله:

لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسٰانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ثُمَّ رَدَدْنٰاهُ أَسْفَلَ سٰافِلِينَ [سورة التين: ٤ و ٥].

و الكتابان المذكوران في القرآن بقوله:

قُلْ فَأْتُوا بِكِتٰابٍ مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ هُوَ أَهْدىٰ مِنْهُمٰا أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صٰادِقِينَ [سورة القصص: ۴٩].

إشارة إلى الكتاب الآفاقي و الأنفسي المعبر عنهما بالكتاب الكبير و الكتاب

وَ فِي أَنْفُسِكُمْ أَ فَلاٰ تُبْصِرُونَ [سورة الذاريات، الآية: ٢١].

روى الصدوق (ره) في التوحيد باب ذكر عظمة اللّه عزّ و جلّ الحديث ١٠، ص ٣٨١: بإسناده عن الأصبغ بن نباته، عن أمير المؤمنين (ع) في تفسير قوله تعالى: **وَ الطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاٰتَهُ وَ تَسْبِيحَهُ [سورة النور، الآية: ٤١] فقال (ع): إن اللّه تبارك و تعالى خلق الملائكة في صور شتّى الحديث.**

(٣٢) قوله (ص): رأيت ربي ليلة المعراج الحديث:

رواه ابن أبي جمهور في عوالي اللئالي ج ١، ص ٥٢ الحديث ٧٦، قال في الكتاب:

و روى عنه (ص) أنه قال: رأيت ربي ليلة المعراج في أحسن صورة فوضع يده بين كتفي حتّى وجدت برد أنامله بين ثديي.

قال ابن أبي جمهور بعد ذكره:

و في بعض كتب الأصحاب، عن بعض الصادقين، أنه (ع) قال: وضع يده بين ثديي، فوجدت برد أنامله بين كتفي، لأنه (ع) كان مقبلا عليه و لم يكن مدبرا عنه.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ١، ص ٢٤٧

الصغير، و الإنسان الكبير و الإنسان الصغير، لقولهم:

العالم إنسان كبير و الإنسان عالم صغير، لا إلى التوراة و الإنجيل أو غيرهما من الكتب بزعم المفسرين، و شرف القرآن أيضا الجمعية بينهما لأنه نسخة كاملة لإجمالهما و تفصيلهما و آياتهما و كلماتهما ... قال:

وَ مٰا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّٰهُ وَ الرّٰاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ [سورة آل عمران: ٧].
و من حيث إن مطالعته واجبة و التدبر فيه فريضة أمر بمطالعته و التدبر في مواضعه ... قوله:
أَ فَلاٰ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلىٰ قُلُوبٍ أَقْفٰالُهٰا [سورة محمد: ٢٤].
لئلاّ يغفل عبيده عن مطالعته و يحرم عليهم مشاهدته، لأن مشاهدته بدون مطالعته مستحيل، ممتنع، و لهذا قال:
قُلْ فَأْتُوا بِكِتٰابٍ مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ هُوَ أَهْدىٰ مِنْهُمٰا أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صٰادِقِينَ [سورة القصص: ٤٩].

(بيان كيفيّة مطالعة الكتب: القرآن و العالم و الإنسان يعني القرآني و الآفاقي و الأنفسي و تطبيق كلّ منهما مع الآخرين)

و إذا عرفت هذا، فيجب عليك كيفيّة مطالعة هذه الكتب لئلا يلزم منك الإخلال بالواجب، فإنه قبيح عقلا و شرعا.
فترتيبه، و هو أن تتوجه أولا إلى معرفة ترتيب مفردات القرآن التي هي الحروف الإلهية، ثم إلى معرفة كلماته، ثم إلى معرفة آياته، لأنك إذا عرفت ترتيب حروف القرآن على الوضع الذي وضعها الواضع الذي هو الحق جلّ جلاله و طابقتها بكلمات الآفاق التي هي كلمات اللّه العليا، حصل لك العلم بمركّبات العالم كلها.
و إذا عرفت ترتيب آيات القرآن على الوجه المذكور أيضا و طابقتها بآيات الآفاق التي هي آيات اللّه العظمى، حصل لك العلم بكلّيّات العالم كلّها.
و إذا رجعت إليك و إلى كتابك الجامع للكتابين المذكورين، و طالعته على

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج١، ص ٢٤٨

الترتيب المعلوم و التطبيق المذكور، عرفت أيضا ترتيب حروف كتابك التي هي مفردات جسدك و طابقتها بحروف الآفاق و مفرداته، حصل لك العلم بمفردات الأنفس على التحقيق.

و إذا عرفت كلمات كتابك التي هي مركّبات خلقتك و طابقتها بكلمات الآفاق و مركّباته، حصل لك العلم بمركّبات الأنفس على التحقيق و التفصيل.

و إذا عرفت آيات كتابك التي هي كليات منشآتك و طابقتها بآيات الآفاق و كلياته، حصل لك العلم بكليات الأنفس على التحقيق و الترتيب.

(حصول معرفة الحق سبحانه على سبيل الكشف و الوجود)

و إذا حصل لك هذه العلوم و المعارف كلها و تحققت هذه الحقائق و الدقائق بأجمعها على الوجه الذي تقرر و تحقق، حصل لك العلم بوجود الحق تعالى و معرفته على سبيل الكشف و الشهود و الذوق و الوجود، و شاهدته تحت كل حرف حرف، و كلمة كلمة، و آية آية، من حروف الآفاق و الأنفس و كلماتهما و آياتهما مطابقا لما في القرآن إجمالا و تفصيلا، و كشف لك سرّ قوله:

فَأْتُوا بِكِتٰابٍ مِنْ عِنْدِ اللهِ هُوَ أَهْدىٰ مِنْهُمٰا أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صٰادِقِينَ [سورة القصص: ٤٩].

لأن هذا إشارة إلى الكتابين المذكورين أعني الكتاب الآفاقي و الكتاب الأنفسي المشار إليهما مرارا، و ظهر لك معنى قوله:

سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَ وَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ [سورة فصّلت: ۵۳].

و تقرر عندك بلا ريب و لا شبهة أن بدون هذين الكتابين، و مشاهدة آياتهما و كلماتهما لا يمكن الوصول إلى جناب صمديّته و حضرة أحديته بوجه من الوجوه، و صرت بذلك من الذين أوّلوا القرآن صحيحا، و قرءوا الكتابين صريحا، و دخلت في جماعة قال اللّه تعالى فيهم:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‌١، ص ٢۴٩

وَ مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَ مَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ [سورة آل عمران: ٧].

و شاركت معه جلّ ذكره، و مع الملائكة و أولى العلم من عباده في هذه المشاهدة الكلية و الرّؤية الصحيحة الحقيقية المسمّاة بالتوحيد الذاتي و الشهود العيني، لقوله:

شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَ الْمَلَائِكَةُ وَ أُولُوا الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ [سورة آل عمران: ١٨].

و باتفاق المحقّقين من أهل اللّه و أهل التوحيد، ليس فوق هذا المشهد مشهد، و لا فوق هذه المرتبة مرتبة، و قولهم:

ليس وراء عبّادان قرية. [قد مرّ الإشارة إليه في تعليقه ٢۶ فراجع].

إشارة إليها، و كذلك:

فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى [سورة النجم: ٩].

و كذلك:

لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا «٣٣».

و الذي أشار إليه الشيخ الأعظم محيي الدين الأعرابي في فصوصه بقوله:

و إذا ذقت هذا ذقت الغاية التي ليس فوقها غاية في حق المخلوق، فلا تطمع و لا تتعب نفسك في أن ترقى أعلى من هذا الدرج فما هو ثم أصلا و ما بعده إلا العدم المحض «٣٤».

فهو إشارة إلى هذا، و كذلك قوله فيه:

و ما كل أحد يعرف هذا و أن الأمر على ذلك إلا آحاد من أهل اللّه، فإذا رأيت من يعرف ذلك فاعتمد عليه فذلك هو عين صفاء خلاصة خاصة الخاصّة من عموم

---

(٣٣) قوله (ع): لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا. شرح الغرر و الدّرر للآمدي ج ٥ ص ١٠٨ الرقم ٧٥٦٩، و أيضا في شرح المائة كلمة للبحراني ص ٥٢ الكلمة الأولى.

(٣٤) قوله: و الذي أشار إليه الشيخ الأعظم في فصوصه.

شرح فصوص الحكم القيصري الفصّ الشيثي (ع) ص ١٠٧ و العفيفي ص ٦٢.

أهل اللّه تعالى «٣٥».

و أمثال ذلك كثيرة في هذا الباب.

و إذا تقرر هذا و تحقق عندك ترتيب القراءة و كيفية المطالعة بالنسبة إلى الكتب الإلهية، فلنشرع في إثبات هذا المعنى عقلا و نقلا متمسّكا بقول اللّه و قول أنبيائه و أوليائه (ع).

بيان المراد من التأويل و تشريح الكتابين: الآفاقي و الأنفسي

أمّا الكتاب الكبير الآفاقي، فذلك قد عرفته من الآية المتقدمة الدّالة عليه و هو قوله تعالى:

سَنُرِيهِمْ آيٰاتِنٰا فِي الْآفٰاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ [سورة فصّلت: ٥٣].

لأن الآيات هي صورة جامعة و هيئة كاملة مركّبة من الحروف، و الحروف و الكلمات و الآيات لا تتصوّر إلا في ضمن الكتاب، لأن الكتاب عبارة عن هيئة جامعة مشتملة على الحروف و الكلمات و الآيات، فعلى هذا التقدير يكون الآفاق المسمّى بالعالم، كتابا كبيرا إلهيّا و مصحفا جامعا ربّانيا، و هذا هو المطلوب، و مع ذلك ما نكتفي بهذا بل نقول:

اعلم أن العوالم كلها، كلّيها و جزئيّها كتب إلهيّة و صحف ربانية، لإحاطتها بكلماتها التامات و آياتها الزاهرات، أما العقل الأول و النفس الكلية اللتان هما صورتا أم الكتاب إجمالا و تفصيلا، و مظهرا الحضرة العلمية، فهما كتابان إلهيّان مشتملان على كليات العالم و جزئيّاته.

و قد يقال للعقل الأول: أمّ الكتاب لإحاطته بالأشياء إجمالا، و للنفس الكلية. الكتاب المبين لظهورها فيها تفصيلا، و إلى الأول أشار الحق تعالى بقوله:

يَمْحُوا اللّٰهُ مٰا يَشٰاءُ وَ يُثْبِتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتٰابِ [سورة الرعد: ٣٩]. و إلى الثاني

(٣٥) قوله: و كذلك قوله فيه.

شرح فصوص الحكم القيصري الفصّ الشيثي (ع) ص ١٢٠ و العفيفي ص ٦٦.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج١، ص ٢٥١

بقوله:

وَ لاٰ رَطْبٍ وَ لاٰ يٰابِسٍ إِلاّٰ فِي كِتٰابٍ مُبِينٍ [سورة الأنعام: ٥٩].

و أما موجودات اخر فكل ما في الوجود من العلويات و السفليات، فإنه بنفسه كتاب إلهي و مصحف رباني لانتقاشه بصور كلمات اللّه و آياته جزئيا كان أو كليا، و لأحكامه المسطورة عليه و أحواله الحادثة لديه بقلم المشيّة و التقدير، و ذلك لأن الوجود الإضافي الوحداني الإمكاني، كتاب كلي مسطور بنقوش الموجودات و المخلوقات كلها، و كل واحد واحد من تلك الموجودات، إما بمثابة الكتاب أو الكلمات أو الحروف كما مرّ ذكره، و على الكل يصدق أنه كتاب إلهيّ و مصحف ربانيّ لقول العارفين:

و في كل شيء له آية تدلّ على أنه واحد

[قد مر ذكر شاعره و مرجعه في التعليقة ٢١ فراجع] و قوله تعالى:

وَ الطُّورِ وَ كِتٰابٍ مَسْطُورٍ فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ [سورة الطور: ١- ٣].

إشارة إلى الوجود الإضافي الوحداني و ما انتقش عليه من صور الموجودات

على سبيل الإضافة المسقطة عن درجة الاعتبار عند التوحيد الحقيقي لقولهم:
التوحيد إسقاط الإضافات. و هذه دقيقة شريفة مخصوصة بالمستعدّين من أهل اللّه لا غير، و أما المناسبة بين الوجود الإضافي و بين الرق فلوحدته في ذاته و سراحته في نفسه حين خلوّه عن الإضافات المنسوبة إليه، لأنّه عند التحقيق كالهيولى القابلة للصّور و الأشكال، فالهيولى حين خلوّها عن الصور، إن سمّيت بالرّق جاز. و إن سمّيت بالجوهر جاز، لأنّ ذلك الوجود كالجوهر بالنسبة إلى الأعراض العارضة عليه، و معلوم أنّ بقاء الأعراض بدون وجود الجوهر محال، و كأنّه تعالى إلى هذا الوجود المضاف أشار و قال:
يٰا أَيُّهَا النّٰاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وٰاحِدَةٍ وَ خَلَقَ مِنْهٰا زَوْجَهٰا وَ بَثَّ مِنْهُمٰا رِجٰالاً كَثِيراً وَ نِسٰاءً [سورة النساء: ١] و فيه ما فيه من الأسرار.
و أمّا قوله بالنسبة إلى الكتاب الكبير الآفاقي:
تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ١، ص ٢٥٢
وَ كُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنٰاهُ فِي إِمٰامٍ مُبِينٍ [سورة يس: ١٢].
كُلٌّ فِي كِتٰابٍ مُبِينٍ [سورة هود: ١١].
فالمراد منه أنه ليس هناك شيء من الكليات و الجزئيات و اللطيف و الكثيف و الجليل و الحقير و الكبير و الصغير، إلا و هو ثابت في كتابنا الكلي، المسمى بالآفاقي.
و أما قوله بالنسبة إلى الكتب و الصحف الجزئية التي هي في ضمن الكتاب

الكبير الكلي:
فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ كِرامٍ بَرَرَةٍ [سورة عبس: ١٦].

(ليس في الوجود سوى اللّه)

فالمراد منه أنه ليس هناك موجود من الموجودات، و لا شيء من الأشياء إلا و هو صحيفة أسرارنا و أحكامنا، و نسخة أسمائنا و أفعالنا، و بل مظاهر ذاتنا و صفاتنا، لأنه ليس في الوجود حقيقة غيرنا و غير أسمائنا و صفاتنا و أفعالنا بموجب قولنا:
هُوَ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ وَ الظَّاهِرُ وَ الْباطِنُ وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ [سورة الحديد: ٣].
و بمقتضى قول عارفي عبادنا:
ليس في الوجود سوى اللّه تعالى و أسمائه و صفاته و أفعاله، فالكلّ هو و به و منه و إليه. [أشير إليه في التعليقة ٣٩] و إليه أشاروا أيضا في قولهم نظما:
كل الجمال غدا لوجهك مجملا
لكنه في العالمين مفصل

و في قولهم:
فكلّ مليح حسنه من جماله معار له بل حسن كلّ مليحة

و في قولهم:

لقد كنت دهرا قبل أن يكشف الغطا

أخـالـك أنـّي ذاكـر لـك شـاكـر

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۱، ص ۲۵۳

فلمّا أضاء الليل أصبحت عارفا

بـأنـك مـذكـور و ذكـر و ذاكـر

و من هذا أشرنا إلى عدم الانتهاء لقولنا:
وَ لَوْ أَنَّ مٰا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلاٰمٌ وَ الْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مٰا نَفِدَتْ كَلِمٰاتُ اللّٰهِ إِنَّ اللّٰهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ [سورة لقمان: ۲۷].
و لقولنا:
قُلْ لَوْ كٰانَ الْبَحْرُ مِدٰاداً لِكَلِمٰاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمٰاتُ رَبِّي وَ لَوْ جِئْنٰا بِمِثْلِهِ مَدَداً [سورة الكهف: ۱۰۹].
مشخصات الممكنات و مركّباتها و انتهاء مثل هذه الكلمات مستحيل أبدا لأن الممكنات غير متناهية بالاتفاق.

و معلوم أن هذه لو كانت إشارة إلى الكلمات القرآنيّة لم يكن تنال هذه الغاية لأنه يعرف يقينا أن الكلمات القرآنية تنفد، فافهم جدّا فإنه ينفعك كثيرا، و سيجيء هذا البحث مبسوطا في المقدمة الثانية عند بيان التطبيق بين الكتابين.

و أما الكتاب الصّغير الأنفسي. فذلك قد عرفته من الآية المذكورة أيضا، خصوصا عند قوله: اقْرَأْ كِتٰابَكَ كَفىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً [سورة الإسراء: ١٤].

لأن معناه و هو أنه يقول: اقرأ كتابك الجامع لجميع هذه الكتب لتعرف يقينا أنك نسخته العظمى و صحيفته الكبرى و لست في مشاهدته محتاجا إلى كتاب غيرك، و ذلك لأنك من حيث روحك الجزئي الذي هو صورة كتابك المجمل بمثابة العقل الأول الذي هو أمّ الكتاب، لإحاطته بالأشياء إجمالا، كما مرّ ذكره، و من حيث قلبك المسمّى بالنفس الناطقة الذي هو صورة كتابك المفصّل، بمثابة النفس الكلية التي هي الكتاب المبين، لظهور تلك الأشياء فيها مفصّلا، و من حيث نفسك المنطبعة في جسدك المسمّاة بالنفس الحيوانية بمثابة النفس المنطبعة في الجسم الكلّي الذي هو جسد الإنسان الكبير و كتاب المحو و الإثبات، و كذلك كل من الكتب الآفاقية، كليّا كان أو جزئيا، فإن لكل منها فيك أنموذج و آثار، لقول عارفي عباده فيه من لسانه المتقدّم ذكره:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج١، ص ٢٥۴

تجلّى لي المحبوب من كلّ وجهة

فشاهدته في كل معنى و صورة

فقال كذاك الأمر لكنّما إذا
تعيّنت الأشياء بي كنت نسختي

و يقول أمير المؤمنين (ع):

دواءك فيك و ما تشعر و داؤك منك و تستكثر

و تزعم أنّك جرم صغير و فيك انطوى العالم الأكبر

و أنت الكتاب المبين الذي باحرفه يظهر المضمر

و أنت الوجود و نفس الوجود و ما فيك موجود لا تحصر

و لقوله أيضا بالنسبة إلى نفسه القدسية:

أنا القرآن الناطق، أنا البرهان الصادق، أنا العلم الأعلى، أنا اللوح المحفوظ، أنا الم ذلك الكتاب، أنا كهيعص، أنا حاء الحواميم، أنا طاء الطواسيم، أنا طه و يس، إلى آخر الخطبة. [فقد مرّت الإشارة إلى الخطبة و مرجعها في التعليقة

٢١ فراجع].

(الصورة الإنسانيّة هي أكبر حجّة اللّه على خلقه)

و لقول ولده المعصوم، جعفر بن محمد الصادق (ع):

اعلم أنّ الصورة الإنسانية هي أكبر حجّة اللّه على خلقه، و هي الكتاب الذي كتبه بيده، و هي الهيكل الذي بناه بحكمته، و هي مجموع صور العالمين، و هي المختصر من اللوح المحفوظ، و هي الشّاهد على كل غائب، و هي الحجّة على كل جاحد، و هي الطريق المستقيم إلى كل خير، و هي الصراط الممدود بين الجنّة و النار.

و نظرا إلى هذا قال تعالى في الآية: كفى، لأنه عرف أن معرفة نفسك يكفي في معرفته، لأنك إذا قرأت كتابك على الوجه المذكور، كأنك قرأت الكتابين بأسرهما، و شاهدت المقصود فيهما، لأنك من حيث مجموعيتك و جامعيتك للحقائق كلها، كتاب جامع للجميع و مصحف كامل للكلّ، و بل الكل لك و لأجلك، و ليس شيء بخارج عنك كما قيل:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ١، ص ٢٥٥

ليس على اللّه بمستنكر   ان جمع العالم في واحد

و من هذا قال العارف أيضا «٣٦»:

فالكل مفتقر ما الكل مستغن   هذا هو الحق قد قلناه لا نكني

فالكل بالكلّ مربوط و ليس له عنه انفصال خذوا ما قلته عنّي

(الإنسان نسخة كاملة و صحيفة جامعة)

و قوله تعالى في آية أخرى: حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ [سورة فصّلت: ٥٣]. شرطيّة، و معناه: حتى يتحقق عندهم، أي عند عبيده، أن معرفته الحقيقة التي هي شهوده في مظاهره الآفاقية و الأنفسية، موقوفة على معرفة أنفسهم و قراءة كتاب ذواتهم، و يتحقق عندهم أيضا من قراءة كتابهم يعلمون ما يعلمون، و من مشاهدة ذواتهم يشاهدون ما يشاهدون، و ليس هناك غير كتابهم كتاب يصلح لهذا المعنى بالانفراد، أعني ليس هناك موجود يكون له استعداد أن يكون مظهرا لذاته الكاملة، و محلاّ لكمالاته غير المتناهية، إلا الإنسان، فإنه نسخته الجامعة، و صحيفته الكاملة، و له استعداد أن يكون مظهرا لذاته، لقوله سبحانه: إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً [سورة ص: ٢٦].

و لقول نبيّه (ع): خلق اللّه تعالى آدم على صورته. [فقد مرّت الإشارة إليه في التعليقة ٣١ فراجع]. و قابليته أن يصير محلاّ لأوصافه و أخلاقه، لقوله سبحانه: وَ عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمٰاءَ كُلَّهٰا [سورة البقرة: ٣١]. و لقول نبيه (ع): تخلّقوا بأخلاق اللّه «٣٧»، و ذلك لأن من في السموات و الأرض و ما بينهما، مظهر لبعض أسمائه و قابل لبعض كمالاته، لقوله: و ما منّا إلا و له مقام معلوم، و الإنسان مظهر للكل، أي الذات

(٣٦) قوله: و من قال العارف أيضا الشعر. العارف القائل هو ابن العربي محيي الدين، قال به في فصوصه، الفص آدمي، شرح القيصري ص ٩٣.

(٣٧) قوله: و لقول نبيه (ع): تخلّقوا بأخلاق اللّه.

روى الحر العاملي في الجواهر السنيّة ص ٧٨ عن كتاب مسكن الفؤاد، عن زيد بن أسلم، قال:

قيل أوحى اللّه إلى داود (ع): تخلّق بأخلاقي و إن من أخلاقي الصبر.

و ذكره أيضا الزمخشري في ربيع الأبرار ج ٢، ص ٥٢٩.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ١، ص ٢٥٦

و الصفات و الأفعال، كما مر تقريره، و يعضد ذلك قوله في الحديث القدسي: لا يسعني أرضي و لا سمائي، و لكن يسعني قلب عبدي المؤمن «٣٨».

و قوله تعالى في القرآن:

إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمٰانَةَ عَلَى السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ وَ الْجِبٰالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهٰا وَ أَشْفَقْنَ مِنْهٰا وَ حَمَلَهَا الْإِنْسٰانُ إِنَّهُ كٰانَ ظَلُوماً جَهُولاً [سورة الأحزاب: ٧٢].

(المقصود من الأمانة المعروضة على السموات و الأرض و المحمولة على الإنسان)

لأن الأمانة باتفاق المحققين هي الخلافة الإلهية التي ما حملها إلا الإنسان لعدم قابليتهم و قلّة استعدادهم، و الظلومية و الجهولية أيضا مدح لهم و تعظيم لقدرهم من غير تصور مذمّة و لا منقصة لأجل شأنهم، و قد كتبنا في

هذا المعنى رسالة موسومة برسالة الإمامة في تعيين الخلافة، و قد أثبتنا فيها هذا عقلا و نقلا و كشفا، و الغرض من ذلك كله أن تعرف: أن ليس هناك كلمة إلهية كاملة إلا أنت و حقيقتك التي هي مظهر ذاته الأحدية و أسمائه و صفاته العلية، و لا يمكن مشاهدته على ما هو عليه في نفس الأمر إلا من كتابك و ما اشتمل عليه من الآيات و الكلمات و الحروف، لقول العارف مثلك:

أنا القرآن و السبع المثاني و روح الروح لا روح الأواني

فؤادي عند مشهودي مقيم يشاهده و عندكم لساني

[للشيخ ابن العربي في الفتوحات ج ١ ص ٩ و راجع أيضا الفتوحات الطبعة الحديثة ج ١ ص ٧٠].
و نعم التأويل الذي يرشدك إلى هذه المكاشفات، و نعم القراءة التي توصلك إلى هذه المشاهدات.

---

(٣٨) قوله في الحديث القدسي: لا يسعني أرضي و لا سمائي الحديث.

رواه ابن أبي جمهور في عوالي اللئالي ج ٤، ص ٧، و ذكره الفيض في المحجة البيضاء ج

٥، ص ٢٦، و ذكره الغزالي أيضا في إحياء العلوم ج ٣، ص ١٥ و في البحار للمجلسي (ره) ج ٧٠، ص ٦٠، الحديث ٤٠ عن نوادر الراوندي بإسناده عن موسى بن جعفر، عن آبائه (ع) قال: قال رسول اللّه (ص): إن للّه آنية في الأرض فأحبّها إلى اللّه ما صفا منها و رقّ و صلب، و هي القلوب الحديث.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ١، ص ٢٥٧

و عند التحقيق هذا هو التأويل المخصوص بأهل اللّه و الراسخين منهم، و هذا هو التأويل الواجب على الأنبياء و الأولياء (ع) و على تابعيهم من العلماء الراسخين في العلوم الإلهيّة و المعارف الربانية لقوله جلّ ذكره:

وَ مٰا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَ الرّٰاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنّٰا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنٰا وَ مٰا يَذَّكَّرُ إِلاّٰ أُولُوا الْأَلْبٰابِ [سورة آل عمران: ٧].

و هذا يحتاج إلى أبحاث أخر تكون متعلقة بالأبحاث المذكورة من بحث الكتاب الكبير و الكتاب الصغير و التطابق بينهما، و هذه الأبحاث مرجوعة إلى المقدمة الثانية موكولة إليها لكن هاهنا ضروري من بحث القراءة بالنسبة إلى هذه الكتب الثّلاث و كيفية قراءتها و بأيّ وجه يمكن تحصيلها بالعلم الظاهر أو بالعلم الباطن أو بالكشف الحاصل من اللّه خاصة أو بالكل دون البعض أو بوجه غير هذه الوجوه، و معلوم أن هذه الأبحاث تريد بسطا عظيما و بيانا كاملا، فرأينا المصلحة أن نشرع فيها بطرق مختلفة و نبيّنها في أبحاث متنوعة و هي على سبيل الإجمال ثلاثة:

البحث الأول في معرفة أسباب القراءة بالنسبة إلى هذه الكتب

اعلم أن قراءة هذه الكتب على الوجه المذكور خصوصا قراءة الكتاب الكبير الآفاقي ليست بالعلم الظاهر و لا بالعلم الباطن أيضا إذا لم يكن على أصل صحيح حقيقي و أساس كلي إلهي، بل قراءة تتعلق بعناية اللّه تعالى خاصة بأن يفيض على بعض عبيده أنوار تجلياته العينية و تنفتح عين بصيرتهم بكحل العناية الأزلية بحيث يحصل لهم استعداد قراءة هذا الكتاب دفعة أو تدريجا و ينكشف لهم معناه و فحواه إجمالا و تفصيلا، و هذا الفيض قد يكون بواسطة، و قد يكون بغير واسطة، أما الثاني و كما كان بالنسبة إلى الأنبياء و الأولياء (ع) فإنه تعالى كان يفيض على قلوبهم من غير واسطة سابقة و لا علّة متقدمة، بل بمحض العناية و حسن الشفقة ما أراد من العلوم و الحقائق دفعة كان أو تدريجا كما أفاض على نبيّنا (ص)، و قال:

وَ أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْكَ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ عَلَّمَكَ ما لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَ كانَ فَضْلُ اللهِ

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‏١، ص ٢٥٨

عَلَيْكَ عَظِيماً [سورة النساء: ١١٣].

و معلوم أن هذا ليس إشارة إلى القرآن، لأن القرآن ما نزل مفردا بل أنزله اللّه نجوما في مدة ثلاث و عشرين سنة و على تقدير أن المراد به القرآن و كان تدريجيّا بحسب النزول و الشرع و دفعيا بحسب الفيض و التجلّي، و قد تقرّر هذا في علم الأصول عند المحققين و سنبيّنه مفصّلا إن شاء اللّه، و بحسب نزول القرآن و كيفيته من غوامض الأبحاث و أصعبها، و قوله (ص) ليلة المعراج:

«علمت علوم الأوّلين و الآخرين» «٣٩».

شاهد على أنه كان دفعيّا بحسب الفيض، تدريجيا بحسب النزول، و كما أفاض على عيسى (ع) في المهد لقوله جلّ ذكره:

فَأَشٰارَتْ إِلَيْهِ قٰالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كٰانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا قٰالَ إِنِّي عَبْدُ اللّٰهِ آتٰانِيَ الْكِتٰابَ وَ جَعَلَنِي نَبِيًّا وَ جَعَلَنِي مُبٰارَكاً أَيْنَ مٰا كُنْتُ وَ أَوْصٰانِي بِالصَّلاٰةِ وَ الزَّكٰاةِ مٰا دُمْتُ حَيًّا [سورة مريم: ٢٩- ٣١].

و كما أفاض على يحيى (ع) في الصغر لقوله فيه:

يٰا يَحْيىٰ خُذِ الْكِتٰابَ بِقُوَّةٍ، وَ آتَيْنٰاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا [سورة مريم: ١٢].

و معلوم أنه لم يكن المراد بالكتاب بالنسبة إليهما التوراة و لا الإنجيل، لأنه لو كان كذلك ما قال في حقّ عيسى (ع) بعد الآية:

(٣٩) قوله (ص) ليلة المعراج: علّمت علوم الأولين و الآخرين.

رواه ابن أبي جمهور في عوالي اللئالي ج ٤، الحديث ١٩٥، ص ١٢٠. و أخرج الترمذي ج ٥، ص ٣٦٦، الحديث ٤ و ٣٢٣٣ بإسناده عن ابن عباس عن رسول اللّه (ص) قال: أتاني ربي في أحسن صورة، فقال: يا محمد، قلت: لبيك و سعديك، قال فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت:

ربي لا أدري، فوضع يده بين كتفي فوجدت بردها بين ثدييّ، فعلمت ما بين المشرق و المغرب (ما بين السموات و الأرض).

أخرجه أيضا الدارمي ج ٢ ص ١٧٠ كتاب الرؤيا، باب ١٢، الحديث ٢١٤٩، و أحمد بن

حنبل في مسنده ج ١، ص ٣٦٨، و ج ٤، ص ٦٦، و ج ٥، ص ٢٤٣، و السيوطي في الدر المنثور ج ٣، ص ٣٠١. [.....]

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج١، ص ٢٥٩

وَ يُعَلِّمُهُ الْكِتٰابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ التَّوْرٰاةَ وَ الْإِنْجِيلَ وَ رَسُولاً إِلىٰ بَنِي إِسْرٰائِيلَ [سورة آل عمران: ٤٨- ٤٩].

و حيث قال هذا و فصّل بالكتاب و الحكمة بين التوراة و الإنجيل فعرفنا أنه ليس كذلك و أن المراد بالكتاب الكتاب الآفاقي الكبير أو الأنفسي الصغير اللذان هما التوراة و الإنجيل صادران منهما فائضان عنهما أو أم الكتاب و اللوح المحفوظ بمدعى البعض مع أن أمّ الكتاب و اللوح المحفوظ داخلان في الكتابين المذكورين، لأنّ أم الكتاب الذي هو العقل الأول، و اللوح المحفوظ الذي هو النفس الكلية كسورتان من سور القرآن بالنسبة إليهما كالبقرة و آل عمران مثلا، و أيضا لو كان المراد بالكتاب التوراة و الإنجيل ما عطفهما على الكتاب و الحكمة و حيث عطفهما علمنا أنه غيرهما لأن العطف دال على المغايرة هذا على الخصوص.

و أمّا على العموم، فكقوله فيهم:

أُولٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنٰاهُمُ الْكِتٰابَ وَ الْحُكْمَ وَ النُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهٰا هٰؤُلاٰءِ فَقَدْ وَكَّلْنٰا بِهٰا قَوْماً لَيْسُوا بِهٰا بِكٰافِرِينَ. أُولٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّٰهُ فَبِهُدٰاهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لاٰ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ هُوَ إِلاّٰ ذِكْرىٰ لِلْعٰالَمِينَ [سورة الأنعام: ٨٩- ٩٠].

و قد نقل عن جعفر بن محمد الصادق (ع) أنّه قال:

قوله تعالى: فَإِنْ يَكفُرْ بِهٰا هٰؤُلاٰءِ، أراد به العرب، و قوله: فَقَدْ وَكَّلنٰا بِهٰا قَوْماً لَيْسُوا بِهٰا بِكٰافِرِينَ، أراد به العجم.

(تفضيل العجم على العرب)

«٤٠» و ذلك صحيح لأنّ العجم قط ما أنكروا نبيّا، و لا أنكروا وحيا إن أراد بالعجم قوما معلومين، و إن أراد كلّ ما ليس بعرب فهذا بحث آخر لأنّ أكثر الأنبياء و أممهم كانوا عجما و لم يكن منهم عرب إلاّ إسماعيل و أولاده (ع)، و لسان العبرانيّة

(٤٠) قوله: و قد نقل عن جعفر بن محمد الصادق (ع) قال: الحديث راجع في ذلك بحار الأنوار ج ٦٧، ص ١٦٦، باب ٩ أصناف الناس في الإيمان و ج ٢٤، ص ٣٠٨، الحديث ١٠ فيهما مناسبة لقول الصادق (ع).

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‏١، ص ٢٦٠

و السّريانيّة ليس بلسان العرب، و لاهم من العرب، و قوله تعالى:

وَ مٰا أَرْسَلْنٰا مِنْ رَسُولٍ إِلاّٰ بِلِسٰانِ قَوْمِهِ [سورة إبراهيم: ٤].

دال على هذا، و مع ذلك ورد عن النبيّ (ص) خبر يؤكّد هذا المعنى و هو قوله: «لو كان العلم في الثّريّا لناله الفرس» «٤١».

و هذا تصريح بتفضيلهم و ترجيحهم، و تنبيه على ذكائهم و فطنتهم، و كذلك على شوقهم و سعيهم في تحصيل العلوم و كسب الكمالات و يقوم

بجواب العرب و يقومه العجم قوله تعالى:

وَ لَوْ جَعَلْناهُ قُرْآناً أَعْجَمِيًّا لَقالُوا لَوْ لا فُصِّلَتْ آياتُهُ ءَ أَعْجَمِيٌّ وَ عَرَبِيٌّ [سورة فصّلت: ٤٤].

و قوله:

وَ لَوْ نَزَّلْناهُ عَلى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ ما كانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ [سورة الشعراء: ١٩٨- ١٩٩].

لأنه دالّ بأنّ القرآن لو كان عجميّا لم يكن يلتفت إليه العرب أصلا إمّا لعدم الاستعداد و القابليّة، و إمّا لعدم الإيمان في قلوبهم الّذي هو رئيس الكمالات كلّها، و إليهم أشار أيضا في قوله:

الْأَعْرابُ أَشَدُّ كُفْراً وَ نِفاقاً [سورة التّوبة: ٩٧].

(فضل العرب على العجم)

و هذه الدّعوى ليست كليّة فإنّ الكل من حيث الكل إذا تعارضا و تقابلا،

---

(٤١) قوله: ورد عن النبي (ص) خبر يؤكد هذا المعنى و هو قوله: لو كان العلم الحديث. روى المجلسي في البحار ج ١، ص ١٩٥، الحديث ١٦ عن قرب الإسناد بإسناده عن ابن علوان عن جعفر عن أبيه (ع) أن رسول اللّه (ص)، قال: لو كان العلم منوطا بالثريا لتناوله رجال من فارس، و أخرج قريب منه، أحمد بن حنبل في مسنده ص ٤٢٠ و ٤٢٢ و ٤٦٩ بإسناده عن أبي هريرة، و السيوطي أيضا في جامع الصغير ج ٢، ص ٤٣٤، الحديث ٧٤٦٤، و أيضا أخرجه في كنز العمال ج ١١، ص ٦٩١، الحديث ٣٣٣٤٣، ج ١٢، ص ٩١،

الحديث ٣٤١٣١ بإسناده عنه.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج١، ص ٢٦١

فالعرب أفضل و أكمل لأنّ فيهم نبيّنا (ص)، و كذلك أولاده من الأئمّة المعصومين (ع) و ليس في العجم مثلهم و إن كان فيهم أيضا الأنبياء و الأولياء (ع) كما تقرّر و لكن هذه دعوى جزئيّة بالنسبة إلى بعض القوم منهم، و من هذا لا يلزم ترجيح أحد على نبيّنا و أولاده (ع)، و مع ذلك كلّه هذا بحث لا دخل في هذا المقام، و تلك شقشقة هدرت ثمّ قرّت، و بالجملة نرجع و نقول:

(بيان سلوك المحبوبيّة و سلوك المحبّيّة)

هذه الطّريقة و العروج أعني حصول الفيض من الفائض بغير واسطة يسمّى سلوك المحبوبيّة، و أمّا الأوّل الّذي يكون بواسطة فيسمّى ذلك سلوك المحبيّة، و ذلك بأن يفيض الحق تعالى على قلب بعض عبيده بواسطة التقوى الّتي هي سيّد الأعمال كلّها، علما فارقا بين الحق و الباطل، و سرّا كاشفا بين الظّاهر و الباطن، لقوله تعالى فيهم:

إِنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقاناً [سورة الأنفال: ٢٩].

أي يجعل لكم علما فارقا بين الحقّ و الباطل، و كشفا مميّزا بين الظّاهر و الباطن، و لقوله في موضع آخر:

وَ مَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَ يَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ [سورة الطلاق: ٢، ٣].

أي يجعل له مخرجا من الشّبهات و الشّكوك و يرزقه من العلوم الحقيقيّة و الأسرار الرّبانيّة من حيث لا يحتسب أي من جهة لا يعرفه هو و لا غيره، و ذلك عالم الغيب و حضرة القدس بعالم العقول و النّفوس، لقوله أيضا:

اقْرَأْ وَ رَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ [سورة العلق: ٣-٥].

و لقوله: الرَّحْمنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسانَ عَلَّمَهُ الْبَيانَ [سورة الرّحمن: ١-٤].

و إلى هذا أشار بقوله:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج١، ص ٢۶٢

الم. ذلِكَ الْكِتابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ [سورة البقرة: ١، ٢].

و خصّ هدايته بالمتّقين مع أنّه هداية للعالمين ليعلم أنّ هدايته الخاصّة مخصوصة بالمتّقين دون غيرهم لأنّ الهداية على ثلاثة أنواع: هداية العام، و هداية الخاص، و هداية خاصّ الخاصّ كما سنبيّنه إن شاء اللّه.

(التقوى وسيلة فيضان النور من حضرة الحق إلى قلب المتّقي)

و بيان ذلك، و هو أن عبدا من عبيده مثلا إذا قام بالتّقوى على ما ينبغي المشار إليه في قوله:

اتَّقُوا اللّهَ حَقَّ تُقاتِهِ وَ لا تَمُوتُنَّ إِلاّ وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ [سورة آل عمران: ١٠٢].

و أدّى حقّها على ما هو عليها في نفس الأمر و زال عن قلبه بعد ذلك حجاب الكثرة و التّفرقة، و اضمحلّ عن مرآة نفسه و من الظّلمة و الغفلة، و وصل إلى حدّ الصقالة و الصّفاء التّام الكامل، أفاض عليه تعالى نورا من

أنواره و انفسح به عين بصيرته، و انكشف له عالم الملكوت و الجبروت، و نزل عليه من سماء جوده و فضله الحكمة و المعارف و العلوم و الحقائق، كما قال النبيّ (ص):

«من أخلص للّه تعالى أربعين صباحا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه» «(٤٢)».

---

(٤٢). قوله (ص): من أخلص للّه تعالى أربعين صباحا الخ الحديث فقد نقل الحديث بعبارات مختلفة نقلناه ذيلا:

(أ) أصول الكافي ج ٢ ص ١٦ حديث ٦:

عن الباقر (ع) قال: ما أخلص العبد الإيمان باللّه عزّ و جلّ أربعين يوما، أو قال: ما أجمل عبد ذكر اللّه عزّ و جلّ أربعين يوما، إلا زهّده اللّه عزّ و جلّ في الدنيا و بصّره داءها و دواءها فأثبت الحكمة في قلبه و أنطق بها لسانه الحديث، نقله عن الكافي أيضا البحار ج ٧٠، ص ٢٤٠، حديث ٨.

(ب) عيون أخبار الرضا (ع) ج ٢، ص ٦٨:

عن الرضا (ع) قال: قال رسول اللّه (ص): ما أخلص عبد اللّه عزّ و جلّ أربعين صباحا إلا جرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه.

نقله في البحار أيضا ج ٧٠، ص ٢٤٢، الحديث ١٠.

(ج) بحار الأنوار ج ٧٠، ص ٢٤٩، الحديث ٢٥، عن عدّة الدّاعي عن النبي (ص) قال:

من أخلص للّه أربعين يوما فجّر اللّه ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه.

(د) إحياء العلوم للغزالي ج ٤، ص ٢٧٤: عن النبي (ص): قال: ما من عبد يخلص لله العمل أربعين يوما إلا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه.

أقول: قال العراقي في ذيله: أخرجه ابن عدى و من طريقه ابن الجوزي في الموضوعات عن أبي موسى.

(ه) عوارف المعارف (المترجم) ص ٩٩ و العربي في ملحق إحياء العلوم ج ٥، ص ١٢١: على أن الأربعين خصّت بالذّكر في قول رسول اللّه (ص): من أخلص للّه أربعين صباحا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه.

أقول: قال الأنصاري في ذيل المترجم: جامع الصغير ج ٢ ص ٢٧٥.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ١، ص ٢٦٣

و أشار الحقّ تعالى في كتابه بقوله:

يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشٰاءُ وَ مَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَ مٰا يَذَّكَّرُ إِلاّٰ أُولُوا الْأَلْبٰابِ [سورة البقرة: ٢٦٩].

و صارت له معينة على مطالعة كتابه المسمّى بالكتاب الكبير، و مقوية على مشاهدة ما في ضمنه من الآيات و الكلمات المسمّاة بالموجودات و المخلوقات، و كذلك على مطالعة كتابه الأنفسي و مشاهدة ما في ضمنه من الآيات و الكلمات، و إلى هذا المعنى كلّه أشار أمير المؤمنين عليّ (ع) في بعض أقواله و هو قوله:

قد أحيا عقله، و أمات نفسه، حتّى دقّ جليله، و لطف غليظه، و برق له لامع كثير البرق، فأبان له الطّريق، و سلك به السبيل، و تدافعته الأبواب إلى باب

السّلامة و دار الإقامة، و تثبتت رجلاه بطمأنينة بدنه في قرار الأمن و الرّاحة، بما استعمل قلبه و أرضى ربّه «٤٣».

و أمثال ذلك كثير في هذا الباب.

و هذه الأبحاث تلزمنا بالبحثين الآخرين فنجعل البحث الثاني في بيان السّلوك و تقسيمه بالمحبّية و المحبوبيّة، و كيفيّة ترتيبهما، و البحث الثّالث في بيان التقوى و مراتبها و مدارجها و هو هذا:

---

(٤٣) قوله: و إلى هذا المعنى أشار أمير المؤمنين (ع): قد أحيا عقله و أمات نفسه الخ.

أقول: هذا من كلامه (ع) في نهج البلاغة ط صبحي الصالح الخطبة ٢٢٠، و فيض الإسلام الخطبة ١٠ في وصف السالك إلى اللّه سبحانه.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ١، ص ٢٦٤

البحث الثّاني في بيان السّلوك و تقسيمه إلى المحبيّة و المحبوبيّة

اعلم أنّ السلوك سلوكان: سلوك المحبوبيّة، و سلوك المحبيّة.

أمّا سلوك المحبوبيّة فهو أن يكون وصول الشّخص سابقا على سلوكه أعني يصل إلى كماله المعيّن له من اللّه تعالى بغير واسطة عمل من الرّياضة و التّقوى و المجاهدة و السّلوك، و ذلك يكون بمحض العناية من اللّه و عين الهداية منه كما سبق ذكره و إليهم أشار في قوله:

وَ مِنْ آبائِهِمْ وَ ذُرِّيّاتِهِمْ وَ إِخْوانِهِمْ وَ اجْتَبَيْناهُمْ وَ هَدَيْناهُمْ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ [سورة الأنعام: ٨٧].

و أمّا سلوك المحبيّة فهو أن يكون السّلوك سابقا على الوصول أعني يكون حصول كماله المعيّن له بواسطة الرّياضة و التّقوى و المجاهدة و السّلوك مع قطع المنازل و طيّ المراحل لقوله تعالى:

وَ الَّذِينَ جاهَدُوا فِينا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا وَ إِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ [سورة العنكبوت: ٦٩].

و إلى الطائفتين أشار بقوله:

فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَ يُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكافِرِينَ يُجاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَ لا يَخافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ وَ اللهُ واسِعٌ عَلِيمٌ [سورة المائدة: ٥٤].

(بيان مصاديق المحبوبين من الإنسان)

فالطائفة الأولى الذين هم المحبوبون هم الّذين عرفتهم الآن من الأنبياء و الأولياء (ع) و تقرّر أنّهم وصلوا إلى اللّه من غير سبب سابق و عمل لاحق بل بمحض العناية و كمال المحبّة لهم و لكمال شوقه إليهم، و تحنّنه لديهم كما قال:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‌١، ص ٢٦٥

ألا طال شوق الأبرار إلى لقائي و إنّي لأشدّ شوقا إليهم (٤٤).



(٤٤) قوله: كما قال: ألا طال شوق الأبرار إلى لقائي الحديث.

أخرجه الحافظ الأصفهاني في كتابه حلية الأولياء ج ١٠، ص ١٩٣، بإسناده عن سلمة النيسابوري، قال: سمعت أبا محمد سهل بن عبد الله التستري يقول:

قال اللّه لآدم: يا آدم إني أنا اللّه لا إله إلا أنا، فمن رجا غير فضلي و خاف غير عدلي لم يعرفني، يا آدم إن لي صفوة و ضنائن و خيرة من عبادي أسكنتهم صلبك، بعيني من بين خلقي أعزّهم بعزّي، و أقربهم من وصلي، و أمنحهم كرامتي، و أبيح لهم فضلي، و أجعل قلوبهم خزائن كتبي، و أسترهم برحمتي، و أجعلهم أمانا بين ظهراني عبادي، فبهم أمطر السماء، و بهم أنبت الأرض، و بهم أصرف البلاء، هم أوليائي و أحبائي، درجاتهم عالية، و مقاماتهم رفيعة، و هممهم بي متعلقة، صحت عزائمهم، و دامت في ملكوت غيبي فكرتهم، فارتهنت قلوبهم بذكري، فسقيتهم بكأس الأنس صرف محبتي، فطال شوقهم إلى لقائي، و إنّي إليهم لأشد شوقا، الخ.

و ذكره أيضا الميبدي بلا سند عن قوله جلّ جلاله في تفسيره كشف الأسرار (خواجة عبد الله الأنصاري) ج ٦، ص ٢٢٢.

و أيضا الغزالي في إحياء العلوم ج ٣، ص ٩ مرسلا، و قال العراقي في ذيله: لم أجد له أصلا إلا أن صاحب الفردوس خرجه من حديث أبي الدرداء و لم يذكر له ولده في مسند الفردوس إسنادا، انتهى.

هذا و أخرج أحمد بن حنبل في مسنده ج ٤، ص ٢٥٩ بإسناده عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، يقول حدثني فلان بن فلان، سمع رسول اللّه (ص) يقول: من أحب لقاء اللّه أحب اللّه لقاءه و من كره لقاء اللّه كره اللّه لقاءه، قال فأكبّ القوم يبكون، فقال: ما يبكيكم، فقالوا: إنّا نكره الموت، قال: ليس ذلك و لكنه إذا حضر فإمّا إن كان من المقربين فروح و

ريحان و جنّة نعيم، فإذا بشّر بذلك أحب لقاء اللّه و اللّه للقائه أحبّ، الحديث.

و نورد هاهنا قطعات من بعض الأدعية الواردة عن المعصومين (ع) تتميما للفائدة و توضيحا للحديث و مصداقا لحديث سهل بن عبد الله، ورد في المناجاة الخمس عشرة لمولانا علي بن الحسين (ع) التي قال المجلسي في البحار ج ٩٤، ص ١٤٢: و قد وجدتها مروية عنه (ع) في بعض كتب الأصحاب رضوان اللّه عليهم:

ففي المناجاة الثالثة مناجاة الخائفين: و لا تحجب مشتاقيك عن النظر إلى جميل رؤيتك.

و في المناجاة الثامنة مناجاة المريدين: و لقاؤك قرّة عيني، و وصلك منى نفسي، و إليك شوقي، و في محبّتك ولهي، و إلى هواك صبابتي، و رضاك بغيتي، و رؤيتك حاجتي، و جوارك طلبتي (طلبي)، و قربك غاية سؤلي.

و في المناجاة التاسعة مناجاة المحبّين: إلهي فاجعلنا ممّن اصطفيته لقربك و ولايتك، و أخلصته لودّك و محبّتك، و شوّقته إلى لقائك.

و في المناجاة الثانية عشر مناجاة العارفين: و ما أطيب طعم حبّك، و ما أعذب شرب قربك.

و أيضا في الدعاء السابع و الأربعين من أدعية الصحيفة السجاديّة (ع) في يوم عرفة: و شوّقني

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ١، ص ٢٦٦

و لقول النبيّ (ص):

جذبة من جذبات الحقّ توازي عمل الثقلين.

و أصحاب الجذبات على أربعة أقسام: مجذوب غير سالك، و سالك غير

مجذوب، و سالك مجذوب، و مجذوب سالك، فهؤلاء من القسم الأوّل و إن كان هم أجلّ من أن يسمّى مجذوبا، لأنّ الكامل المكمّل أعظم من أن يسمّى من أسماء السّالكين و المجذوبين، فكأنّ هذا مجاز بالنّسبة إليهم، و إليهم أشار قطبهم و رئيسهم، سلطان العارفين أمير المؤمنين علي (ع) بقوله: إنّ للّه تعالى شرابا لأوليائه إذا شربوا سكروا، و إذا سكروا طربوا، و إذا طربوا طابوا، و إذا طابوا ذابوا، و إذا ذابوا خلصوا، و إذا خلصوا أخلصوا، و إذا أخلصوا طلبوا، و إذا طلبوا وجدوا، و إذا وجدوا و صلوا، و إذا وصلوا اتّصلوا لا فرق بينهم و بين حبيبهم. و قوله تعالى:

إِنَّ الْأَبْرارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كانَ مِزاجُها كافُوراً عَيْناً يَشْرَبُ بِها عِبادُ اللهِ يُفَجِّرُونَها تَفْجِيراً [سورة الإنسان: ٥- ٦].

و قوله: عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ [سورة المطففين: ٢٨].

و قوله: وَ سَقاهُمْ رَبُّهُمْ شَراباً طَهُوراً [سورة الإنسان: ٢١].

و قوله:

لقاءك، و الدعاء طويل، الصحيفة السجّاديّة للفيض ص ٣٥٦، الفقرة ١٢٦.

و أيضا روى الكليني (رض) في الأصول الكافي ج ٢ باب الدّعاء في أدبار الصلوات الحديث ٦ ص ٥٤٧ بإسناده عن محمد بن الفرج قال: كتب إليّ أبو جعفر ابن الرضا (ع) بهذا الدعاء- و فيه: و أسألك لذّة المنظر إلى وجهك، و شوقا إلى رؤيتك و لقائك من غير ضرّاء مضرّة، و الدّعاء طويل.

و أيضا في دعاء أبو حمزة الثمالي: اللهم إني أسألك أن تملأ قلبي حبا لك، و خشية منك، و تصديقا بكتابك، و إيمانا بك، و فرقا منك، و شوقا إليك، يا ذا الجلال و الإكرام، حبّب إليّ لقائك و أحبب لقائي، و اجعل في لقائك الراحة و الفرج و الكرامة.

و روى الحر العاملي في الجواهر السنّية ص ٧٤ عن الحسن بن أبي الحسن الديلمي عن وهب بن منبه قال: أوحى اللّه إلى داود (ع): يا داود ذكري للذاكرين، و جنّتي للمطيعين، و حبّي للمشتاقين، و أنا خاصة المحبّين.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ١، ص ٢٦٧

يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ خِتامُهُ مِسْكٌ وَ فِي ذٰلِكَ فَلْيَتَنافَسِ الْمُتَنافِسُونَ [سورة المطففين: ٢٥- ٢٦].

إشارة إلى ذلك الشّراب الأزلي الإلهي الّذي يسقيهم من غير سبب و لا طلب، و قول العارف نظما:

شربنا على ذكر الحبيب مدامة

سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم

كذلك إشارة إليه، و قول النّبي (ص):

«كنت نبيّا و آدم بين الماء و الطين» «٤٥».

و كذلك قول الولي (ع):

كنت وليّا و آدم بين الماء و الطين (٤٦).

(٤٥) قوله (ص) كنت نبيّا و آدم بين الماء و الطين.

أقول: الحديث معروف بين الألسنة و الكتب ذكره جمع غفير من العلماء في كتبهم، و من جملتهم العلامة الأميني تغمّده اللّه في رحمته في كتابه الشريف الغدير ج ٧، ص ٣٨ و قال فيه: و تواتر عنه (ص) من طرق صحيحة:

كنت نبيا و آدم بين الماء و الطين. أو: بين الروح و الجسد. أو: بين خلق آدم و نفخ الروح فيه.

انتهى كلامه قدس سره. و رواه في عوالي اللئالي ج ٤، ص ١٢١، ح ٢٠٠.

و ذكره أيضا محمد بن علي بن شهرآشوب في كتابه مناقب ج ١، ص ٢١٤ فراجع، و روى عنه بحار الأنوار ج ١٦، ص ٤٠٢، ح ١.

و أخرجه أيضا الترمذي في الجامع ج ٥، ص ٥٨٥ بإسناده:

قالوا: يا رسول اللّه متى وجبت لك النبوة؟ قال: و آدم بين الروح و الجسد.

و أخرجه أيضا أحمد بن حنبل في مسنده مرة ج ٤، ص ٦٦ بإسناده عن رجل قال: قلت يا رسول اللّه متى جعلت نبيا؟ قال: و آدم بين الروح و الجسد.

و مرة أخرى في ج ٥ ص ٥٩، بإسناده عن ميسرة الفجر قال: قلت يا رسول اللّه متى كتبت نبيّا؟

قال: و آدم (ع) بين الروح و الجسد.

أخرجه أيضا في كنز العمال ج ١١، ص ٤٥٠، الحديث ٣٢١١٧.

(٤٦) قوله (ع): كنت وليا و آدم بين الماء و الطين.

أقول: قد وردت أخبار كثيرة يستفاد مضمون الحديث منها و نورد بعضها ذيلا لمزيد الفائدة و التأمل فيها.

(أ) الصدوق رضي اللّه عنه بإسناده عن عبد السلام بن صالح الهروي، عن علي بن موسى الرضا عن آبائه (ع) عن علي بن أبي طالب صلوات اللّه عليه، قال: قال رسول اللّه (ص) في

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۱، ص ۲۶۸

حديث طويل: يا علي إن اللّه تبارك و تعالى فضل أنبياءه المرسلين على ملائكته المقربين، و فضلني على جميع النبيين و المرسلين، و الفضل بعدي لك يا علي و للأئمة من بعدك إلى قوله (ص) يا علي لو لا نحن ما خلق اللّه آدم (ع) و لا حواء و لا الجنة و لا النار و لا السماء و لا الأرض، فكيف لا نكون أفضل من الملائكة؟ و قد سبقناهم إلى معرفة ربنا و تسبيحه و تهليله و تقديسه، لأن أول ما خلق اللّه عز و جلّ أرواحنا فأنطقها بتوحيده و تمجيده ثم خلق الملائكة، فلمّا شاهدوا أرواحنا نورا واحدا استعظمت أمرنا. الحديث. عيون أخبار الرضا (ع) ج ۱، ص ۲٦۲، الحديث ۲۲.

(ب) قال الحر العاملي في الجواهر السنيّة ص ۲۳۷:

و قد نقل جماعة من العلماء عن ابن شيرويه الديلمي أنه روى في كتاب الفردوس عن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول اللّه (ص): لو يعلم الناس متى سمّى علي أمير المؤمنين ما أنكروا فضله، سمّي أمير المؤمنين و آدم بين الماء و الطين، الحديث.

(ج) عنه أيضا في المصدر ص ۲۳۵: قال الحافظ البرسي: و روى الخوارزمي في مناقبه عن ابن عباس قال: قال رسول اللّه (ص): جاءني جبرائيل فنشر جناحيه فإذا على أحدهما مكتوب: لا إله إلا اللّه محمد النبي، و على الآخر: لا إله إلا اللّه علي الولي، و على أبواب الجنة مكتوب: لا إله إلا اللّه محمد رسول اللّه (ص) علي أخوه ولي اللّه، أخذت ولايته على الذّر قبل خلق السموات و الأرض بألفي عام.

و نقل مثله أيضا عن كتاب الفردوس لابن شيرويه الديلمي.

(د) في نفس المصدر قال الحر العاملي:

و في كتاب العلل قال: بإسناده عن محمد بن حرب الهذلي أمير المدينة عن الصادق (ع) في حديث طويل قال: أما علمت أن محمدا و عليّا كانا نورا بين يدي اللّه قبل خلق الخلق بألفي عام، و أن الملائكة لما رأت ذلك النور رأت له أصلا قد انشعب منه شعاع لامع فقال: إلهنا و سيّدنا ما هذا النور؟ فأوحى اللّه إليهم: هذا نور من نوري أصله نبوة و فرعه إمامة، أما النبوة فلمحمد عبدي و رسولي، و أما الإمامة فلعليّ حجّتي و وليّي و لو لا هما ما خلقت خلقي.

و رواه أيضا في كتاب معاني الأخبار بهذا الإسناد مثله. الجواهر السنية للحر العاملي رحمه اللّه ص ۱۸۷.

أقول: قال الشيخ الأكبر في الفصّ الشيثي (ع) من فصوص الحكم: (شرح القيصري ص ۱۱۲).

فكل نبي من لدن آدم إلى آخر نبيّ ما منهم أحد يأخذ إلا من مشكاة خاتم النبيّين، و إن تأخر وجود طينته، فإنه بحقيقته موجود، و هو قوله: كنت نبيّا و آدم بين الماء و الطين. و غيره من الأنبياء ما كان نبيا إلا حين بعث، و كذلك خاتم الأولياء كان وليا و آدم بين الماء

و الطين، و غيره من الأولياء ما كان وليا إلا بعد تحصيله شرائط الولاية الخ. انتهى كلامه.

نقلناه لأجل أن الشيخ الأكبر محيي الدين العربي، قال به بما أنه أصل و أساس كلّي ثابت مع

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ١، ص ٢٦٩

يقوم بجواب الكلّ لأنّ النبوّة و الولاية كانتا حاصلتين لهما قبل إيجاد العالم و آدم بما شاء اللّه، و هذا معلوم عند أهله غير خفي على أحد من العارفين.

(بيان المصاديق المحبّون من الإنسان)

و أمّا الطّائفة الثانية الّذين هم المحبّون فقد عرفتهم أيضا و هم الّذين يسلكون سبيل الحقّ على قدم السّلوك و التّقوى و الرّياضة، و يكون سلوكهم سابقا على وصولهم لقوله تعالى فيهم:

إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَ الَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ [سورة النحل: ١٢٨].

و لقوله:

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَ نَهَرٍ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ [سورة القمر: ٥٤- ٥٥].

و لقوله:

الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً خَالِدِينَ فِيهَا لاَ يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً- إلى قوله-: فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَ لاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً [سورة الكهف: ١٠٧- ١١٠].

و لقوله في حديثه القدسي:

قطع النظر عن مصداقه في الولاية و هو يحتاج إلى بحث آخر و تحقيق و تتّبع في كلماته لا يناسب المقام.

روى الحديث: كنت وليا و آدم بين الماء و الطين عن أمير المؤمنين عليه آلاف التحية و السلام، الفاضل التوني قدّس سرّه في تعليقته على مقدّمة فصوص الحكم ص ٩٣ في الفصل الثاني عشر.

و في عوالي اللئالي ج ٤، ص ١٢٤، ح ٢٠٨:

و قال (ع): كنت وصيّا و آدم بين الماء و الطين.

(ه) في أمالي المفيد رضي اللّه عنه في المجلس الأول ص ١٥، الحديث ٣ (حديث الحارث الهمداني) بإسناده عن الأصبغ ابن نباتة عن أمير المؤمنين (ع)، قال:

ألا إني عبد اللّه، و أخو رسوله، و صديقه الأول، صدّقته و آدم بين الروح و الجسد، ثم إني صديقه الأول في أمتكم حقّا، الحديث.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ١، ص ٢٧٠

من تقرّب إليّ شبرا تقربت إليه ذراعا و من تقرّب إليّ ذراعا تقربت إليه باعا، و من تقرب إليّ باعا مشيت إليه هرولة «٤٧».

(في أن الإنسان خلق جامعا للعالمين: عالم الغيب و عالم الشهادة)

و إذا عرفت هذا فاعلم، أن اللّه تعالى خلق الإنسان جامعا للعالمين، عالم الغيب و عالم الشهادة، أو الملك و الملكوت، أو الأمر و الخلق، إذ لا مشاحّة

في الألفاظ، و أعطاه لمشاهدة كلّ عالم عينا مناسبة لذلك العالم، فالعين التي هي لمشاهدة عالم الغيب سمّاها بالبصيرة لقوله:

قُلْ هٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللهِ عَلىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَ مَنِ اتَّبَعَنِي [سورة يوسف: ١٠٨].

و القلب و الفؤاد و الصدر عبارة عنها لقوله تعالى:

فَإِنَّهٰا لاٰ تَعْمَى الْأَبْصٰارُ وَ لٰكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ [سورة الحج: ٤٦].

---

(٤٧) قوله: في حديث قدسي: من تقرب إلى شبرا، الحديث.

في صحيح البخاري كتاب التوحيد باب ما جاء في دعاء النبي (ص) أمته إلى توحيد اللّه تبارك و تعالى ج ٩، ص ١٤٨ روى بإسناده و قال: قال النبي (ص): يقول اللّه تعالى ... و إن تقرب إليّ بشبر تقربت إليه ذراعا، و إن تقرّب إلى ذراعا تقربت إليه باعا، و إن أتاني يمشي أتيته هرولة.

و في مسند أحمد بن حنبل ج ٥ ص ١٥٣ روى بإسناده عن أبي ذر عن رسول اللّه (ص) أنه قال:

يقول الله عز و جل: من اقترب إليّ شبرا اقتربت إليه ذراعا، الحديث.

و في المحجة البيضاء للفيض الكاشاني ج ٥، ص ١٥ رواه بعبارة الكتاب.

و أخرجه مسلم ج ٤ باب الذكر و الدعاء حديث ٢٢ روى بإسناده عن أبي ذر قال: قال رسول اللّه (ص): من تقرب منّي شبرا، تقربت منه ذراعا، و من تقرّب مني ذراعا تقرّبت

منه باعا.

و من أتاني يمشي أتيته هرولة، و من لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئا لقيته بمثلها مغفرة.

و رواه أيضا بعبارات أخرى في الأحاديث ٢- ٣- ٢٠- ٢١.

و رواه في عوالي اللئالي ج ٤، ص ١١٦، حديث ١٨٢ و في ذيله: و من ذكره في ملأ ذكره في ملأ أشرف، و من شكره شكره في مقام أنسي، و من دعاه بغير لحن أجابه، و من استغفر غفر له.

و أخرجه أيضا الغزالي في إحياء العلوم ج ٣، ص ٩، و قال العراقي في ذيله: حديث متفق عليه من حديث أبي هريرة.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ١، ص ٢٧١

و العين الّتي هي لمشاهدة عالم الشهادة سمّاها بالبصر لقوله:

وَ اللهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَ جَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَ الْأَبْصارَ وَ الْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ [سورة النحل: ٧٨].

فكما أنّ العين الّتي هي لمشاهدة الشّهادة و شأنها الرؤية و المشاهدة لم يتمكّن من رؤيتها و مشاهدتها إلاّ بعد إزالة الموانع و رفع الحجاب بينها و بين مرئياتها و حصول نور آخر مضافا إليها كنور الشّمس أو نور القمر أو الكواكب أو النّار و أمثال ذلك.

فكذلك العين الّتي هي لمشاهدة عالم الغيب فإنّها و إن كانت من شأنها رؤية ذلك العالم و مشاهدته لكن لم يمكن منها إلاّ بعد إزالة الموانع و رفع

الحجاب بينها و بين ذلك العالم و حصول نور آخر مضافا إليها كنور الحقّ تعالى أو نور القدس أو الرّوح الأعظم أو العقل الكلّي و أمثال ذلك لقوله تعالى:

يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَ الْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً [سورة الحديد: ١٣].

و لقوله:

نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَ يَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ [سورة النور: ٣٥].

و لقوله:

وَ مَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ [سورة النور: ٤٠].

(الحجب مختصّ بالمحبّين و وجوب الإزالة مخصوص عليهم)

فالتقوى و الرّياضة و الخلوة و العزلة لإزالة تلك الموانع و الحجب، و تحصيل تلك الأنوار و الشهب ليشاهد بها العالم الروحاني و ما فيه من الغرائب و العجائب، فالمحبوبون بحصول هذه الأنوار لهم أزلا كما مرّ ذكره، مستغنون عن إزالة الموانع و رفع الحجب لأنّهم في مشاهداتهم الأزليّة و مكاشفاتهم الحقيقيّة على الدّوام و الاستمرار لقوله تعالى:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج١، ص ٢٧٢

الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ [سورة المعارج: ٢٣].

كما قال الإمام (ع):

لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا. [فقد مرّ مرجعه في التعليقة ٣٣].

و قال العارف:

مذ رأيت ربّي ما شككت فيه.

و أمّا المحبّون فيجب عليهم إزالة تلك الموانع و رفع تلك الحجب ليحصل لهم تلك الأنوار و يشاهدون بها تلك العوالم و ما فيها من الأسرار و الأنوار و العجائب و الآثار، و النقليّات الدّالة على ذلك أكثر من أن تحصى:

منها قول النبيّ (ص): «ما من قلب إلاّ و له عينان و أذنان فإذا أراد اللّه بعبد خيرا فتح عينيه اللتين هما للقلب ليشاهد بهما الملكوت» «(٤٨)».

و قوله أيضا:

لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى الملكوت (٤٩).

---

(٤٨) قوله ما من قلب إلا و له عينان، الحديث.

رواه الخوارزمي في شرحه للفصوص ج ١، ص ٢٣٠ مع اختلاف، قال: قال (ع):

ما من عبد إلا و لقلبه عينان هما غيب ينظر بهما الغيوب فإذا أراد اللّه تعالى بعبد خيرا فتح عيني قلبه ليرى بهما ما أخفى عن بصره.

(٤٩) قوله: و قوله أيضا: لولا الشياطين يحومون الحديث رواه الغزالي في إحياء علوم الدين: تارة ج ١، ص ٢٣٢ كتاب أسرار الصوم، و أخرى ج ١ ص ٢٨٤ و أخرى ج ٣ ص ٩ كتاب شرح عجائب القلب. و رواه المجلسي أيضا في بحار الأنوار ج ٧٠، ص ٥٩، الحديث ٣٩ باب القلب و صلاحه و فساده. و رواه أيضا الفيض في المحجّة البيضاء كتاب أسرار الصيام ج ٢، ص ١٢٥، كلّ هذا نقلوه مرسلا.

و أخرج أحمد بن حنبل في مسنده ج ٢، ص ٣٥٣ بإسناده عن أبي هريرة قال: قال رسول اللّه (ص): ليلة أسري بي ... فلما نزلت إلى السماء الدنيا نظرت أسفل منّي فإذا أنا برهج و دخان و أصوات، فقلت ما هذا يا جبرائيل، قال: هذه الشياطين يحومون على أعين بني آدم أن لا يتفكّروا في ملكوت السموات و الأرض، و لو لا ذلك لرأوا العجائب.

و في أصول الكافي للكليني (ره) ج ٢، ص ٤٢٣ باب في تنقل أحوال القلب الحديث ١ بإسناده عن سلام بن المستنير قال: قال أبو جعفر (ع): إن أصحاب محمد (ص) قالوا: يا

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‏١، ص ٢٧٣

و منها قول عيسى (ع):

يا بني إسرائيل، لا تقولوا العلم في السماء من يصعد يأتى به، و لا في تخوم الأرض من ينزل يأتي به، و لا من وراء البحر من يعبر يأتي به، العلم مجبول في قلوبكم تأدّبوا بين يدي اللّه بآداب الروحانيّين و تخلّقوا بأخلاق الصّديقين يظهر العلم في قلوبكم حتى يغطيكم و يغمركم.

و منها قول أمير المؤمنين علي (ع) في خطبة من خطبه: إنّ اللّه سبحانه جعل الذكر جلاء للقلوب تسمع به بعد الوقرة و تبصر به بعد العشوة، و تنقاد به بعد المعاندة، و ما برح للّه- عزّت آلاؤه- في البرهة بعد البرهة، و في أزمان الفترات، عباد ناجاهم في فكرهم، و كلّمهم في ذات عقولهم، فاستصبحوا بنور يقظة في الأبصار و الأسماع و الأفئدة، يذكرون بأيّام اللّه، و يخوّفون مقامه، بمنزلة الأدلّة في الفلوات، من أخذ القصد حمدوا إليه طريقه و بشّروه بالنجاة، و من أخذ يمينا و شمالا ذمّوا إليه الطريق، و حذّروه من الهلكة.

[نهج البلاغة صبحي الصالح الخطبة ۲۲۲].

و منها قوله أيضا:

أمّا بعد فإنّي أوصيكم بتقوى اللّه الّذي منه ابتداء خلقكم، و إليه يكون معادكم و به نجاح طلبتكم، و إليه منتهى رغبتكم، و نحوه قصد سبيلكم، و إليه مرامي مفزعكم فإنّ تقوى اللّه دواء قلوبكم و بصر عمى أفئدتكم و شفاء مرض أجسادكم، و صلاح فساد صدوركم، و طهور دنس أنفسكم، و جلاء عشى أبصاركم و أمن فزع جأشكم، و ضياء سواد ظلمتكم. إلى آخره.

[نهج البلاغة صبحي الصالح الخطبة ۱۹۸].

رسول اللّه نخاف علينا النفاق، قال: فقال: و لم تخافون ذلك؟ قالوا: إذا كنا عندك فذكّرتنا و رغّبتنا، وجلنا و نسينا الدنيا و زهدنا حتّى كأنّا نعاين الآخرة و الجنة و النار و نحن عندك، فإذا خرجنا من عندك و دخلنا هذه البيوت و شممنا الأولاد و رأينا العيال و الأهل يكاد أن نحوّل عن الحال التي كنا عليها عندك و حتى كأنّا لم نكن على شيء أ فتخاف علينا أن يكون ذلك نفاقا؟ فقال لهم رسول اللّه (ص) كلاّ إن هذه خطوات الشيطان فيرغّبكم في الدنيا، و اللّه لو تدومون على الحالة التي وصفتم أنفسكم بها لصافحتكم الملائكة و مشيتم على الماء. [.....]

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ١، ص ٢٧۴

(في بيان من عمل على خلاف التقوى و هو من الذين ختم اللّه على

قلوبهم)

و سيجيء ذكر التقوى أكثر من ذلك في البحث الثّالث الّذي بعد هذا البحث لكن الحقّ تعالى حيث ذكر التّقوى في الآية المتقدّمة و مدح المتّقين الموصوفين بها و ذكر ثمرات تقواهم و مجاهداتهم الّتي هي الأنوار الملكوتيّة و الآثار الجبروتيّة بعد فتح عين بصيرتهم لمطالعة كتابه الآفاقي و الأنفسي مطابقا لما في كتابه القرآني، أراد أن يذكر جماعة هم على عكسهم، في الضّلال و العمى و الكفر و الطّغيان فقال في موضع:

خَتَمَ اللّٰهُ عَلىٰ قُلُوبِهِمْ وَ عَلىٰ سَمْعِهِمْ وَ عَلىٰ أَبْصٰارِهِمْ غِشٰاوَةٌ وَ لَهُمْ عَذٰابٌ عَظِيمٌ [سورة البقرة: ٧]. و قال في موضع آخر:

أَ فَلاٰ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلىٰ قُلُوبٍ أَقْفٰالُهٰا [سورة محمّد: ٣٤]، و قال:

الَّذِينَ كٰانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطٰاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَ كٰانُوا لاٰ يَسْتَطِيعُونَ سَمْعاً [سورة الكهف: ١٠١].

إلى قوله: وَ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَ نَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيٰامَةِ أَعْمىٰ قٰالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمىٰ وَ قَدْ كُنْتُ بَصِيراً قٰالَ كَذٰلِكَ أَتَتْكَ آيٰاتُنٰا فَنَسِيتَهٰا وَ كَذٰلِكَ الْيَوْمَ تُنْسىٰ [سورة طه: ١٢٤- ١٢٦].

و قال تأكيدا لهذا:

وَ مَنْ كٰانَ فِي هٰذِهِ أَعْمىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمىٰ وَ أَضَلُّ سَبِيلاً [سورة الإسراء: ٧٢].

و معلوم أن بين الذكر و العين الباصرة ليست مناسبة بوجه من الوجوه فالمراد بهما العين القلبيّة، و بالغطاء الحجب المانعة لها عن رؤيتها و

مشاهدتها و بالذّكر المعرفة الحاصلة من تلك المشاهدة كشفا و شهودا، و ذلك لأنّ الإعراض عن ذكر اللّه لا يمكن بالعين الباصرة لعدم المناسبة، و كذلك النّسيان المنسوب إليها فإنّ النّسيان من عوارض القلب و عماه كما هو الذّكر من خواصه و لوازمه، و أيضا لو كان المراد بالعمى عمى البصر لكان خارجا عن الحكمة و العدل، أمّا الحكمة فلأنّها تقتضي صدور الأفعال على الوجه الأصلح و الأنفع و ليس من الحكمة إضافة النسيان

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج١، ص ٢٧٥

و الذكر و الإعراض إلى العين الباصرة الّتي ليست هي من شأنها تعالى اللّه عن ذلك علوّا كبيرا، و قطّ لا ينسب (ما نسب) أحد من العقلاء العلم و الجهل إلى الحجر أو الحائط و غير ذلك من الجمادات لأنّ هذا ليس من شأنها، و أمّا العدل فإنّ عدله يقتضي أن يحشر الإنسان في القيامة مستوي الخلقة و القامة و لو كان في الدّنيا ناقصا، و خصوصا إذا كان من أهل الجنة و كان ورعا صالحا فإنه لا يجوز أن يكون هو ناقص الخلقة.

و سلمنا أنه صفة الكفار فيجب أن يكون تمام الخلقة تأكيدا للحجّة عليه مع أنّه مقرّ بأنّه كان بصيرا في الدّنيا فكيف يحشر أعمى من حيث الصّورة بل عماه و حشره عليه يكون من حيث المعنى لا غير، و يعرف هذا من صفة الكفّار في الدنيا لأنّ اللّه تعالى وصفهم بالصمّ و البكم و العمى و بأنّهم لا يعقلون. [هذا في سورة البقرة:

١٧١، مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمٰا لاٰ يَسْمَعُ إِلاّٰ دُعٰاءً وَ نِدٰاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاٰ يَعْقِلُونَ].

و الحال أنّهم يسمعون و ينطقون و يبصرون و يعقلون فيكون حينئذ تقديره: أنّهم لا يسمعون في الحقيقة و لا يبصرون على التّحقيق بعين البصيرة، و كذلك النّطق و التعقّل، و لهذا يقولون في معادهم يوم القيامة:
لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ ما كُنَّا فِي أَصْحابِ السَّعِيرِ [سورة الملك: ۱۰].
و الّذي قال تعالى أيضا:
فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمى‏ وَ أَضَلُّ سَبِيلاً [سورة الإسراء: ۷۲].
مطابق لما سبق من قوله، لأنّ المكلّف إذا رأى نفسه أنّها فارقت الأسباب و الأدوات الّتي كانت يمكن أن تحصل بها نورا يكون سبب افتتاح عين بصيرته، و جلاء قلبه و بقيت على حاله لم يتمكّن من الرّجوع إلى تلك الحالة فلا بدّ و أن يكون أعمى و أضلّ مما كان لعدم الأسباب و الأدوات، و هذا ظاهر جليّ، و لهذا قال إخبارا عن حالهم:
فَيَقُولَ رَبِّ لَوْ لا أَخَّرْتَنِي إِلى‏ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَ أَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ [سورة المنافقون: ۱۰].

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‏۱، ص ۲۷۶

و قال جوابا لهذا السؤال:
وَ لَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْساً إِذا جاءَ أَجَلُها وَ اللَّهُ خَبِيرٌ بِما تَعْمَلُونَ [سورة المنافقون: ۱۱].
و ما اكتفى بذلك بل قال علّة ذلك و سببه و هو قوله:
وَ لَوْ تَرى‏ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقالُوا يا لَيْتَنا نُرَدُّ وَ لا نُكَذِّبَ بِآياتِ رَبِّنا وَ نَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بَلْ بَدا لَهُمْ ما كانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَ لَوْ رُدُّوا لَعادُوا لِما نُهُوا

عَنْهُ وَ إِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ [سورة الأنعام: ٢٧- ٢٨].

جلّ من قائل.

فإنّ الكلّ محض الحكمة و إظهار القوّة و القدرة و اللّه عزيز ذو انتقام.

(بيان الطوائف الثلاث: أصحاب الشمال و اليمين و السابق بالخيرات)

و عند التّحقيق قوله جلّ ذكره:

ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنا مِنْ عِبادِنا فَمِنْهُمْ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ وَ مِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَ مِنْهُمْ سابِقٌ بِالْخَيْراتِ [سورة فاطر: ٣٢].

إشارة إلى الطوائف الثلاث و الكتب الثلاث، لأنّ الظّالم لنفسه يكون المراد به هذه الطائفة المعدودة من أهل الضّلال و العمى، و المقتصد الطّائفة الثّانية المسمّاة بالمحبّين، و السّابق بالخيرات الطائفة الثّالثة المسمّاة بالمحبوبين، فحينئذ مطالعة كتبه الآفاقي و الأنفسي و القرآني على الوجه المذكور تكون مخصوصة بالطّائفتين الأخيرتين دون الأوّل و ذلك صحيح لأنّهم في حكم العميان، و الحكيم لا ينسب إلى العميان مطالعة الكتاب أصلا و إن نسب يكون جهلا، و تصديق هذا التّقسيم يعرف من تقسيم آخر من كتابه و هو قوله:

وَ كُنْتُمْ أَزْواجاً ثَلاثَةً فَأَصْحابُ الْمَيْمَنَةِ ما أَصْحابُ الْمَيْمَنَةِ وَ أَصْحابُ الْمَشْئَمَةِ ما أَصْحابُ الْمَشْئَمَةِ وَ السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولئِكَ الْمُقَرَّبُونَ [سورة الواقعة: ٧- ١١].

لأنّ أصحاب الشّمال في صدد العميان من أهل الضّلال و الطّغيان، و أصحاب

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج١، ص ٢٧٧

اليمين في صدد المقتصد من أهل الكمال و العرفان، و السّابق المقرّب في صدد السابق بالخيرات الّذين هم الأنبياء و الأولياء (ع).

و إلى هذا التّقسيم أشار أيضا أمير المؤمنين (ع) في قوله مخاطبا لكميل بن زياد النّخعي رضي اللّه عنه:

النّاس ثلاثة فعالم ربّانيّ و متعلّم على سبيل النّجاة، و همج رعاع أتباع كلّ ناعق يميلون مع كلّ ريح، لم يستضيئوا بنور العلم و لم يلجئوا إلى ركن وثيق «٥٠».

لأنّ العالم الربّاني في حكم المحبوب و السابق بالخيرات، و المتعلّم على سبيل النّجاة في حكم المحبّ المعلوم و المقتصد، و الهمج في حكم العميان و الظالم لنفسه.

و تقسيم العلماء و المحققين من أرباب التّوحيد موافق لهذا التقسيم أيضا، و هو أنّهم قسّموا الخلق ثلاثة أقسام: عامّ، و خاصّ، و خاصّ الخاصّ، أمّا: أهل بداية، و أهل وسط، و أهل نهاية، و الكلّ صحيح، لأنّ العوام منهم بمثابة الطائفة الأولى من أهل الحيل و الضّلال، و هذا يوافق مرتبة البداية، و الخواصّ بمثابة الطّائفة الثّانية من أهل الكمال و العرفان و هذا يوافق مرتبة الوسط، و خاصّ الخاصّ بمرتبة الطّائفة الثّالثة من الأنبياء و الأولياء (ع) و هذا يوافق مرتبة النّهاية، و سنشير لك في المقدّمات أبسط من ذلك عند بحث الشّريعة و الطّريقة و الحقيقة.

و الغرض من ذلك كلّه أن مطالعة الكتاب الآفاقي و الأنفسي و القرآني من

حيث التأويل و التحقيق موقوفة على افتتاح عين البصيرة بكحل العناية الإلهية إن كان السالك من المحبوبين، و إن كان من المحبين فعلى المجاهدة و الرياضة و التقوى كما قررناه.

و إذا تحقق هذا و تقرر، فلنشرع في بيان التقوى و مراتبها و مدارجها المخصوص بالبحث الثالث و هو هذا، و اللّه أعلم و أحكم و هو يقول الحق و هو

(٥٠) قوله (ع): الناس ثلاثة فعالم رباني، الحديث.

الخصال باب الثلاثة ح ٣٥٧ ص ١٨٦، نهج البلاغة، قصار الحكم ١٤٧.

دستور معالم الحكم للإمام القاضي أبي عبد الله محمد بن سلامة الشافعي المتوفي ٤٥٤، ص ٨٣.

يهدي السبيل.

البحث الثالث في بيان التقوى و مراتبها و مدارجها

اعلم، أن للتقوى مراتب و مدارج و فيها أقوال بحسب الظاهر و الباطن.

أما قول أهل الظاهر فالتقوى عندهم عبارة عن الاجتناب عن محارم اللّه تعالى و القيام بما أوجبه عليهم من التكاليف الشرعية، و المتقي هو الذي يتّقي بصالح عمله عذاب اللّه، و هو مأخوذ من اتّقاء المكروه بما يجعله

حاجزا بينه و بينه، كما يقال:

اتّقى السّهم بالترس، أي جعله حاجزا بينه و بين السّهم.

و أما قول أهل الباطن فالتقوى عندهم عبارة عن الاجتناب المذكور مع ما أحلّ اللّه تعالى عليهم من طيّبات الدنيا و لذاتها على حسب طبقاتها و مراتبها إلا بقدر الضرورة فضلا عن الاجتناب عن محارمه، و الشاهد على ذلك ما أشار إليه سيّد العارفين و إمام المتّقين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع)، بالنسبة إلى نفسه الشريفة في بعض خطبه و هو قوله:

و لو شئت لاهتديت الطريق إلى مصفّى هذا العسل، و لباب هذا القمح، و نسائج هذا القزّ، و لكن هيهات أن يغلبني هواي، و يقودني جشعي إلى تخيّر الأطعمة و لعل بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص، و لا عهد له بالشبع أو أبيت مبطانا و حولي بطون غرثى، و أكباد حرّى، أو أكون كما قال القائل:

و حسبك داء أن تبيت ببطنة　　　و حولك أكباد تحنّ إلى القدّ

أ أقنع من نفسي بأن يقال أمير المؤمنين و لا أشاركهم في مكاره الدهر؟ أو أكون أسوة لهم في جشوبة العيش، فما خلقت ليشغلني أكل الطيّبات كالبهيمة المربوطة همّها علفها، إلى آخره «٥١».

(۵۱) قوله (ع): و لو شئت لاهتديت الطريق، الحديث.

نهج البلاغة صبحي الصالح كتاب ۴۵.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۱، ص ۲۷۹

كما أشار بالنسبة إلى الأنبياء الكبار مثل موسى و عيسى و داود و نبيّنا صلى اللّه عليهم و على أرواحهم و أجسادهم، و هو قوله في خطبة له في نهج البلاغة:

«و لقد كان في رسول اللّه (ص) كاف لك في الأسوة، و دليل لك على ذمّ الدنيا و عيبها، و كثرة مخازيها و مساويها، إذ قبضت عنه أطرافها، و وطّئت لغيره أكنافها، و فطم من رضاعها، و زوى عن زخارفها.

و إن شئت ثنيت بموسى كليم اللّه صلوات اللّه و سلامه عليه، حيث يقول: ربّ إني لما أنزلت إلى من خير فقير.

و اللّه ما سأله إلا خبزا يأكله، لأنه كان يأكل بقلة الأرض، و لقد كانت خضرة البقل ترى من شفيف صفاق بطنه لهزاله و تشذّب لحمه.

و إن شئت ثلّثت بداود صاحب المزامير (ص)، و قارئ أهل الجنة، فلقد كان يعمل سفائف الخوص بيده، و يقول لجلسائه: أيّكم يكفيني بيعها؟ و يأكل قرص الشعير من ثمنها.

و إن شئت قلت في عيسى بن مريم (ع)، فلقد كان يتوسّد الحجر، و يلبس

الخشن، و يأكل الجشب، و كان إدامه الجوع، و سراجه بالليل القمر، و ظلاله في الشتاء مشارق الأرض و مغاربها، و فاكهته و ريحانه ما تنبت الأرض للبهائم، و لم تكن له زوجة تفتنه، و لا ولد يحزنه، و لا مال يلفته، و لا طمع يذلّه، دابّته رجلاه، و خادمه يداه.

فتأسّ بنبيّك الأطيب الأطهر (ص)، فإن فيه أسوة لمن تأسّى، و عزاء لمن تعزّى، و أحب العباد إلى اللّه المتأسّي بنبيّه، و المقتصّ لأثره، قضم الدنيا قضما، و لم يعرها طرفا، أهضم أهل الدنيا كشحا، و أخمصهم من الدنيا بطنا، إلى قوله:

فإن اللّه جعل محمّدا (ص) علما للساعة، و مبشّرا بالجنة، و منذرا بالعقوبة، خرج من الدنيا خميصا، و ورد الآخرة سليما، لم يضع حجرا على حجر حتى مضى لسبيله، و أجاب داعي ربّه، فما أعظم منّة اللّه عندنا حين أنعم علينا به سلفا نتّبعه، و قائدا نطأ عقبه، و اللّه لقد رقعت مدرعتي هذه حتى استحييت من راقعها، و لقد قال لي قائل:

ألا تنبذها عنك، فقلت أغرب عنّي، فعند الصباح يحمد القوم السّرى». [نهج البلاغة، خطبة ١٦٠ صبحي و ١٥٩ فيض].

و مثل ذلك في كلامه كثير، و له خطب كثيرة مخصوصة ببحث التقوى، و ليس يحتمل هذا المكان غير هذا و الغرض أن كمال التقوى في ترك الحلال و ترك الدنيا لا في ترك الحرام و طلب الدنيا.

و حيث تحقق هذا و عرفت مقصدنا فيه، فاعلم، أن للتقوى عشر مراتب من

حيث التفصيل و ترتيب السلوك و تطبيقها بالمقامات العشرة التي هي: البدايات، و الأبواب، و المعاملات، و الأخلاق، و الأصول، و الأودية، و الأحوال، و الولايات، و الحقائق، و النّهايات.

و ثلاث مراتب من حيث الإجمال و مراتب الخلق و تطبيقهم بها، أما الإجمال فمرتبة العوام، و مرتبة الخواص، و مرتبة خاص الخاص أعني المبتدي، و المتوسط، و المنتهي، لأن الخلق بأسرهم لا يخرجون عن هذا الحصر كما أشرنا إليه الآن، و قوله تعالى:

لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَ آمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَ أَحْسَنُوا وَ اللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ [سورة المائدة: ٩٣].

إشارة إلى هذه المراتب الثلاث لأن قوله: ليس على الذين آمنوا إلى قوله: و عملوا الصالحات، إشارة إلى تقوى العوام و أهل البداية من عموم المسلمين و المتّقين و أنه ليس عليهم جناح فيما طعموا أي فيما فعلوا إذا ما اتّقوا و آمنوا و عملوا الصالحات، و تقديره أي ليس على الذين آمنوا بحسب التقليد أو التصديق القلبي جناح أي عتاب و خطاب فيما فعلوا من الصغائر بالجهل أو الغفلة التي هي إضافة الأفعال إلى غير الحقّ إذا ما اتّقوا بعده بالتوبة و الرجوع من رؤية أفعال الغير و آمنوا بشهود الأفعال من فاعل مطلق، ثمّ عملوا الصالحات أي عملوا الأعمال القلبية دون القالبيّة التي هي التوكل و التسليم و الرضا و وصلوا بها إلى التوحيد الفعلي و أثبتوا عليه و قالوا: لا فاعل إلا هو، و إلى هذا أشار النبيّ (ص) في دعائه:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج١، ص ٢٨١

(في الإشارة إلى التوحيدات الثّلاث: الفعلي و الوصفي و الذّاتي)

«أعوذ بعفوك من عقابك» «٥٢».

و هذا بالاتفاق إشارة إلى التوحيد الفعلي، و قوله تعالى: ثم اتقوا و آمنوا، إشارة إلى الإيمان الحقيقي دون التقليدي الذي هو مقام الخواص و المتوسطين من أهل السلوك على طريقة المحبة بقدم التقوى.

الثانية التي هي رؤية صفة واحدة و العمل بموجبها التي هي الاتقاء عن رؤية صفات الغير مطلقا، و شهود صفات الحق وحدها و الوصول إلى التوحيد الصفاتي المشار إليه في قول النبي (ص).

«أعوذ برضاك من سخطك».

لأن هذا أيضا إشارة إلى التوحيد الصفاتي، و قوله تعالى:

ثُمَّ اتَّقَوْا وَ أَحْسَنُوا وَ اللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ [سورة المائدة: ٩٣].

إشارة إلى التقوى الحقيقية و الإيمان الكشفي الشهودي الذي هو مقام خاصّ الخاصّ و أهل النهاية من أهل اللّه الواصلين إلى جناب عزّته لقوله فيهم:

أُولٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا [سورة الأنفال: ٤].

(٥٢) قوله (ص): أعوذ بعفوك من عقابك إلى آخر الفقرات.

قال في عوالي اللئالي ج ٤، ص ١١٤.

و روى في الحديث أنه لما نزل قوله تعالى: و أسجد و أقترب، سجد النبي (ص) فقال في سجوده: أعوذ برضاك من سخطك، و بمعافاتك من عقوبتك، و أعوذ بك منك، لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك.

و رواه مستدرك الوسائل ج ٤، ص ٣٢١، باب ٣٩ باب استحباب الدعاء في سجود التلاوة بالمأثور ح ٢، نقلا عن العوالي. رواه أيضا أحمد بن حنبل بإسناده عن علي (ع) ج ١ ص ٩٦ و ١١٨ و ١٥٠، و ج ٦، ص ٥٨ و ص ٢٠٠.

و رواه مسلم في صحيحة كتاب الصلاة باب ٤٢، ح ٢٢٢، ص ٣٥٢ بإسناده عن عائشة.

و رواه أيضا بإسناده عن عائشة في سنن ابن ماجة ج ٢ كتاب الدعاء باب ٣، ح ٣٨٤١، ص ١٢٦٢.

أقول: الدعاء مرويّ أيضا عن الصادق (ع) في دعائه عند حضور شهر رمضان، رواه بتمامه ابن طاوس (ره) في إقبال الأعمال ص ٤٨ فراجع.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج١، ص ٢٨٢

لأنها إشارة إلى اتقاء العارف عن شهود وجود الغير مطلقا المسمّى بالتوحيد الذاتي، لقول النبي (ص) فيه: «أعوذ بك منك».

(في بيان معنى الإحسان)

لأن هذا بلا خلاف إشارة إلى التوحيد الذاتي، و ذلك لو لم يكن كذلك لم يقيده بالإحسان، لأن الإحسان عبارة عن مشاهدة الحق في مظاهر الأسماء و الصفات المسماة باللقاء و الرؤية و غير ذلك، لقول النبي (ص) حين سئل عن الإحسان:

«ان تعبد اللّه كأنك تراه و إن لم تكن تراه فإنه يراك» «۵۳».

و عند التحقق عن هذه المشاهدة في المراتب الثلاث، أخبر إبراهيم (ع):

فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأىٰ كَوْكَباً قٰالَ هٰذٰا رَبِّي إلى آخره. [سورة الأنعام: ۷۶].

و سيجيء بيانه في موضعه إن شاء اللّه. و لهذا قال عقيب مشاهدته:

وَ كَذٰلِكَ نُرِي إِبْرٰاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ وَ لِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ [سورة الأنعام: ۷۵].

و مقام الإحسان لو لم يكن مقام المشاهدة ما ذكره بعد التوحيدات الثلاث و اتقاءات الثلاث التي هي من نهاية المقامات كلها و إلى منكري هذه المراتب و جاحديها أشار بقوله أيضا في المراتب الثلاث و قال:

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدٰادُوا كُفْراً لَمْ يَكُنِ اللّٰهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَ لاٰ لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلاً بَشِّرِ الْمُنٰافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذٰاباً أَلِيماً [سورة

---

(۵۳) قوله (ص): ان تعبد اللّه كأنك تراه.

رواه أيضا ابن العربي في الفصّ الشعيبي ص ۱۲۳ عفيفي، و شرح فصوص القيصري ص ۲۸۲، و رواه الكليني في أصول الكافي باب الخوف و الرجاء مع اختلاف العبارات بإسناده عن إسحاق بن عمّار قال: قال أبو عبد اللّه (ع) يا إسحاق خف اللّه كأنّك تراه و إن كنت لا تراه فإنّه يراك، فإن كنت ترى أنّه لا يراك فقد كفرت، و إن كنت تعلم أنّه يراك ثمّ برزت له بالمعصية فقد جعلته من أهون الناظرين عليك (إليك) ج ۲، ص ۶۷، حديث ۲.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج١، ص ٢٨٣

النساء: ١٣٧- ١٣٨].

لأنّ الإيمان الأوّل، إيمان بالشريعة و التوحيد الفعلي و كفر به بعد الايمان، و الإيمان الثاني إيمان بالطريقة و التوحيد الوصفي و كفر به، و الإيمان الثابت إيمان بالحقيقة و التوحيد الذّاتي و كفر به و لهذا وصفه بالزّيادة لأنّه في آخر المراتب و بإزاء التّوحيد الذّاتي الذي هو نهاية المراتب كلّها، و ليس خلاف عند المحقّقين من أرباب التوحيد، إنّ من أنكر التوحيدات الثلاث الحاصلة من التقوى في المراتب الثلاث فهو كمن أنكر الشريعة و الطريقة و الحقيقة، لأنّ التوحيد الفعلي من مقتضى مقام أهل الشريعة، و التوحيد الوصفي من مقتضى مقام أهل الطريقة، و التوحيد الذاتي من مقتضى مقام أهل الحقيقة، و بالحقيقة منكر الشريعة و الطريقة و الحقيقة و هو منكر النبوّة و الرسالة و الولاية، لأنّ الشريعة من اقتضاء الرسالة، و الطريقة من اقتضاء النبوّة، و الحقيقة من اقتضاء الولاية، و المنكر لهذه المراتب مطلقا فهو كافر مطلقا، نعوذ باللّه منه و من أمثاله، و هنا أبحاث كثيرة ستعرفها في موضعها إن شاء اللّه و هي عند بحث الشريعة و الطريقة و الحقيقة، و بحث التوحيد الفعلي و الوصفي و الذّاتي في المقدّمتين اللّتين هما، السادسة و السابعة.

(بيان المراتب العشر للتقوى)

و إذا عرفت مراتب التقوى في الدرجات الثلاث إجمالا فيجب عليك أن تعرف مراتبها في الدرجات العشر تفصيلا.

فنقول: اعلم أن التقوى في المرتبة الأولى عبارة عن الاجتناب من المحارم الشرعية مطلقا، و في المرتبة الثانية عن المحلّلات الشرعية إلا بقدر الضرورة، الثالثة عن الرياء مع الإخلاص، الرابعة عن الكثرة في الوحدة، الخامسة عن التفرقة مع الجمعة، السادسة عن الشك مع اليقين، السابعة عن الشرك مع التوحيد، الثامنة عن الوقوف مع ظواهر القرآن دون بواطنه، التاسعة عن رؤية النفس مع مشاهدة الرب، العاشرة عن مشاهدة الوجودات المقيدة مع الوجود المطلق أعني عن مشاهدة وجود الخلق مع وجود الحق.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۱، ص ۲۸۴

(في الإشارة إلى الشّرك الجليّ و الشّرك الخفيّ)

و المراد من هذا المجموع هو الأخير لأن حق التقوى في مشاهدته و معرفته هو الاتقاء عن مشاهدة الغير كما قال:

يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقٰاتِهِ وَ لاٰ تَمُوتُنَّ إِلاّٰ وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ [سورة آل عمران: ۱۰۲].

أي و لا تموتن إلا و أنتم مسلمون بهذا الإسلام، متّقون بهذه التقوى، لأن كل من لم يمت على هذا الإسلام و التقوى فهو يموت مشركا بالشرك الخفي الذي هو أعظم الشرك و أرداه، و عن خفائه و كمونه في المؤمنين و المسلمين دون الكافرين و المشركين أخبر اللّه تعالى بقوله:

وَ مٰا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلاّٰ وَ هُمْ مُشْرِكُونَ [سورة يوسف: ۱۰۶].

و كذلك النبي (ص) في قوله:

«دبيب الشرك في أمّتي أخفى من دبيب النملة السوداء على الصخرة الصّماء في الليلة الظلماء» «٥٤».

و معلوم أن الكافر و المشرك ما له دخل في هذا الشرك لأن الشرك الجلي

---

(٥٤) قوله (ص): دبيب الشّرك في أمتي أخفي الخ.

عوالي اللئالي ج ٢، ص ٧٤ رقم الحديث ١٩٨ و رواه أيضا مع تفاوت في العبارة، المستدرك ج ١، ص ١١٣ رقم الحديث ١٢٦، ١٣٠ أبواب مقدمة العبادات باب ١٢.

و أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده ج ٤، ص ٤٠٣ بإسناده عن أبي علي رجل من بني كامل، عن رسول اللّه (ص) أنه قال في خطبة: أيها الناس اتّقوا هذا الشرك فإنه أخفى من دبيب النمل، فقال له من شاء اللّه أن يقول: و كيف نتّقيه و هو أخفى من دبيب النمل يا رسول اللّه؟! قال: قولوا اللّهم إنّا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئا نعلمه و نستغفرك لما لا نعلم.

و رواه أيضا الطبرسي في تفسيره مجمع البيان ج ٤، ص ٣٤٧ في تفسير قوله تعالى **وَ لاٰ تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ [سورة الأنعام، الآية: ١٠٨].**

قال: سئل أبو عبد الله (ع) عن قول النبي (ص): إن الشرك أخفى من دبيب النمل على صفوانة سوداء في ليلة ظلماء، فقال كان المؤمنون يسبّون ما يعبد المشركون من دون اللّه، فكان المشركون يسبّون ما يعبد المؤمنون فنهى اللّه المؤمنين عن سبّ آلهتهم لكيلا يسبّ الكفار إله المؤمنين، فكان المؤمنون قد أشركوا من حيث لا يعلمون.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۱، ص ۲۸۵

و الإيمان لا يجتمعان أصلا فلم يبق إلا الشرك الخفي الذي يجتمع مع الإسلام و الإيمان، بحكم قوله تعالى: و قول نبيه ثم أكد ذلك القول بأبلغ منه و قال:

فَمَنْ كٰانَ يَرْجُوا لِقٰاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صٰالِحاً وَ لاٰ يُشْرِكْ بِعِبٰادَةِ رَبِّهِ أَحَداً [سورة الكهف: ۱۱۰].

و المراد به الشرك الخفي لأنه لو كان الشرك الجلّي لكان يقول: و لا يشرك بربه أحدا، فحيث ما قال هذا و قال: بعبادة ربه، عرفنا أن المراد به الشرك الخفي لأن المشرك بالشرك الجلّي ليس له عبادة و لا طاعة، كما هو مقرر في الأصول حتى يكون صالحا و غير صالح.

و بحث الشرك الجلي و الخفي و التوحيد الألوهي و الوجودي و الإسلام المجازي و الحقيقي سيجيء في موضعه مستوفى إن شاء اللّه.

و إذا عرفت حقيقة التقوى فنرجع إلى الغرض و نقول: اعلم أنه لو لم يكن مشاهدة الحق في مظاهره الآفاقيّة و الأنفسية المسمّاة بالكلمات و الآيات موقوفة على التقوى ما قيّد هداية كتابه بالمتقين دون غيرهم في قوله:

الم ذٰلِكَ الْكِتٰابُ لاٰ رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ [سورة البقرة: ۳].

لأن كتابه في الحقيقة ليس إلاّ هدى للعالمين، فتقييده بالمتّقين لا بدّ له من فائدة و حكمة و إلاّ كان عبثا، و العبث على اللّه تعالى محال و تلك الفائدة ليست إلا الهداية المذكورة المخصوصة بالمتّقين من أرباب التوحيد كما تعرفه و ستعرفه، و بناء على هذا المكان يحتاج إلى تحقيق ثلاثة أشياء

أوّلها الكتاب و قد سبق تحقيقه، و ثانيها إلى التقوى و قد عرفت معناها، و ثالثها إلى الهداية و قد تكلمنا فيها إجمالا. و أمّا التفصيل:

(في بيان الهداية و مراتبها و معانيها)

فاعلم، أن فيها أقوال:

فقول أهل الظاهر، و هو أنّهم قالوا هداية اللّه تعالى للإنسان على أربعة أوجه:

الأوّل: الهداية التي عمّ بجنسها كل مكلّف من العقل، و الفطنة، و إراحة

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‏١، ص ٢٨٦

العلّة، و نصب الأدلّة.

الثاني: الهداية التي جعل للإنسان بدعائه إيّاه على ألسنة الأنبياء و الأولياء و إنزال الفرقان، نحو قوله:

و إنك لتهدي إلى صراط مستقيم.

الثالث: اللطف الخاص الذي يخصّ به من سلك طريق السعادة الأخرويّة و هو المعنى بقوله:

وَ الَّذِينَ اهْتَدَوْا زادَهُمْ هُدىً [سورة محمد: ١٧].

و قوله: وَ مَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ [سورة التغابن: ١١].

الرابع: الهداية في الآخرة إلى الجنة للثواب، في قوله:

سَيَهْدِيهِمْ وَ يُصْلِحُ بالَهُمْ وَ يُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ [سورة محمد (ص): ٥- ٦].

ثم قالوا: إنّ قوله:

هُدىً لِلْمُتَّقِينَ [سورة البقرة: ٢].

معناه أن القرآن نور و ضياء و دلالة للمتّقين من الضلال و إنما خصّ المتقين

بذلك لأنهم هم المنتفعون بالقرآن دون الجاحدين، و إن كان القرآن لطفا للمؤمنين و الكافرين إلا أن الكافرين لما جحدوا آيات اللّه فوّتوا على أنفسهم اللطف، فكأنّهم لا لطف لهم في القرآن و هذا كقوله:

إِنَّمٰا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشٰاهٰا [سورة النّازعات: ٤٥].

و النبي كان منذرا للمؤمن و الكافر، و الذي يخشى و الذي ما يخشى، و هاهنا دقيقة لطيفة بالنسبة إلى الوجه الرابع لا بد منها و هي أنه نسب الهداية الرابعة إلى الهداية إلى الجنة و الثواب، و هذا بعيد عن الحق و خارج عن الأصول لأن دخول الجنة عند البعض ليس إلا بالإيمان، و عند البعض بالإيمان مع الأعمال الصالحة و على كلا التقديرين إذا حصل الا ثنان وجب الدخول في الجنة بلا خلاف و ليس صاحبها يحتاج إلى هداية و إرشاد إليها، و إن لم يكن كذلك و يكون الحال بالعكس، فلا هداية و لا جنّة و لا ثواب، لقوله تعالى:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۱، ص ۲۸۷

وَ قَدِمْنٰا إِلىٰ مٰا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنٰاهُ هَبٰاءً مَنْثُوراً [سورة الفرقان: ٢٣].

أي جعلناه هباء منثورا لعدم الإيمان الذي هو الأصل في هذا الباب و معلوم أن الفرع بغير الأصل لا اعتبار له عند أهل الأصول، فالهداية حينئذ لا تصح نسبتها إلى الآخرة، لأن الآخرة دار جزاء لا دار عمل، فيكون تقدير قوله تعالى بناء على هذا: إنه يقول: سيهديهم ربّهم و يصلح بالهم في الدنيا و يدخلهم الجنّة بسبب ذلك، و هذا صحيح لأن السين فيه للاستعجال لا للاستقبال و يعضد ذلك أيضا قوله:

وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَ نُدْخِلُهُمْ ظِلاًّ ظَلِيلاً [سورة النساء: ٥٧].

و هذا مضى.

و أما قول أهل الباطن، فالهداية عندهم على ثلاثة أقسام: هداية العام، و هداية الخاص، و هداية الأخص، أما هداية العام فبالإسلام و الإيمان، و أما هداية الخاص فبالإيقان و الإحسان، و أما هداية الأخص، فبالكشف و المشاهدة من حيث العيان، و قالوا: الهداية تكون على قدر التقوى، و التقوى على ثلاثة أوجه، فتكون الهداية كذلك، أما تقوى العام فعن الشرك و الكفران، و أما تقوى الخاصّ فعن الذنوب و العصيان، و أما تقوى الأخص فعن ملاحظة غير الرّحمن، و هذا على طريق السلف.

و أما على قاعدة المتأخرين و المختار عندنا: فالهداية الحقيقية هي الهداية من الكثرة إلى الوحدة، و من التفرقة إلى الجمعية، و من الشرك إلى التوحيد، و من الشك إلى اليقين، و من الرياء إلى الإخلاص، و من الوجودات المقيّدة إلى الوجود المطلق، و من مشاهدة الخلق إلى مشاهدة الحقّ، و من معرفة النّفس إلى معرفة الرّب، و من معرفة القرآن إلى معرفة الفرقان، و من البقاء إلى الفناء، و من الصفات إلى الذّات، و هذه كلّها موقوفة على التقوى التي أدناها الاتّقاء عن

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ١، ص ٢٨٨

المحرّمات الشرعية، و أعلاها الاتّقاء عن رؤية وجود الغير مطلقا.

(في بيان المراد من الكتاب في الآيات)

و إذا تقرر هذا كله، اعلم أن مراده تعالى بالكتاب في قوله:

الم ذٰلِكَ الْكِتٰابُ لاٰ رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ [سورة البقرة: ٣].

الكتاب الكبير الآفاقي الجامع للكتاب الإنساني الصغير كما مرّ تقريرهما، و مراده بالهداية، الهداية التي هي الهداية من الكثرة إلى الوحدة و من المقيّد إلى المطلق، و مراده بالتقوى، التقوى الحقيقية التي هي الاتقاء عن رؤية وجود الغير مع وجود الحق، لأن غير هذا الكتاب و الكتاب الذي في ضمنه ليس له صلاحية هذا المعنى، و هذا أيضا لاشتماله على الكتاب المذكور لأن كل واحد منهما له هذه الصلاحية لقوله:

قُلْ فَأْتُوا بِكِتٰابٍ مِنْ عِنْدِ اللهِ هُوَ أَهْدىٰ مِنْهُمٰا أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صٰادِقِينَ [سورة القصص: ٤٩].

و على هذا التقدير يكون معناه، انه تعالى يقول: الم ذلك الكتاب، أي بحق ذاتي و ذات وليّي و ذات نبيّي، لأن هذه الحروف الثلاث بإزاء هذه الذّوات الثلاث، أن ذلك الكتاب المعهود في ذهنك من الأزل الذي هو الكتاب الكبير ليس فيه شك أنّه هدى للمتقين، أي سبب هداية المتقين إلى مشاهدة ذاتي و صفاتي و أفعالي في مظاهري العلوية و السفلية و ما بينهما، فإن من لم يتق في طريق معرفتي و مشاهدتي عن رؤية الغير، ليس بمؤمن حقيقي و لا بمسلم يقينيّ و لا دخل له في زمرة المتقين المذكورين أبدا، و لهذا شرعت في أوصافهم بعد هذا و قلت:

الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَ يُقِيمُونَ الصَّلاٰةَ، وَ مِمّٰا رَزَقْنٰاهُمْ يُنْفِقُونَ. وَ الَّذِينَ

يُؤْمِنُونَ بِما أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَ ما أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ. أُولئِكَ عَلى هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ وَ أُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ [سورة البقرة: ٣- ٥].
لئلاّ يشتبه على أحد من العارفين حالهم، و معناه، أي الذين يؤمنون بما غاب عنهم من القيامة و الملائكة و الجنة و النار و الحشر و النشر، و الأسرار الملكو تية،

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج١، ص ٢٨٩

و الآثار الجبرو تية، و غير ذلك من الغيوب، و يقيمون الصلاة الحقيقية التي هي التوجه الكلّي إلى جنابي، و الإقبال الحقيقي إلى كعبة ذاتي، لقولي فيهم: الَّذِينَ هُمْ عَلى صَلاٰتِهِمْ دائِمُونَ [سورة المعارج: ٢٣].
لأنهم دائما في توجّههم إلينا و تبتّلهم لدينا، و ممّا رزقناهم ينفقون، أي مما رزقناهم من العلوم و الحقائق و المعارف و الدقائق ينفقون على المستعدين من عبادي و المستحقين من طلاّبي، و يؤمنون بما أنزل إليك من كتابي الذي هو القرآن، و بما أنزل من قبلك الذي هو التوراة و الإنجيل، و يوقنون بالآخرة، أي يوقنون بوقوعها ساعة فساعة من كمال صدقهم بأقوالي و قوة إيمانهم بأفعالي، أولئك على هدى منّي و أولئك هم المفلحون من عبادي، أي أولئك على هدى حقيقته منّي، التي هي الهداية إلى مشاهدة ذاتي و صفاتي في مظاهر أسمائي، و كمالاتي، و أولئك هم المفلحون أي المحجوبون من بين عبادي من حجاب البعد و الحرمان، و ظلمة الكفر و الطغيان، ببركة المشاهدة الحاصلة لهم، بطريق الكشف و الفيضان، و ذلك فضل اللّه يؤتيه من يشاء، و اللّه ذو الفضل العظيم.

و سيجيء بحث هذا الكتاب في المقدّمة الثانية مستوفى، فإنّ فيه اختلاف كثير و هو عند البعض إشارة إلى القرآن، و عند البعض إلى التوراة و الإنجيل، و عند البعض إلى اللّوح المحفوظ، و عند البعض إلى الجفر و الجامعة، و عند البعض إلى الوجود المضاف الإمكاني المطابق إلى ما ذهبنا إليه.

و كذلك الم، فإنّه عند البعض قسم، و عند البعض اسم، و عند البعض صفة، و عند البعض عدد، و عند البعض، الألف إشارة إلى الذات الأحديّة، و اللّام إلى جبرئيل (ع)، و الميم إلى محمّد (ص)، و عند البعض الألف إشارة إلى الذات الإلهية، و اللام إلى الولي المطلق، و الميم إلى النبيّ المطلق، و هو الذي نحن ذهبنا إليه، و ذكرناه الآن مجملا و سنذكره مفصّلا.

و عند الشيخ نجم الدين الرازي قدّس اللّه سرّه، الألف إشارة إلى القيام في الصلاة، و اللام إلى الركوع، و الميم إلى السجود، و الكتاب إشارة إلى فاتحة الكتاب، لأنّها أمّ الكتاب، و قال: يجوز أن يكون إشارة إلى كتاب العهد الذي أخذ يوم الميثاق، بإقرار العبد على التوحيد ليوم التلاق. و قال: يدل على هذا قرينة ألم لأن الألف و اللّام حرفان مقدّمان من قوله: أ لست و الميم المؤخّر منه حرف الآخر من قوله: بربّكم و معناه، إنّي في عهد أ لست بربّكم، أخذت منكم ذلك الكتاب في الميثاق على التوحيد و الربوبية و على

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‏١، ص ٢٩٠

العبودية بالعبادة لي دون غيري لقولي فيه:

أَ لَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ وَ أَنِ اعْبُدُونِي هذا صِراطٌ مُسْتَقِيمٌ [سورة يس: ٦٠- ٦١].

فيجب عليكم الوفاء به و القيام بما جرى فيه، و هذا الكلام و إن كان حقا لكن بعيد عن المقصود الحقيقي و المراد الذي نحن فيه.

و الغرض من ذكر غيره تعيين الاختلاف و تحقيق الاستعداد و إذا تحقّق هذا، فنرجع و نقول: اعلم، أنّه قد تقرّر لك المراد بهذا الكتاب، الكتاب الآفاقي، و أنّ قراءته موقوفة على التقوى للسالك الذي يكون على قدم المحبيّة دون المحبوبيّة، فحينئذ عليك بالتقوى ليحصل لك مطالعة هذا الكتاب على ما هو عليه و يحصل بسببه مشاهدة الحق تعالى، في ضمن آياته و كلماته و حروفه المسمّاة بالموجودات و المخلوقات كما مرّ تقريره مرارا، و نقول مرّة أخرى و هو أنّ اللّه تعالى يقول:

(في معنى القرآن و الفرقان)

إِنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقاناً [سورة الأنفال: ٢٩].

و الفرقان هو القرآن عند البعض و القرآن مقام الجمعيّة الإلهيّة المشار إلى التوحيد الجمعي المحمّدي. و عند البعض الفرقان علم فارق بين الكثرة و الوحدة و الإجمال و التفصيل و الجمع و التفرقة و هو مقام التوحيد التفصيلي الأسمائي الهادي إلى مشاهدة الحق في مظاهر صفاته و كمالاته، و معناه أنّه يقول لعبيده:

إن اتّقيتم و احترزتم في طريق معرفتي و توحيدي و مقام شهودي و عياني عن مشاهدة الغير مطلقا، فقد هديتكم إلى علم الفرقان بعد القرآن و مطالعة الكتاب الآفاقي بعد الكتاب القرآني، و وهبتكم علما كاشفا بين الحقّ و الباطل و نظرا جامعا بين الكثرة و الوحدة، و فهما فارقا بين الحقّ و الخلق

بمقتضى قوله:
وَ عَلَّمَكَ مٰا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ [سورة النساء: ١١٣].
و حصل لكم الإخراج من ظلمات الشكوك و الشّبهات، و الخلاص من ورطات الجهل و الغفلات، بمصداق قولي أيضا:
وَ مَنْ يَتَّقِ اللّٰهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَ يَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاٰ يَحْتَسِبُ [سورة

الطلاق: ٢، ٣].
و ذلك لأن من حصل له مطالعة القرآن على ما هو عليه في نفس الأمر، حصل له مطالعة الفرقان على ما هو عليه في نفس الأمر، أعني من حصل له مطالعة كتابه الأنفسي الذي هو القرآن حقيقة، لقولهم: أنا القرآن الناطق. [قد مرّ بيانه في التعليقة ٢١ فراجع] و لقولهم:

أنا القرآن و السبع المثاني و روح الروح لا روح الأواني

حصل له مطالعة الكتاب الآفاقي الذي هو الفرقان حقيقة، لقوله:
إِنْ تَتَّقُوا اللّٰهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقٰاناً [سورة الأنفال: ٢٩].
و من حصل له هذا صعد من درجة الإجمال إلى التفصيل و من درجة الوحدة إلى الكثرة و من درجة الذات إلى الأسماء و الصفات و من درجة الجمعية إلى التفرقة و جمع بين كل مرتبتين منهما بحث لا يحتجب بأحدهما عن الآخر، و لا يخالف الأول الآخر، و لا الظاهر الباطن، و لا

الكثرة الوحدة، و لا الجمع التفرقة، و صار به كاملا، مكمّلا، عارفا، موحدا، محقّقا، واصلا مقام الاستقامة و التمكّن، متخلّقا بأخلاق الحق و أرباب اليقين، و حصل له من أهل اللّه و أرباب التوحيد الدرجة العليا و الغاية القصوى، المعبّر عنها بأحديّة الفرق بعد الجمع المشار إليها: ليس وراء عبّادان قرية.

و إليها أشار الشيخ الأعظم قدس سرّه في قوله: إيّاكم و الجمع و التفرقة، فإن الأول يورث الزندقة و الإلحاد، و الثاني تعطيل الفاعل المطلق، و عليكم بهما، فإنّ جامعهما موحّد حقيقيّ و هو المسمّى بجمع الجمع، و جامع الجمع، و له المرتبة العليا و الغاية القصوى.

(المراتب الثلاث: ذو العقل، ذو العين، ذو العقل و العين)

و إلى هذه المشاهدة الجمعيّة المحمّدية في المراتب الثلاث، أشار الشيخ الكامل كمال الدين عبد الرزاق قدس اللّه سره في اصطلاحات القوم و سمّى صاحبها في المرتبة الأولى ذو العقل، و في المرتبة الثانية ذو العين، و في المرتبة الثالثة ذو العقل و العين، و هو قوله:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ١، ص ٢٩٢

ذو العقل، هو الذي يرى الخلق ظاهرا و يرى الحق باطنا، فيكون الحق عنده مرآة للخلق لاحتجاب المرآة بالصورة الظاهرة فيه احتجاب المطلق بالمقيّد.

ذو العين، هو الذي يرى الحق ظاهرا و الخلق باطنا، فيكون الخلق عنده مرآة الحق، لظهور الحق عنده و اختفاء الخلق فيه اختفاء المرآة بالصورة.

ذو العقل و العين، هو الذي يرى الحق في الخلق و الخلق في الحق، و لا

يحتجب بأحدهما عن الآخر، بل يرى الوجود الواحد بعينه حقّا من وجه، و خلقا من وجه، فلا يحتجب بالكثرة عن شهود الوجه الواحد الأحد، و لا يزاحم في شهوده كثرة المظاهر، أحديّة الذات التي يتجلّى فيها، و لا يحتجب بأحديّة وجه الحق عن شهود الكثرة الخلقيّة، و لا يزاحم في شهوده أحديّة الذات المتجلّية في المجالي كثرتها «۵۵».

و الحقّ أن هذا نظر شريف و تقسيم لطيف حسن، و إلى المراتب الثلاث أشار العارف (محيي الدين العربي) نظما و هو قوله:

ففي الخلق عين الحق إن كنت ذا عين

و في الحق عين الخلق إن كنت ذا عقل

و إن كنت ذا عين و عقل فما ترى

سوى عين شيء واحد فيه بالشكل

«۵٦» هذا آخر ما أردنا إيراده من بحث التأويل و تعريفه و بحث كيفيّة القراءة بالنسبة إلى الكتاب الآفاقي و الكتاب الأنفسي و الجامع بينهما الذي

هو القرآن، و بحث الأسباب لهذه القراءة، من التقوى و الرياضة و الهداية الحاصلة منهما، و حيث تحقق هذا، فلنشرع في الوجه الثاني، و بحث وجوب هذا التأويل و هو هذا:

---

(٥٥) قوله: أشار الشيخ الكامل كمال الدين عبد الرزاق، أشار به في رسالة الاصطلاحات المطبوعة في حاشية شرح منازل السائرين ص ١٧٩.

(٥٦) قوله: ففي الخلق عين الحق إن كنت عين الخ.

من أشعار صاحب الفتوحات، الفتوحات ج ٢، ص ٢٩٠.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ١، ص ٢٩٣

الوجه الثاني في بيان وجوب التأويل عقلا و نقلا، و التمسك فيه بقول اللّه تعالى و قول أنبيائه و أوليائه (ع)

اعلم أن هذا الوجه مشتمل على بيان وجوب التأويل عقلا و نقلا، و الاستشهاد فيه بقول اللّه تعالى، ثم بقول أنبيائه، ثم بقول أوليائه، ثم بقول المشايخ رضوان اللّه عليهم أجمعين.

أما قول اللّه تعالى، فالذي قال:

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتٰابَ مِنْهُ آيٰاتٌ مُحْكَمٰاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتٰابِ وَ أُخَرُ مُتَشٰابِهٰاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مٰا تَشٰابَهَ مِنْهُ ابْتِغٰاءَ الْفِتْنَةِ وَ ابْتِغٰاءَ تَأْوِيلِهِ وَ مٰا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّٰهُ وَ الرّٰاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنّٰا بِهِ

كلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا وَ ما يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولوا الأَلْبابِ [سورة آل عمران: ۷].

و الذي قال:

وَ لَقَدْ جِئْناهُمْ بِكِتابٍ فَصَّلْناهُ عَلى عِلْمٍ هُدىً وَ رَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جاءَتْ رُسُلُ رَبِّنا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنا مِنْ شُفَعاءَ فَيَشْفَعُوا لَنا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَ ضَلَّ عَنْهُمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ [سورة الأعراف: ۵۲-۵۳].

لأن هذين القولين من أعظم الدلالات على وجوب التأويل، فإن القول الأول، يشهد بأن التأويل واجب، لكن يشير إلى أن التأويل على قسمين كما سبقت الإشارة إليهما: الأول تأويل للفتنة و الفساد في الدين و الاعتقاد، و هو تأويل أهل الزّيغ و الضلال الذين يأخذون المتشابهات دون المحكمات، و يأوّلون على آرائهم و اعتقادهم.

و الثاني: تأويل للخير و الصواب و الهداية و الإرشاد، و هو تأويل أهل العلم و أرباب الكمال من العلماء الرّاسخين في العلوم الإلهيّة الذين يأخذون المحكم أصلا و المتشابه فرعا، و يوافقون بينهما و يأوّلونهما على الوجه الذي ينبغي، و على

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‌۱، ص ۲۹۴

القاعدة التي أمرهم اللّه تعالى بها، كما قال: وَ ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ و ذلك لكمال رسوخهم في العلم الإلهي، و حسن تصرفهم في الكلام الرباني، فبناء على هذا كما يجب على الإنسان العاقل

البالغ المكلف ترك القسم الأوّل، يجب عليه القيام بالقسم الثاني على وجه لا يلزم منه الفساد المذكور ليدخل به في العلماء الراسخين، و يشارك مع ربه في تأويل كلامه على الوجه المأمور، و الدليل على ذلك ما مرّ في الوجه الأوّل، و هو أن العلماء عرفوا حقيقة أن القرآن لو فسّروه على الظاهر للزم منه فساد كثير، من التشبيه و التجسيم و غير ذلك، فوجب عليهم تأويله تنزيها للحق و تعظيما له.

و القول الثاني، أيضا يشهد بأن التأويل واجب، لكن يشير إلى أن التأويل حق التأويل موقوف على حضور خليفته الذي لا يحكم إلا بالتأويل و هو المهدي (ع)، و يدل عليه قوله النازل فيه و في ظهوره:

وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ لَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَ لَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لاٰ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَ مَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذٰلِكَ فَأُولٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ [سورة النور: ٥٥].

و كذلك قوله:

فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَ يُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَ لاٰ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لاٰئِمٍ ذٰلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَ اللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ [سورة المائدة: ٥٤].

و قوله:

وَ نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَ نَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ [سورة القصص: ٥].

لأن هذه الآيات باتفاق أكثر المفسرين واردة فيه و في ظهوره، و:
يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جاءَتْ رُسُلُ رَبِّنا بِالْحَقِّ إلى آخره. [سورة الأعراف: ٥٣] دالّ على يوم ظهوره، و يعضده قوله تعالى أيضا:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج١، ص ٢٩٥

وَ يَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآياتِنا فَهُمْ يُوزَعُونَ [سورة النمل: ٨٣].

لأن هذا إشارة إلى القيامة الصغرى عند البعض، و عند البعض إلى الوسطى، و قد كتبنا فيها رسالة و أثبتنا فيها أنها القيامة الصغرى، لأن المراد بها لو كان القيامة الكبرى لما قال يوم نحشر من كل أمة فوجا، بل قال كما قال فيها:
قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَ الْآخِرِينَ لَمَجْمُوعُونَ إِلى مِيقاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ [سورة الواقعة: ٤٩- ٥٠].

و الذي قال:
هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ لا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمانِها خَيْراً قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ [سورة الأنعام: ١٥٨].

(القيامة الكبرى و الوسطى و الصّغرى)

إشارة إلى القيامة الصغرى و إخبار عن ظهوره، لأن المراد بالآية لو كان في القيامة الكبرى ما قال: بعض آيات ربك، لأن القيامة الكبرى يوم ظهور الآيات و العلامات كلها لا بعضها، فظهور البعض لا يكون إلا في الصغرى

الذي هو يومه (ع)، و من هذا صار أحد أسمائه الإمام المنتظر، و وجه آخر و هو أنه قال: لا ينفع نفس إيمانها، و القيامة الكبرى ليس فيها إيمان و لا إسلام، بل هي دار جزاء لا دار عمل، فلا كفر و لا يكون الإيمان إلا في الصغرى عند ظهوره، و إن لم تنفع، و الذي ورد: من مات فقد قامت قيامته.

و ورد: أنّ المراد به القيامة الصغرى صحيح، إلاّ أنّ ذلك القيامة الأنفسي المعنوي لا الآفاقي الصوري، و كلامنا في الآفاقي الصورة فافهم جدّا.

و قول نبينا (ص):

«لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد، لطوّل اللّه تعالى ذلك اليوم، حتى يخرج رجل من ولدي، اسمه اسمي و كنيته كنيتي، يملأ الأرض قسطا و عدلا بعد ما ملئت

جورا و ظلما» «٥٧».

و قوله لعلي (ع) في حديث طويل:

«ثم تجاهد في سبيل اللّه إذا وجدت أعوانا، فتقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله» (٥٨).

(بيان أن حرب عليّ (ع) مع معاوية لم تكن إلاّ على تأويل القرآن)

دال على ذلك صريحا، و معلوم أن حربه مع معاوية و طلحة و الزبير، لم يكن إلا على تأويل القرآن، و تحقيقه بأنه الإمام الحق المفترض على كافة الأنام طاعته، و هم كانوا يمنعون هذا و يتمسّكون بالقرآن و ظواهره حتى قال في جوابهم بعد كلام طويل:

---

(٥٧) قوله: و قول نبيّنا (ص): لو لم يبق من الدنيا، الحديث.

رواه الشيخ الصدوق (ره) في كتابه كمال الدين و تمام النعمة باب ٣٠، ص ٤٣٤ بإسناده عن عبد الله بن عمر عن أبي عبد الله الحسين بن علي (ع) عن رسول اللّه (ص).

لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول اللّه ذلك اليوم حتى يخرج رجل من ولدي، فيملأها عدلا و قسطا كما ملئت جورا و ظلما.

و روى مثله أيضا في باب ٣٦ و ٣٣ فراجع و أخرجه أيضا ابن ماجة ج ٢، ص ٩٢٨، الحديث ٢٧٧٩ في ذخائر العقبى لأحمد بن عبد الله الطبري (كان شيخ الشافعية) ص ١٣٦: عن حذيفة: أن النبي (ص) قال: لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول اللّه ذلك اليوم حتى يبعث رجلا من ولدي اسمه كاسمي، فقال سلمان: من أي ولدك يا رسول اللّه قال: من ولدي هذا و ضرب بيده على الحسين.

و أخرجه أيضا مع تفاوت أحمد بن حنبل في مسنده ج ١ عدة مواضع منها ج ١، ص ٩٩ و انظر في مصادر الحديث مزيدا للفائدة احقاق الحق و ملحقاته ج ١٩ ص ٦٥١ إلى ص ٦٨٤ و أيضا ج ١٨، ص ٥٥٦. و أيضا كتاب الإمام المهدي عند أهل السنة ج ١، ص ١٦ إلى ١٩، و راجع أيضا في تعليقتنا ١٩٢.

(٥٨) قوله لعلي (ع) في حديث طويل: فتقاتل على تأويل القرآن الحديث.

روى الصدوق في أماليه ص ٢٧٢ الحديث ١٣ المجلس الثالث و الخمسون بإسناده عن أبي سعيد عقيصا عن أبي عبد الله الحسين (ع) عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) قال: قال رسول اللّه (ص):

يا علي أنت أخي و أنا أخوك، أنا المصطفى للنبوّة، و أنت المجتبى للإمامة، و أنا صاحب التنزيل

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ١، ص ٢٩٧

و هذا القرآن إنما هو خط مسطور بين الدفّتين، لا ينطق بلسان، و لا بدّ له من ترجمان، و إنما ينطق عند (عنه) الرجال «٥٩».

و قال أيضا: أنا القرآن الناطق و البرهان الصادق [فقد مرّ في التعليقة رقم ٢١].

و نقل عنه أيضا أنه قال نظما:

نحن ضربناكم على تنزيله   فاليوم نضربكم على تأويله

ضربا يزيل الهام عن مقيله   و يذهل الخليل عن خليله

(بيان أن المهدي (ع) مأمور بالتأويل في زمان ظهوره)

و بالجملة كل ما هو مأمور به من اللّه تعالى و من نبيّه، فالمهدي كذلك، فإنه أيضا مأمور به، و يشهد بذلك قوله:

و أنت صاحب التأويل الحديث.

و في تفسير العياشي ج ١ ص ١٥ الحديث ٦، عن السكوني، عن جعفر، عن أبيه، عن جدّه، عن أبيه، قال: قال رسول اللّه (ص): إن فيكم من يقاتل على تأويل القرآن كما

قاتلت على تنزيله، و هو علي بن أبي طالب (ع).

رواه أيضا في مقدمة التفسير الحبري نقلا عن عدة من الكتب العامة ص ١٦٠.

و فيه أيضا ص ١٥٩: أخرج أحمد و الحاكم بسند صحيح عن أبي سعيد الخدري: أن رسول اللّه (ص) قال لعليّ: إنك تقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله.

و روى الخوارزمي في المناقب ص ٨٨ الحديث ٧٨، بإسناده عن أبي ذر الغفاري (رض) قال:

كنت مع رسول اللّه (ص) و هو ببقيع الغرقد، فقال: و الذي نفسي بيده إن فيكم رجلا يقاتل الناس من بعدي على تأويل القرآن كما قاتلت المشركين على تنزيله، و هم يشهدون أن لا إله إلا اللّه فيكبر قتلهم على الناس، حتى يطعنوا على وليّ اللّه و يسخطوا عمله كما سخط موسى أمر السفينة، و قتل الغلام و أمر الجدار، و كان خرق السفينة و قتل الغلام و إقامة الجدار للّه رضى، و سخط موسى، أراد بالرجل علي بن أبي طالب (ع).

و أخرجه أيضا في كنز العمال ج ١١، ص ٦١٣ الحديث ٣٢٩٦٩. و أحمد بن حنبل في مسنده ص ٣٣، بإسناده عن أبي سعيد قال: قال رسول اللّه (ص): إن منكم من يقاتل على تأويله كما قاتلت على تنزيله، قال: فقام أبو بكر و عمر فقال: لا و لكن خاصف النعل، و عليّ يخصف نعله.

و أخرج مثله أيضا الحاكم في المستدرك ج ٣، ص ١٢٣ مع تفاوت يسير.

راجع في هذا أيضا تعليقتنا الرقم ١١٠: حديث الصدوق (رض) عن الحسن المجتبى (ع).

(٥٩) قوله (ع): و هذا القرآن إنما هو خط مسطور الخ.

نهج البلاغة صبحي الصالح الخطبة ١٢٥ و في المصدر: مستور.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج١، ص ٢٩٨

«إني تارك فيكم الثقلين كتاب اللّه و عترتي أهل بيتي، حبلان متّصلان، لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا أبدا» [تأتي الإشارة إليه في تعليقة رقم ١٦٣ فراجع].

لأن هذا يصدق على أمير المؤمنين، و على كل واحد من أولاده المعصومين (ع)، و هذا هو حكمة رفع المصاحف إلى السماء بعد ظهور المهدي (ع)، و غيبته و رجوع الدنيا إلى دار الآخرة، و صرّح بهذا المعنى كمال الدين عبد الرزاق رحمة اللّه عليه في أوّل تأويله و هو قوله في تأويل الم ذلك الكتاب قال: الم ذلك الكتاب، أشار بهذه الحروف الثلاثة، إلى كل الوجود من حيث هو كل، لأن الألف إشارة إلى ذات اللّه الذي هو أول الوجود، و اللام إلى العقل الفعّال المسمّى جبرائيل و هو أوسط الوجود الذي يستفيض من المبدأ و يفيض إلى المنتهى، و الميم إلى محمّد الذي هو آخر الوجود، و يتمّ به دائرته، و تتّصل بأوّلها، و لهذا ختم و قال: إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق اللّه فيه السموات و الأرض، إلى قوله: فمعنى الآية: الم ذلك الكتاب الموعود، أي صورة الكل المومى إليها بكتاب الجفر و الجامعة المشتملة على كل شيء، الموعود بأنه يكون مع المهدي في آخر الزمان، لا يقرأه كما هو بالحقيقة إلا هو «٦٠».

و الغرض من هذا الكلام كلّه القول الأخير، تأكيدا لصحّة قوله. و اللّه أعلم و أحكم.

(نقل كلام الشيخ الأكبر محيي الدين في ظهور المهدي (ع)

و قد ذكر هذا، الشيخ الأعظم محيي الدين العربي قدّس اللّه سرّه في فتوحاته في فصل مفرد، يجيء تمامه في المقدمة السابعة من هذه المقدمات، عند بحث التوحيد، و أما بعضه فهو قوله «٦١»:

---

(٦٠) قوله: و صرّح بهذا المعنى كمال الدين عبد الرزاق الخ.

مجلد ١ تفسير القرآن المطبوع أخيرا باسم محيي الدين العربي.

(٦١) قوله: و قد ذكر هذا الشيخ الأعظم.

الفتوحات ج ٣ ص ٣٢٧.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ١، ص ٢٩٩

اعلم، أيّدنا اللّه، أن للّه خليفة، يخرج و قد امتلأت الأرض جورا و ظلما، فيملأها قسطا و عدلا، لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد، لطول اللّه تعالى ذلك اليوم حتى يلي هذا الخليفة، من عترة رسول اللّه (ص)، من ولد فاطمة، يواطئ اسمه اسم رسول اللّه (ص)، جدّه الحسين بن علي بن أبي طالب، يبايع بين الرّكن و المقام، يشبه رسول اللّه (ص)، في الخلق (بفتح الخاء) و ينزل عنه في الخلق (بضم الخاء)، لأنه لا يكون أحد مثل رسول اللّه (ص) في خلقه، و اللّه يقول فيه:

وَ إِنَّكَ لَعَلىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ [سورة القلم: ٤].

إلى قوله: فمن أبى قتل، و من نازعه خذل، يظهر من الدين ما هو الدين عليه في نفسه ما لو كان رسول اللّه (ص)، يحكم به، يرفع المذاهب من الأرض، فلا يبقى إلا الدين الخالص، أعداءه مقلّد العلماء أهل الاجتهاد، لما يرونه من الحكم بخلاف ما ذهب إليه أئمّتهم، فيدخلون كرها، تحت حكمه، خوفا من سيفه و سطوته و رغبة فيما لديه، يفرح به عامّة المسلمين أكثر من خواصّهم، يبايعه العارفون باللّه من أهل الحقائق، عن شهود و كشف، بتعريف إلهي، له رجال إلهيّون يقيمون دعوته و ينصرونه، هم الوزراء، يحملون أثقال المملكة، و يعينونه على ما قلّده اللّه، ينزل إليه عيسى بن مريم بالمنارة البيضاء، بشرقي دمشق بين مهرودتين، متكيا على ملكين، ملك عن يمينه و ملك عن يساره.

و الغرض من هذا النقل و غيره، أن تأويل القرآن واجب عقلا و نقلا و لكن حق التأويل مخصوص به و بأجداده (ع)، و ظهور ذلك لا يكون إلا يوم ظهوره، و قد ورد عن عيسى (ع) كلام دال على هذا و هو قوله:

نحن نأتيكم بالتنزيل، و أما التأويل فسيأتي به الفارقليط في آخر الزمان «٦٢».

---

(٦٢) قوله (ع): نحن نأتيكم بالتنزيل الخ.

عوالي اللئالي ج ٤، ص ١٢٤، ح ٢٠٩.

أقول: جاء الحديث مضمونا في احتجاج الإمام الرضا (ع) على الجاثليق و رأس الجالوت، ذكره الطبرسي في الاحتجاج ج ٢، ص ١٩٩ تفصيلا فراجع و فيه:

قال الرضا (ع): يا نصراني أهل تعرف في الإنجيل قول عيسى: إني ذاهب إلى ربكم و ربي، و البارقليط، جائي هو الذي يشهد لي بالحقّ كما شهدت له، و هو الذي يفسّر لكم كل شيء و فيه أيضا:

قال الرضا (ع): و في الإنجيل مكتوب: إنّ ابن البرّة ذاهب و الفارقليط، جائي من بعدي، هو يخفف الآصار، و يفسّر لكم كل شيء، و يشهد لي كما شهدت له، أنا جئتكم بالأمثال و هو يأتيكم بالتأويل. [.....]

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۱، ص ۳۰۰

و المراد بالفارقليط، هو المهدي (ع) على ما نقلوا عن أصحاب عيسى و أمّته.

و أمثال ذلك كثير في هذا الباب، و إذا تحقق هذا بهذا الوجه، فلنشرع فيه بوجه آخر متمسّكا بقول اللّه تعالى أيضا كما شرطناه أوّلا فنقول:

بيان الآيات المتشابهات في القرآن و احتياجها بالتأويل وجوبا

اعلم، أن في القرآن متشابهات و متناقضات:

أما المتشابهات فكقوله تعالى: الرَّحْمٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوىٰ [سورة طه: ۵].

و كقوله: وَ جٰاءَ رَبُّكَ وَ الْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا [سورة الفجر: ۲۲].

و كقوله: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نٰاضِرَةٌ إِلىٰ رَبِّهٰا نٰاظِرَةٌ [سورة القيامة: ۲۲، ۲۳].

و كقوله: فَأَيْنَمٰا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ [سورة البقرة: ۱۱۵].

و كقوله: يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ [سورة الفتح: ۱۰].

و كقوله: يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ [سورة المائدة: ٦٤].

و كقوله: بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ [سورة المائدة: ٦٤].

و كقوله: الأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ السَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ، سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ [سورة الزمر: ٦٧].

و كقوله: فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي [سورة ص: ٧٢].

و كقوله: تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي، وَ لاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ [سورة المائدة: ١١٦].

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج١، ص ٣٠١

و كقوله: أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ الله [سورة الزمر: ٥٦].

و كقوله: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ [سورة الشورى: ١١].

و كقوله: أَسْمَعُ وَ أَرَىٰ [سورة طه: ٤٦].

و كقوله: تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا [سورة القمر: ١٤].

و هذه كلها محتاجة إلى التأويل وجوبا، و إلا لأدّى إلى مفاسد كثيرة: كالتجسيم، و التحيّز، و الإمكان، و الحدوث، المؤدّي إلى الكفر و الزندقة و الإلحاد و غير ذلك من الغيّ و الضّلال، و الحنابلة ما وقعوا فيما وقعوا إلا من عدم التأويل، و الحكم بظواهر القرآن دون بواطنه.

و أما المتناقضات:

فكقوله: قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ [سورة السجدة: ١١].

و نقيضه: اللهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا [سورة الزمر: ٤٢].

و كقوله: يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَ الْمَلاَئِكَةُ صَفًّا لاَ يَتَكَلَّمُونَ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ

[سورة النبأ: ٣٨].

و نقيضه: ثُمَّ يَوْمَ الْقِيامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَ يَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضاً [سورة العنكبوت: ٢٥].

و كقوله: قالَ لا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَ قَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ [سورة ق: ٢٨].

و نقيضه: إِنَّ ذلِكَ لَحَقٌّ تَخاصُمُ أَهْلِ النَّارِ [سورة ص: ٦٤].

و كقوله: فَالْيَوْمَ نَنْساهُمْ كَما نَسُوا لِقاءَ يَوْمِهِمْ هذا [سورة الأعراف: ٥١].

و نقيضه: وَ ما كانَ رَبُّكَ نَسِيًّا [سورة مريم: ٦٤].

و كقوله: وَ لَوْ شاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً واحِدَةً [سورة هود: ١١٨].

و نقيضه: وَ لا يَزالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَ لِذلِكَ خَلَقَهُمْ [سورة هود: ١١٨- ١١٩].

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‏١، ص ٣٠٢

و كقوله: إِنَّا هَدَيْناهُ السَّبِيلَ إِمَّا شاكِراً وَ إِمَّا كَفُوراً [سورة الإنسان: ٣].

و نقيضه: فَلَوْ شاءَ لَهَداكُمْ أَجْمَعِينَ [سورة الأنعام: ١٤٩].

و معلوم أيضا أن هذه المتناقضات لو لم تكن مؤوّلة على طريق العقل و الشّرع لكان يلزم منها (فيه اختلافا كثيرا ...) أورد فيه:

وَ لَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً [سورة النساء: ٨٢].

و نحن إن شاء اللّه نقوم بتأويل هذه كلها في هذه المقدمة عند تأويل المتشابهات في الوجه الرابع من الوجوه المذكورة و باللّه التوفيق.

بيان أن للقرآن ظهرا و بطنا و المراد من البطون السبعة

(في بيان أنّ للقرآن ظهرا و بطنا و المراد منهما)

و أما قول الأنبياء (ع) فالذي ورد عن نبينا (ص):

«إن للقرآن ظهرا و بطنا و لبطنه بطنا إلى سبعة أبطن». [فقد مرّ بيان مصدره تفصيلا في التعليقة ۱۱ فراجع].

و الذي ورد منه أيضا:

ما من آية إلا و لها، ظهر و بطن، و لكل حرف حد، و لكلّ حد مطلع، و هذان الخبران دالان على أن للقرآن ظواهر تجب التفسير، و بواطن تجب التأويل، إلى أن يصل التأويل إلى نهاية المراتب السبع، و بل لكل آية منه، و بل لكل حرف، و على هذا التقدير يجب الشروع في بيانهما حتى يتحقق بعض هذا المعنى عندك و عند غيرك.

أما الخبر الأول، فالغالب أنه (ع)، أراد أن يخبر أصحابه و أمته أن الخلق بأجمعهم كما أنهم منحصرون في طبقات سبع فكذلك القرآن، فإنه أيضا منحصر في مراتب سبع، ليجتهدوا في تطبيقهما و يحصل لهم المعارف الإلهيّة بذلك.

و أمّا الخبر الثاني فسيجيء بيانه في موضعه إن شاء اللّه.

و هذا التطبيق يحتاج إلى مقدمة، و هي أن تعرف: أن النبي (ص) قال ليلة

المعراج: «علمت علوم الأولين و الآخرين» [مرّ في التعليقة ۳۹].

و كل ما يقول النبي المعصوم، يكون صحيحا واقعا.

لأنه ما يقول من تلقاء نفسه بل بوحي نازل من عند ربه.

لقوله تعالى:

وَ ما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحى [سورة النجم: ٣، ٤].

فعرفنا بهذا أنه كان عالما لجميع الكليات و الجزئيات التي تتعلق بتكميل الخلق و بهدايتهم من الأزل إلى الأبد، و كان عالما بأن الخلق بأجمعهم لا يخرجون عن المراتب السبع الكلية الشاملة لجميع المراتب الجزئيّة، لقوله أيضا:

أرنا الأشياء كما هي «٦٣» و على هذا التقدير لا بد و أن يكون عالما بالقرآن و بأنه شامل للطوائف السبع الآتية أسماؤهم و أقسامهم، و يشهد بصحّته أيضا الخبر المذكور كما سنبيّنه إن شاء اللّه، و حيث إن كلام اللّه تعالى و كلام أنبيائه و أوليائه (ع)، يجب أن يكون محتملا على معان مختلفة و أسرار متنوعة ليشمل الكل بقدر فهمهم و استعدادهم و يأخذ كل أحد من العباد منه حظّه و نصيبه، و لا يلزم منه و من نفيه الإخلال بالواجب بالنسبة إلى بعض العبيد، نشرع فيه بوجوه مختلفة ممّا ذهب إليه أهل الظاهر و أهل الباطن، ليحصل المقصود في الوسط.

أما أهل الظاهر و أهل الشريعة، فذهب بعضهم إلى أن المراد في الخبر بالبواطن السبعة، القراءات السبع لا غير، و هذا نصيبهم و حظّهم من القرآن.

---

(٦٣) قوله (ص): اللهم أرنا الأشياء كما هي.

روى في عوالي اللئالي ج ٤، ص ١٣٢، حديث ٢٢٨: و قال (ع): اللهم أرنا الحقائق كما هي.

و روى أيضا: ربّ أرني الأشياء كما هي، ذكره صدر المتألهين في تفسيره ج ٢ ص ٣٤٢ استشهادا لشرف العلم و فضله.

و ذكره أيضا في المجلد الأول ص ٣٢١ و قال: و اعلم إنّ أكثر أصحاب البحوث قد تركوا وصيّة ربّهم و نصيحة نبيّهم سلام اللّه عليه و آله فيما أمروا من تزكية نفوسهم و تصفية بواطنهم و إصلاح قلوبهم و تعديل قواهم و تهذيب أخلاقهم و تصقيل مرآة قلوبهم ليتجلّى فيها خبايا عالم الملكوت و ينكشف لديها خفايا أسرار الجبروت، و أدركوا الأشياء كما هي، كما وقع دعاء نبيّهم (ص) له و لأمته:

اللهم أرنا الأشياء كما هي.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ١، ص ٣٠۴

و ذهب بعضهم إلى أن المراد منه، العلوم السبع التي تعرف من القرآن بحسب التصرف فيه، كاللغة و النحو و الصرف و المعاني و البيان و الأصول و الفروع، لأن القرآن عندهم مشتمل على هذه العلوم السبعة لا غير، و هذا حظّهم من القرآن، و ذهب بعضهم إلى أن المراد منه، بأن كل آية من القرآن لها هذه الصلاحية، و هذه القابلية، أعني بأن يخرج منها سبعة معان، أو سبعة علوم، و قالوا أيضا كما يمكن حصول هذه السبعة في آية واحدة من القرآن، يمكن حصول هذه السبعة من العلوم في شخص واحد من العلماء، و ذهب بعضهم إلى أن المراد منه أن القرآن، له بحسب الإجمال، سبعة معان، تطبيقا بطبقات العالم و الخلق، لكن بحسب التفصيل له معان غير متناهية، و هذا ليس ببعيد، فإنه قريب إلى الحق و كل ميسر لما خلق له (٦٤).

(٦٤) قوله: كل ميسر لما خلق له.

أخرجه مسلم في صحيحه ج ٤، ص ٢٠٤ الحديث ٩ بإسناده عن عمران بن حصين عن رسول اللّه (ص).

و أخرجه أيضا البخاري في صحيحه ج ٩، ص ١٩٥ في قوله تعالى: و لقد يسّرنا القرآن للذكر، مرسلا.

و أخرجه أيضا أحمد بن حنبل في مسنده ج ١، ص ١٥٧ بإسناده عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: أخذ بيد عليّ رضي اللّه عنه فانطلقنا نمشي حتّى جلسنا على شط الفرات، فقال علي رضي اللّه عنه: قال رسول اللّه (ص): ما من نفس منفوسة إلا قد سبق لها من اللّه شقاء أو سعادة، فقام رجل فقال: يا رسول اللّه فيم إذا نعمل؟ قال: اعملوا فكلّ ميسر لما خلق له، ثم قرأ هذه الآية:

فَأَمَّا مَنْ أَعْطىٰ وَ اتَّقىٰ وَ صَدَّقَ بِالْحُسْنىٰ إلى قوله: فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرىٰ.

و رواه أيضا في مجلد ٤، ص ٤٧ بإسناده عن ذي اللحية الكلابي عنه (ص). و أيضا في مجلد ١، ص ٦ مرسلا عن أبي بكر عنه (ص).

و في سنن أبي داود كتاب السّنة باب في القدر الحديث ٤٦٩٤، ج ٤، ص ٢٢٢ بإسناده عن عليّ (ع) قال: كنا في جنازة فيها رسول اللّه (ص) ببقيع الغرقد، فجاء رسول اللّه (ص) فجلس و معه مخصرة، فجعل ينكث بالمخصرة في الأرض ثم رفع رأسه فقال: ما منكم من أحد، ما من نفس منفوسة إلا قد كتب اللّه مكانها من النار أو من الجنة إلا قد كتبت شقيّة أو سعيدة، قال: فقال رجل من القوم: يا نبي اللّه أفلا نمكث على كتابنا و ندع

العمل، فمن كان من أهل السعادة ليكونن ّإلى السعادة و من كان من أهل الشقوة ليكونن إلى الشقوة؟ قال: اعملوا فكل ميسر، أما أهل السعادة فييسرون للسعادة، و أما أهل الشقوة فييسرون للشقوة، ثم قال نبي اللّه:

فَأَمَّا مَنْ أَعْطىٰ وَ اتَّقىٰ وَ صَدَّقَ بِالْحُسْنىٰ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرىٰ، وَ أَمَّا مَنْ بَخِلَ وَ اسْتَغْنىٰ وَ كَذَّبَ بِالْحُسْنىٰ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرىٰ [سورة الليل، الآية: ۵- ۱۰].

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۱، ص ۳۰۵

و أما أهل الباطن و أرباب الطريقة المخصوصون بالتأويل، فذهب بعضهم إلى أن المراد من الخبر أن لكل كلمة من كلمات القرآن سبعة معان على حسب استعداد كل طائفة من الطوائف السبع، لئلاّ يقع الإخلال بالواجب من اللّه تعالى بالنسبة إلى طائفة منهم.

و ذهب بعضهم إلى أنّ المراد منه بعد العلوم السبعة المذكورة العلوم السبعة الإلهيّة المعلومة لأهلها التي هي، علم التوحيد و التّجريد و الفناء و البقاء، و علم الذات و الصفات و الأفعال، و علم النبوة و الرسالة و الولاية، و علم الوحي و الإلهام و الكشف، و علم المبدأ و المعاد و الحشر و النّشر، و علم الأخلاق و السياسة و التهذيب و التأديب، و علم الآفاق و الأنفس و التطبيق بينهما. فإنه أعظم العلوم و أشرفها، و هذا حظّهم من القرآن و نصيبهم منه، و نعم الحظ و نعم النصيب، وَ ما يُلَقّاها إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا، وَ ما يُلَقّاها إِلاّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ [فصّلت:

.[٣٥

و ذهب بعضهم إلى أن المراد منه، الطوائف السبع المذكورة في القرآن، من المسلمين، و المؤمنين، و الموقنين، و ذوي العقول، و أولي الألباب، و أولى النهي، و الرّاسخين في العلم، و إن كان هناك طوائف كثيرة مذكورة فيه، مثل المنذرين

و فيه أيضا الحديث ٤٧٠٩ بإسناده عن عمران بن حصين قال: قيل لرسول اللّه (ص): يا رسول اللّه أعلم أهل الجنّة من أهل النار؟ قال: نعم قال: ففيم يعمل العاملون؟ قال: كل ميسّر لما خلق له.

و فيه أيضا الحديث ٤٦٩٦ بإسناده عن يحيى بن يعمر و حميد بن عبد الرحمن قال: لقينا عبد الله بن عمر فذكرنا له القدر و ما يقولون فيه، فذكر نحوه، زاد قال: و سأله رجل من مزينة، أو جهينة، فقال: يا رسول اللّه فيما نعمل أ في شيء قد خلا أو مضى أو شيء يستأنف الآن؟ قال: في شيء قد خلا و مضى، فقال الرجل أو بعض القوم: ففيم العمل؟ قال: إن أهل الجنة ييسرون لعمل أهل الجنة، و إن أهل النار ييسرون لعمل أهل النار.

و في توحيد الصدوق (ره) ص ٣٥٦، الحديث ٣ باب السعادة و الشقاوة، بإسناده عن أبي عمير قال: قلت لأبي الحسن موسى بن جعفر (ع): فما معنى قوله (ص): اعملوا فكل ميسّر لما خلق له؟ فقال: إن اللّه عزّ و جلّ خلق الجنّ و الإنس ليعبدوه و لم يخلقهم ليعصوه و ذلك قوله عزّ و جلّ:

وَ مٰا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلاّٰ لِيَعْبُدُونِ [سورة الذاريات، الآية: ٥٦]

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج١، ص ٣٠٦

و المتفكّرين و المتوسّمين و غير ذلك، فإن ذلك كله عند التحقيق يرجع إلى هذه الطوائف السبع إذا الحق كل طائفة منهم إلى أخواتها بحكم المناسبة التي بينهم و بينهم، و حيث إن الطوائف كلها من السعداء السبع، فجعل في معرضها سبعا أخر من الأشقياء ليكون الحصر صحيحا، و لا يخرج أحد من حكم القرآن حقا كان أو باطلا، لأن القرآن شامل للكلّ، بحكم قوله:

يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَ يَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَ مٰا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفٰاسِقِينَ [سورة البقرة: ٢٦].

و ورد في القرآن ذكر الطائفتين معا في مواضع كثيرة منها قوله:

ذٰلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النّٰاسُ وَ ذٰلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ. وَ مٰا نُؤَخِّرُهُ إِلاّٰ لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ [سورة هود: ١٠٤].

يَوْمَ يَأْتِ لاٰ تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاّٰ بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَ سَعِيدٌ [سورة هود: ١٠٥].

و هاهنا دقيقة و هي أن تعرف أن فهم كل طائفة منهم ليس مخصوصا بتلك الطائفة فقط بحيث لا يكون لطائفة أخرى منه نصيبا، بل يفهم منه كل ما يفهم الأدون، الأعلى من غير العكس، و هكذا إلى آخر المراتب، أعني كما قلنا في علماء الظاهر و علومهم بانه يجوز لأحدهم أن يعرف الكل من العلوم السبعة المذكورة، نقول في علماء الباطن و علومهم بأنه يجوز لأحدهم أن يعرف الكل من العلوم السبعة الإلهيّة المتقدم ذكرها بإزاء تلك العلوم، فإن العارف و الراسخ يعرف ما يعرف غيره و زيادة أخرى

مخصوصة به، لقوله تعالى:

لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنىٰ وَ زِيادَةٌ [سورة يونس: ٢٦].

(في بيان الدرجات الثمان للجنّة و الدركات السّبع للجحيم)

و تلك الزيادة هي المعارف الحاصلة من اللقاء إلى جناب المحبوب المسمّى بالبقاء و السرّ في اللّه و باللّه، لأن في هذه الحضرة يشاهد العارف شيئا ما شاهده أبدا، و يسمع شيئا ما سمعه أبدا، و يعرف شيئا ما عرفه أبدا، لقوله تعالى في حديثه القدسي:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج١، ص ٣٠٧

«أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر» «٦٥».

و لقوله في القرآن الكريم: فَلاٰ تَعْلَمُ نَفْسٌ مٰا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزٰاءً بِمٰا كٰانُوا يَعْمَلُونَ [سورة السجدة: ١٧].

و إليها الإشارة في قوله تعالى:

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنّٰاتٍ وَ نَهَرٍ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ [سورة القمر: ٥٤- ٥٥].

و لهذا صارت الجحيم سبعة، و صارت الجنّة ثمانية، لأنّ السبعة من السعداء بإزاء سبعة من الأشقياء بحكم التطابق الأسمائي، و الترتيب الوجودي، و المرتبة الثامنة تبقى للعارفين الراسخين الذين هم من أهل تلك الزيادة، و إلى هذه الجنة، أشار النبي (ص):

«إن اللّه تعالى جنة ليس فيها حور و لا قصور و لا عسل و لا لبن بل يتجلّى

فيها ربنا ضاحكا متبسّما».

(أقسام الجنّة: جنّة الأفعال و الصفات و الذات)

و الجنّة الحقيقية الإلهيّة باتفاق الموحدين ثلاثة: جنة الأفعال، و جنة الصفات، و جنة الذات، و هذه الجنة هي الموسومة بجنة الذات، رزقنا اللّه الوصول إليها، بحق من خصّص بها و دخل فيها، و لوصول سلمان الفارسي إليها دون غيرها من الجنان، قال النبي (ص): «الجنّة أشوق إلى سلمان من سليمان إلى الجنّة» «٦٦».

---

(٦٥) قوله تعالى في حديثه القدسي: أعددت لعبادي الحديث، الجواهر السنيّة للحر العاملي رحمة اللّه عليه ص ٢٨٤ و ٢٨٢ و أخرجه مسلم في صحيحه ج ٤ كتاب الجنّة (٥١) الحديث ٥- ٢ و المجلسي في البحار عن عدّة الداعي ج ٨ باب الجنة و النعيم ص ١٩١ الحديث ١٦٨ و في عدة الداعي لأحمد بن فهد الحلّي ص ١٠٩ قال: في الوحي القديم، الحديث.

و رواه ابن أبي جمهور في عوالي اللئالي ج ٤، ص ١٠١، الحديث ١٤٨ و أخرجه أيضا ابن ماجة في سننه ج ٢، ص ١٤٤٧، الحديث ٤٣٢٨ و أحمد بن حنبل في مسنده ج ٢، ص ٤٩٥.

(٦٦) قوله (ص): الجنّة إلى سلمان، الحديث.

عوالي اللئالي ج ٤، ص ١٠١، ح ١٤٧، و تمام الحديث على ما في بحار الأنوار ج ٢٢، ص ٣٤١، ح ٥٢ نقلا عن روضة الواعظين ص ٦- ٣٤٠ عن ابن عباس، عن رسول اللّه (ص)

قال:

إن الجنة لأشوق إلى سلمان من سلمان إلى الجنّة، و إنّ الجنّة لأعشق لسلمان من سلمان للجنة.

و روى أيضا في الاختصاص ص ۱۲ المفيد (ره) بإسناده عن عيسى بن حمزة قال: قلت لأبي عبد اللّه (ع) الحديث الذي جاء في الأربعة، قال: و ما هو؟ قلت الأربعة التي اشتاقت إليهم الجنة، قال: نعم منهم، سلمان و أبو ذر و المقداد و عمّار، قلت: فأيّهم أفضل؟ قال: سلمان، ثم أطرق، ثم قال: علم سلمان علما لو علمه أبو ذر لكفر.

و أيضا في البحار عن كشف اليقين بإسناده عن أنس بن مالك، أنه سأل عن أمير المؤمنين عن الأربعة التي اشتاقت إليهم الجنة فقال (ع) و اللّه لأسألنّه، فدخلا على النبي (ص) فسأله علي (ع) عن سؤال مالك، فقال (ص): أنت و اللّه أوّلهم، أنت و اللّه أولهم، أنت و اللّه أولهم، ثلاثا، فقال له: بأبي و أمّي فمن الثلاثة؟ فقال له: المقداد و سلمان و أبو ذر.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۱، ص ۳۰۸

و معناه أنّ جنّة النّعيم و ما فيها من الحور و القصور و اللّذات الحسيّة، أشوق إلى سلمان من سلمان إليها، لأنّ سلمان في جنّة اللّذات، و مشاهدة الحضرات الإلهيّة، و من جنّة النّعيم إلى جنّة الذّات درجات غير متناهية، كما قال تعالى:

تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلى‌ بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللّهُ وَ رَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجاتٍ [سورة البقرة: ۲۵۳].

و قال بالنسبة إلى العلماء:

يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجاتٍ وَ اللهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ [سورة المجادلة: ١١].

و إلى هذا أشار النبي (ص) في قوله:

«للعلماء درجات فوق المؤمنين، ما بين كلّ درجتين مسيرة خمسمائة عام».

و من هذا العلم سعة الجنّة مطلقا، بمصداق قوله تعالى:

وَ سارِعُوا إِلى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَ جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّماواتُ وَ الْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ [سورة آل عمران: ١٣٣].

و قول نبيّه (ع): يعطى كلّ مؤمن يوم القيامة من الجنّة بقدر الدنيا سبع

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ١، ص ٣٠٩

مرّات «٦٧»، و سعة جنّة العارف مقيّدا بأنّه لا يلتفت إلى هذه الجنّات كلّها، و لا يرضى بها، كما سبق إليه الإشارة. و ورد عن النبيّ (ص) أيضا في خبر صحيح أنّه قال:

«الدّنيا حرام على أهل الآخرة و الآخرة حرام على أهل الدنيا، و هما حرامان على أهل اللّه» «٦٨».

فالعاقل يرجع إلى نفسه و يتوجّه إلى ربّه، و يتدبّر بقلبه معنى هذه الآيات و الأخبار لينكشف عليه أنّ سعة جنّتهم إلى هذه الغاية من أين، و أنّ عدم التفاتهم إلى غيرها من الجنّات من أين، و لم قال تعالى فيهم:

وَ إِذا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَ مُلْكاً كَبِيراً [سورة الإنسان: ٢٠].

و جميع العالم و ما فيه من الدّنيا و الآخرة ما يزن عند اللّه جناح بعوضة، و أنت تعرف بالحقيقة أنّ كلّ من يرجع إلى نفسه على الوجه المذكور و

يتوجّه إلى جانب ربّه على ما ينبغي، ينكشف له حقيقة هذا الحال، و يشاهد محبوبه و مقصوده في حضرة العزّة و العظمة و الجلال، بقوله جلّ ذكره: العظمة إزاري و الكبرياء ردائي فمن نازعني فيهما كسرته «٦٩».

(٦٧) قوله: و قول نبيّه (ص): يعطى كل مؤمن، الحديث.

رواه ابن أبي جمهور في عوالي اللئالي ج ٤، ص ١٠١، الحديث ١٤٦ و روى المجلسي في البحار ج ٨، ص ١٤٧، الحديث ٧٣ نقلا عن جامع الأخبار مرسلا: قال: عن النبي (ص) قال:

للرجل الواحد من أهل الجنة سبعمائة ضعف مثل الدنيا. الحديث.

(٦٨) قوله: و ورد عن النبي (ص) أيضا في خبر صحيح أنه قال: الدنيا حرام، الحديث.

رواه ابن أبي جمهور في عوالي اللئالي ج ٤، ص ١١٩، الحديث ١٩٠، و أخرجه أيضا السيوطي في الجامع الصغير ج ٢، ص ٦٥٧، الحديث ٤٢٦٩.

(٦٩) قوله جل ذكره: العظمة إزاري، الحديث.

روى في أصول الكافي ج ٢ باب الكبر، الحديث ٣، ص ٣٠٩ بإسناده عن العلاء بن الفضيل عن أبي عبد اللّه (ع) قال: قال أبو جعفر (ع):

العزّ رداء اللّه، و الكبر إزاره، فمن تناول شيئا منه أكبّه اللّه في جهنم.

و روى في تحف العقول في وصيّة الكاظم (ع) لهشام ص ٣٩٦ قال (ع) لهشام: يا هشام إيّاك و الكبر، فإنه لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبّة من كبر، الكبر رداء اللّه، فمن نازعه رداءه أكبه اللّه في النار على وجهه.

و روى أيضا ابن أبي جمهور في عوالي اللئالي ج ١، ص ٣٥٩، الحديث ٣٢، قال: و قال الباقر (ع): العزّ رداء اللّه، و الكبر إزاره، فمن جادل شيئا منهما أكبّه اللّه في جهنم.

و أخرجه السيوطي في تفسيره الدرّ المنثور ج ٧، ص ٤٣١، آخر سورة الجاثية و قال:

و أخرج ابن أبي شيبة و مسلم و أبو داود و ابن ماجة و ابن مردويه و البيهقي في الأسماء و الصفات عن رسول اللّه (ص) قال: يقول اللّه عزّ و جل: الكبرياء ردائي و العظمة إزاري فمن نازعني في واحد منهما ألقيته في النار.

و أخرجه ابن ماجة في سننه ج ٢، الحديث ٤١٧٥، ص ١٣٩٨ بإسناده عن ابن عباس.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج١، ص ٣١٠

و قد يعبّر عن هذه الحضرة، حضرة الجلال و الجمال، لقولهم:

جمالك في كلّ الحقائق سائر و ليس له إلاّ جلالك ساتر

و قد يعبّر بها عن حضرة القدس و جنّة الذّات، كما سبقت الإشارة إليها، لقوله تعالى:

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَ نَهَرٍ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ [سورة القمر: ٤٢].

و ها هنا أسرار كثيرة لسنا مأمورين بإظهارها أكثر من ذلك، و مع ذلك فهي لا تخفى على أهلها، و قوله تعالى:

إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا [سورة النساء: ۵۸].

تأكيد تامّ في هذا الباب و اللّه يقول الحقّ و هو يهدي السّبيل، و تلك شقشقة هدرت ثم قرّت. إنّ في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع و هو شهيد.

و إذا تحقق هذا، فنرجع إلى ما كنّا بصدده.

(إنّ علة حصر معاني القرآن بالسبعة هي انحصار طوائف الخلق و مراتب العالم في السبعة)

و نقول: اعلم أنّ العلّة في حصر معاني القرآن في الأبطن السّبعة، و هي أن الخلق بأجمعهم منحصرون في الطّوائف السبع الكليّة المشتملة على مراتب أهل العالم كلّها، و بيانه بعد قول النبيّ (ص).

يكون بقول اللّه تعالى، الّذي في كتابه الكريم من قوله:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۱، ص ۳۱۱

ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً [سورة الحاقة: ۳۲].

لأنّ هذا إشارة إلى ضرب الكواكب السّبعة المترتّبة على الأقاليم السّبعة و ما يتضمّن من أهلها في البروج العشرة الّتي تتعلّق بالإنسان و أحواله و أسبابه دون البرجين الخارجين عنها بالحساب المقرّر عند أهله كما سنبيّنه إن شاء اللّه.

و قد كتب بعض الفضلاء في تطبيق هذا المعنى رسالة و ضمّ إليه قول النبي (ص):

«إن لله تعالى سبعين ألف حجاب من نور و ظلمة الحديث» «٧٠».

و طابق به، و قد اتّفق لنا أيضا رسالة في هذا الباب بالتماس بعض الأصحاب بالعجميّة و رسالة أخرى بالعربيّة، و الكلّ موافق لهذا المكان، مطابق لهذا البيان، فالأوّل نشرع في قول ذلك الفاضل على التّرتيب بعبارته، ثم نرجع إلى قولنا كذلك، أمّا قوله فهو أنّه قال:

(بيان الأصناف السّبعة للإنسان)

اعلم أنّ النّاس يتعيّنون إلى سبعة أصناف، عدد الكواكب السبع السيّارة.

الأوّل: أصحاب الأمر و النّهي من السّلاطين و الملوك و لهم تعلّق بالشّمس.

و الثّاني: أصحاب السّيف و السّلاح من الأمراء و الأجناد و لهم تعلّق بالمرّيخ.

الثّالث: أصحاب القلم و الحساب و المتصرفين و لهم تعلّق بعطارد.

الرّابع: أصحاب العلم و الرأي و التّدبير و إصلاح أمور النّاس كالوزراء و القضاة و العلماء و لهم تعلّق بالمشتري.

الخامس: أصحاب البنايات و الزّراعات، و أهل الكهوف و الجبال و لهم تعلّق

---

(٧٠) قوله (ص): إن للّه تعالى سبعين ألف حجاب، الخ.

روى الحديث بألفاظ مختلفة، فراجع:

عوالي اللئالي ج ٤، ص ١٠٦، الحديث ١٥٨. و بحار الأنوار ج ٥٨، ص ٣٩ باب الحجب و

الأستار و السرادقات. و انظر أيضا سنن ابن ماجة ج ۱، ص ۷۱- ۷۰. و إحياء العلوم للغزالي ج ۱، ص ۱۰۱.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۱، ص ۳۱۲

بزحل.

السّادس: أصحاب اللّهو و الطّرب و اللّذة و الزّينة و النّساء و الخواتين و لهم تعلّق بالزّهرة.

السّابع: أصحاب السّفر في البحار و الرّسل و غيرهم ممن يشبههم و لهم تعلّق بالقمر، و لا يخرج من هذه الأصناف أحد من النّاس، فإن خرج ألحق بالأنسب من المذكورين.

(بيان التعلّقات العشرة للإنسان)

و إذا تقرّر ذلك فاعلم، أن كلّ واحد من هذه الأصناف له تعلّقات عشرة:

الأوّل ما يستعين به في إقامة البدن و هو الدّنانير و الدّراهم و له تعلّق بالبرج الثّاني من الطّالع.

الثاني: الإخوة و الأخوات و الأنساب و الأصهار، و لهم تعلّق بالبرج الثالث من الطّالع.

الثالث: الأملاك من الدّور و العقار و البساتين و المزارع و الآباء و الأمهات، و لها تعلّق بالبرج الرّابع.

الرّابع: الأولاد و دخل الأملاك و الهدايا و الرّسل و لها تعلق بالبرج الخامس.

الخامس: العبيد و الحيوانات الصّغار و لهم تعلق بالبرج السّادس.

السّادس: الأزواج و الشّركاء و الأضداد و لهم تعلق بالبرج السابع، السابع: ما يعرض للإنسان في هذا الوجود من المصائب و النكبات و أقوال الزّوجات و الملبوسات و غير ذلك و لها تعلّق بالبرج الثّامن.
الثامن: الّذين لهم عليه ولاية من ذوي الأمر و النهي و طلب الارتفاع على الأقران و الشّهرة و الأمّهات و لها تعلّق بالعاشر.
التّاسع: الأصدقاء و الأصحاب و المعارف و لهم تعلّق بالحادي عشر.
العاشر: الأعداء و الحيوانات الكبار، و لهم تعلّق بالثاني عشر، و إنّما سقط

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۱، ص ۳۱۳

برج الطالع عن درجة الاعتبار، لأنّه بيت النفس لا بيت التّعلّق و الغرض ذكر أسباب التعلّقات، و سقط البرج التّاسع، لأنّه برج العلوم و الفضائل و النبوّة، و هي كمال النّفس، لا بيت التعلّق، و إذا تقرّر ذلك فاضرب الخصوصيّات الأصناف السّبعة، فإنها تعلّقات أيضا في التعلقات العشرة، نعم سبعة تعلّقات مانعة للنّفس عن وصولها إلى كمالاتها أو عن وصولها إلى الباري تعالى، و كما أنّ الشّخص الّذي غلب كوكب في مولده و هو على طبيعة ذلك الكوكب، كذلك إذا غلب و قوى برج في مولده، هو من أهل ما يتعلق بذلك البرج في التّعلّقات، و كذلك القول في البلدان و الأقاليم و الأمم و التعلّقات المذكورة في السّلسلة الّتي ذرعها سبعون ذراعا، كما قال تعالى:
ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهٰا سَبْعُونَ ذِرٰاعاً، و هي الحجب السّبعون المشار إليها في الحديث النّبويّ:
إنّ للّه تعالى سبعين حجابا من نور و ظلمة [قد مرّ في التعليقة ۷۰].

و الحجب النوريّة هي النّفوس و الأولاد و الأزواج و الأمّهات و غيرهم، و العلوم إذا كانت لغير اللّه، و الظلمانيّة هي الدّنانير و الدّراهم و الأملاك و الحيوانات و غيرها، و لا منافاة بين هذا الخبر و بين ما ورد أنّ للّه تعالى سبعين ألف حجاب من نور و ظلمة، لأنّ المراد أنّ كلّ واحد من السّبعين له ألف حجاب، و هو الألف من الاشتغال الّتي احتاج إليه آدم (ع) لمّا خرج إلى الأرض ليأكل لقمة. كما ورد في خبر آخر، و كلّها مندرج في السّبعين، اندراج الخبرين تحت الكلّ.

و قال بعد هذا الكلام بكلام يسير:

اعلم أنّا بعد أن وفّقنا اللّه للكلام في هذه الحجب، و بيّنا وجه حصرها في سبعة و سبعين ألف على اختلاف المقامات، و بيّنا أنّها هي التعلّقات المذكورة المسمّاة بالسّلاسل و الأغلال، و وصلنا إلى هذا الموضع، اطلعنا على كلام الإمام حجّة الإسلام محمد الغزالي، و كلام الشيخ العارف نجم الدين الرازي، تغمّدهما اللّه برحمته، من كتابهما مشكاة الأنوار و مرصاد العباد في الحجب الإلهيّة، ما ينافي ما حقّقناه، و يتنافيان أيضا، وجب علينا حينئذ أن ننظر فيهما، لتبيين الحقّ، ثمّ نعدل إلى غيره إن شاء اللّه.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۱، ص ۳۱۴

قال الإمام الغزالي في المشكاة ما هذه عبارته: أن اللّه تعالى متجلّى في ذاته لذاته، فيكون الحجاب بالإضافة إلى المحجوبين لا محالة، [المحجوب ن س مشكاة الأنوار] و إنّ المحجوبين [من الخلق ن س] ثلاثة أقسام: منهم من حجب بمجرّد الظّلمة، و منهم من حجب بالنّور المحض، و منهم من

حجب بنور مقرون بالظلمة.

و أصناف هذه الأقسام كثيرة أتحقق كثرتها، و يمكنني أن أتكلّف حصرها في سبعين، لكن لا أثق بما يلوح لي من تحديد و حصر، إذ لا أدري أنّه المراد بالحديث أم لا.

و أمّا الحصر إلى سبعين [سبعمائة ن س] و سبعين ألفا فذلك لا يستقل به غير [إلاّ ن س] القوّة النبويّة، مع أن ظاهر ظنّي أنّ هذه الأعداد مذكورة للتكثير لا للتّحديد، و قد تجري العادة بذكر عدد و لا يراد به الحصر بل التكثير و اللّه يعلم بتحقيق ذلك، فذلك خارج عن الوسع «٧١».

و قال الشيخ الرّازي ما هذا معرّبه، أنّ الأرواح في المبدأ لما أمرت بالنّزول إلى أسفل سافلين الّذي هو تعلّقها بالقالب قد عبرت بعوالم الملك و الملكوت حتّى وصلت إلى قوالبها، فتعلق بها في كلّ عالم مرّت به ما هو زبدته، فصارت تلك التعلّقات حجبا لها في المعاد إليه تعالى، و هي الحجب النورانيّة و الظّلمانيّة السّبعون ألفا كما هو في الخبر «٧٢».

(الإشكال على قول الإمام الغزالي و نجم الدين الرازي)

أقول: هذان الإمامان و إن كانا في محلّ عال في العرفان، إلاّ أنّه لا تقليد لمثلي و لا حجابا في طلب الحقّ و لا مسامحة في إرشاد الخلق.

أمّا الإمام الغزالي فحيث اعترف بعجزه أوّلا في فهم مراده من الحديث، لا بحث معه فيه، إذ البحث إنّما هو مع الحاكم، و العاجز لا حكم له.

(۷۱) قوله: قال الإمام الغزالي في المشكاة .. الخ.

مشكاة الأنوار ص ۸٤ المطبوع في القاهرة (عفيفي).

(۷۲) قوله: و قال الشيخ الرازي .. الخ.

مرصاد العباد ص ۵۷.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۱، ص ۳۱۵

و قوله: أمّا الحصر في سبعين و سبعة آلاف فذلك لا يستقلّ به إلاّ القوّة النبويّة، إن أراد به العلم بجزئيّات الأشياء، فهو غير مدّع، إذ ليس إدراك جزئيّات الأشياء شرط الكمال، بل و لا شرطا في النبوّة، و إن أراد العلم بالكلّيّات، فهو غير مسلّم، إذ لا يلزم من عدم علمه عدم علم غيره، و من حقّق ما أشرنا إليه من تعلّقات النّفس بسبب تعلّقها بالبدن، انكشف له سرّ ذلك.

و قوله: ظاهر ظنّي أنّ هذه الأعداد مذكورة للتكثير لا التّحديد، ليس بمرضيّ، لأنّ كلام الشارع يجب أن يحمل على أصول معقولة و قواعد مضبوطة غير مختلّة، لا على مجرى الغرابة من الجزاف و التّسامح و التّقريب و التّخمين، وهب أنه قصد التّكثير فما وجه تخصيصه بالسّبعين أو سبعين ألفا و هلاّ خصّصه بمائة مثلا أو ألف أو أقلّ منهما أو أكثر، فإنّه في ذلك يحصل غرض التكثير، و هل الكلام إلاّ في خصوصيّة لأعداد، و ليس السرّ في الحقيقة إلاّ في خصوصيّة السبعة و خصوصيّة العشرة.

و أمّا كلام الشيخ الرّازي، فالكلام عليه أمّا أوّلا، فقوله مبنيّ على قدم الأرواح

البشريّة كما هو رأي أفلاطون و من وافقه فيه، و لم يثبت ذلك بالبراهين، و اتّفق محقّقو الحكماء بعد أفلاطون كأرسطو و من تبعه على حدوثها، و ذكروا عليه براهين مذكورة في مواضعها، و أبطلوا التّناسخ اللاّزم لقدمها.

و أمّا ثانيا فقدمها إمّا أن يكون مبنيّا على النّقل عندهم مثل ما يروونه عن النبيّ (ص):

أوّل ما خلق اللّه نوري أو عقلي (٧٣) على اختلاف الرّوايتين، و مثل قوله:

---

(٧٣) قوله: مثل ما يروونه عن النبي (ص): أول ما خلق اللّه نوري، أو عقلي.

رواه في عوالي اللئالي ج ٤، ص ٩٩، الحديث ١٤٠ و قال: و في حديث آخر أنه قال: أول ما خلق اللّه العقل.

و في البحار ج ١، ص ٩٦ عن علل الشرائع للصدوق (ره) في سؤالات الشامي عن أمير المؤمنين: أخبرني عن أول ما خلق اللّه تبارك و تعالى، فقال: النور.

و أيضا في البحار ج ٢٥، ص ٢٢ عن جابر بن عبد الله في تفسير قوله تعالى:

كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ [سورة آل عمران، الآية: ١١٠] قال: قال رسول اللّه (ص): أول ما خلق اللّه نوري ... الحديث، يأتي تمام الحديث و أحاديث أخر في

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ١، ص ٣١٦

خلق اللّه الأرواح قبل الأجساد بأربع آلاف سنة، أو بألف سنة «٧٤»،

على اختلاف الرّوايتين أيضا.

أو يكون مبنيّا على الكشف و المشاهدة، و وجه الحصر عدم تعرّضهم للبرهان على مدّعاهم و ليسوا من أهله.

تعليقنا ١٦٧ و ٧٥ و ١٥٩ فراجع.

قال الأميني في كتابه الغدير ج ٧، ص ٣٨ نقلا عن السيرة الحلبيّة ج ١، ص ١٥٩: و جاء عنه (ص): أول ما خلق نوري.

و اعلم أنه ورد في الأحاديث أيضا أن أول ما خلق اللّه روح النبي و أرواح أهل البيت: منها، روى الصدوق في كمال الدين ج ١، ص ٣٦٦، الباب الثالث و العشرون في نصّ اللّه تبارك و تعالى على القائم (ع) الحديث ٤، بإسناده عن عبد السلام الهروي عن مولانا علي بن موسى الرضا (ع) عن آبائه (ع) عن رسول اللّه (ص)، و الحديث طويل و فيه: إن أول ما خلق اللّه أرواحنا .. الحديث، يأتي الحديث بتمامه في تعليقتنا ١٦٧ فراجع.

و منها، روى الكليني في اصول الكافي ج ١، ص ٤٢٢، الحديث ١٠ بإسناده عن جابر بن يزيد قال: قال أبو جعفر (ع): يا جابر إن اللّه أول ما خلق خلق محمّد (ص) و عترته الهداة المهتدين الحديث ذكرناه في تعليقتنا ١٥٩.

اعلم أنه قد ورد في أن النبي (ص) أول الناس في الخلق أحاديث قد نذكر هاهنا بعضها مزيدا للفائدة: منها، قال النبي (ص):

كنت أول الناس في الخلق و آخرهم في البعث ذكره الأميني في كتابه الغدير ج ٧، ص ٣٨ نقلا عن ابن سعد في الطبقات، و الطبري في تفسيره ٢١، ٧٩، و أبي نعيم في الدلائل ١،

٦، و السيوطي في الخصائص الكبرى و عن غيرها فراجع. و أخرجه أيضا السيوطي في الجامع الصغير ج ٢، ص ٢٩٦، الحديث ٦٤٢٣. و منها، فيه أيضا عن مجمع الزوائد ج ١، ص ٧١ في حديث الإسراء:

إنك عبدي و رسولي و جعلتك أوّل النبيّين خلقا و آخرهم بعثا.

و منها- في عوالي اللئالي ج ٤، ص ١٢٢، الحديث ٢٠٢، قال النبي (ص): أنا أول الأنبياء خلقا و آخرهم بعثا.

و منها- في كنز العمال ج ١١، الحديث ٣٢١٢٦، ص ٤٥٢:

كنت أول النبيين في الخلق و آخرهم في البعث.

(٧٤) قوله: و مثل قوله: خلق اللّه الأرواح قبل الأجساد .. الخ.

روى الصدوق في معاني الأخبار ص ١٠٨ باب معنى الأمانة التي عرضت .. الحديث ١ بإسناده عن المفضل بن عمر، قال: قال أبو عبد الله (ع): إن اللّه تبارك و تعالى خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام، فجعل أعلاها و أشرفها أرواح محمّد و علي و فاطمة و الحسن و الحسين و الأئمة (بعدهم) صلوات اللّه عليهم الحديث. [.....]

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ١، ص ٣١٧

فإن كان الأوّل فالنّصوص غير قطعيّة متنا و لا دلالة، أمّا متنا فلعدم تواترها، و أمّا دلالة فلأنّها قابلة للتّأويل، لاحتمال أن يريد بقوله: روحي، الرّوح الذي منه (يستمد) يشهد روحه الشريف في الأرواح العالية و هي العقول المجردة، بل يجب هذا التّأويل، لئلاّ يناقض ما ورد أيضا:

أوّل ما خلق اللّه العقل ... الحديث (٧٥)، و يكفي في الإضافة أدنى ملابسته.

---

(٧٥) قوله: ما ورد أيضا: أول ما خلق اللّه العقل .. الحديث.

رواه في عوالي اللئالي ج ٤، ص ٩٩، الحديث ١٤١.

روى الصدوق (ره) في كتابه من لا يحضره الفقيه ج ٤، ص ٢٦٧ باب النوادر الحديث ١/ ٨٢١ عن حماد بن عمرو، و أنس بن محمد، عن أبيه جميعا عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جدّه، عن علي بن أبي طالب (ع)، عن النبي (ص) أنه قال له: يا علي: أوصيك بوصيّة فاحفظها فلا تزال بخير ما حفظت وصيّتي،- إلى أن قال-:

يا علي! العقل ما اكتسب به الجنة و طلب به رضى الرحمان، يا علي! إن أول خلق خلقه اللّه عز و جل العقل فقال له: أقبل فأقبل ثم قال له: أدبر فأدبر، فقال اللّه: و عزّتي و جلالي ما خلقت خلقا هو أحب إلى منك بك آخذ و بك أعطي و بك أثيب و بك أعاقب ... الحديث، و هو طويل فراجع.

و في الجواهر السنيّة للحرّ العاملي ص ٢٥٩ عن الكليني بإسناده عن سماعة بن مهران، عن الصادق (ع) قال: إن أول ما خلق اللّه العقل، فقال له أدبر فأدبر، ثم قال له: أقبل فأقبل، فقال اللّه: خلقتك خلقا عظيما و كرمتك على جميع خلقي ... الحديث، قال: و رواه البرقي في المحاسن، و الصدوق في العلل.

و في اصول الكافي ج ١، ص ٢٠ بإسناده عن سماعة بن مهران قال: كنت عند أبي عبد الله (ع) و عنده جماعة من مواليه فجرى ذكر العقل و الجهل، فقال أبو عبد الله (ع): إن اللّه عزّ و جلّ خلق العقل و هو أول خلق من الروحانيين عن يمين العرش من نوره ... الحديث.

رواه أيضا الصدوق (ره) في الخصال ج ٢، ص ٥٨٨، الحديث ١٣. و رواه أيضا في علل الشرائع ص ١١٣، الحديث ١٠. و رواه أيضا أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة في كتابه تحف العقول في حديث وصيّة الإمام الكاظم (ع) لهشام ص ٤٠٠.

روى أيضا في أول ما خلق القلم و الماء و غيرها نذكر بعضها هاهنا و ذكرنا البعض الآخر في تعليقتنا ٧٣ و ٧٤ فراجع.

أما الماء:

روى الصدوق (ره) في كتابه التوحيد باب التوحيد و نفي التشبيه الحديث ٢٠، ص ٦٦ بإسناده عن جابر الجعفي قال: جاء رجل من علماء أهل الشام إلى أبي جعفر (ع) فقال: جئت أسألك عن مسألة لم أجد أحدا يفسّرها لي، و قد سألت ثلاثة أصناف من الناس فقال كل صنف غير ما قال الآخر، فقال أبو جعفر (الباقر) (ع): و ما ذلك؟ فقال: أسألك: ما أول ما خلق اللّه عزّ و جلّ من خلقه؟ فإن بعض من سألته قال: القدرة، و قال بعضهم: العلم، و قال بعضهم: الروح، فقال أبو

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ١، ص ٣١٨

جعفر (ع): ما قالوا شيئا، أخبرك أن اللّه علا ذكره كان و لا شيء غيره، و كان عزيزا و لا عزّ لأنه كان قبل عزّه و ذلك قوله:

سُبْحٰانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمّٰا يَصِفُونَ [سورة الصافات، الآية: ١٨٠].

و كان خالقا و لا مخلوق، فأول شيء خلقه من خلقه، الشيء الذي جميع الأشياء منه و هو

الماء، فقال السائل: فالشيء خلقه من شيء أو من لا شيء؟ فقال: خلق الشيء لا من شيء كان قبله، و لو خلق الشيء من شيء إذا لم يكن له انقطاع أبدا، و لم يزل اللّه إذا و معه شيء و لكن كان اللّه و لا شيء معه، فخلق الشيء الذي جميع الأشياء منه و هو الماء.

و أما القلم:

روى القمي في تفسيره، ج ٢ ص ١٩٨ في قوله تعالى:

وَ قٰالَ اَلَّذِينَ كَفَرُوا لاٰ تَأْتِينَا اَلسّٰاعَةُ [سورة سبأ، الآية: ٣] بإسناده عن هشام عن أبي عبد الله الصادق (ع) قال: أول ما خلق اللّه القلم، فقال له اكتب فكتب ما كان و ما هو كائن إلى يوم القيامة.

و قريب منه في كنز العمال ج ٦، ص ٦٢٢، الحديث ٨- ١٥١١٥.

و روى أيضا أبو داود في سننه ج ٤، ص ٢٢٥، الحديث ٤٧٠٠ بإسناده عن عبادة بن الصامت، قال: سمعت رسول اللّه (ص) يقول: إن أول ما خلق اللّه القلم، فقال له: اكتب قال: ربّ و ما ذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة ... الحديث. رواه البيهقي أيضا ج ١٠، ص ٢٠٢ و أحمد بن حنبل في مسنده ج ٥، ص ٣١٧ و قريب منه في المستدرك للحاكم ص ٤٩٨، ح ٢. أخرج جلال الدين السيوطي في تفسيره الدر المنثور في أول سورة القلم ج ٨، ص ٢٤٠ أحاديث عن طرق و مصادر مختلفة في القلم فراجع و إنا نذكر حديثين منها في هذا المقام:

قال: و أخرج ابن جرير و الطبراني و ابن مردويه، عن ابن عباس قال: قال رسول اللّه (ص):

إن أول ما خلق اللّه القلم و الحوت قال: اكتب قال: ما أكتب؟ قال: كل شيء كائن إلى يوم القيامة، ثم قرأ: **ن وَ اَلْقَلَمِ وَ مٰا يَسْطُرُونَ.**

و قال الحكيم الترمذي عن أبي هريرة قال: سمعت رسول اللّه (ص) يقول: إن أول شيء خلق اللّه القلم، ثم خلق النون، و هي الدواة، ثم قال له: اكتب قال: و ما أكتب؟ قال: ما كان و ما هو كائن إلى يوم القيامة، و ذلك قوله: **ن وَ الْقَلَمِ وَ ما يَسْطُرُونَ ثم ختم على في (فم) القلم فلم ينطق و لا ينطق إلى يوم القيامة، ثم خلق اللّه العقل، فقال: و عزتي لأكملنك فيمن أحببت و لأنقصنّك فيمن أبغضت.**

و روى أيضا البيهقي ج ۹، ص ۳ كتاب السير باب مبتدا الخلق بإسناده عن ابن عباس أنه كان يحدث: إن رسول اللّه (ص) قال: إن أول شيء خلق اللّه جل ثناؤه القلم و أمره فكتب كل شيء يكون.

و أخرج المستدرك للحاكم ج ۲، ص ٤٥٤ بإسناده عن ابن عباس رضي اللّه عنهما قال: أول ما

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‏۱، ص ۳۱۹

و كذا الخبر الثّاني، فإنّ الأرواح أعم من الأرواح البشريّة، و لا يلزم من إثبات العامّ قبل الأجساد، إثبات الخاصّ.

إن قال اقتران الأرواح بالأجساد قرينة تدلّ على أن المراد بالأرواح أرواح الأجساد.

قلنا: إن سلّمنا ذلك، يحتمل أن يكون المضاف محذوفا، أي خلق الأرواح قبل أرواح الأجساد بكذا و يكون المراد بالأرواح العقول و بأرواح الأجساد النّفوس، و في الجملة، دلالة الألفاظ ظنّية بعد صحّة متنها، فما أظنّك تقبل صحته و المطلوب قطعي.

و إن كان الثّاني، قلنا إذا شاهد ثمّ أرواحا بالكشف، بم عرفتم أنها أرواح بشريّة؟ و على تقدير كونها بشريّة بم عرفتم أنّها كانت قبل الأجساد؟ و لم لا يجوز أن تكون هي الأرواح المفارقة لأبدانها بعد حدوثها و كمالها؟

و أمّا ثالثا، فلأنّا إن سلّمنا قدم الأرواح البشريّة أو أنّها موجودة قبل أبدانها، فما وجه حصرها في الأعداد المذكورة؟ فإنه هو المعضل الّذي كلامنا فيه و لم نتعرض له و اللّه أعلم.

هذا آخر كلام ذلك الفاضل و كان الغرض من إيراده علمك بعدم علم العلماء و المشايخ بحصر الحجب و السّلاسل و غيرها و إذا عرفت هذا فأقول: و باللّه التّوفيق:

أمّا اعتراض هذا الفاضل على الشيخ أكثره غير موجه خصوصا في قدم الأرواح، لأنّ الشيخ إذا قال: إن الأرواح خلقت قبل الأجساد بكذا كذا سنة متمسكا بالنقل و الكشف بدعواه فما يلزم من هذا قدمها لأنّه إذا قال خلقنا (خلقت) لارتفع القدم و ثبت الحدوث، و كذلك قول النبي (ص)، و قول اللّه عزّ و جلّ، فإنّه لا يلزم من قولهما الفساد الذي قال: لأنّ قولهما شاهدان على أن الأرواح، مخلوقة قبل الأبدان، فيبطل القدم.

خلق اللّه القلم خلقه من هجا قبل الألف و اللام فتصور قلما من نور، فقيل له أجر في اللوح المحفوظ قال: يا ربّ بماذا؟ قال: بما يكون إلى يوم القيامة فلما خلق اللّه الخلق و كل بالخلق حفظة يحفظون عليهم أعمالهم، الحديث.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج١، ص ٣٢٠

و اعتراض آخر و هو قوله إذا شاهدتم أرواحا بم عرفتم أنها أرواح بشريّة، فهو أيضا غير موجّه، و هو في غاية البعد لأنّهم إذا قالوا شاهدنا بالكشف كذا و كذا فكلّ من قال بم عرفتم صحّته، قالوا بالكشف، و ذلك الوقت تسقط جميع الاعتراضات عليهم، و مثل هذا الكلام من مثل هذا الفاضل، و من الحكماء أيضا بعيد، لكن إذا حقّقنا قوله تعالى:

وَ فَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ [سورة يوسف: ٧٦].

و قوله: وَ مٰا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلاّٰ قَلِيلاً [سورة الإسراء: ٨٥].

عرفنا أنّ هذا ليس ببعيد، فإن استعداده و فهمه ما تعدّى عن هذا المكان.

و الحمد للّه الذي وفّقنا لجوابه على أحسن الوجوه و أعطانا القوّة و القدرة على منعه في غاية الوضوح، فحينئذ يجب علينا أن نقول بلسان الحال و المقال: الحمد للّه الّذي فضّلنا على كثير من عباده و ذلك فضل اللّه يؤتيه من يشاء و اللّه ذو الفضل العظيم، و حيث فرغنا من هذا و ظفرنا بما أردنا منه فلنشرع فيه بما سنح لنا من اللّه الجواد بموجب ما شرطناه أوّلا و هو هذا:

فنقول: لا شك و لا خفاء، إنّ الناس قد اختلفوا في تحقيق الآية و الخبر و حصرهما في سبعة و سبعين ألفا، و قال كلّ واحد منهم ما يمكن منه بقدر فهمه و استعداده كما عرفت بعضه، و إلى الآن ما ظفر أحد منهم بعلّة الحصر و التعيين، بل أكثرهم ذهبوا إلى أنّ هذا للتغليب و التكثير، لا للحصر

و التّعيين، و الحال أنّ التّغليب و التّكثير بالألف و الألفين كان أنسب كما تقرّر، و الّذي عرفت من بحث ذلك الفاضل أيضا، ليس على أصل صحيح، و فيه ما فيه، و لكن الحقّ تعالى لمّا أنعم به علينا قبل هذا و كتبنا فيه رسالة كما ذكرناه، فنذكر هاهنا منها ما يحتاج إليه، قياما بشكر نعمته و إظهارا لحقّ خدمته و هو هذا.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ١، ص ٣٢١

(بيان أنّ الأسماء هي الحجب، و العالم هو الأسماء و الذّات لا اسم له)

اعلم، أنّ هذه الحجب و السّلاسل في الحقيقة عبارة عن مظاهر الأسماء الإلهيّة المسمّاة بالعالم، كما عرفت من قولهم: حجب الذّات بالصّفات، و حجب الصّفات بالأفعال، و الأفعال بالأكوان، و لقولهم:

فلا عبث و الخلق لم يتركوا سدى
و إن لم تكن أفعالهم بالسديدة

على سمة الأسماء تجري أمورهم
و حكمة وصف الذّات للحكم أجرت

«٧٦» و ذلك لأن الذات من حيث هي هي ما لها اسم و لا اسم، فالاسم من حيث الظهور، أو البطون، و من حيث التعلق بالمخلوق أعني أسماءه بحسب

صفاته الذاتية و الصفات بحسب كمالاته اللازمة لتلك الذات، و كمالات تلك الذات غير متناهية لأنها من اقتضائها و اقتضاء الذات غير منفك عن الذات و الذات غير متناهية، فتكون كمالاتها أيضا غير متناهية، فالأسماء من هذه الحيثيّة لا تكون قابلة للانتهاء، و كذلك العالم لأنه مترتب عليها، لكن أسماءها من حيث كلياتها و أمّهاتها المتقدّم ذكرها، و كذلك العالم فإن

انتهاءه و انقطاعه في بعض الأطوار و الأفعال يكون من حيث انقطاع تلك الأسماء و من حيث انقطاع حكمها لأن للأسماء أحكام و دول تدوم بدوامهما و تنقطع بانقطاعهما، كالأوّل و الظاهر بالنسبة إلى الآخر و الباطن، و كالمبدإ بالنسبة إلى المعيد و أمثال ذلك، و بالجملة كما أن الصفة مظهر للكمالات و الأسماء مظهر للصفات، و الأفعال مظهر للأسماء و الأكوان مظهر للأفعال، فكذلك الكل مظهر للحق من حيث هو الكل و من هذا قيل: أحد بالذات، كل بالأسماء، و قيل: ليس في الوجود سوى اللّه تعالى و أسمائه و صفاته و أفعاله، فالكل هو و به و منه و إليه.

فإذا تقرّر هذا فاعلم أن هاهنا قولان: الأول، أنها عبارة عن الموجودات

---

(٧٦) قوله: فلا عبث و الخلق لم يتركوا سدى الشعر.

القائل هو ابن الفارض، مشارق الدراري ص ٦٣١.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ١، ص ٣٢٢

و المخلوقات الآفاقية، روحانية كانت أو جسمانية، و أما عن التعلقات الإنسانية، صورية كانت أو معنوية، و العبارتان صحيحتان، أما العبارة الأولى فهي أن تعرف أن العوالم كلها منحصرة في ثمانية عشر ألف عالم، بمصداق الخبر الوارد فيه، و العالم عالمان، عالم الملك و عالم الملكوت، أو الغيب و الشهادة، فيكون المجموع ستّة و ثلاثين ألف عالم، يسقط منها العالم

الإنساني المضاف إليه تلك الحجب فيبقى خمسة و ثلاثون ألف عالم الخ، و يضاف إليها من الأنفس بحكم التطابق مثل ذلك بعد إسقاط نفسه عنه فيبقى سبعون ألف عالم و سبعون ألف حجاب آفاقا و أنفسا، و يظهر أن للّه تعالى سبعين ألف حجاب من نور و ظلمة الحديث، ثم يفرض السبعين المذكور كليات العوالم ليظهر سرّ الآية و هو قوله:

ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهٰا سَبْعُونَ ذِرٰاعاً [سورة الحاقة: ٣٢] الخ.

أو سرّ الخبر الوارد بعبارة أخرى و هي قوله:

إن للّه تعالى سبعة آلاف حجاب من نور و ظلمة [قد مرّ في التعليقة ٧٠]. هذا على سبيل الإجمال. و أما على سبيل التفصيل، فاعلم، أن الملك عند البعض عبارة عن العرش، و الكرسي، و السموات السبع، و الهيولى، و الطبيعة، و العناصر الأربعة، و المواليد الثلاثة.

و عند البعض عن الجبروت، و الملكوت، و العرش، و الكرسي، و السموات السبع، و العناصر الأربعة، و المواليد الثلاثة، إذا أعدّها واحدة.

و عند البعض، عن العقل الأول، و النفس الكلي، و الطبيعة، و الأفلاك التسعة، و هيولى العالم السفلي، و العناصر الأربعة، و المواليد الثلاثة المحسوبة بواحدة.

و على جميع التّصاوير، و هي ثمانية عشر عالما، فيقدّر هذا المقدار من الملكوت أيضا التي هي روح هذه العوالم و حقيقتها لقوله تعالى فيها:

فَسُبْحٰانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ [سورة يس: ٨٣].

فيكون المجموع ستّة و ثلاثين عالما، يسقط منها العالم الإنساني المضاف

إلى هذه الحجب، فيبقى خمسة و ثلاثون عالما، فيضاف إليها من الأنفس كذلك

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج١، ص ٣٢٣

بحكم المطابقة صورة و معنى بعد إسقاط نفسه عنها، فيبقى سبعون عالما مطابقا لقوله تعالى و قول النبي (ص)، و حيث إن هذه العوالم كليات مشتملة على جزئيات كثيرة يفرض بحسب كل كلّي ألف جزئي بحكم:
وَ إِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ [سورة الحج: ٤٧] يصير سبعين ألف عالم من نور و ظلمة و لطيف و كثيف، المعبر عنها بسبعين ألف حجاب، و حسن هذا التطبيق لا يخفى على أحد من العقلاء خصوصا على أهل اللّه و خاصّته و الحمد للّه على ذلك، ذلك فضل اللّه يؤتيه من يشاء و اللّه ذو الفضل العظيم.

هذا مضى و هو وجه من الوجوه، و أما بوجه آخر، و هو أن اللّه تعالى أخبر بأنه خلق السموات و الأرض و ما بينهما في ستة أيام لقوله:
اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضَ وَ مٰا بَيْنَهُمٰا فِي سِتَّةِ أَيّٰامٍ [سورة السجدة: ٤] و قال:
وَ إِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ [سورة الحج: ٤٧].

(عالم الأجسام مظهر لعالم المعنى)

و ترتيب الطبيعي الوجودي على وفق الحكمة، و النظام الإلهي عند المحقق العارف، و هو أن عالم الأجسام مظهر لعالم الأرواح و عالم الأرواح مظهر لعالم العقول، أعني عالم الملك مظهر للملكوت، الملكوت مظهر للجبروت.

و عند البعض الآخر و هو أن عالم الأجسام ظل شجرة عالم النفوس و عالم النفوس ظل شجرة عالم العقول، و عالم العقول ظل شجرة عالم الأمر.

و على هذا التقدير يصدق على عالم العقول الذي هو أول المخلوقات بأنه مخلوق في ستة أيام كلية إلهية التي هي عبارة عن مراتب ستة وجودية كل واحدة منها مشتملة على ألف جزئي بحكم قوله:

وَ إِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ [سورة الحج: ٤٧].

و حيث إن عالم النفوس مظهر، و ظله، يكون هو أيضا كذلك و كذلك عالم

الأجسام، لأن منشأ عالم الأجسام من عالم النفوس كما أن منشأ عالم النفوس من عالم العقول، فيكون المجموع ثمانية عشر ألف عالم، و يفرض بإزائه من الملكوت مثل ذلك، لأن الملك غير منفك عن الملكوت كما تقرر، أعني يفرض بإزاء ظاهر كل عالم باطنا، فيصير المجموع ستّة و ثلاثين ألف عالم، فيسقط منها عالم واحد الذي هو العالم الإنساني فيبقى خمسة و ثلاثون ألف عالم و يجعل في مقابلها من الأنفس مثل ذلك بحكم التطابق يصير سبعين ألف عالم، مطابقا للخبر المذكور، هذا مع اعتبار الجزئيات بهذه الكليات، و أما مع عدم اعتبارها، فيبقى سبعون ألف عالم بوجه و سبعون بوجه آخر.

(الصور المعقولة في ذهن الإنسان مثال لترسيم الخلق من الحق تعالى)

و هذا التقرير لصعوبة إدراكه يحتاج إلى مثال محسوس فهو أن تعرف أنّ

مثال عالم العقول بالنسبة إلى أذهاننا مثال صورة معقولة ترتسم في أذهاننا أو عقولنا ارتساما عقليّا علميّا يقينيّا، ثم نخرجها من الذّهن و ننقشها على فصّ الخاتم بإعطائنا لها الوجود الخارجي، ثمّ نطبعها من الخاتم في جرم الشمع بإعطائنا لها الوجود الحسّي على طريق الانطباع، فالصورة التّي في جرم الشمع بطريق الانطباع هي عكس الصورة التّي في الخاتم بطريق الانتقاش، و الصورة التّي في الخاتم عكس الصورة التّي في العقل فافهم جدّا. فالحقّ تعالى جلّ ذكره خصّ توجّهه إلى إيجاد العالم لقوله: كنت كنزا مخفيّا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق «٧٧».

---

(٧٧) قوله: لقوله: كنت كنزا مخفيّا .. الحديث. راجع تعليقتنا ١٠٥.

قال بديع الزمان في كتابه: أحاديث مثنوى ص ٢٩ نقلا عن منارات السائرين لنجم الدين أبو بكر محمد بن شاهاور الأسدي الرازي المعروف بداية المتوفى ٦٥٨، المخطوط في مكتبة (ملّي ملك) بطهران:

قال داود (ع): يا ربّ لما ذا خلقت الخلق، قال: كنت كنزا مخفيّا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لكي أعرف.

و قال مؤلّف اللؤلؤ المرصوع ص ٦١: قال ابن تيمية (حديث: كنت كنزا) ليس من كلام النبي (ص) و لا يعرف له سند صحيح و لا ضعيف، و تبعه الزركشي و ابن حجر و لكن معناه صحيح ظاهر و هو بين الصوفيّة دائر.

أقول: لعلّه يوجد في العهدين و في الزبور في أسئلة داود النبي (ع) و جوابه تعالى و اللّه

العالم.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۱، ص ۳۲۵

رسّم أوّلا صور الموجودات كلّها في عالم العقول رسما كلّيّا إجماليّا المشار إليه في قوله:

يَمْحُوا اللّٰهُ مٰا يَشٰاءُ وَ يُثْبِتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتٰابِ [سورة الرعد: ۳۹].

ثم انتقش منه بطريق الفيض بحكم قوله:

ن وَ الْقَلَمِ وَ مٰا يَسْطُرُونَ [سورة القلم: ۱].

إلى ألواح عوالم النفوس نقشا جزئيّا تفصيليّا لقوله:

بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ [سورة البروج: ۲۱– ۲۲].

ثمّ أوجدها في عالم الأجسام مطابقا لما في العالمين بحكم:

وَ الطُّورِ. وَ كِتٰابٍ مَسْطُورٍ. فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ [سورة الطور: ۱– ۳].

فعالم الأجسام و ما فيه من الموجودات و المخلوقات يكون عكس الصّور الّتي في عالم النّفوس و ما فيه من الرّوحانيّات، و عالم النّفوس و ما فيه يكون عكس الصّور الّتي في عالم العقول و ما فيه من المجرّدات، و عالم العقول و المجرّدات يكون عكس عالم الأسماء و الصّفات، و عالم الأسماء و الصّفات يكون عكس عالم الذّات و ما فيها من الكمالات، و إن شئت قلت: هذا بالنّسبة إلى الملك و الملكوت و الجبروت و الأسماء و الصّفات و الذّات، فإنّ الكلّ واحد.

عباراتنا شتّى و حسنك واحد   و كل إلى ذاك الجمال يشير

وَ تِلْكَ الأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنَّاسِ وَ ما يَعْقِلُها إِلاَّ الْعالِمُونَ

[سورة العنكبوت:

٤٣].

و إن قلت: إنّ من قوله الإجمالي و إن كان يفهم أنّه خلق السّموات و الأرض في ستّة أيّام، لكن من قوله التّفصيلي يفهم أنّه خلق السموات و ما بينهما في ثمانية أيّام و هو قوله:

قُلْ أَ إِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَ تَجْعَلُونَ لَهُ أَنْداداً ذٰلِكَ رَبُّ الْعالَمِينَ. وَ جَعَلَ فِيها رَواسِيَ مِنْ فَوْقِها وَ بارَكَ فِيها وَ قَدَّرَ فِيها أَقْواتَها فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَواءً لِلسَّائِلِينَ. ثُمَّ اسْتَوىٰ إِلَى السَّماءِ وَ هِيَ دُخانٌ فَقالَ لَها وَ لِلأَرْضِ

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‏١، ص ٣٢٦

ائْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ. فَقَضاهُنَّ سَبْعَ سَماواتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَ أَوْحىٰ فِي كُلِّ سَماءٍ أَمْرَها وَ زَيَّنَّا السَّماءَ الدُّنْيا بِمَصابِيحَ وَ حِفْظاً ذٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ [سورة فصّلت: ٩- ١٢].

و هذا متناقض و التناقض في قوله تعالى غير جائز، لقوله تعالى:

وَ لَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً [سورة النساء: ٨٢].

قلت: هذا ليس متناقضا لكن يحتاج إلى تدبّر و تفكّر، فإن قوله جلّ ذكره

(حمال) ذو وجوه كما قرّرناه لقوله:

وَلَوْ كٰانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلاٰفاً كَثِيراً [سورة النساء: ٨٢].

و لا ينبغي أن يقف الشّخص على وجه واحد بل يجب ... حتّى يصل إلى نهاية الأبطن السّبعة و إن لم يتمكّن فإلى البعض و بالجملة.

قوله جلّ ذكره: خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ صحيح، و أمّا قوله:

وَ قَدَّرَ فِيهٰا أَقْوٰاتَهٰا فِي أَرْبَعَةِ أَيّٰامٍ سَوٰاءً لِلسّٰائِلِينَ [سورة فصلت: ١٠].

فذلك إشارة إلى أنّه خلق الأوّلين في تتمّة أربعة أيّام بحيث تكون الأرض في يومين، و الأقوات في يومين فهذا ظاهر مذكور في التفاسير، و أمّا قوله:

فَقَضٰاهُنَّ سَبْعَ سَمٰاوٰاتٍ فِي يَوْمَيْنِ [سورة فصلت: ١٢].

فذلك صحيح و الحساب مطابق مرتّب لأنّه تعالى يشير إلى أنّه خلق الأرض في يومين، و خلق السّموات في يومين، و خلق ما بينهما المسمّاة بالأقوات في يومين، و الكلّ يكون ستّة و ليس هناك تناقض، و ذلك تقدير العزيز العليم.

(إيجاد العالم بيومين):

و ها هنا دقيقة، و هي أنّ اللّه تعالى أخبر في هذه الآيات ترتيب ما قرّرناه في إيجاد العالم لأنه قيّد تقدير إيجاد الأرض بيومين، و المراد بها عالم الأجسام و ما فيها من الموجودات الجسمانيّة، و قيّد تقدير الأقوات بيومين آخرين، و المراد بها عالم النّفوس و الأرواح و ما فيها من الرّوحانيّات، لأن الأرواح و النّفوس هي الأقوات

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج١، ص ٣٢٧

الحقيقيّة للأجسام لقوله تعالى:

وَ أَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظٰاهِرَةً وَ بٰاطِنَةً [سورة لقمان: ٢٠]. و لقوله:

وَ فِي السَّمٰاءِ رِزْقُكُمْ وَ مٰا تُوعَدُونَ [سورة الذّاريات: ٢٢].

و قيّد تقدير خلق السموات بيومين أيضا، و المراد بها عالم العقول و المجرّدات، لعلوّ قدره و عظم شأنه، و يصدق هذا على ترتيب إيجاد الملك و الملكوت و الجبروت، و ما شاكل ذلك من العوالم المذكورة، و هذا التّرتيب التّفصيلي و التّرتيب الإجمالي المذكور في الآية المتقدّمة، و هذه الآية كلها مطابق موافق، و المراد من المجموع واحد، و هو أنّ هذه العوالم مظاهر الأسماء الإلهية و الأسماء مظاهر للصّفات الأزليّة و الأفعال المسمّى بالعالم و الكون، و غير ذلك مظاهر لتلك الأسماء و الصّفات، و الكل حجب و سر لتلك الذّات كما سبق ذكره في قول العلماء (العارف):

حجب الذّات بالصّفات، و الصّفات بالأسماء، و الأسماء بالأفعال، و الأفعال بالأكوان.

(ليس في الوجود إلاّ هو):

و تقرّر انّه ليس في الوجود سوى اللّه تعالى و أسمائه و صفاته و أفعاله، فالكلّ هو و به و منه و إليه.

و حيث يجب العبور عن الكلّ حتّى يصل الشّخص إلى الذّات الأحديّة الإلهيّة المستورة تحته لقوله:

هُوَ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ وَ الظّٰاهِرُ وَ الْبٰاطِنُ وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ [سورة الحديد: ٣].

و حيث هذه العوالم، و الحجب و الأستار من حيث غير الكلّيّات أشار القرآن إلى كلّيّاتها بقوله:
ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهٰا سَبْعُونَ ذِرٰاعاً [سورة الحاقّة: ٣٢].
و أشار الخبر إلى بعض جزئيّاتها بقوله:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ١، ص ٣٢٨

إن للّه تعالى سبعين ألف حجاب من نور و ظلمة لو كشفها لاحترقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه.

(طريق الوصول إلى حضرة الحق للسالك رفع الحجب)

السالك يرفع هذه الحجب و السّلاسل، و إزالة تلك الموانع و العوارض يصل إلى حضرة الذّات الهويّة الأحديّة الجمعيّة، و لو لم يكن حجابا على وجهه الكريم، و مانعا عن الوصول إلى جنابه القديم ما أخبر اللّه تعالى عنها في كتابه مجملا، و ما أخبر النّبيّ (ع) عن جزئيّاتها مفصّلا حيث وافق الخبر القرآن، و القرآن مشتمل على هذه الأسرار كلّها لقوله:
وَ لاٰ رَطْبٍ وَ لاٰ يٰابِسٍ إِلاّٰ فِي كِتٰابٍ مُبِينٍ [سورة الأنعام: ٥٩].
فيجب على السّالك تأويله و تأويل تأويله إلى أن يصل إلى نهاية المراتب السبع بحكم الخبر و هو قوله:
إن للقرآن ظهرا و بطنا و لبطنه بطنا إلى سبعة أبطن [قد مرّ بيانه في التعليقة ١١].
و يطلع به على هذه الأسرار ببركته من هذه الحجب و الأستار، و قد سبقت كيفيّة مطالعته و مشاهدته و يخلص في عالمي الآفاق و الأنفس و كتابي

الكبير و الصغير تحت ملابس أسمائه و صفاته و أفعاله المسمّاة بالآيات و الكلمات و الحروف و سيجيء أكثر من ذلك إن شاء اللّه.

(المقصود من الخلقة: المعرفة)

و عند التحقيق عن هذه المراتب السبعة القرآنيّة المنطبقة على العالم كلّها، و الّتي بإزائها من المراتب السّبعة الآفاقيّة الموجبة لمشاهدته بعد رفع الحجب و الأستار، أخبر اللّه تعالى بقوله:

اللهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمٰاوٰاتٍ وَ مِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَ أَنَّ اللهَ قَدْ أَحٰاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً [سورة الطلاق: ۱۲].

لأنّ السّموات إشارة إلى عالم العقول و المجردات و النفوس و الأرواح

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۱، ص ۳۲۹

المفارقات المسمّاة بالجبروت و الملكوت. و الأرض إشارة إلى عالم الأجسام و المحسوسات و المركّبات، المسمّاة بالملك و الشهادة، و الأمر النّازل بينهما إشارة إلى الإنسان الحقيقي الكبير المعبر عنه بالخليفة الأعظم، أو إلى الإنسان الصغير، المعبّر عنه بآدم و ذرّيته.

(المراد من اللقاء)

و المراد من هذا التفصيل و الترتيب و الجمع بينهما، أن يعرف عبيده المخلصون على الوجه المذكور، أعني بحسب ملابس الأسماء و الصّفات، و مظاهر الأفعال و الأكوان كشفا و شهودا أو بحسب حجب الملك و الملكوت و الجبروت، ذوقا و وجدانا و مشاهدة و عيانا، لقول بعض

العارفين فيه:

تجلّى لي المحبوب من كلّ وجهة

فشاهدته في كل معنى و صورة

و لقوله تعالى في كتابه:

فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ [سورة البقرة: ١١٥].

و قوله: لتعلموا بعد الآية إشارة إلى هذا، و تقديره أي لتعلموا أنّ المقصود من جميع ذلك معرفته و عبادته بموجب قوله في الأوّل:

كنت كنزا مخفيّا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق [قد مرّ مرجعه و الإشارة إليه في التعليقة ٧٧].

و بمقتضى إشارته في الثاني:

وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ [سورة الذاريات: ٥٦].

لأنّ اللام، لام التّعليل فالعلّة لا تكون فيه إلاّ هذا، و لهذا قال عقيبه: أَنَّ اللهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَ أَنَّ اللهَ قَدْ أَحاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً [سورة الطلاق: ١٢].

و مراده: أي لتعلموا أنّ المقصود معرفته و عبادته، لكن على الوجه المعلوم.

و هو أن يعرفوه من حيث الكشف و الشهود و يتحققوه، أنّه قادر على كلّ شيء من الممكنات بالإيجاد و الإعدام و التّفجير و التبديل و الظّهور و الخفاء و أنّه قد أحاط بكل شيء علما و ذاتا و وجودا و ماهيّة و حقيقة و صفة و فعلا، و ليس في الوجود غيره،

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج١، ص ٣٣٠

و غير مظاهره المسمّاة بالعالم و الإنسان و غيرهما، لأنّ هذا هو اللقاء الحقيقي الموعود في القيامة الكبرى عند التّحقيق، و هذا هو الوصول الكلّ إلى جنابه عند النظر الصحيح، كما أشار إليه في قوله مفصّلا:

أَ وَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلى‏ كُلِّ شَيْ‏ءٍ شَهِيدٌ أَلا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقاءِ رَبِّهِمْ أَلا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْ‏ءٍ مُحِيطٌ [سورة فصلت: ٥٣- ٥٤].

و أيّ لقاء يكون أعظم من مشاهدته في كل شيء كشفا و عيانا و الوصول إليه ذوقا و وجدانا و ذلك لأنه المشهود في كل شيء و المشهود في كل شيء لا ينتظر شهوده و لقاءه في شيء معيّن أو وقت معيّن فإنّه محال ضرورة لأن المحيط لكلّ شيء لا يمكن شهوده إلا في كل شيء و ذلك لأن الكل من حيث الكل لا يظهر إلا في الكل كما قيل:

الكلّ بالكلّ مربوط و ليس له عنه انفصال خذوا ما قلته عني

«٧٨» واحد بالذّات، الكلّي بالأسماء إشارة إلى هذا.

و مع كل شيء لا بمقارنة و غير كل شيء لا بمزايلة «٧٩» كذلك.

و معلوم أيضا أنّ المحيط لا كلّ ينفك عن المحاط و لا المحاط عن المحيط فيلزم من مشاهدة كل واحد منهما مشاهدة الآخر، و هذا هو سرّ قوله:

هُوَ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ وَ الظَّاهِرُ وَ الْباطِنُ وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْ‏ءٍ عَلِيمٌ [سورة الحديد: ٣].

و سرّ قوله:

فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ [سورة البقرة: ١١٥].

لأنّ الوجه هو الذّات الكاملة المحيطة بالكلّ لقوله:

---

(٧٨) قوله: الكل بالكل مربوط و ليس له.

القائل به محيي الدين العربي، فصوص الحكم القيصري ص ٩٣ فصّ آدمي و العفيفي ص ٥٦.

(٧٩) قوله (ع): و مع كل شيء لا بمقارنة الخ.

نهج البلاغة الخطبة الأولى.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج١، ص ٣٣١

كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ [سورة القصص: ٨٨].

و تقديره أي كل شيء غيره هالك في نفسه غير موقوف على زمان و لا مكان، له الحكم، أي له البقاء الدّائم و إليه ترجعون. فهذه الموجودات القائمة بالاضافات، و النّسب المعدومات في نفس الأمر بعد إسقاط الإضافات لقولهم:

التّوحيد إسقاط الإضافات. لأنّ العارف إذا نظر إلى حقيقة الوجود و وحدته سقط عن نظره ما سوى الوجود مع كثرته و فيه قيل:

كل شيء فيه معنى كلّ شي　　　فتفطّن و اصرف الذّهن إليّ

كـثـرة لا تـتـنـاهـى عـددا قد طوتها وحدة الواحد طيّ

و في مثل هذا الكشف ورد عن الكاشف الحقيقي و العارف اليقيني:

لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا [قد مرّ مرجعه في التعليقة ٣٣].

لأنّ الغطاء المذكور ليس غطاء حاجبا بشيء يتوهّم أنّه مخصوص بالكاشف بل هو غطاء مطلق، و الغطاء المطلق ليس إلاّ المظاهر مطلقا المسمّى بالعالم و الخلق و غير ذلك، و الألف و اللاّم فيه دال على عموم (عموميّته) هيئته لأنّه للجنسيّة، و إن كان للعهد أو الاستغراق فكذلك، فإنّ الغطاء في الذّهن لا يتصورّ إلاّ مطلقا و المطلق لا يصدق إلاّ على العالم كلّه، و على جميع التقادير ليس فيه حكم الخصوصي و لا حكم الاضافة إلى القائل به، لأنّه لو كان كذلك لقال: لو كشف غطائي، فحيث ما قال إلاّ الغطاء المحلى بالألف و اللام عرفنا أنّه أراد الغطاء مطلقا، و فيه قيل:

لقد كنت دهرا قبل أن يكشف الغطا

إخالك أنّي ذاكر لك شاكر

فلمّا أضاء الليل أصبحت عارفا بأنّك مذكور و ذكر و ذاكر

(المراد من الغطاء و الحاجب و الشاهد و مقابليها)

و ها هنا دقيقة شريفة تحتاج إلى نظر دقيق و هي أنّه إذا قرّرناه أنّه ليس في الوجود غيره، فمن الغطاء و من المغطى، و من الحاجب و من المحجوب و من الشاهد و من المشهود. و الجواب عنه، أنّه الغطاء من حيث الظهور و الكمالات و أنّه

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۱، ص ۳۳۲

المغطى من حيث الوجود و الذات و أنّه الحاجب من حيث الأسماء و الصّفات، و أنّه المحجوب من حيث الوجود و الذّات و أنّه الشاهد من حيث النزول في صور المخلوقات و أنّه المشهود من حيث الوجود و الذّات، و إلى هذا أشار الشيخ الأعظم قدس اللّه سرّه في قوله:

فإن قلت بالتّنزيه كنت مقيّدا
و إن قلت بالتّشبيه كنت محدّدا

و إن قلت بالأمرين كنت مسدّدا
و كنت إماما في المعارف سيّدا

فإيّاك و التّشبيه إن كنت ثانيا
و إياك و التّنزيه إن كنت مفردا

و في قوله تعالى:
وَ كَذٰلِكَ نُرِي إِبْرٰاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ وَ لِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ

[سورة الأنعام: ۷۵].

إشارة إلى هذه المشاهدة الجليّة الغير القابلة للشك و الحيرة الجامعة بين الكثرة و الوحدة.

و بهذا صرنا مأمورين في قوله:

وَ اعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ [سورة الحجر: ۹۹].

و بهذا كنّا موعودين في قوله:

إِنَّ هٰذٰا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ [سورة الواقعة: ۹۵].

و الحمد للّه الّذي هدانا لهذا و ما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا اللّه، ذلك فضل اللّه يؤتيه من يشاء و اللّه ذو الفضل العظيم، هذا آخر العبارة الأولى من العبارتين في معنى الحديث النّبوي بالنسبة إلى الآفاق.

(الحجب صوريّة و معنويّة)

و أمّا العبارة الثانية ... من أن للإنسان حجبا و موانع موسومة بالسلاسل و الأغلال، مانعة عن الوصول إلى حضرة العزّة الموصوفة بالعظمة و الجلال، و تلك الحجب و الموانع ليست ... الصّوريّة و المعنويّة.

أمّا الصوريّة فقد عرفت حقيقتها عند تطبيق المراتب السبع القرآنية بالطّبقات

السبع الآفاقيّة و ضرب الكواكب السّبعة في البروج العشرة و إخراج الحجب السّبعين من بينهما بحسب الكلّ و تقسيمها إلى سبعين ألف بحسب (الجزئيّ) ما قد سبق.

و أمّا المعنويّة، فقيل إنّها أخلاقه و صفاته لأنّ كلّ واحدة منها بمثابة حجب

من الحجب المعلومة، أمّا إجمالا فمن حيث أنّه نسخة جامعة لكلّ ما في الآفاق صورة و معنى، فتكون هذه الحجب و الأستار المشتملة على العوالم كلّها مندرجة فيه، فيسدون عن وجهه الحقيقي و يكون هو مغلولة بها مسلسلة بآثارها و تبعاتها في كل يد، و إلاّ التطبيق لا يكون صحيحا و الحال أنّه صحيح واقع.

و أمّا تفصيلا، فالأخلاق الذّميمة و الحميدة المركوزة في جبلّته، و الأوصاف الحسنة و السّيئة اللازمة لطبيعته، من العلم و الجهل، و الحلم و الغضب، و الشهوة و العفّة، و الشّجاعة و الجبن، و العدل و الظلم، و البخل و الكرم، فإنّها تزيد على السّبعة و سبعين ألف، و على هذا التقدير يكون العلم من الحجب النّورانيّة و الجهل من الحجب الظلمانية، و كذلك الحلم و الغضب، و كل متقابلين من الصفات، و من حيث إنّ الأوصاف و الأخلاق التي في الإنسان بحسب القوى المركوزة في طبعه، و الإنسان نسخة جامعة للإنسان الكبير صورة و معنى، جعل الشيخ الأعظم قدس سرّه في فصوصه «٨٠» أصناف الملائكة التي في العالم بمثابة القوى التي في الإنسان الصغير، و هو قوله:

فاقتضى الأمر جلاء مرآة العالم، فكان آدم عين جلاء تلك المرآة و روح تلك الصورة، و كانت الملائكة من بعض قوى تلك الصورة التي هي صورة العالم المعبّر عنه في اصطلاح القوم بالإنسان الكبير، فكانت الملائكة له كالقوى الروحانية و الحسيّة التي في النشأة الإنسانيّة، و كل قوّة منها محجوبة بنفسها لا ترى أفضل من ذاتها.

و ستعرف تفصيلها و تحقيقها عند تقابل الآفاق بالأنفس في المقدمة الثّانية إن شاء اللّه.

(٨٠) قوله: و معنى جعل الشيخ الأعظم قدس سره الخ، فصوص الحكم القيصري ص ٦٦، و العفيفي ص ٤٩ في فص آدمي.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ١، ص ٣٣۴

(القوى في الإنسان بمثابة الملائكة في العالم فلا يعرف مقدارها)

و الغرض من هذا النقل و هو أنه إذا كانت القوى في الإنسان الصغير بمثابة الملائكة في الإنسان الكبير، فكيف يمكن معرفة قلّة قوى الإنسان و كثرتها، فإنّ الملائكة غير قابلة للحصر و العدّ كقوله تعالى:

وَ مٰا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ [سورة المدّثر: ٣١].

غاية ما في الباب يعرف أنّ هناك ملائكة سماويّة و ملائكة أرضيّة، و أنّ هناك قوّة روحانيّة و قوّة جسمانيّة، و أنّها حجب و موانع، من المطلوب الحقيقي في الصورتين و يسمّى اللطيف منها بالنّورانيّة و الكثيف بالظّلمانية، و إلاّ حصرها و عدّها بحسب الجزئي ما يمكن، لأنّه خارج عن وسع الإنسان، و ليس أيضا شرطا في حصول كله و معرفته كما هو مقرّر عند أهله، و حجب الإنسان لو لم يكن مع الإنسان و لم يكن له (أنّه) مانعة من الوصول إلى الحق لم يكن يقول اللّه (تعالى) في حقه:

ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهٰا سَبْعُونَ ذِراٰعاً [سورة الحاقّة: ٣٢].

(دعوة الإنسان إلى معرفة نفسه)

فإنّه إشارة إلى حجبه المذكورة و تعلّقاته المعلومة، و كماله و معرفته و وصوله إلى المطلوب لو لم يكن موقوفا على عبوره عن هذه الحجب و وصوله إلى معرفة النّفس، لم يكن يقول اللّه عزّ و جلّ مخاطبا له:

وَ فِي أَنْفُسِكُمْ أَ فَلاٰ تُبْصِرُونَ [سورة الذّاريات: ٢١].

و لم يكن يقول:

اِقْرَأْ كِتٰابَكَ كَفىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً [سورة الإسراء: ١٤].

و لم يكن يقول اللّه:

سَنُرِيهِمْ آيٰاتِنٰا فِي الْآفٰاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتّٰى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ [سورة فصّلت: ٥٣].

و لم يكن يقول النبيّ (ص):

«من عرف نفسه فقد عرف ربّه» [قد مرّت الإشارة إليه في التعليقة ٣٥ فراجع].

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ١، ص ٣٣٥

و لم يكن يقول أمير المؤمنين (ع):

دواؤك فيك و ما تشعر   و داؤك منك و تستكثر

(بيان أن الحجب على قسمين: آفاقي و أنفسي و عددهما)

و بالجملة الحجب على قسمين، آفاقيّ و أنفسي، و كلّ واحد منهما منحصر

في السبع و سبعين ألف، مطابق للقرآن و الخبر، لكن من حيث الكل المضاف إلى بعض الجزئي لا مطلقا، و لم يكن الغرض من هذا البحث إلاّ هذا، و قد تقرّر هذا و تحقق، و اللّه أعلم و أحكم.

و إذا تحقق هذا فلنشرع في بعض آخر مطابقا للخبر بحكم الأسماء و أئمّتها السّبعة، ثمّ في المثال المحسوسة في دائرة مجدولة مشكّلة مترتّبة على أسماء الذّات و أسماء الصّفات و أسماء الأفعال مطابقا لقولهم: حجب الذّات بالصّفات، و الصّفات بالأفعال، حيث يقرّر أنّ هذه الحجب كلّها مظاهر إلهيّة على حسب كليّات الأسماء و جزئيّاتها.

(بيان أئمة الأسماء و تطبيق الأنفس و الآفاق بالقرآن)

فنقول: اعلم أنّ الأسماء الإلهيّة و إن كانت غير متناهية بحسب الجزئيّات، لكن هي متناهية بحسب الكليّات الّتي هي إمّا ألف، أو مائة، أو عشرة، كما سنبيّن تفصيلها عند عمليّات التّصوّف في الجداول العشرة، و حيث إنّ هذه الكليّات فيها كثرة، و الكثرة مظنّة التّنازع وجب أن يكون لها أئمّة يقتدى بهم، كما يقرّر هذا في بحث الإمامة و اللّطف عند المتكلمين، و تلك الأئمة باتّفاق المحققين سبعة، و هي الحيّ، العليم، المريد، المتكلّم، القادر، الجواد، المقسط، و بعبارة أخرى، الحيّ و العالم، و المريد، و القادر، و السميع، و البصير، و المتكلّم، كلاهما صحيح و بناء على هذا طابق تطبيق الكلّ بالكلّ حيث قلنا: إنّ العالم مظاهر الأسماء الإلهيّة و مجاليها، أعني تطبيق الأسماء بالآفاق، و تطبيق الآفاق بالأنفس، و تطبيقهما بالقرآن، و تطبيق الأسماء السّبعة بالكواكب السّبعة و تطبيق الكواكب السّبعة، بالأقاليم السّبعة و

الطوائف السبع المخصوصة لكلّ إقليم منها.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج١، ص ٣٣٦

و كذلك في الأنفس و تطبيقهما بالآفاق في السّبعات المذكورة و غير ذلك من التطبيقات. و نبيّنا (ص)، حيث كان عالما بالكل بما قال: علّمت علم الأوّلين و الآخرين [فقد مرّت الإشارة إليه في تعليقه ٣٩]. و بما قال: أرنا الأشياء كما هي «٨١».

قال: إن للقرآن ظهرا و بطنا و لبطنه بطنا إلى سبعة أبطن [قد مرّت الإشارة إليه في تعليقة ١١ فراجع].

ليعلم أنّ اشتمال القرآن على المراتب السبع من اشتمال الآفاق و الأنفس على مراتبهما السّبع المذكورة بحكم الأسماء السّبعة، أو الخلق أعني اشتمال الخلق على الطوائف السّبع بحكم الآفاق و الأسماء السّبعة و مراتبها، و من هذا قلنا مرارا: إنّ القرآن صورة إجمال القرآن و تفصيله، كما أنّ الإنسان صورة إجماله و تفصيله، و معلوم انّه قد سبق أنّ وضع هذا الكتاب على هذه التّطابيق الثلاثة الّذي هو القرآن، و الآفاق و الأنفس، فحينئذ يجب عليك دقّة النّظر في جميع الأقوال الإلهيّة و النّبويّة، بعد تحقيقه حتّى يحصل لك مثل هذه التحقيقات، و يتحقّق عندك أنّ أدنى كلام الكامل و أنّ أسهل ما أشار له الحق تعالى، مشتمل على أعلى أسرار الهيّة و أسنى معارف ربّانيّة.

(تفاوت الموجودات في مظهريّتها لأسماء الذات و الصفات و الفعل)

و إذا عرفت فاعلم، أنّ بعض الموجودات و المخلوقات صاروا مظهر أسماء

الذّات كالإنسان و العقل الأوّل و الأنبياء و الرّسل و الأولياء و الكمّل، و أمثالهم، رضوان اللّه عليهم أجمعين، و بعضهم مظهر أسماء الصّفات اللّطفيّة و القهريّة، أعني الجلاليّة و الجماليّة.

أمّا مظهر الأسماء الجماليّة و الصّفات اللطفيّة كالملائكة السّماويّة،

---

(٨١) قوله: و بما قال: أرنا الأشياء كما هي.

ذكره الفخر الرازي في تفسيره الكبير في سورة طه ذيل الآية الكريمة: ربّ اشرح لي صدري، ج ٢٢، ص ٣٩، و ذكره أيضا الرازي نجم الدين في مرصاد العباد ص ١٧٠، الفصل ١٧، الباب ٣.

و روى ابن أبي جمهور عوالي اللئالي ج ٤، ص ١٣٢، الحديث ٢٢٨، قال: و قال (ع): اللّهم أرنا الحقائق كما هي.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ١، ص ٣٣٧

و المجردات العلويّة من العقول و النّفوس.

و أمّا مظهر الأسماء الجلاليّة و الصّفات القهريّة كالشّياطين، و المردة من الجنّ و أمثالهم من الفراعنة و النّماردة، كما سيجيء تفصيلهما مشكلا في الدائرة التوحيدية. و بعضهم مظهر الأسماء الفعليّة كالمواليد الثلاثة من المركّبات كالمعدن و النّبات و الحيوان، أو عالم الأجسام و الأكوان مطلقا.

و أصل الكلّ و مرجعهم، الأسماء السبعة الأول المسمّاة بالأئمّة. فوجب أن

يكون القرآن كذلك لأنّه على صورة العالم و العالم على صورة الأسماء، و هما على صورة موجدهما، لقوله (ع): خلق اللّه تعالى آدم على صورته [قد مرّت الإشارة إليه في التعليقة ۳۱].

و ها هنا أسرار و إشارات.

وَ تِلْكَ الْأَمْثٰالُ نَضْرِبُهٰا لِلنّٰاسِ وَ مٰا يَعْقِلُهٰا إِلاَّ الْعٰالِمُونَ [سورة العنكبوت: ٤۳].

و قوله: إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَذِكْرىٰ لِمَنْ كٰانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَ هُوَ شَهِيدٌ [سورة ق: ۳۷].

(تعداد أسماء الذّات و الصّفات و الأفعال)

و أما أسماء الذّات على سبيل التعداد على ما ذهب إليه الشيخ الأعظم قدس اللّه سرّه، و أكثر المشايخ:

اللّه، الحيّ، الربّ، الملك، القدوس، السلام، الموٴمن، المهيمن، العزيز، الجبّار، المتكبر، العليّ، العظيم، الظاهر، الباطن، الأوّل، الآخر، الكبير، الجليل، المجيد، الحق، المبين، الواحد، الماجد، الصمد، المتعال، النور، الوارف، الرّقيب.

و أمّا أسماء الصّفات، فعلى ما ذهب إليه الشيخ و غيره: الشّكور، القهّار، القاهر، المتعذّر، القوي، القادر، الرّحمن، الرّحيم، الغفّار، الغفور، الودود، الرّؤوف، الحليم، الصّبور، البرّ، العليم، الخبير، المحصى، الحكيم، الشّهيد، السّميع، البصير،

و أمّا أسماء الأفعال، فعلى رأيهم أيضا: المبدئ، الوكيل، الباعث، المجيب، الواسع، الحسيب، المقيت، الحفيظ، الخالق، البارئ، المصوّر، الوهاب، الرزّاق، الفتّاح، القاسط، الباسط، الحافظ، الرّافع، المعزّ، المذلّ، الحكيم، العدل، اللّطيف، المعيد، المحيي، المميت، الوالي، التّواب، المنعم، المقسط، الجامع، المغني، المانع، الضّارّ، النّافع، الهادي، البديع، الرّشيد، و تفصيل هذه كلّها قد ذكره الشيخ في رسالته الموسومة بالرقائق في جداول حاضرة ذكرتها بلا تغيير و لا تبديل.

و أمّا الدائرة الّتي هي لنا فقد رتّبتها على التّرتيب المذكور في أسماء الذّات و الصّفات، و الأفعال، مشتملة على ثلاث جداول، كل واحد منها مخصوص بقسم من الأقسام في هذه الأسماء، بحيث يكون الجدول الأول القريب إلى الدائرة الوسطية المركزيّة الموضوعة للذّات الأحديّة، للأسماء الذاتيّة، و الجدول الثّاني بعده للأسماء الوصفيّة، و الجدول الثّالث بعدهما للأسماء الفعليّة، و عيّنت فيها منشأ القرآن و الحديث القدسي و الحديث النبوي، و منشأ الوحي و الإلهام، و الكشف، و طابقت هذا الباب بثلاثة من العوالم، كالملك و الملكوت و الجبروت، و وضعت فوق كل جدول من الجداول الثالثة المذكورة في صورة الدوائر دائرة مخصوصة بتلك الأسماء أو الحضرة المخصوصة بها توضيحا و تحقيقا، و أشرت إلى أنّ هذه المراتب كلّها دائرة على الأسماء الأربعة: من الأوّل و الآخر و الظاهر و الباطن، و كتبت كل اسم من هذه الأسماء على طرف من أطراف الدوائر مشيرا إلى أنّ الأسماء كلها دائرة على هذه الأربعة، و إلى أنّ معرفة اللّه تعالى كبيت له أربعة أركان، ما

يقوم ذلك البيت إلّا بها، و إلى أنّ هذه الأسماء هي كلّيات الأسماء كلّها.

و هذه هي صورة الدائرة المذكورة، و باللّه التوفيق و العصمة و هو يقول الحق و هو يهدي السبيل: [راجع التعليقة ٨٢ تسهيلا للقراءة] (٨٢).

---

(٨٢) قوله: و هذه هي صورة الدّائرة المذكورة.

أقول: و ليعلم القارئ العزيز أنّ ما هو في نسخة المؤلف رضي اللّه عنه هو شكل الدائرة و الأسماء مكتوبة في خلالها، و إذا أقدم لكم ما في الدائرة من العبارات و الأسماء تسهيلا و تسريعا للمطالعة و القراءة على التّرتيب الّذي فيها و هو هذا:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج١، ص ٣٤٠

الذّات الأحديّة الصّرفة المطلقة الإلهيّة **شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ هُوَ وَ الْمَلاٰئِكَةُ وَ أُولُوا الْعِلْمِ قٰائِماً بِالْقِسْطِ لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ [سورة آل عمران، الآية: ١٨].**

دائرة أسماء الذّات جلّت قدرته هذه مخصوصة بالحضرة الأحدية الذّاتيّة المطلقة.

العالم المعبر عنها بالجبروت من مظاهرها و حضرتها.

الوحي النازل على الأنبياء و الرّسل (ع) من حضرتها.

القرآن و أمثاله من كتب اللّه المنزلة مخصوصة بحضرتها.

(الأسماء المخصوصة بهذه الدائرة):

عند البعض في بعض هذا خلاف.

اللّه، الحيّ، الرّبّ، الملك، القدّوس، السّلام، الموٴمن، المهيمن، العزيز، الجبّار، المتكبّر، العليّ، العظيم، الظّاهر، الباطن، الأوّل، الآخر، الكبير، الجليل، المجيد، الحقّ، المبين، الواجد، الماجد، الصمد، المتعال، الغني، النّور، الوارف، الرّقيب.

دائرة أسماء الصّفات.

هذه مخصوصة بالحضرة الواحديّة الأسمائيّة البرزخيّة.

العالم المعبر عنه بالملكوت من مظاهرها و حضراتها.

الإلهام الحاصل للأولياء و الأوصياء (ع) من حضرتها.

الحديث القدسي و ما شاكل ذلك من الأخبار مخصوص بحضرتها.

(الأسماء المخصوصة بهذه الدّائرة):

عند البعض في بعض هذا خلاف.

الشّكور، القهّار، القاهر، المقتدر، القوي، القادر، الرّحمن، الرّحيم، الكريم، الغفّار، الغفور، الودود، الرّؤوف، الحليم، الصبّور، البرّ، العليم، الخبير، الحكيم، الشّهيد، السّميع، البصير.

دائرة أسماء الأفعال هذه مخصوصة بالحضرة الرّبوبيّة المطلقة الفعليّة.

العالم المعبر عنه بالملك من مظاهرها و حضراتها.

الكشف الحاصل للورثة و تابعيهم من العلماء من حضرتها.

الحديث النّبوي و ما شاكل ذلك من الأخبار مخصوص بحضرتها.

«الأسماء المخصوصة بهذه الدّائرة»:

عند البعض في بعض هذا خلاف.

المبدي، الوكيل، الباعث، المجيب، الواسع، الحسيب، المقيت، الحفيظ، الخالق، الباري، البديع، المصوّر، الوهّاب، الرّزاق، الفتاح، القابض، الباسط، الخافض، الرافع - المعزّ،

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج١، ص ٣٤١

العالم و القرآن على طبقات سبع

هذا آخر بحث الأسماء في صورة الدّوائر الثلاث، و آخر تطبيق الحديث بالقرآن، و تطبيق القرآن بالآفاق و الأنفس بحكم الحديث النّبوي، و غير ذلك من التّطبيقات.

و حيث طال هذا البحث في هذا المقام و تحقّق بعض ما كان عندنا في هذا الباب، و ثبت أنّ القرآن لا يجوز أن يكون مرتّبا إلاّ على الطبقات السّبع المذكورة مطابقا لطبقات الخلق بأسرهم، أو طبقات العالم بأسرها، لأنّه لو كان على غير هذا الوضع لكان يلزم منه الإخلال بالواجب عليه و على النبيّ (ع)، لعدم حظ بعض الخلق منه،

(تطبيق الآفاق و الأنفس، بالقرآن في كلمات الأولياء)

فلنشرع فيه بكلام الأولياء و الأوصياء (ع)، كما شرطناه، و نثبت هذا المعنى أيضا من فحوى كلامهم إن شاء اللّه و هو هذا: و باللّه التّوفيق و العصمة و هو يقول الحقّ و هو يهدي السّبيل.

و أمّا قول الأولياء (ع):

فالأعظم قدرا و الأحسن تركيبا و الألطف ترتيبا قول قطبهم و رئيسهم و إمامهم و مقدّمهم، سلطان الأولياء و الوصيّين، وارث علوم الأنبياء و

المرسلين، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع)، فإنّه في هذا الباب بل في كلّ الأبواب عديم النّظير و المثل بعد نبيّنا (ص)، فمن ذلك قوله في بعض خطبه «۸۳»:

و اعلموا أنّ هذا القرآن هو النّاصح الّذي لا يغش و الهادي الّذي لا يضلّ

المذلّ، الحكم، العدل، اللطيف، المعيد، المحيي، المميت، الهادي، الرّشيد، الوالي، التوّاب، المنتقم، الجامع، المغني، المانع، الضّار، النّافع.

(۸۳) قوله ممن ذلك قوله في بعض خطبه الخ، نهج البلاغة الخطبة ۱۷٦ صبحي الصالح.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۱، ص ۳۴۲

و المحدّث الّذي لا يكذب، و ما جالس هذا القرآن أحد إلاّ قام عنه بزيادة أو نقصان: زيادة في هدى، أو نقصان من عمى. و اعلموا أنّه ليس على أحد بعد القرآن من فاقة، و لا لأحد قبل القرآن من غنى، فاستشفوه من أدوائكم، و استعينوا به على لأوائكم، فإنّ فيه شفاء من أكبر الدّاء: و هو الكفر و النّفاق، و الغيّ و الضّلال، فاسألوا اللّه به، و توجّهوا إليه بحبّه، و لا تسألوا به خلقه، إنّه ما توجّه العباد إلى اللّه تعالى بمثله. و اعلموا أنه شافع مشفّع، و قائل مصدّق، و أنه من شفع له القرآن يوم القيامة شفع فيه، و من محل به القرآن يوم القيامة صدّق عليه، فإنّه ينادي مناد يوم القيامة: ألا إن كل حارث مبتلى في حرثه و عاقبة عمله، غير حرثة القرآن. فكونوا من حرثته و أتباعه، و

استدلوه على ربّكم، و استنصحوه على أنفسكم، و اتّهموا عليه آراءكم، و استغشوا فيه أهواءكم. العمل، العمل، ثم النهاية النهاية، و الاستقامة، ثم الصبر الصبر، و الورع الورع!، إن لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم، و إن لكم علما فاهتدوا بعلمكم، و إن للإسلام غاية فانتهوا إلى غايته.

و اخرجوا إلى اللّه بما افترض عليكم من حقه، و بيّن لكم من وظائفه. أنا شاهد لكم و حجيج يوم القيامة عنكم.

ألا و إن القدر السابق قد وقع، و القضاء الماضي قد تورّد، و إنّي متكلم بعدة اللّه و حجّته، قال اللّه تعالى:

إِنَّ الَّذِينَ قٰالُوا رَبُّنَا اللّٰهُ ثُمَّ اسْتَقٰامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلاٰئِكَةُ أَلاّٰ تَخٰافُوا وَ لاٰ تَحْزَنُوا وَ أَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ [سورة فصلت: ٣٠].

و قد قلتم: ربنا اللّه، فاستقيموا على كتابه و على منهاج أمره، و على الطريقة الصالحة من عبادته، ... إلى قوله: و إن اللّه سبحانه لم يعظ أحدا بمثل هذا القرآن، فإنّه حبل اللّه المتين و سببه الأمين، و فيه ربيع القلب، و ينابيع العلم، و ما للقلب جلاء غيره، مع أنّه قد ذهب المتذكّرون، و بقي النّاسون أو المتناسون.

(القرآن و أسراره و شرط قراءته و لمسه)

و الغرض من هذا اطّلاعك على أسرار القرآن و دقائقه، و علمك بلطائف التّأويل و حقائقه من كلام أعلم الخلق، بعد رسول اللّه (ص) بالقرآن و بمعضلاته

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ١، ص ٣٤٣

و أقدرهم بحلّ رموزه و مشكلاته لأنّه القرآن الناطق و البرهان الصادق، كما أشار إليه في خطبته الافتخاريّة بقوله:

أنا آية الجبّار، أنا أنيس الفلك الدوّار، أنّا القرآن الناطق، أنا البرهان الصّادق، أنا حاء الحواميم، أنا طاء الطّواسم إلى آخر الخطبة فإن أكثرها على هذا الأسلوب [فقد مرّت الإشارة إليها في التعليقة ٣١].

و قوله أيضا في موضع آخر:

و هذا القرآن إنّما هو خط مسطور بين الدفّتين لا ينطق بلسان، و لا بدّ له من ترجمان، و إنّما ينطق عنه الرّجال [فقد مرّت الإشارة إليه في التعليقة ٥٩].

إشارة إلى هذا أي أنّ القرآن ليس بناطق بل يحتاج هو إلى ناطق ينطق عنه، و ذلك الناطق أنا و أمثالي من أهل بيت النّبي (ع) المعبّر عنهم بالرّجال، و تقديره أن هذا الكتاب الإلهي و الكلام الرّباني المسطور بين الدّفّتين أعني بين الجلدتين ما له قوّة النّطق و لا قابليّة التّكلّم، بل يحتاج هو في نفسه إلى متكلّم يتكلّم عنه و مترجم يترجم منه، و إنما ينطق عنه الرّجال، أي الرّجال الإلهيّون المشار إليهم في قوله:

رِجٰالٌ لاٰ تُلْهِيهِمْ تِجٰارَةٌ وَ لاٰ بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللّٰه [سورة النور: ٣٧].

الموسومون بأولى الألباب، الموصوفون بالرّسوخ في جميع الأبواب، لقوله أيضا:

وَ مٰا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّٰهُ وَ الرّٰاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنّٰا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنٰا وَ مٰا يَذَّكَّرُ إِلاّٰ أُولُوا الْأَلْبٰابِ [سورة آل عمران: ٧].

و معلوم أن إنما للحصر، و أن الرجال فيه ألف و لام و ذلك من علامة العهد،

و من علامة انّه تعالى خصّ لهم تأويله و تحقيقه، لأنّهم من رجال ورد فيهم:

رِجٰالٌ صَدَقُوا مٰا عٰاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ [سورة الأحزاب: ۲۳]. و يدلّ على هذا أيضا قوله تعالى:

إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتٰابٍ مَكْنُونٍ لاٰ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ [سورة الواقعة: ۷۷- ۷۹].

لأنه إشارة إلى أن القرآن لا ينطق عنه و عن تأويله و تحقيقه، و لا يحصل مسّه

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۱، ص ۳۴۴

الحقيقي الذي هو عبارة عن الاطلاع على ظاهره و باطنه و باطن باطنه إلى أن يصل إلى الأبطن السبعة، إلا لرجال مطهّرين من أنجاس الشرك الجليّ و الخفيّ و دنس رؤية الغير في الوجود مطلقا، و اللاّم في لا يمسه لام النّفي لا لام النّهي كما ذهب إليه أرباب الظاهر، و ذلك لأن الإنسان لا يصير محبوبا للّه تعالى إلا إذا صار طاهرا في الظاهر بالتوحيد الألوهي و القيام بأركان الشريعة، و في الباطن بالتوحيد الوجودي و القيام بأركان الطريقة و الحقيقة، لأنّه طاهر منزّه عن جميع النقائص و لا يحبّ الطّاهر إلا الطّاهر، من كمال النسبة بينه و بينه و طريق المؤانسة بأخلاقه و أوصافه، و لهذا قال:

إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوّٰابِينَ وَ يُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ [سورة البقرة: ۲۲۲].

و قال النبيّ (ع): إن اللّه جميل يحبّ الجمال «۸٤».

و قال: فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَ يُحِبُّونَهُ [سورة المائدة: ٥٤].

يعني كان عارفا أزلا بطهارتهم في الأبد و محبّتهم له و محبّته لهم.

---

(٨٤) قوله: و قال النبيّ (ص): إنّ اللّه جميل يحبّ الجمال.

أقول: ورد الحديث عن رسول اللّه (ص) و عن أمير المؤمنين (ع) و عن الصادق (ع) و كلّهم نور واحد عليهم آلاف التحيّة و السلام، الكليني في الفروع ج ٦ ص ٤٣٨ باب التجمّل و إظهار النعمة الحديث ١ بإسناده عن أبي بصير، عن أبي عبد الله (ع) قال: قال أمير المؤمنين (ع): إن اللّه جميل يحبّ الجمال، و يحبّ أن يرى أثر النعمة على عبده. و أيضا الحديث ٤ بإسناده عن علي بن أسباط، عمّن رواه، عن الصادق (ع) قال: إذا أنعم اللّه على عبده بنعمة أحبّ أن يراها عليه، لأنّه جميل يحبّ الجمال.

و روى النوري في المستدرك ج ٣، باب ١٥ من أبواب أحكام الملابس ص ٢٥٤، الحديث ١، عن دعائم الإسلام ج ٢، ص ١٥٥، الحديث ٥٥١ عن الصادق (ع) أنّه قال: قال عليّ (ع):

مثل قبله.

و روى ابن أبي جمهور في عوالي اللئالئ ج ٢، ص ٢٨، الحديث ٦٧ عن رسول اللّه (ص).

و أيضا أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده ج ٤، ص ١٣٤ و ١٥١ بإسناده عن أبي ريحانة في الأوّل و عن عقبة بن عامر عن رسول اللّه (ص)، و مسلم في صحيحه ج ١، ص ٩٣، الحديث ١٤٧، بإسناده عن عبد الله بن مسعود عن رسول اللّه (ص). و أيضا في المستدرك للحاكم ج ١، ص ٣٦، و ج ٤، ص ١٨١، و أيضا أخرجه السيوطي في الجامع

الصغير ج ۱، ص ۲٦۳، الحديث ۱۷۲۰. [.....]

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۱، ص ۳۴۵

و من هذا ورد في الحديث القدسي:

لا يزال العبد متقرّب إليّ بالنّوافل حتى أحبه، فإذا أحببته فكنت سمعه و بصره و لسانه و يده و رجله، فبي يسمع و بي يبصر و بي ينطق بي يبطش و بي يمشي «۸۵».

و لطلب المناسبة قال أيضا مخاطبا لنبيّه (ع):

قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ [سورة آل عمران: ۳۱].

و أخبر عن قوم يوجدون بعده على هذه الأوصاف و يكونون من (محبّيه) بقوّة المناسبة و حسن الأخلاق، بقوله:

---

(۸۵) قوله: و من هذا ورد في الحديث القدسي: لا يزال لعبد متقرّب إليّ بالنوافل الحديث.

أقول: الحديث بمضمونه متّفق عليه بين الفريقين و مشهور بين العامّة و الخاصّة و مرويّ في جوامع روائيهم، و يعبّرون عن مضمونه بحبّ النوافل أو قرب النوافل و لا يخفى أفضليّة قرب الفرائض و حبّها كما هو مصرّح في الحديث و غيره.

و أمّا لفظ الحديث:

رواه الكليني (رض) في الأصول ج ۲، ص ۳۵۲، الحديث ۸ و ۷ بإسناده عن حمّاد بن

بشير قال: سمعت أبا عبد اللّه (ع) يقول: قال رسول اللّه (ص): قال اللّه عزّ و جلّ: من أهان لي وليّا فقد أرصد لمحاربتي، و ما تقرّب إليّ عبد بشيء أحبّ إليّ ممّا افترضت عليه و إنّه ليتقرّب إليّ بالنافلة حتّى أحبّه، فإذا أحببته كنت سمعه الّذي يسمع به و بصره الّذي يبصر به، و لسانه الّذي ينطق به، و يده الّتي يبطش بها، إن دعاني أجبته، و إن سألني أعطيته، الحديث.

و الحديث ٨ قريب منه و مثله، و وراه البرقي بإسناده عن حنان بن سديد، عن الصادق (ع) عن رسول اللّه (ص) ص ٢٩١، الحديث ٤٤٣، و الصدوق (رض) في التوحيد ص ٣٩٩، الحديث ١، باب ٦٢ بإسناده عن أنس، عن النبيّ (ص) عن جبرائيل، عن اللّه عز و جلّ، قال:

قال اللّه تبارك و تعالى: من أهان وليّا لي بارزني بالمحاربة، و ما تردّدت في شيء أنا فاعله مثل ما ترددت في قبض المؤمن يكره الموت و أكره مساءته و لا بدّ له منه، و ما تقرّب إليّ عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، و لا يزال عبدي يتنفّل لي حتّى أحبّه، و متى أحببته كنت له سمعا و بصرا و يدا و مؤيّدا، إن دعاني أجبته، و إن سألني أعطيته الحديث.

و أخرج في صحيح البخاري قريب منه و مثله ج ٨، ص ١٣١ بإسناده عن أبي هريرة عن النبيّ (ص)، و أخرج أيضا أحمد في مسنده ص ٢٥٦ بإسناده عن عائشة عن رسول اللّه (ص)، و أخرجه أيضا الغزالي في إحياء العلوم ج ٤، ص ٣٢٧.

و ورد أيضا في أفضليّة قرب الفرائض في اصول الكافي ج ١، ص ٨٢، الحديث ٥ بإسناده عن الحلبي، عن الصادق (ع)، قال:

قال اللّه تبارك و تعالى: ما تحبّب إليّ عبدي بأحبّ ممّا افترضت عليه.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۱، ص ۳۴۶

فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَ يُحِبُّونَهُ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَ لاٰ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لاٰئِمٍ الآية [سورة المائدة: ٥٤].

لأن هذا إخبار عنهم و عن المناسبة الحقيقيّة و الطّهارة الذاتيّة الجبليّة، أي جبّلة لهم بالذّات، و بالجملة لا يمسّ كتابه الكريم بالحقيقة، أي لا يطّلع عليه إلاّ الطّاهرين من النّجاسات المذكورة و المنزّه عن الأخلاق الذّميمة، و من هذا قال: و ما يعلم تأويله إلاّ اللّه و الرّاسخون في العلم، لأنّ ..... مناسبة حقيقية من هذه الوجوه، رزقنا الله الاتّصاف بها و بأمثالها .... إلى تحصّل الطهارات الحقيقيّة و الكمالات الأخرويّة، و وفقنا للقيام بتأويل القرآن و الحقيقة.

و إذا عرفت هذا فاعلم أنّ القرآن كحكم نازل من سلطان مجازي على عبيده و أرباب دولته، فإن لم يحصل لهؤلاء مثلا الاطّلاع على جميع ما في ذلك الحكم، كيف يمكن لهم الحكم به أو ببعضه، لأنّهم لو حكموا ببعض ما فيه دون اطّلاعهم على ذلك البعض الآخر، يمكن أن يكون هذا البعض مخالفا لذلك البعض الباقي، و يحصل لهم الضّرر من السلطان حيث إنّ الحكم كان بعضه متعلّقا بالبعض و منوطا به وهم ما رعوا هذا الأمر، و حكموا بالبعض دون البعض، فإن قالوا في الجواب كان الحكم مشتملا على أسرار كثيرة و دقائق جليلة و ما كنّا نتمكّن من الاطلاع عليها، يقول لهم السلطان: ما كنت بعثت إليكم مع الحكم وزيري يعلم الكلّ؟ لم ما سألتم عنه كلّ ما كان يشكل عليكم و قد قلت:

فَإِنْ تَنٰازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَ الرَّسُولِ [سورة النساء: ٥٩].

و قلت:

فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاٰ تَعْلَمُونَ [سورة النحل: ٤٣].

و معلوم أنّ هذا يكون لهم إلزاما تامّا مسكتا عن الجواب مطلقا، فكذلك القرآن فإنّه حكم إلهي نازل من سلطان حقيقيّ على عبيده و أرباب دولته كالخلق و الرّسل، ليقوموا بجميع ما فيه من الأحكام و الأسرار لقوله:

وَ لاٰ رَطْبٍ وَ لاٰ يٰابِسٍ إِلاّٰ فِي كِتٰابٍ مُبِينٍ [سورة الأنعام: ٥٩].

و ليعلم بعضهم بعضا كلّ ما فيه، فإذا قام أحدهم ببعضه الّذي هو التّفسير

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۱، ص ۳۴۷

و قعد عن بعضه الّذي هو التّأويل، يمكن أن يخالف ذلك البعض الّذي قام به هذا البعض الّذي قعد عنه فكيف يكون حاله عند سؤال السلطان عن هذا الحال و القيام بتأديبه لذلك الإهمال، نعوذ باللّه من سخطه و غضبه و إلى هذا أشار بقوله:

وَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمٰا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولٰئِكَ هُمُ الْفٰاسِقُونَ [سورة المائدة: ٤٧].

وَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمٰا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولٰئِكَ هُمُ الظّٰالِمُونَ [سورة المائدة: ٤٥].

وَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمٰا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولٰئِكَ هُمُ الْكٰافِرُونَ [سورة المائدة: ٤٤].

فإن قال في الجواب ما قال العبيد المجازي للسلطان المجازي فيكون جوابهم أيضا تلك الآيات التي كانت جوابا لهم، و قد ورد كثيرا في القرآن مثل هذه الآيات في مذمّتهم و منقصتهم عن ترك تدبّر القرآن و ترك تأويله و تحقيقه و ترك التوجّه إلى تحصيل ما فيه من الأحكام و الأسرار، كقوله:

أَ فَلاٰ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلىٰ قُلُوبٍ أَقْفٰالُهٰا [سورة محمد: ٢٤].

و كقوله: وَ هٰذٰا كِتٰابٌ أَنْزَلْنٰاهُ مُبٰارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَ اتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمٰا أُنْزِلَ الْكِتٰابُ عَلىٰ طٰائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنٰا وَ إِنْ كُنّٰا عَنْ دِرٰاسَتِهِمْ لَغٰافِلِينَ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنّٰا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتٰابُ لَكُنّٰا أَهْدىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جٰاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَ هُدىً وَ رَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيٰاتِ اللّٰهِ وَ صَدَفَ عَنْهٰا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيٰاتِنٰا سُوءَ الْعَذٰابِ بِمٰا كٰانُوا يَصْدِفُونَ [سورة الأنعام: ١٥٥- ١٥٧].

و كقوله: لَوْ كُنّٰا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مٰا كُنّٰا فِي أَصْحٰابِ السَّعِيرِ [سورة الملك: ١٠].

و كقوله: وَ مِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَ جَعَلْنٰا عَلىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَ فِي آذٰانِهِمْ وَقْراً وَ إِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لاٰ يُؤْمِنُوا بِهٰا حَتّٰى إِذٰا جٰاؤُكَ يُجٰادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هٰذٰا إِلاّٰ أَسٰاطِيرُ الْأَوَّلِينَ [سورة الأنعام: ٢٥].

و على هذا التّقدير يجب عليك و على كلّ أحد الاطلاع على ما في ضمن القرآن إجمالا و تفصيلا، و يجب على كلّ أحد تفسيره و تأويله و تأويل تأويله إلى أن يصل إلى نهاية الأبطن السّبعة بحكم الآية أو الخبر، لئلاّ يلزم منه الإخلال بالواجب

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ١، ص ٣٤٨

و يستحقّ به العذاب الدّائم، و هذا مثل شريف في هذا الباب و اللّه أعلم بالصواب و إلى اللّه المرجع و المآب.

وَ لَقَدْ ضَرَبْنٰا لِلنّٰاسِ فِي هٰذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ [سورة الزمر:

[٢٧].

هذا أبحاث و أسرار ليس يحتمل هذا المكان أكثر من ذلك، و اللّه أعلم و أحكم، و به العصمة و التوفيق.

و أمّا قول العلماء و المشايخ رضوان اللّه عليهم أجمعين، فأحسنه و ألطفه ما قال الغزالي رحمة اللّه عليه في جواهر القرآن «٨٦»: إنّ القرآن بحر لا ساحل له، و النّاس غوّاصون فيه بقدر فهمهم و استعدادهم في علم الغوص و السّباحة، و فيه أنواع الجواهر و اللآلي و أصناف اليواقيت و الزّبرجد، و النّاس متفاوتون في طلبها بقدر معرفتهم و فطنتهم و ذكائهم و حدسهم، و قد أوّل كل آية بجوهرة أو درّة بما عرف من المناسبة بينها و بينها حتّى عدّ من الآيات الّتي سمّاها جوهرة سبعمائة و ثلاث و ستّون آية، و من الآيات التي سمّاها درّة سبعمائة و إحدى و أربعون آية، و أوّل ذلك قوله:

فإنّي أنبّهك أيّها المسترشد في تلاوتك المتّخذ دراسة القرآن عملا المتلقّف عن معانيه ظواهر و جملا.

فأقول: إلى كم تطوف على ساحل البحر مغمضا عينيك عن غرائبها أو ما حان لك أن تركب متن لجّتها لتبصر عجائبها و تسافر إلى جزائرها و اجتناء أطايبها، بل تغوص في عمقها فتستغني بنيل جواهره، أو ما تستغبن نفسك في الحرمان عن دررّها و زواهرها بإدمان النّظر إلى سواحلها و ظواهرها، أو ما بلغك أنّ القرآن هو البحر المحيط و منه يتشعب علم الأوّلين و الآخرين كما ينشعب عن سواحل البحر المحيط أنهارها و جداولها أو ما تغبط أقواما خاضوا لجة غمرة أمواجها فظفروا بالكبريت الأحمر و غاصوا في أعماقها و

استخرجوا اليواقيت الأحمر و الدّر الأزهر

---

(٨٦) قوله: ما قال الغزالي الخ.

جواهر القرآن ص ٥ بعد الخطبة.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج١، ص ٣٤٩

و الزّبرجد الأخضر و ساحوا في سواحلها فالتقطوا العنبر الأشهب و العود الرّطب الأنضر و تغلغلوا إلى جزائرها، فاستدرّوا من حيواناتها التّرياق الأكبر، و المسك الأذفر، فها أنا أرشدك قاضيا حق أخا بك و مرتجيا بركة دعائك إلى كيفيّة سياحتهم و غوصهم و سباحتهم.

(بيان الكبريت و الياقوت و الترياق)

فأقول: اعلم أن معرفة اللّه تعالى هي الكبريت الأحمر و تشتمل معرفته على معرفة الذّات و معرفة الصّفات و معرفة الأفعال، و هذه الثلاث هي اليواقيت فإنّها أخصّ فوائد الكبريت الأحمر و كما أن لليواقيت درجات، فمنها الأحمر و الأكبر و الأصغر و بعضها أنفس من بعض فكذلك هذه المعارف الثلاث، ليست على رتبة واحدة، بل أنفسها معرفة الذّات و هو الياقوت الأحمر، ثم تليها معرفة الصفات و هو الياقوت الأكبر، و تليها معرفة الأفعال و هو الياقوت الأصغر.

ثم اعلم، أنّ الكبريت الأحمر عند الخلق في عالم الشّهادة عبارة عن الكيمياء

التي يتوصّل بها إلى قلب الأعيان من الصّفات الخسيسة إلى الصّفات النّفيسة حتّى ينقلب به الحجر ياقوتا و النّحاس ذهبا، ليتوصّل به إلى الذّات في الدّنيا مكدّرة منغصة في الحال منصرمة على قرب من الاستقبال، افترى إنّما تقلب جوهر القلب من زواله البهيميّة و ضلالة الجهل إلى صفاء الملكيّة و روحانيّتها لترقّى من أسفل سافلين إلى أعلى عليّين و ينال به لذّة القرب من ربّ العالمين و النّظر إلى وجهه الكريم أبدا دائما سرمدا، بل هو أولى باسم الكبريت الأحمر أم لا؟ فلهذا سمّيناه بالكبريت الأحمر، فتأمّل و راجع نفسك و أنصف لتعلم أن هذا الاسم بهذا المعنى أحقّ و أصدق، ثم أنفس النفائس الّتي يستفاد من الكيمياء، اليواقيت و أعلاها الياقوت الأحمر، فلذلك سمّينا به معرفة الذات.

و أمّا الترياق الأكبر فهو عند الخلق عبارة عمّا يشفى عن السّموم المهلكة الواقعة في المعدة مع أنّ الهلاك الحاصل بها ليس إلا هلاكا في حق الدّنيا الهالكة الفانية.

فانظر إن كان سموم البدع و الأهواء و الضّلالات الواقعة في القلب مهلكا،

هلاكا يحول بين المسموم به و بين عالم القدس و معدن الرّوح و الرّاحة، حيلولة دائمة أبديّة سرمديّة، و كانت المحاجاة البرهانيّة تشفى عن تلك السّموم و تدفع ضررها، بل هي أولى أن تسمّى بالتّرياق الأكبر أم لا؟

و أمّا المسك الأذفر فهو عيان في عالم الشّهادة عن شيء يستصحبه الإنسان فتثور منه رائحة طيّبة يشهره و تظهره حتّى لو أراد إخفاءه لم يختف لكن

يستطير و ينتشر، فانظر إن كان في المقتضيات العلميّة ما ينتشر منه الاسم الطيب في العالم و يشتهر به صاحبه اشتهارا لو أراد الاختفاء و إيثار الخمول لم يقدر عليه بل يشهره و يظهره، فاسم المسك الأذفر عليه أحق و أصدق أم لا؟، و أنت تعلم أن علم الفقه و معرفة أحكام الشّريعة يطيب الاسم و ينشر الذّكر و يعظم الجاه و ما ينال القلب من روح طيب الاسم و انتشار الجاه أعظم كثيرا ممّا ينال المشام من طيب رائحة المسك.

و أمّا العود الأنضر فهو عبارة عند الخلق عن جسم من الأجسام لا ينتفع به لكن إذا ألقى على النّار حتّى احترق في نفسه تصاعد منه دخان فينتشر ينتهي إلى المشام فيعظم نفعه و جدواه و يطيب جواره و ملقاه، فإن كان في المنافقين و أعداء اللّه أظلال كالخشب المسنّدة لا منفعة لها و لكن إذا نزل بها عقاب اللّه و نكاله من صاعقة و خسف و زلزلة حتّى يحترق و يتصاعد منه دخان الخوف فينتهي إلى مشام القلوب فيعظم نفعه في الحث على طلب الفردوس الأعلى و جوار الحقّ تعالى و الصرف عن الضّلال و الغفلة و اتّباع الهوى، فاسم العود عليها أصدق و أحق أم لا؟

فيكفيك من شرح هذه الرّموز هذا القدر، فاستنبط الباقي من نفسك و حلّ الرّمز فيه إن أطقت و كنت من أهله و اللّه أعلم و أحكم، هذا آخره و آخر النقليّات و أمثال ذلك كثيرة في هذا الباب.

و إذا كان كذلك و يكون القرآن مشتملا على هذه العلوم و الأسرار و اللطائف و الأركان و الجواهر و الأزهار يكون له هذه الحقائق الشّريفة و الدّقائق العظيمة و الكنوز الكثيرة و الدفائن الجليلة و النّفائس الكريمة و

يكون حرف واحد منه يحتمل من المعاني حمل سبعين ... كفاتحة الكتاب مثلا بأنّها جامعة لجميع علوم الأوّلين و الآخرين، و كسورة الإخلاص بأنّها تعدل ثلث القرآن و بل عقول جميع

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۱، ص ۳۵۱

العقلاء و علوم جميع العلماء لم يتجاوز عن الأسرار المودعة فيها، فكيف لا يكون له تأويل و تأويل تأويل إلى أن يصل إلى نهاية الأبطن السّبعة و كيف لا يكون تأويله واجبا و تأويل تأويله فرضا لازما، لئلاّ يلزم من عدم تأويله تعطيل هذه الأحكام و إبطال هذه المقاصد و انهدامه و إهمال قواعد الحلال و الحرام و يؤدّي إلى الفسق و الظّلم و الكفر المذكورة في الآية السّابعة من كلام الملك العلاّم، و حيث ثبت هذا بهذه الوجوه عقلا و نقلا و كشفا. فلنشرع فيه بوجه آخر أحسن منه و هو وجه التّفصيل و البسط من طريق الخطاب ممزوجا بالمعقول و أصول الكلام موافقا للحكمة في بعض المقام لإثبات أنّ القرآن بحسب المعنى غير قابل للانتهاء و الانقطاع و إن كان بحسب الصورة كذلك و هو هذا:

الوجه الثالث في بيان أنّ القرآن مترتّب على ترتيب طبقات الخلق بحسب الصّورة مع أنّه غير قابل للانتهاء و الانقطاع بحسب المعنى

اعلم أنّ هذا البحث من حيث تطبيقه بطبقات الخلق إجمالا و تفصيلا قد سبق، فلم يبق إلا تطبيقه بالعالم مطلقا و بيان أنّه غير قابل للانتهاء و الانقطاع و فيه بحثان.

(سبب نزول الكتاب و علة خلقة الخلق)

البحث الأوّل: في بيان علّة الكتاب و سبب نزوله

و له مقدّمات تجمعها مقدّمة واحدة و هي أن تعرف أنّ اللّه تعالى خلق الخلق لغرض و هو معرفته و عبادته لقوله في الأوّل:

كنت كنزا مخفيّا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق [مرّت الإشارة إليه في التعليقة ٧٧ فراجع].

و لقوله في الثّاني: وَ مٰا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلاّٰ لِيَعْبُدُونِ [سورة الذّاريات: ٥٦].

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج١، ص ٣٥٢

و ذلك لئلاّ يقع فعله مهملا و عبثا لأنّ (كلّ شيء) يكون بغير غرض صحيح يكون عبثا، و العبث عليه (منه) تعالى محال و لهذا قال:

أَ فَحَسِبْتُمْ أَنَّمٰا خَلَقْنٰاكُمْ عَبَثاً وَ أَنَّكُمْ إِلَيْنٰا لاٰ تُرْجَعُونَ [سورة المؤمنون: ١١٥].

و قال: مٰا خَلَقْنَا السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضَ وَ مٰا بَيْنَهُمٰا لاٰعِبِينَ [سورة الأنبياء: ١٦].

فحينئذ يجب أن يكون فعله لغرض صحيح حتى لا يقع منه العبث و الإهمال و لكن لا يجوز أن يكون ذلك الغرض عائدا إلى ذاته المقدّسة بحيث يكون كماله منه بل إلى عبيده الّذين خلقهم لأجل ذلك الغرض كما سبق ذكره لأنّه لو كان عائدا إليه للزم النقص و الاحتياج لاقتضاء الاستكمال بالغير الّذي هو من لوازم الممكن لا الواجب، و هذا غير جائز فلا يكون عائدا إليه أصلا، فإذا لم يكن عائدا إليه فلا بدّ و أن يكون عائدا إلى عبيده و لا يلزم منه الفساد المذكور، و أمّا فائدة العود إلى العبيد فهو أنّهم إذا عرفوه و قاموا

بعبادته على ما ينبغي صعدوا من درجة النّقصان إلى درجة الكمال و من درك الشّقاوة إلى درج السّعادة و حصل لهم الخلود في الجنّة و الفوز بالوصول إلى لقاء ربّ العزّة، و ذاته المقدّسة جلّ جلاله منزّه عن أمثال ذلك بكماله الذّاتي و استغنائه الحقيقي، لأنّه من حيث الذّات غنيّ عن إيجادهم و تكليفهم، منزّه عن كونهم و إسلامهم، كما أشار إليه في كتابه العزيز بقوله:

وَ قالَ مُوسى إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً فَإِنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ [سورة إبراهيم: ٨].

لأنّ من إيجادهم و تكليفهم ما زاد في كماله شيء و لا من إعدامهم و ارتفاع تكليفهم ينقص عن (من) كماله شيء تعالى اللّه عن ذلك علوّا كبيرا، بل هو الآن على ما كان عليه في الأزل، لقول النبيّ (ص): «كان اللّه و لم يكن معه شيء» (٨٧)

(٨٧) قوله: لقول النبيّ (ص): كان اللّه و لم يكن معه شيء.

روى الصدوق (رض) في التوحيد ص ١٤٥، الحديث ١٢، بإسناده عن محمّد بن مسلم، عن أبي جعفر الباقر (ع)، قال: سمعته يقول: كان اللّه و لا شيء غيره، و لم يزل عالما بما كوّن، فعلمه به قبل كونه كعلمه به بعد ما كوّنه.

و روى أيضا ص ٦٦ الحديث ٢٠، بإسناده عن جابر الجعفي، قال: جاء رجل من علماء أهل الشام إلى أبي جعفر (ع)، فقال: جئت أسألك عن مسألة لم أجد أحدا يفسّرها لي، و قد سألت

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج١، ص ٣٥٣

و لقول عارف أُمّته و هو الآن كما كان «٨٨».

ثلاثة أصناف من النّاس، فقال كلّ صنف غير ما قال الآخر، فقال أبو جعفر (ع): و ما ذلك؟ فقال:

أسألك: ما أوّل ما خلق اللّه عز و جلّ من خلقه؟ فإنّ بعض من سألته قال: القدرة، و قال بعضهم:

العلم، و قال بعضهم: الروح، فقال أبو جعفر (ع): ما قالوا شيئا، أخبرك أنّ اللّه علا ذكره، كان و لا شيء غيره، و كان عزيزا و لا عزّ لأنّه كان قبل عزّه، و ذلك قوله: **سُبْحانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ [سورة الصافات، الآية: ١٨٠] و كان خالقا و لا مخلوق فأوّل شيءٍ خلقه من خلقه الشيءِ الّذى جميع الأشياءِ منه، و هو الماءِ، فقال السائل: فالشيءِ خلقه من شيءٍ أو من لا شيءٍ؟**

فقال: خلق الشيء لا من شيء كان قبله، و لو خلق الشيء من شيء إذا لم يكن له انقطاع أبدا، و لم يزل اللّه إذا و معه شيء و لكن كان اللّه و لا شيء معه، فخلق الشيء الّذي جميع الأشياء منه، و هو الماء.

و أخرج البخاري في صحيحه ج ٤، ص ١٢٨، باب ما جاء في قول اللّه تعالى: **وَ هُوَ الَّذِي يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ [سورة الروم، الآية: ٢٧]، من كتاب بدءِ الخلق الحديث ٣ بإسناده عن عمران بن حصين عن النبيّ (ص) قال:**

كان اللّه و لم يكن شيء غيره و كان عرشه على الماء الحديث.

و أخرجه أيضا أحمد بن حنبل في مسنده ج ٣، ص ٤٣١.

(٨٨) قوله: و لقول عارف أمّته: و هو الآن كما كان.

أقول: القول حديث مرويّ عن الكاظم عليه الصلاة و السلام و لعل مراد السيد المؤلف من عارف الأمّة هو الإمام المعصوم (ع)، روى الصدوق (رض) في التوحيد ص ١٧٨، الحديث ١٢، باب ٢٨، بإسناده عن يعقوب بن جعفر الجعفريّ، عن أبي إبراهيم موسى بن جعفر (ع) أنّه قال:

إنّ اللّه تبارك و تعالى كان لم يزل بلا زمان و لا مكان و هو الآن كما كان، لا يخلو منه مكان و لا يشغل به مكان، و لا يحلّ في مكان، **مٰا يَكُونُ مِنْ نَجْوىٰ ثَلاٰثَةٍ إِلاّٰ هُوَ رٰابِعُهُمْ وَ لاٰ خَمْسَةٍ إِلاّٰ هُوَ سٰادِسُهُمْ وَ لاٰ أَدْنىٰ مِنْ ذٰلِكَ وَ لاٰ أَكْثَرَ إِلاّٰ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مٰا كٰانُوا [سورة المجادلة، الآية: ٧]، ليس بينه و بين خلقه حجاب غير خلقه، احتجب بغير حجاب محجوب، و استتر بغير ستر مستور، لا إله إلاّ هو الكبير المتعال.**

و في معناه حديث آخر رواه البرقي في المحاسن ج ١، ص ٢٤٢ الحديث ٣٢٨، باب جوامع من التوحيد، بإسناده عن جابر عن الباقر (ع) قال: إن اللّه تبارك و تعالى كان و ليس شيء غيره، نورا لا ظلام فيه، و صدقا لا كذب فيه، و علما لا جهل فيه، و حياة لا موت فيه، و كذلك هو اليوم و كذلك لا يزال أبدا.

و ذكره الصدوق في التوحيد باب صفات الذات و صفات الأفعال حديث ٥، ص ١٤٠ و فيه:

و عالما لا جهل فيه و حيّا لا موت فيه.

و القول، منقول و معروف عن الجنيد البغدادي و هو قاله حين سمع حديث: كان الله و لم يكن معه شيء.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج١، ص ٣٥٤

(الغرض من التكليف و إرسال الرسل)

و بالجملة فإذا خلقهم و كلّفهم بتكليف و ليس لهم علم بكيفيّة ذلك التّكليف و لا استعداد تعلمه منه تعالى بأنفسهم و لا قابليّة تحصيله بعقولهم الضّعيفة و أفكارهم الرّكيكة، فلعدم إيفاء عقولهم بحقيقة ذلك التكليف و ضعف نفوسهم عن دركه.

و أمّا الأوّل فلعدم المناسبة بينه و بينهم و عدم القابليّة لذلك في أكثرهم أمّا بالذّات أو بالعرض، أو بكليهما لأنّ الفاعل و القابل لا بدّ بينهما من مناسبة مّا حتّى يقع الفعل من الفاعل و القبول من القابل (و يحسن) و يحصل الغرض من الطرفين، و إلاّ الفاعل بدون القابل لم يمكن من الفعل أصلا، و لذلك يمتنع عليه تعالى إيجاد شريكه لأنّه مستحيل الوجود في ذاته كما هو واجب الوجود في ذاته، و محال أن يقبل العدم المطلق، الوجود، كما أنّه محال أن يقبل الوجود المطلق العدم، و من هذا انحصرت الفاعليّة و القابليّة في الواجب و الممكن، و هذا لممتنع، فإنّ الممتنع ليس له هذه القابلية في ذاته لأنّه لو كان كذلك لم يكن ممتنعا، فالفاعل الحقيقي هو الواجب دائما و القابل هو الممكن دائما، و هذا بحث مفروغ عنه عند أهله و ليس له دخل في هذا المقام لكن لا يخلو من فوائد. و الغرض أنّ هؤلاء المكلّفين إذا لم

يكن لهم قابليّة أخذ التكليف منه تعالى بأنفسهم لقوله جلّ ذكره:
وَ مٰا كٰانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِنْ وَرٰاءِ حِجٰابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِه مٰا يَشٰاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ [سورة الشورى: ٥١].
و إنّه تعالى كلّفهم بذلك و لا بدّ منه فيجب عليه تعالى حينئذ تعيين جماعة يكون بينه و بينهم مناسبة ما من حيث التّقدس و التجرّد و التّنزّه و الطّهارة الحقيقيّة و التخلّق بأخلاقه و الاتّصاف بصفاته، و كذلك بينهم و بين المكلّفين من الإمكان و الحدوث و البشريّة و الخلقة و الاتحاد في النوع و المشاركة في الوضع و الشّكل، ملكا كان أو بشرا أو كلاهما حتّى يأخذون التكليف من الأوامر و النّواهي و العلوم و الحقائق المتعلّقة بالشّرع منه تعالى بحكم المناسبة و يوصلونها إليهم أيضا بحكم المناسبة، لقوله:
وَ لَوْ جَعَلْنٰاهُ مَلَكاً لَجَعَلْنٰاهُ رَجُلاً وَ لَلَبَسْنٰا عَلَيْهِمْ مٰا يَلْبِسُونَ [سورة الأنعام:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‏١، ص ٣٥٥

فإذا عيّن مثل هؤلاء الجماعة و سمّاهم أنبياء و رسلا و بعثهم إلى الخلق و المكلّفين من العباد و أمرهم بالدّعوة و الإرشاد مشتملا على البشارة و الإنذار و على اللّطف و القهر من حضرة الملك الجبّار، لقوله: مُبَشِّرِينَ وَ مُنْذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنّٰاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ [سورة النساء: ١٦٥].

(لا بدّ مع بعثة النّبي بالأمرين: إظهار المعجزة و إنزال الكتاب)

فحينئذ لا بد له من شيئين آخرين: الأوّل إظهار معجزات و كرامات على أيديهم و ألسنتهم تكون موجبة لتصديقهم و عدم تكذيبهم بأنّهم رسل من عند الله، لأنّه لو لم يفعل ذلك لم يحصل غرضه و يقع فعله عبثا كما مرّ، لأنّ

النّاس إذا لم يكن لهم وقوف بقول هؤلاء الجماعة و أفعالهم لا يلتفتون إليهم و لا يقبلون قولهم في شيء أصلا كما أخبر اللّه تعالى في قوله مفصلا: وَ قٰالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتّٰى تَفْجُرَ لَنٰا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعاً، أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَ عِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهٰارَ خِلاٰلَهٰا تَفْجِيراً [سورة الأسراء: ۹۰- ۹۱]. إلى آخر الآيات.

و معلوم أنّ مع الإنكار و الجحود لا يحصل الإقرار و الشّهود، و من هذا قلنا يجب عليه تعالى إظهار أمثال ذلك على أيديهم و ألسنتهم، لكي يقبلوا قولهم و يعرفوا قدرهم و يقوموا بالأمر على ما ينبغي، لأنّه فرق كثير بين شخص يرى مثل هذا منهم حسا و مشافهة و بين شخص ما يرى منهم شيء من هذا لا حسّا و لا مشافهة، لأنّ المحسوسات لها حظّ كثير في إدراك المعقولات، لأن كل عاقل يكون في دركه كاملا يعرف حقيقة أنّ اللّه تعالى لا يظهر المعجز على هذا الكذّاب و السّاحر و الكاهن، لأنّ هذا يكون من قبيل إغراء الخلق و إغوائهم، و هذا عليه تعالى محال عقلا و نقلا.

و إذا عرف هذا فلا بدّ و أن يقبل معجزتهم خصوصا إذ كانت المعجزة مع التّحدّي فلهذا شرط في المعجزة التّحدّي و لو لم يشرط ذلك في الكرامات و غيرها

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‏۱، ص ۳۵۶

لأنّ صاحب الكرامات ليس بمتمكّن من التحدّي في كلّ وقت، بل الكرامات سهل منه في بعض الأوقات من غير اختيار و إن صدر بالاختيار أيضا، و إذا قبل معجزتهم و تحقّق عنده صدقهم فلا بدّ أن يقبل قولهم، و

يحصل المقصود منه، هذا إذا كان الشخص عاقلا في نفسه و له تصوّر صحيح و يعرف هذه القاعدة على الوجه المذكور، و يفرّق بين المعجزة و الكرامات و السّحر و الكهانة، فأمّا إذا لم يكن من هذا القبيل و لم يكن له تصوّر و لا تعقّل، مثل الكفّار و المشركين الّذين أخبر اللّه تعالى بسلب عقولهم و عدم فهمهم لقوله:

صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاٰ يَعْقِلُونَ [سورة البقرة: ١٧١].

فهناك لا ينفع معجزة و لا كرامات و لا دليل و لا برهان و لا عقل و لا نقل، و فيهم و في أمثالهم ورد:

وَ إِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لاٰ يُؤْمِنُوا بِهٰا وَ إِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لاٰ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَ إِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيٰاتِنٰا وَ كٰانُوا عَنْهٰا غٰافِلِينَ [سورة الأعراف: ١٤٦].

و الثاني: إنزال كتاب يكون مشتملا على ترتيب أمورهم في المعاش و المعاد و ما بينهما و يبقى بينهم في حياة ذلك النبيّ و لا تهمل الأمور المشكلة و الأحكام الشرعيّة في زمان الفترة و الغيبة كما قال أمير المؤمنين (ع) بالنّسبة إلى نبيّنا (ص):

و خلّف فيكم ما خلّفت الأنبياء في أممها، إذ لم يتركوهم هملا، بغير طريق واضح و لا علم قائم كتاب ربّكم فيكم مبيّنا حلاله و حرامه و فرائضه و فضائله و ناسخه و منسوخه إلى آخره. [نهج البلاغة الخطبة الأولى].

(وجوب نصب الإمام على الأنبياء)

و من هذا وجب أيضا تعيين الإمام و نصبه على اللّه تعالى و على الأنبياء و

الرّسل (ع) ليحفظ أحكام الشّرع و يبيّن ما في الكتاب النّازل على النبيّ الّذي هو من قبله كما أشار إليه النبيّ (ص) في قوله:

«إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب اللّه و عترتي لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ١، ص ٣٥٧

ما إن تمسكتم بهما لن تضلّوا أبدا» [فقد مرّت الإشارة إليه في التعليقة رقم ٨٤ فراجع].

هذا من حيث النقل. فأمّا من حيث العقل فواجب (عند) الشيعة الإماميّة لمّا أمكن وقوع الشّرّ و الفساد و ارتكاب المعاصي بين الخلق وجب في الحكمة وجود رئيس قاهر آمر بالمعروف و ناه عن المنكر، مبيّن لما يخفى على الأمّة من غوامض الشرع .... ليكونوا إلى الصلاح أقرب و من الفساد أبعد و يأمنوا وقوع الفتن و الفساد، و كلّ من كان كذلك يكون وجوده لطفا و اللطف واجب على اللّه تعالى، فيكون نصب الإمام بعد النّبي واجبا على اللّه تعالى، و يكون وجود هذا الإمام لطفا بين الأمّة.

و الدليل على أنّه يجب نصب الإمام على اللّه تعالى، و هو أنّ الإمام يجب أن يكون معصوما ليحصل غرض الحكيم من نصبه، و العصمة أمر خفيّ لا يطّلع عليه أحد غيره جلّ ذكره، فيجب عليه تعيينه لئلّا يلزم الإخلال بالواجب، و من هذا يجب أن يكون الإمام منصوصا و معصوما، و من هذا و مع الاختلاف بين الناس في نصب الإمام، و قال بعضهم بوجوبه عقلا و بعضهم بوجوبه سمعا و بعضهم بوجوبه عقلا و سمعا و بعضهم لا عقلا و

لا سمعا و بعضهم بوجوبه على الله و بعضهم بوجوبه على الخلق، و أمّا القائلون بوجوبه عقلا فهم المعتزلة و الإماميّة، و أمّا القائلون بوجوبه سمعا فهم الأشاعرة، و أمّا القائلون بوجوبه عقلا و سمعا فهم المحققون من أهل اللّه، و أما القائلون بوجوبه لا عقلا و لا سمعا فهم الخوارج، و أمّا القائلون بوجوبه على الخلق فهم الأشاعرة لأنّهم قالوا بالإجماع و القياس، و أمّا القائلون بوجوبه على اللّه تعالى فهم الشيعة الإماميّة لأنهم قالوا بالنصّ و العصمة كما سبق ذكرهما، و بالجملة لا بدّ من نبيّ معصوم و بعده من إمام معصوم ليبيّن للخلق الكتاب المتخلّف من النبيّ و يعلّمهم أحكامه من الأوامر و النّواهي و يرشدهم إلى تفسيره و تأويله.

(وجوب كون الكتاب وافيا بالمطالب و مفيدا لكلّ طبقة من طبقات الناس)

و لا بدّ من أن يكون ذلك الكتاب وافيا بالمطالب الإلهيّة في الشّرع و المقاصد النبويّة في الإسلام مشتملا على الأذكار الجاذبة إلى اللّه تعالى محتويا على أنواع

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ١، ص ٣٥٨

الوعد و الوعيد و الثّواب و العقاب و البشارة للمطيع للّه و لرسوله، و الإنذار للعاصي لأوامرهما و نواهيهما و يكون مترتّبا على الأسرار الملكوتيّة و الحقائق الجبروتيّة و الغوامض الإلهيّة و الدّقائق الرّبانية، ليشمل الخاصّ و العامّ، و على أحكام الحلال و الحرام و الفرائض و السّنن و القصص و العبر و النّاسخ و المنسوخ و المحكم و المتشابه و أمثال ذلك إلى غير النّهاية من

الأسرار و الأحكام، و حيث أنّ الخلق مختلفون في الاستعدادات و الحقائق و الماهيّات لقوله تعالى:

وَ لا يَزالُونَ مُخْتَلِفِينَ [سورة هود: ١١٨].

و ليسوا على طبقة واحدة فيجب أن يكون هذا الكتاب شاملا للكلّ مترتّبا على ترتيب طبقاتهم و درجاتهم في المرتبة و الاستعداد ليصل كلّ واحد منهم إلى حقّه المعيّن له في الأزل بحسب القابليّة.

لقوله تعالى: قُلْ لَنْ يُصِيبَنا إِلاَّ ما كَتَبَ اللهُ لَنا هُوَ مَوْلانا وَ عَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ [سورة التّوبة: ٥١].

و لا يلزم من الحكيم الكامل الإخلال بالواجب و العبث في أقواله و أفعاله، لأنّ من الخلق بأجمعهم إلى يوم القيامة أو إلى غير النّهاية عند البعض، لو خرج شخص واحد من الدّنيا و لا يكون له حظا من الكتاب و لا نصيبا من اللطف الواجب عليه تعالى الّذي أوّله الكتاب يلزم الفساد المذكور الّذي هو الإخلال بالواجب و الإهمال و العبث في الأقوال و الأفعال، و الّذي ورد عن مولانا جعفر بن محمّد الصادق (ع) أنّه قال:

كتاب اللّه عزّ و جلّ على أربعة أشياء، على العبارة و الإشارة و اللّطائف و الحقائق، فالعبارة للعوام، و الإشارة للخواصّ و اللّطائف للأولياء و الحقائق للأنبياء «٨٩»،

---

(٨٩) قوله: و الّذي ورد عن مولانا جعفر بن محمد الصادق (ع) رواه مرسلا الشيخ تاج

الدين محمد بن محمد الشعيري من أعلام القرن السادس في كتابه جامع الأخبار ص ٤۱ عن مولانا الحسين بن عليّ عليه الصلاة و السلام، و نقل عنه المجلسي في البحار ج ۹۲، ص ۲۰، الحديث ۱۸.

و أيضا رواه المجلسي عن الدرة الباهرة في البحار ج ۹۲، ص ۱۰۳، الحديث ۸۱، و عن كتاب الأربعين ج ۷۲، ص ۲۷۸، الحديث ۱۱۳، كلاهما عن مولانا الصادق عليه الصلاة و السلام.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۱، ص ۳۵۹

إشارة إلى هذا، أي إلى أنّ هذا الكتاب (لا بدّ أن يكون) شاملا للكلّ بحسب استعداداتهم و قابليّاتهم.

و أيضا قد تقرّر في الأصول كما بيّناه مرارا أنّ اللطف واجب على اللّه تعالى بحيث لا يخلو أحد منه من خلق اللّه و لا زمان من الأزمنة المتعاقبة المتتالية و لو طرفة عين، و من جملة ألطافه بعد النبيّ و الإمام، الكتاب النّازل على الخلق المشتمل على مصالح معاشهم و معادهم، فإن لم يكن هذا الكتاب شاملا للكلّ، و هذا النّبيّ و الإمام باقيا لبيانه ما دام التّكليف باقيا على وجه الأرض أو إلى يوم القيامة، يكون الحقّ تعالى مخلاّ بالواجب و هذا محال، لأنّه حكيم كامل و الحكيم الكامل لا يفعل قبيحا و لا يخلّ بواجب، و على هذا التّقدير يجب أن يكون هذا الكتاب باقيا و هذا الإمام المسمّى بالخليفة عند البعض، و بالقطب عند البعض، موجودا ما دام المكلّف موجودا.

و إن قلت: لا يلزم الإخلال بالواجب من اللّه تعالى إن لم تصل دعوة نبيّ من

أنبيائه أو إرشاد كتب من كتبه إلى جميع المكلفين، فإنّ كثيرا من الأنبياء كانوا مبعوثين إلى بعض النّاس و لم يكونوا مأمورين بإرشاد الكلّ، كيونس و ذي النّون و جرجيس و غيرهم.

قلنا: لا نسلّم ذلك فإنّه قد تقرّر في الأصول، أنّ كلّ زمان لا بدّ له من نبيّ معصوم أو إمام معصوم من قبله، يكون وجوده لطفا بالنّسبة إلى ذلك الزّمان و أهله، و جميع الأنبياء كانوا كذلك، و المراد ها هنا بالأنبياء، الرّسل، لأنّ كلّ نبيّ ليس برسول، و يجوز أن يكون في زمان واحد كم من نبيّ، و لا يجوز أن يكون في زمان واحد رسولين و لا إمامين، لكن حيث كانوا في بقعة أو عند قوم خصّصوا بهم كما قال تعالى في حق نبيّنا (ص):

وَ هٰذٰا كِتٰابٌ أَنْزَلْنٰاهُ مُبٰارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَ لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرىٰ وَ مَنْ حَوْلَهٰا [سورة الأنعام: ٩٢].

و معلوم أنّ نبيّنا كان مبعوثا إلى الكلّ لقوله تعالى:

وَ مٰا أَرْسَلْنٰاكَ إِلاّٰ رَحْمَةً لِلْعٰالَمِينَ [سورة الأنبياء: ١٠٧].

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ١، ص ٣٦٠

لكن خصّص بمكّة و أهلها تخصيصا بمولده و منشئه و إلاّ كلّ نبيّ أو رسول أو إمام يكون بعدهم يكون لطفا في حقّ الجميع أعني من المشرق إلى المغرب، و كلّ من لم يصل إلى هذا اللطف يكون المنع منه لا من الرّسول و الإمام أو الحقّ تعالى جلّ ذكره، و إلى هذا أشار في كتابه بقوله:

قَدْ جٰاءَكُمْ بَصٰائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَ مَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهٰا وَ مٰا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ [سورة الأنعام: ١٠٤].

و أمثال ذلك في القرآن كثيرة، و هذه قاعدة مطّردة بين العلماء لا سيّما بين الإماميّة و المعتزلة و الصّوفيّة الحقّة أيضا، و ليس المراد هذا البحث بل المراد أنّ هذا الكتاب النّازل على نبيّنا يجب أن يكون شاملا للكلّ أي كلّ ما في هذا العالم، إنسانا كان أو حيوانا، نباتا كان أو جمادا، أعني يكون محتويا على مصالحهم في معاشهم و مدارجهم و مراتبهم مطلقا، لئلاّ يخرج أحد من حكمه و يلزم الفساد المذكور، و على هذا ذهب أهل اللّه و خاصّته و أهل الكمال بأجمعهم، لكن بعض المنحرفين عن الحقّ و أهله انحرفوا عن هذا المقام و مالوا إلى ظاهر التّفسير و رضوا بأن يكونوا موصوفين بما قال اللّه تعالى:

يَعْلَمُونَ ظٰاهِراً مِنَ الْحَيٰاةِ الدُّنْيٰا وَ هُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غٰافِلُونَ [سورة الروم: ۷].

نعوذ باللّه منهم، و القرآن لو لم يكن كما قلناه، ما صدق قوله تعالى:

وَ لاٰ رَطْبٍ وَ لاٰ يٰابِسٍ إِلاّٰ فِي كِتٰابٍ مُبِينٍ [سورة الأنعام: ۵۹].

و ما صدق قوله:

وَ نَزَّلْنٰا عَلَيْكَ الْكِتٰابَ تِبْيٰاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَ هُدىً وَ رَحْمَةً وَ بُشْرىٰ لِلْمُسْلِمِينَ [سورة النحل: ۸۹].

و ما قال فيه:

وَ مٰا مِنْ دٰابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَ لاٰ طٰائِرٍ يَطِيرُ بِجَنٰاحَيْهِ إِلاّٰ أُمَمٌ أَمْثٰالُكُمْ مٰا فَرَّطْنٰا فِي الْكِتٰابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ [سورة الأنعام: ۳۸].

و لم يكن يصفه أيضا بأنّ كلماته لا تنفد بالبحور السّبعة و ما بعدها لقوله:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج١، ص ٣٦١

وَ لَوْ أَنَّ مٰا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلاٰمٌ وَ الْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مٰا نَفِدَتْ كَلِمٰاتُ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ [سورة لقمان: ٢٧].

(شرطيّة التقوى لفهم القرآن)

نعم القرآن شامل على جميع ما قلناه، لكن الكلام في المتصرّف فيه و النّاظر إليه، كما قال أمير الموٴمنين (ع):

و هذا الكتاب المسطور بين الدفتين لا ينطق بلسان و لا بدّ له من ترجمان و إنّما ينطق عنه الرجال «٩٠».

و كما قال رسول اللّه (ص): «و للّه شيئا كتمه عن الناس إلاّ أن يوٴتى اللّه عبدا فهما في كتابه فليكن حريصا على طلب ذلك الفهم و كيف بك و قد قال اللّه تعالى:

وَ إِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثٰاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتٰابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنّٰاسِ وَ لاٰ تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرٰاءَ ظُهُورِهِمْ وَ اشْتَرَوْا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَبِئْسَ مٰا يَشْتَرُونَ [سورة آل عمران: ١٨٧].

و قول أمير الموٴمنين: فليكن حريصا على طلب ذلك الفهم. إشارة إلى طلب ذلك الفهم بالتوجّه إلى اللّه تعالى حسن التّوجّه، و التّوجّه إلى كتابه كذلك ليحصل التّوجّه، و بالتّوجه المذكور فهم كتابه على ما ينبغي كما أشار الحقّ تعالى في قوله:

الرَّحْمٰنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسٰانَ عَلَّمَهُ الْبَيٰانَ [سورة الرّحمن: ١- ٤].

و في قوله: اقْرَأْ وَ رَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسٰانَ مٰا لَمْ يَعْلَمْ

[سورة العلق: ٣– ٥].
و في قوله: وَ اتَّقُوا اللهَ وَ يُعَلِّمُكُمُ اللهُ [سورة البقرة: ٢٨٢].
و من هذا قال أمير المؤمنين (ع): تعلّمت من رسول اللّه ألف باب ففتح لي بكلّ باب ألف باب «٩١». و مراده منه و هو أنّه تعلّم من رسول اللّه معنى آية واحدة أو

---

(٩٠) قوله: كما قال أمير المؤمنين (ع): و هذا الكتاب المسطور الخ.
نهج البلاغة صبحي الصالح الخطبة ١٢٥.
و في الأصل: و هذا القرآن إنّما هو خطّ مسطور الخ.
(٩١) قوله: و من هذا قال أمير المؤمنين: تعلّمت من رسول اللّه ألف باب ففتح لي بكلّ باب ألف باب.
رواه الصدوق عليه الرحمة في الخصال فيما بعد الألف باب علّم رسول اللّه (ص) عليّا ألف باب يفتح كلّ باب ألف باب، بإسناد متفرقة كثيرة و بتعبيرات مختلفة فراجع ص ٦٤٢ إلى ص ٦٥٢، و رواه أيضا الكليني (رض) في الكافي مع تفاوت في اللفظ ج ١، ص ٢٣٨، الحديث ١، باب فيه ذكر الصحيفة الخ، و ص ٢٩٢، ح ٩ و ٦ و ٥ فلاحظها و رواه أيضا المجلسي في البحار ج ٤٠، ص ١٢٧، باب علمه (ع) و أن النبيّ (ص) ... الخ.
فلاحظ تعليقتنا ١٣٨.

كلمة واحدة ففتح له من اللّه من تلك الآية أو تلك الكلمة ألف معنى بقوّة الفهم الّذي أعطاه اللّه ببركة ذلك التّعليم و لو لا فهمه إلى هذه الغاية ما قال: و اللّه لو شئت لأوقرت سبعين بعيرا من باء بسم اللّه الرحمن الرحيم «٩٢». فعليك حينئذ بطلب مثل هذا الفهم أو بعضه و ليس هذا فهمنا إلاّ منه و ببركته حسبا كان أو نسبا و الحمد للّه وحده.

(القرآن موجب للشفاء كما هو سبب للشقاء)

و من كمال هذا القرآن و هو أنّه بالنسبة إلى بعض النّاس سبب الهداية و الإرشاد من الضّلالة و الكفر، و موجب للشّفاء و الصّحة من المرض الحقيقي الّذي هو الجهل، و بالنّسبة إلى البعض الآخر سبب الإضلال و الإغواء و المرض و الدّاء، لقوله تعالى في الصورتين:

قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدىً وَ شِفاءٌ وَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ فِي آذانِهِمْ وَقْرٌ وَ هُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولئِكَ يُنادَوْنَ مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ [سورة فصلت: ٤٤].

و لقوله: أيضا:

---

(٩٢) قوله: و لو لا فهمه إلى هذه الغاية ما قال: و اللّه شئت الخ، أقول روى عنه (ع) في ذلك المعنى أحاديث نذكرها ذيلا.

(أ) لو شئت لأوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب.

(ب) لو شئت لأوقرت بعيرا من تفسير بسم اللّه الرحمن الرحيم.

(ج) لو شئت لأوقرت لكم ثمانين بعيرا من معنى الباء.

رواه في إحقاق الحق ج ٧، ص ٥٩٣ الحديث التاسع عن عدّة من أعلام القوم و كتبهم فلاحظه، و رواه أيضا ابن شهر آشوب في المناقب ج ٢، ص ٤٣.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ١، ص ٣٦٣

يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَ يَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَ مٰا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفٰاسِقِينَ [سورة البقرة: ٢٦].

و بالجملة يجب عليك و على كلّ أحد أن يعتقد أوّلا ثمّ يتحقّق ثانيا أنّ القرآن مشتمل على مراتب جميع العالمين و مدارجهم بحسب الاستعدادات و القابليّات التي لهم ليشمل الكلّ، و لا يخرج من حكمه أحد و أنّه مشتمل على معان مختلفة و أسرار متنوّعة غير قابلة للانتهاء و الانقطاع دنيا كان أو آخرة، ظاهرا كان أو باطنا، و أنّ تأويله و تأويل تأويله واجب من جميع الوجود، و أنّ الأخذ و الفهم منه بحسب الاستعداد و الاعتقاد و إدراك كلّ شخص و عدمه فيه، و الخلق كلّهم مأمورون بالتّدبّر فيه و التفكّر في معانيه ليصل كل واحد منهم إلى حقّه المعيّن له بقدر سعيه. و يجب عليك أيضا أن تعرف أنّه ليس على اللّه تعالى بعد إنزاله القرآن و تكليف الخلق بتعليمه و تفهيمه و بعثه الرّسل و نصب الأدلّة و تمييز الحقّ عن الباطل، إيصال فهمه إلى كلّ أحد و إلى كلّ إقليم، و لا فحظ عبيده من الضّلال و الكفر و الفسق و الفجور، لأنّه لو كان كذلك لارتفع التّكليف و بطل الثّواب و العقاب، و الجنّة و النّار، و الوعد و الوعيد، و كانت جميع الأحكام المترتّبة على التّكليف هملا و عبثا تعالى اللّه عن ذلك علوّا كبيرا.

و ستعرف هذا البحث عند بيان المشتبهات من الآيات أكثر من ذلك.

و إذا عرفت حكمة نزول القرآن و أنّه مترتّب على ترتيب العالم أعلاه و أسفله، فلنشرع في البحث الثّاني في ... ما يتعلّق به من الأسرار و الرّموز و الدّقائق.

البحث الثّاني:

تعليقة: [مع الأسف أنّ في النّسخة هاهنا سقطت كلمات كثيرة و فيها كلمات و خطوط عديدة لا يمكن قراءتها و الباقية ناقصة ليست بمفيدة].

(وجوب تعظيم كلّ موجود من الآفاق)

: فكذلك يجب تعظيم كلّ شخص و كلّ موجود بالنّسبة إلى الكتاب الآفاقي كالكلب و الخنزير و فرعون و الشّيطان و غير ذلك من الموجودات، لأنّ هؤلاء في

الكتاب الآفاقي كأسماء أولئك في القرآن و كما أنّ صحّة القرآن، و تكميله بأسماء أولئك فكذلك صحّة الكتاب الآفاقي و نظامه بوجود هؤلاء لأنّ القرآن مثلا لو كان خاليا من هذه الأسماء لم يكن تامّا و لا كان اللّه صادقا في قوله:

وَ لاٰ رَطْبٍ وَ لاٰ يٰابِسٍ إِلاّٰ فِي كِتٰابٍ مُبِينٍ [سورة الأنعام: ٥٩].

لأنّ أسماءهم في القرآن إمّا بمثابة الحروف أو الكلمات أو الآيات و كلّما نقص القرآن من حرف أو كلمة أو آية لم يكن تامّا، فكذلك الكتاب الآفاقي المسمّى بالعالم، فإنّ هؤلاء لو لم يكونوا فيه لم يكن تامّا لأنّهم إمّا بمثابة

الحروف أو الكلمات أو الآيات و كلما نقص منه واحد منهم لم تنتظم أحواله و لم يكن تامّا في نفس الأمر، فافهم جدّا و ذلك تقدير العزيز العليم.

و فيه قيل:

لا تنكر العالم في طوره   فإنّه بعض ظهوراته

و أعطه منك بمقداره   حتّى توفّي حقّ إثباته

(ليس في الوجود شيء خارج عن الحكمة و كل العالم وجود واحد)

و ذلك لأنّه ليس في الوجود شيء زائد خارج عن الحكمة حتى يحكم ببطلانه بل الكلّ عند التّحقيق وجود واحد في غاية الكمال.

(العالم بأسره مظهر أسماء اللّه سبحانه حتى الشيطان و هو مظهر اسم المضلّ)

و النّظام، كما قيل: ليس في الإمكان أبدع من هذا العالم لأنّه لو كان و ادّخره لكان عجزا ينافي القدرة و بخلا ينافي الجود، و جلّ جناب الحقّ أن يكون متّصفا بهاتين الصفتين.

و أيضا إذا تقرّر أنّ العالم بأسره مظهر أسماء اللّه تعالى و صفاته، و كما كان آدم مظهر أسماء الهادي، يكون إبليس مظهر اسمه المضلّ، و كما كان موسى مظهر اسمه النّافع يكون فرعون مظهر اسمه الضّار، و كذلك جميع الموجودات غيرهم من الحيوانات و النّباتات و الجمادات، حتّى النّملة و

البقّة، و فيه قيل:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ۱، ص ۳۶۵

على سمة الأسماء تجري أمورهم
و حكمة وصف الذّات للحكم أجرت

«۹۳» و إن لم تفهم هذه الإشارة بهذه العبارة.

(الوجود خير محض و العدم شر محض و ليس له تحقق في الخارج)

فاعلم أنّ جميع أرباب العقول، و أهل العلم، و جميع أرباب الشهود، و أهل الكشف، اتّفقوا على أنّ الوجود خير محض و العدم شرّ محض، و اتّفقوا على أنّ الشرّ المحض ما له وجود في الخارج أصلا، و الشرّ الخارجي ليس إلّا الشرّ الإضافي، يجوز رفعه و إزالته، و يجوز بقاؤه و دوامه، و على جميع التّقادير الشرّ المحض ليس بموجود في الخارج، و الموجود في الوجود الخارجي هو الخير المحض فقط، و ها هنا أيضا دقيقة، و هي أنّه قد ثبت بالعقل و النّقل و الكشف. انّه ليس في الوجود الخارجي إلّا الحقّ تعالى، أو الوجود المسمّى بالمطلق، فكيف يتصوّر مع هذا الوجود الخارجي شيء آخر حيّ يسمّى شرّا أو خيرا و معلوم أنّ الوجود من حيث هو وجود خير محض فلا يكون للشرّ وجود أصلا، و من هذا ليس هناك شيء تعدّه أنت شرّا إلّا و فيه ألف خير و ألف منفعة. كالحيّات و العقارب مثلا، و السّموم

القاتلة، و أمثال ذلك فإنّ فيها خيرا كثيرا و منافع كثيرة.

(مقتضى التوحيد الفعلي مشاهدة الكلّ خيرا)

و إذا رجعت إلى التّوحيد الفعلي رأيت الكلّ صادرا من فاعل واحد، محبوب بالذّات، مقصود في نفس الأمر، كيف تنسب شيئا من أفعاله إلى الشرّ و إن كان ذلك الفعل في صورة الشرّ بل تشاهد الكلّ خيرا محضا موافقا لمرادك و مطلوبك، كما قيل: و كلّ ما فعل المحبوب محبوب، بل تجده في غاية الإتقان و الإحكام، و قد قام البرهان عند أرباب النّظر أيضا أن أفعاله تعالى كلّها في غاية الإتقان و الإحكام و ليس فيها ضعف و لا وهن، و من هذا ما يشاهد العارف في الوجود شيئا خارجا عن الحكمة و لا شيئا يكون وجوده شرّا محضا مطلقا، لأنّه ما يشاهد الفعل

---

(٩٣) قوله: على سمه الأسماء تجري أمورهم الشعر.

قائله ابن الفارض، مشارق الدراري ص ٦٣١.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ١، ص ٣٦٦

إلاّ من فاعل واحد محبوب بالذات كما مرّ، و فيه قيل:

و كلّ الّذي شاهدته فعل واحد   بمفرده لكن بحجب الأكنة

إذا ما أزال الستر لم تر غيره

(قوى النفس بمثابة القوى و الموجودات في الآفاق)

و مع ذلك كلّه لا ينكشف لك هذا السرّ على ما هو عليه في نفس الأمر إلاّ إذا رجعت إلى نفسك و إلى حواسّك و قواك الّتي هي مظاهرك، لأنّك إذا رجعت إليك رأيت عقلك الجزئي بمثابة آدم و رأيت هواك بمثابة إبليس، و قلبك بمثابة موسى، و نفسك الأمّارة بمثابة فرعون، و قوّتك الغضبيّة بمثابة الكلب و قوّتك الشّهويّة بمثابة الخنزير، و كذلك كلّ القوى و الأعضاء فإنّ كلّ واحدة منها بمثابة كلّ واحدة واحدة من أجزاء العالم و قد عرفت هذا عند تطبيقهما في البحث السّابق، و كما لا ترى في نفسك شيئا زائدا خارجا عن وجودك، فكذلك لا ينبغي أن ترى شيئا زائدا خارجا عن الوجود و كما لا ترى في نفسك شيئا هو يكون شرّا بالنّسبة إليك فكذلك لا ترى في الوجود شيئا هو يكون شرّا بالنّسبة إلى الوجود مطلقا، فإنّ وجودك كما يحتاج إلى عقلك الّذي هو بمثابة آدم فكذلك تحتاج قوّتك الوهميّة الّتي هي بمثابة إبليس، فإنّ عمارة الباطن و الآخرة كما يتعلّق بالعقل الّذي هو بمثابة آدم، فكذا عمارة الظّاهر و الدّنيا يتعلّق بالوهم الّذي هو بمثابة إبليس، و كذلك القلب و النّفس الأمّارة و القوّة الشّهويّة و الغضبيّة و غير ذلك من القوى و الأعضاء، فإنّ كلّ واحدة منها في نفسها سبب نظام وجودك بحيث لو فرض زوال وجود واحد منها لم يمكن إقامة بدنك و لا بقاؤه، و أيضا هذا فرض محال لأنّا لو فرضنا هذا ما يمكن مع هذا فرض وجود تامّ كامل

بل يجب مع هذا الفرض فرض وجود ناقص و ليس الفرض كذلك بل الفرض وجود تام كامل من جميع الوجوه، كما ثبت عقلا و نقلا.

أمّا عقلا فلأنّه قد تقرّر أنّ الإنسان أشرف الموجودات و أكمل المخلوقات صورة و معنى و بل جامع لجميع ما في العالم فكيف لا يكون كاملا و تامّا في الخلق و الخلق.

و أمّا نقلا، فقد أخبر أو يعلل عنه أنّه أحسن الصّور و أكمل الخلق في قوله:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‏١، ص ٣٦٧

لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسٰانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيم [سورة التين: ٤].

و في قوله: وَ صَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ [سورة غافر: ٦٤].

فَتَبٰارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخٰالِقِينَ [سورة المؤمنون: ١٤].

(الخير و الشرّ كلاهما عين الكمال)

فالشرّ و الخير حينئذ يكونان عين الكمال و محض النّفع، من حيث إنّ الوجود لا يتمّ إلاّ بهما، و أيضا هما أمران إضافيّان زائلان في نفس الأمر، فإنّ الوهم بالنّسبة إلى العقل، و إن كان شريرا ناقصا، لكن بالنّسبة إلى البدن و عمارته يكون كاملا خيرا، و كذلك القلب و النّفس الأمّارة، فإنّ النّفس الأمّارة و إن كانت شريرة ناقصة بالنّسبة إلى القلب الّذي هو الكامل الخير، لكن بالنّسبة إلى البدن و عمارته تكون خيرة كاملة، و إذا فرض زوال الاعتبارين لا يكون هناك لا خير و لا شر، و لا نقص و لا كمال، بل يكون وجودا واحدا في غاية الكمال و الشّرف و القدر و المنزلة، و يمكن تصوّر هذا المعنى في عالم الحسّ بالحسّ بالنّسبة إلى الشّمس و شعاعها مثلا، فإنّ

الشّمس عند الخفافيش مظلمة كدرة مانعة من رؤيتهم و مشاهدتهم، و الحال أنّها في نفس الأمر مشرقة نيّرة موجبة لرؤية أهل العالم و مشاهدتهم.

(تقابل الأسماء)

و كذلك الأنبياء و الأنبياء بالنّسبة إلى الكفّار و المشركين، فإنّ الأنبياء و الأولياء حيث أنّهم دائما يقصدون أنفسهم و أموالهم و يقتلون أهلهم و أولادهم لا يكون بالنّسبة إليهم أشرّ و أنقص منهم، و كذلك هم بالنّسبة إلى الأنبياء و الأولياء أيضا، حيث إنّهم لا يقصدون إلاّ أنفسهم و أموالهم و لا يطلبون إلاّ أهلهم و أولادهم، و لهذا كانوا يقتلون الأنبياء و يحسبون هذا من أعظم الخيرات، و كذلك الأنبياء، و الآن ليس عند اليهود و النّصارى أنقص من نبيّنا (ص) مع أنّه ليس في الوجود أكمل منه، و هذا يسمّى تقابل الأسمائيّة و المحاذاة الوجوديّة آفاقا كان أو أنفسا و لا يزال الوجود كذلك و لم يزل أزل الآزال و أبد الآباد، وَ تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَ عَدْلاً لا مُبَدِّلَ لِكَلِمٰاتِهِ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۱، ص ۳۶۸

[سورة الأنعام: ۱۱۵].

إشارة إليه، لأنّ الأسماء الجلالية لا بدّ لها من مظاهر، و الأسماء الجماليّة كذلك، فهذان المظهران لا بدّ لهما من تقابل كآدم و إبليس و موسى و فرعون و إبراهيم و نمرود و محمّد (ص) و أبي جهل و علي (ع) و معاوية، و الحسين و يزيد، و المهدي و الدّجال، و أمثال ذلك و لهذا قال:

وَ كَذٰلِكَ جَعَلْنٰا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيٰاطِينَ الْإِنْسِ [سورة الأنعام: ۱۱۲].

و كذلك في الأنفس من تقابل العقل و الوهم و القلب و النّفس و العلم و الجهل و الحلم و الغضب و الشّهوة و العفّة إلى آخر القوى و الحواسّ و التّقابل الواقع بينهما كما مرّ تفصيلهما و حيث أنّ كلّ واحدة من هذه المظاهر، آفاقا كان أو أنفسا، فهي إمّا بمثابة الحروف أو الكلمات أو الآيات كما ثبت عقلا و نقلا و كشفا، و في كلّ واحدة منها آية و علامة تدلّ على كمال معرفته و وحدته، لقولهم:

و في كلّ شيء له آية　　　تدلّ على أنّه واحد

قال تعالى: سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ [سورة فصّلت: ۵۳].

ليتبيّن عند كلّ عاقل عارف أنّه ليس في الوجود غيره و غير أسمائه المتقابلة و أن الوجود خير محض و الشرّ إضافي، و لا يكون رجوع الكلّ في آخر الأمر إلاّ إلى الخير الّذي هو الرّحمة، كما قال:

سبقت رحمتي غضبي «۹٤».

(۹٤) قوله: كما قال: سبقت رحمتي غضبي.

أخرجه أحمد في مسنده ج ۲، ص ۲٤۲، و مسلم في صحيحه ج ٤، ص ۲۱۰۸ كتاب

التوبة، باب ٤، الحديث ١٥ و في البخاري ج ٩، ص ١٦٤:
إن رحمتي سبقت غضبي، و أخرج ابن ماجة في سننه ج ٢، كتاب الزهد الباب ٣٥، الحديث ٤٢٩٥: إنّ رحمتي تغلب غضبي.
و مسلم أيضا في الباب الحديث ١٦ و ١٤.
و جاء في دعا جوشن الكبير المرويّ عن النبيّ (ص) في مصباح الكفعمي: يا من سبقت رحمته غضبه.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ١، ص ٣٦٩

و معلوم أن الابتداء في الإيجاد كان من الرّحمة المحضة، فيكون في الإعادة كذلك، ليطابق الأوّل الأخير و المبدأ و المعاد، بحكم قوله:
كَما بَدَأْنا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنا إِنَّا كُنَّا فاعِلِينَ [سورة الأنبياء: ١٠٤].
و هاهنا أبحاث كثيرة و أسرار جليلة، و هذا كلّه من بعض أسرار القدر المنهيّ إفشاؤها كلّ الإفشاء، و الغرض من جميع ذلك بعد إثبات أنّ القرآن غير قابل للانتهاء و الانقطاع، أن ثبت أن العالم كله كتاب اللّه و كلّ ما فيه إمّا بمثابة الحروف أو الكلمات أو الآيات و يجب تعظيم كلّ واحدة منها بقدرها كما يجب تعظيم كلّ واحدة من حروف القرآن و آياته و كلماته، و قد ثبت هذا بوجوه كثيرة، و الحمد للّه على ذلك.
هذا آخر الدّقيقة و آخر البحث الثّاني في هذا المقام، و اللّه أعلم و أحكم و هو يقول الحقّ و هو يهدي السّبيل.

الوجه الرابع في تأويل بعض المتشابهات و تطبيقها بالمحكمات

و بيان الفرق بين المشيّة و العلم و الإرادة و الأمر و الجبر و القدر.

اعلم أنّ هذا الوجه مشتمل على تأويل بعض المتشابهات و تطبيقها بالمحكمات و توابعه و لوازمه من الأبحاث، و فيه مقالات.

(لا اختلاف بين الأمم بحسب المعنى كما لا اختلاف بين آيات القرآن)

المقالة الاولى في نقل بعض المتشابهات و رفع الاختلاف من القرآن عقلا و نقلا

فمنها قوله تعالى:

وَ أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتابِ وَ مُهَيْمِناً عَلَيْهِ

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ۱، ص ۳۷۰

فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِما أَنْزَلَ اللهُ وَ لا تَتَّبِعْ أَهْواءَهُمْ عَمَّا جاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَ مِنْهاجاً وَ لَوْ شاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً واحِدَةً وَ لكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي ما آتاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْراتِ إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ [سورة المائدة:

۴۸].

و منها قوله تعالى:

كانَ النَّاسُ أُمَّةً واحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَ مُنْذِرِينَ وَ أَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَ مَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْهُمُ الْبَيِّناتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَ اللهُ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ [سورة البقرة: ۲۱۳].

و منها قوله تعالى:

وَلَوْ شاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَ فَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ [سورة يونس: ۹۹].

وَلَوْ شاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً واحِدَةً وَلا يَزالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذلِكَ خَلَقَهُمْ [سورة هود: ۱۱۸، ۱۱۹].

فنقول: لا شكّ و لا خفاء أنّ هذه الآيات كلّها بحسب اللّفظ و تفسير الظّاهر، متناقضات مختلفات لكن ليس من حيث المعنى و الأصول المقرّر بين العلماء الحقّة كذلك، كما بيّنا بعضه و سنبيّن البعض الآخر إن شاء اللّه، و قد ورد عن أمير المؤمنين (ع) أنّه قال:

في كتاب اللّه عزّ و جلّ ما يحسبه الجهّال مختلفا متناقضا و ليس بمختلف و لا بمتناقض.

و مراده أنّه ليس في نفس الأمر تناقض و لا تخالف و إن كان بحسب اللّفظ يلزم ذلك.

و هذه الآيات لها أجوبة إجمالية و تفصيليّة، أما التّفصيل فستعرفه في المقالات الآتية.

و أمّا الإجمال، فقوله تعالى:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۱، ص ۳۷۱

رَبُّنَا الَّذِي أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدى [سورة طه: ۵۰].

و قوله: إِنَّا هَدَيْناهُ السَّبِيلَ إِمَّا شاكِراً وَ إِمَّا كَفُوراً [سورة الإنسان: ۳].

يقوم بجواب تلك الآيات، لأنّ تلك الآيات تشهد بأنّ الهداية بعد ما

حصلت و إن حصلت ما حصلت إلاّ للبعض، و هذه الآيات تشهد بأنّ الهداية قد حصلت للكلّ.

و قوله في موضع آخر:

قَدْ جٰاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدىٰ فَإِنَّمٰا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَ مَنْ ضَلَّ فَإِنَّمٰا يَضِلُّ عَلَيْهٰا وَ مٰا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ [سورة يونس: ١٠٨].

و قوله: قَدْ جٰاءَكُمْ بَصٰائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَ مَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهٰا وَ مٰا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ [سورة الأنعام: ١٠٤].

(الهداية و الضلالة باختيار العبد و إرادته)

يشهد بأنّ الهداية و الضّلالة تتعلّق باختيار العبد و إرادته لا غيره بل يضاف تلك الهداية الحاصلة لهم إلى القرآن الّذي بعث إليهم رحمة و شفقة في حقّهم، و تلك الضّلالة الحاصلة لهم بترك هذه الألطاف إلى تقصيرهم و تركهم التّدبّر و التفكّر في القرآن، كقوله فيهما:

يٰا أَيُّهَا النّٰاسُ قَدْ جٰاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَ شِفٰاءٌ لِمٰا فِي الصُّدُورِ وَ هُدىً وَ رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ قُلْ بِفَضْلِ اللّٰهِ وَ بِرَحْمَتِهِ فَبِذٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمّٰا يَجْمَعُونَ [سورة يونس: ٥٧].

و كقوله: هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدىً وَ شِفٰاءٌ وَ الَّذِينَ لاٰ يُؤْمِنُونَ فِي آذٰانِهِمْ وَقْرٌ وَ هُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولٰئِكَ يُنٰادَوْنَ مِنْ مَكٰانٍ بَعِيدٍ [سورة فصّلت: ٤٤].

و كقوله: أَ فَلاٰ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلىٰ قُلُوبٍ أَقْفٰالُهٰا [سورة محمد: ٢٤].

و كقوله: فَمٰا لِهٰؤُلاٰءِ الْقَوْمِ لاٰ يَكٰادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً [سورة النساء: ٧٨].

و الحديث هو القرآن، لقوله تعالى:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۱، ص ۳۷۲

وَ مٰا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمٰنِ مُحْدَثٍ إِلاّٰ كٰانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ [سورة الشعراء: ۵].

و قوله: وَ لَوْ لاٰ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ مٰا زَكىٰ مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَداً [سورة النور: ۲۱].

يشهد بأن الكل من فضله و رحمته و عنايته بعبيده و الكلّ صحيح و ليس فيه اختلاف، و يعرف هذا السرّ من قوله:

وَ مٰا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَ لٰكِنَّ اللهَ رَمىٰ [سورة الأنفال: ۱۷].

لأنّه نفي من غير الإثبات و إثبات من غير نفي و إدراكه صعب.

(تصور الاختلاف في القرآن يرجع إلى عدم فهم المتصرّف فيه)

و بالجملة إضافة الهداية إلى نفسه تارة و إلى العبد تارة و إلى القرآن تارة ليس بمتناقض و لا بمختلف عند التّحقيق و سيّما ورد في كتابه:

وَ لَوْ كٰانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلاٰفاً كَثِيراً [سورة النساء: ۸۲].

و المراد أنه ليس فيه اختلاف في نفس الأمر و إن كان فيه اختلاف بحسب اللّفظ و التّركيب، و بيان ذلك و هو أنّ تصوّر الاختلاف في القرآن يرجع إلى عدم فهم المتصرّف فيه و المفسّر و إلاّ لو كان التصوّر صحيحا يعرف أنّ اللّه تعالى ما نفى الاختلاف من القرآن مطلقا بل نفى الاختلاف منه في نفس الأمر بالنّسبة إلى الأصول الجمليّة و القوانين الكلّية المقرّرة بين الأنبياء و الأولياء (ع) التّي لا يمكن الاختلاف فيها أصلا، و معلوم أن الأنبياء و الأولياء قطّ ما وقع خلاف بينهم في أصول الدين و أركان الشّرع، لقوله:

شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ ما وَصَّى بِهِ نُوحاً وَ الَّذِي أَوْحَيْنا إِلَيْكَ وَ ما وَصَّيْنا بِهِ إِبْراهِيمَ وَ مُوسى وَ عِيسى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَ لا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ [سورة الشورى: ١٣].

و كقوله: لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ [سورة البقرة: ٢٨٥].

و يكون حينئذ تقديره انّه ليس فيه اختلاف في نفس الأمر، و أصول الدين و الشرع، و إن كان فيه اختلاف في اللّفظ و التّركيب و الأحكام الشّرعيّة من حيث

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‌١، ص ٣٧٣

الفروع و الجزئيّات بالنّسبة إلى بعض الأزمان و الأشخاص و لو كان هذا الكتاب من عند غير اللّه لوجدوا اختلافا في جميع ذلك لعدم إحاطة علمه بجميع الأمور على ما هي عليها، كما قال في هذا:

وَ قُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً [سورة طه: ١١٤].

و قال: وَ فَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ [سورة يوسف: ٧٦].

و قال: وَ ما أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً [سورة الإسراء: ٨٥].

و الأنبياء و الرّسل حيث إنّهم لا يقولون شيئا بأنفسهم، بل لا يتكلّمون إلاّ بإذنه و أمره، لقوله:

وَ ما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحى [سورة النّجم: ٣- ٤].

و كان الكلّ وحيا خصوصا القرآن ما وقع الاختلاف بينهم، و في هذا ورد الحديث القدسي:

بي ينطق و بي يسمع و بي يبصر [مرّ ذكر مرجعه في التعليقة ١٢٠ فراجع].

و كل من كان نطقه به و سمعه و بصره بنور، لا يمكن صدور الاختلاف و لا الخلاف منه، و يجب عليك أن تعرف أن الأنبياء و الأولياء و الرّسل (ع) قطّ ما اختلفوا في القوانين الكلّية الإلهيّة و الأوضاع الجمليّة الرّبانيّة الّتي هي التّوحيد و العدل و النبوّة و الإمامة و المعاد، و إيصال الخلق إلى كمالهم المعيّن لهم بحسب استعدادهم و قابليّاتهم، و إن وقع الخلاف بينهم في تبيين الحلال و الحرام و تعيين الكفر و الإسلام و تحقيق الفروع و الأحكام و أمثال ذلك، لأنّ الاتفاق في الأصول كما هو مصلحة كليّة دينيّة مشتملة على مصالح الخلق في المعاش و المعاد، فكذلك الاختلاف في الفروع فإنّه أيضا مصلحة جزئيّة مشتملة على مصالح جزئيّة مشتملة على مصالحهم في المعاش و المعاد، و مثال ذلك مثال الأطباء الصّوريّة مع الأمراض الصوريّة فإن مراد الأطباء، و لو كانوا مائة ألف طبيب، من المرض مراد واحد و هو الصّحة، فاختلاف الأشربة و المعاجين في معالجاتهم لا يدل على اختلافهم في المقاصد الكلّية الّتي هي الصّحة و القوّة، و اختلاف بعض المرض مع بعض الأطباء من هنا يقع، فإنّهم ما يعرفون أنّهم في المقاصد واحد، بل يقولون

هذا معالجته ما هو موافق، و ذاك الآخر خير منه، فتختلف الآراء و الأهواء بحسب الملائم و غير الملائم، و الّا مقصودهم واحد في نفس الأمر فافهم جدّا، فإنّه مثال شريف دقيق، و قس على هذا أطباء النّفوس مع الأمراض المعنويّة و اختلافاتهم في القبول و المنع و ميلهم إلى بعض الأنبياء دون

البعض حتّى تعرف أيضا سرّ الاختلاف كما عرفت سرّ الاتّفاق، و تلك الأمثال نضربها للنّاس و ما يعقلها إلا العالمون.

(في معنى اختلاف أمتي رحمة)

و سيجيء بيان الضّوابط الكلّيّة الإلهيّة و القوانين الجمليّة الرّبانيّة في المقدّمة السّادسة من هذه المقدّمات عند بحث الشّريعة و الطّريقة و الحقيقة أكثر من ذلك مع بحث الأصول و الفروع و ترتيبها في المراتب الثّلاث، و اختلاف القرآن في الفروع عند التحقيق، عين الاتّفاق في الأصول كما عرفته و ستعرفه أيضا و كأنّ النبيّ (ص) نظرا إلى هذا المعنى قال:

اختلاف أمّتي رحمة «٩٥».

و تقديره: أي اختلاف أمّتي في القرآن من حيث استخراج المعاني و الحقائق، و استنباط اللطائف و الدّقائق، و تطابق المتشابهات بالمحكمات، و رجوع التّفسير إلى التّأويل، و التّأويل إلى التّحقيق بالنّسبة إلى كلّ زمان مشخّص و إلى كلّ رأي و اعتقاد، رحمة نازلة من اللّه فيهم لقوله:

وَلَوْلا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ (بإنزال القرآن عليكم) ما زَكى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَداً [سورة النور: ٢١].

أي ما زكّى أحد منكم من نقصه و جهله و رذيلته و خسّته الغالبة على نفسه،

---

(٩٥) قوله: نظرا إلى هذا المعنى قال: اختلاف امّتي رحمة.

رواه ابن أبي جمهور في عوالي اللئالي ج ١، ص ٢٨٦، الحديث ١٣٧. و الصدوق (رض)

في معاني الأخبار ص ١٥٧، باب معنى قوله (ع): اختلاف أمّتي رحمة الحديث ١.

و أخرجه أيضا السيوطي في الجامع الصغير ج ١، ص ٤٨، الحديث ٢٨٨.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج١، ص ٣٧٥

من الفسق و الفجور و البخل و الشّحّ و البلادة و الجربزة لصعوبة الملكات الرّديّة و رسوخها فيها، و شدّة إزالتها عنها، إلاّ بفضل اللّه و رحمته الّتي هي عبارة في هذا المقام عن إرشادهم إلى فهم كتابه و استخراج معانيه و استنباط حقائقه، و إليه أشار أيضا بقوله:

يٰا أَيُّهَا النّٰاسُ قَدْ جٰاءَكُمْ بُرْهٰانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَ أَنْزَلْنٰا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً. فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللّٰهِ وَ اعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَ فَضْلٍ وَ يَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرٰاطاً مُسْتَقِيماً [سورة النساء: ١٧٤- ١٧٥].

و بقوله:

كِتٰابٌ أَنْزَلْنٰاهُ إِلَيْكَ مُبٰارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيٰاتِهِ وَ لِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبٰابِ [سورة ص: ٢٩].

و لقوله:

وَ مٰا كٰانَ هٰذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرىٰ مِنْ دُونِ اللّٰهِ وَ لٰكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ [سورة يونس: ٣٧].

وَ هُدىً وَ رَحْمَةً لَعَلَّهُمْ بِلِقٰاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ [سورة الأنعام: ١٥٤].

و سبب ذلك، لأنّ أمثال هذه الاستخراجات من المعاني و الاستنباطات من الحقائق يزيد في ذكائهم و فطنتهم و صفاء خواطرهم و أفكارهم و تهيئة

أسبابهم و استعدادهم، لتحصيل كمالاتهم و مقاماتهم عاجلا بالفيض، و التجلّيات و الكشف و الإلهامات، و في ثوابهم و درجاتهم في الجنان، و كرامتهم و منزلتهم عند اللّه، آجلا، ببركة أعمالهم و أفعالهم الصّادرة من تلك التجليّات و الكشوف و الفيضان، و هذه الأنواع كلّها نعمة عظيمة و رحمة واسعة على عباده، و ورد عن النبيّ (ص) أنّه قال:

«ما من شفيع أفضل منزلة عند اللّه تعالى يوم القيامة من القرآن لا نبيّ و لا ملك و لا غيرهما» «٩٦».

---

(٩٦) قوله: و ورد عن النبيّ (ص): ما من شفيع أفضل الحديث.

رواه ابن أبي جمهور في عوالي اللئالئ ج ٤، ص ١١٢، الحديث ١٧١، و أخرجه الغزالي في إحياء العلوم ج ١، ص ٢٧٣، كتاب آداب تلاوة القرآن الباب الأوّل، و قال العراقي في ذيله:

رواه عبد الملك بن حبيب من رواية سعيد بن سليم مرسلا.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ١، ص ٣٧٦

و يلوح من سرّ هذه الإشارة، أنّ ذلك إنّما هو في حقّ من يدبّره و يحقّق معناه و سلك المنهج المطلوب منه المشتمل عليه و وصل إلى جناب اللّه و جوار الملائكة، و لا غاية في الشّفاعة إلاّ الوصول إلى نيل الرضوان من المشفوع إليه، و معلوم أنّ تمام رضوان اللّه بغير سلوك الطّريق المشتمل

عليها الكتاب العزيز لا يحصل و لا ينفع شفاعة شافع كما قال جلّ ذكره:
فَما تَنْفَعُهُمْ شَفاعَةُ الشّافِعِينَ فَما لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ [سورة المدّثر: ٤٨- ٤٩].

و هذا أيضا تأكيد آخر على سبيل التعجّب و الإنكار على طائفة أعرضوا عن القرآن و عن استخراج معانيه و استنباط حقائقه و عن الاطلاع على اختلاف رموزه و إشارته و تحصيل درره و غرره و الغوص في بحار حكمته و عرفانه ليصلوا بها إلى الجواهر المكنونة في عمقها و النفائس الشّريعة المستورة تحت سواحلها و سواقيها و يستحقوا بها الكرامة و المنزلة عند اللّه و الثواب الجزيل و الأجر الجميل في الجنّة، كما سبق ذكره، و أشار الحقّ تعالى إليه في قوله:
وَ مَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً [سورة النساء: ١١٤].

و المراد من هذا البحث من الأوّل إلى الآخر في هذه المقالة هو أنّ القرآن لا اختلاف في حقيقته، و الاختلاف الّذي فيه بحسب الاستخراج و الاستنباط إذا كان موافقا للعقل و الشّرع و الكشف فهو عين الرّحمة، و لا يجوز تركه، و بل هو واجب على كلّ أحد.

و إذا تحقّق هذا فلنشرع في المقالة الثّانية و بيان بعض المتشابهات فهو هذا:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‏١، ص ٣٧٧

المقالة الثانية في تأويل قوله:

وَلَوْ شٰاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النّٰاسَ أُمَّةً وٰاحِدَةً [سورة هود: ١١٨]:

اعلم، أنّ قوله: و لو شاء ربك معناه أي و لو شاء ربّك أن يجعل النّاس أمّة واحدة على سبيل الإلجاء و الجبر و القهر لأمكن لأنّه قادر على كلّ شيء من الممكنات، و هذا من الممكنات، لكن ما يشاء إلاّ على سبيل الاختيار و الإرادة، لأن التّكليف الإلجائي ينافي الغرض منه، و نقض الغرض على الحكيم محال، فمحال أن يفعل الحكيم مثل هذا، و ذلك لأنّ الهداية على سبيل الجبر و القهر تؤدّي إلى عدم القدرة و الاختيار و ارتفاع التّكليف مطلقا، و يلزم منه إبطال الأحكام الشّرعيّة و الأوضاع الكليّة الإلهيّة من الدّعوة و الإرشاد و النبوّة و الرّسالة و المعاد و استغناء الخلق عن الأصول و الفروع و الثّواب و الأجر و عدم خوفهم من الجحيم و العذاب و أمثال ذلك، لأنّ كل ذلك مبنيّ على القدرة و الاختيار فإذا ارتفعا ارتفع الكل، و إذا ذهبا ذهب المجموع لأنّ العبد لو لم يكن مختارا لم يكن محتاجا إلى نبيّ و لا رسول و لا فروع و لا أصول، لأنّ الاحتياج إلى الرّسول و النبيّ، أن يعلم الناس واجبات الدين من الأصول و الفروع و يرشدهم إلى الحقّ تعالى و يقرّبهم إلى الجنّة و الثّواب و يبعّدهم عن الجحيم و العقاب فإذا لم يكن في نفسه مختارا لم يكن له في ذلك اختيار و بل يكون معذورا عند اللّه و عند الخلق و ليس الحال كذلك لأنّ هذا جبر محض و إلجاء صرف و جلّ جناب الحقّ أن يفعل مثل ذلك و إلى هذا أشار بقوله:

وَلَوْ شٰاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَ فَأَنْتَ تُكْرِهُ النّٰاسَ حَتّٰى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ [سورة يونس: ٩٩].

ليكون جوابا لذلك القول و تقديره: لو شاء ربك أن يحكم على جميع النّاس جبرا و قهرا بالإلجاء و الإكراه أن يؤمنوا به و بك لحكم عليهم حكما جزما و انفصل الأمر و انقضى الدّهر و ظهر يوم القيامة و لكن ما يشاء إلاّ أن يؤمنوا بأنفسهم اختيارا و إرادة ليستحقّوا به الثّواب الدّائم بأفعالهم الحسنة و أعمالهم الصّالحة و يستوجبوا العقاب الدّائم بأفعالهم و أعمالهم الرديّة، لأنّ إجبارهم و إكراههم على الإسلام و الإيمان

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‏١، ص ٣٧٨

ينافي الغرض من التّكليف كما مرّ، و الحكيم الكامل لا يفعل فعلا ينافي غرضه و لهذا قال:

قَدْ جٰاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدىٰ فَإِنَّمٰا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَ مَنْ ضَلَّ فَإِنَّمٰا يَضِلُّ عَلَيْهٰا وَ مٰا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ [سورة يونس: ١٠٨].

ليتيقّنوا أنّ أمرهم في التّكليف إليهم لا إلى غيرهم، و ليسوا هم بمجبورين في أفعالهم و أعمالهم، و بل يقوم كلّ واحد منهم بالتّكليف المأمور به على ما ينبغي، و يرجو من اللّه تعالى بالطاعة، الثّواب و الجنّة، و بالمعصية العقاب و الجحيم، لقوله:

وَ أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسٰانِ إِلاّٰ مٰا سَعىٰ وَ أَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرىٰ [سورة النجم: ٣٩-٤٠].

(مشيّة الحقّ لا تنافي اختيار الخلق)

و إذا عرفت هذا فاعلم، أنّ قيد الأحكام الإلهيّة بالمشيّة الأزليّة لم يمنعهم عن أفعالهم الاختياريّة، لأن عند أرباب النّظر و المعقول و عند أهل الكشف و

الشّهود، كثرة الإضافة و النّسبة ليست بقادحة في وحدة الذّات و لا كثرة الاعتبارات و الأحكام في وحدة الحكم، كما أنّ كثرة الإضافات الأسمائيّة و النّسب المعنويّة ليست بقادحة في وحدة ذات الحق و وجوده، و كذلك تعلّقات العلم بالمعلوم فإنّها أيضا ليست بقادحة في حقيقة العلم، و المراد أن مشيّة اللّه تعالى واحدة في جميع الصّور لقوله:

وَ مٰا أَمْرُنٰا إِلاّٰ وٰاحِدَةٌ [سورة القمر: ۵۰].

لكن لها تعلّقات و أحكام بحسب الإضافات، و النّسب إلى المعلومات و المخلوقات هي المتكثرة لها و المتعدّدة لأحكامها، لأنّ هذه المشيّة الواحدة لو أضفتها إلى الموجود جاز و إن أضفتها إلى المعدوم جاز، و كذلك إلى الحقّ و الباطل و الممكن و الواجب و الممتنع و المستحيل و غير ذلك، لأنّه لا يلزم من هذه الإضافات و تكثّرها و تعدّدها تغيّر في ذاتها و حقيقتها، لأنّ نسبة الكلّ إليها واحدة، و الكل بالنّسبة إليها واحد، و الكثرة و الاختلاف في الإضافات و النّسب، لا في الذّات و الحقيقة،

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۱، ص ۳۷۹

و مثال ذلك مثال النّار في تصرفاتها لأنّ النّار لها طبيعة واحدة و تصرّفات متنوّعة كتصرّفها مثلا في الشمع بالإذابة، و في البيض بالانعقاد، و في الجلود بالاجتماع، و في الخشب بالافتراق، و كذلك الشّمس فإنّ لها طبيعة واحدة أيضا و تصرّفات متنوّعة، كالتّجفيف في موضع، و التّحليل في موضع آخر، و التّمجيد في موضع، و التّذويب في موضع آخر من غير تغيّر في طبيعتها و لا تبدّل في ذاتها، و لدقّة هذه المعاني و صعوبة إدراكها منع

الحقّ تعالى إضافة كفرهم إلى مشيّته من حيث التّأثير و التأثّر في قوله:

وَ قٰالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شٰاءَ اللهُ مٰا عَبَدْنٰا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَ لاٰ آبٰاؤُنٰا وَ لاٰ حَرَّمْنٰا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلاَّ الْبَلاٰغُ الْمُبِينُ [سورة النحل: ٣٥].

(المشية بمعنى العلم و أن اللّه سبحانه عالم في الأزل بكفر الكافر)

لأنّ المشيّة عند التّحقيق، فهي بمعنى العلم خصوصا على رأي أهل البيت (ع)، و العلم ليس له تأثير في المعلوم بالاتّفاق، فلا يكون كفرهم بإرادته و أمره بل بعلمه و مشيّته، و حينئذ يكون معنى المشيّة في جميع المواضع القرآنيّة بمعنى العلم و يكون تقديره لو علم اللّه في الأزل كذلك لكان ذلك الأمر كذلك و لكن ما علمه إلاّ بعكس ذلك، فلا يكون إلاّ كذلك، و هذا دقيق يحتاج إلى فهم دقيق، و الإشكال و الشّبهة في هذا المقام و جميع المقامات المتعلّقة بالمشيّة و الإرادة، ما وقع إلاّ من عدم الفرق بين المشية و الإرادة، و بين العلم و الأمر و الجبر و القدر، لأنّ اللّه تعالى ذكر في بعض المواضع المشيّة و أراد العلم و ذكر العلم و أراد المشيّة، و ذكر الإرادة و أراد الأمر، و ذكر الأمر و أراد الإرادة، و كذلك الجبر و القدر، و كلّ عاقل يعرف بالتّحقيق أن اللّه تعالى كان عالما في الأزل بكفر الكافر و ظلم الظّالم لكن لم يكن راضيا بهما عنهما، لقوله في الأوّل:

وَ لاٰ يَرْضىٰ لِعِبٰادِهِ الْكُفْرَ [سورة الزّمر: ٧].

و لقوله في الثّاني: أَلاٰ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظّٰالِمِينَ [سورة هود: ١٨].

و كذلك كان عالما بقتل الأنبياء (ع)، و لكن لم يكن له في ذلك إرادة و لا

رضى، لأنّ إرادة الفسق فسق و إرادة القبيح قبيح سيّما من الحكيم الكامل، و معلوم أنّ قتل الأنبياء فسق و الراضي به فاسق، لقوله:
وَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمٰا أَنْزَلَ اللّٰهُ فَأُولٰئِكَ هُمُ الْفٰاسِقُونَ [سورة المائدة: ٤٧].
و من جملة ما أنزل اللّه، منع الكفّار عن قتل الأنبياء فلو حكموا به ما قتلوا أحدا منهم أصلا و لعدم رضائه بإضافة مثل هذا إليه، قال:
وَ إِذٰا فَعَلُوا فٰاحِشَةً قٰالُوا وَجَدْنٰا عَلَيْهٰا آبٰاءَنٰا وَ اللّٰهُ أَمَرَنٰا بِهٰا قُلْ إِنَّ اللّٰهَ لاٰ يَأْمُرُ بِالْفَحْشٰاءِ أَ تَقُولُونَ عَلَى اللّٰهِ مٰا لاٰ تَعْلَمُونَ [سورة الأعراف: ٢٨].
و الأشعريّة و المجبّرة و غيرهم لو عرفوا هذه المعاني و تحقّقوا هذه الأصول و المباني، و ظهر لهم أنّ المشيّة بمعنى العلم و العلم بمعنى المشيّة، و الإرادة خلاف المشيّة و المشيّة خلاف الإرادة، و الإرادة خلاف الأمر و الأمر خلاف الإرادة ما نسبوا إليه تعالى جميع القبائح و الفواحش بقولهم: الكلّ من عند اللّه و تقديره و مشيّته و إرادته متمسّكين بقوله:
قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ [سورة النّساء: ٧٨].
لأنّ في قوله: قل كلّ من عند اللّه خبر راجع إلى ما سبق من القصّة، ينبغي أن يعلم ذلك الخبر أوّلا ثم يحكم به، و القصّة و هي أنّ أهل المدينة لمّا جاء إليهم نبيّنا (ص) من مكّة و حصل لهم في تلك السّنة القحط و الغلاء، قالوا للنبيّ (ع):
إنّ هذا القحط و الغلاء و العسر و البلاء الّتي حصلت لنا، كانت من مجيئك

إلينا و بشؤم قدمك علينا، قال تعالى:

وَ إِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هٰذِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَ إِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هٰذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللهِ [سورة النّساء: ٧٨].

أي قل لهم هذا الّذي تقولون و تنسبون إليّ من القحط و الغلاء و غير ذلك و هو من عند اللّه لا من عندي و لا من عند غيري لأنّ أفعاله الّتي تتعلّق به خاصة، ما يقدر عليها أحد غيره، و الأرزاق، و الآجال، و الرّخص و الغلاء، و السعة و الضيق من أفعاله تعالى و ليس لأحد فيها مدخل و من هذا أضاف الكلّ إلى نفسه، لا بمعنى الّذي يضاف فعل العبد إلى نفسه و يقول:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج١، ص ٣٨١

الكلّ من عندي، جلّ جنابه أن يتّصف بمثل هذا و لهذا قال عقيبه:

فَمٰا لِهٰؤُلاٰءِ الْقَوْمِ لاٰ يَكٰادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً. مٰا أَصٰابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ وَ مٰا أَصٰابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ [النساء: ٧٨، ٧٩].

ليعرفوا الفرق بين أفعال الحقّ و بين أفعال الخلق، و معنى الآية لو كان على الوجه الّذي فسّره، الأشاعرة لم يقل عقيبه هذا الكلام و لم يقل فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا. لأنّ هذا كلام على سبيل الاستهزاء و السخريّة و التعجّب و الإنكار، و المراد منه أنّ كلّ من لم يفرق بين أفعال اللّه تعالى و أفعال عبيده، ما له تفقّه و لا تعقّل أصلا و لا يدخل هو في حكم العقلاء، و جلّ من قائل قال في مثل هذا المقام من لسانهم:

لَوْ كُنّٰا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مٰا كُنّٰا فِي أَصْحٰابِ السَّعِيرِ [سورة الملك: ١٠].

لأنّ هذا إقرار منهم بعدم التّعقّل و التّفقّه بعد كشف حالهم عليهم في القيامة،

و ندامتهم على أفعالهم و عدم قبول القول من اللّه و من رسوله و هذا القدر يكفي لتنبّه العاقل الّذي يعدّ نفسه من العقلاء، و ها هنا أبحاث كثيرة و الكلّ يرجع إلى شيء واحد و هو أنّ الكفر و الفسق و الظّلم و أمثال ذلك ليس بإرادة اللّه و أمره بل بعلمه و مشيّته، و العلم و المشيّة لا تأثير لهما فيه أصلا و قد ورد عن أمير المؤمنين علي (ع) في الفرق بين المشيّة و العلم و الأمر و الإرادة و المحبّة و الهنّا و غير ذلك من المتقابلات و المتناقضات كلام حسن و إن كان كلّ كلامه حسنا و هو في غاية اللّطف بالنّسبة إلى هذا المكان، نذكره بعبارته ثمّ نرجع إلى غيره و هو قوله:

اعلم أنّ اللّه تعالى خلق للخلق ثلاثا فرائض و معاصي و فضائل، أمّا الفرائض فهي بقضائه و بعلمه و بأمره و بمشيّته و بمحبّته و إرادته و باختياره، و أمّا المعاصي فهي بقضائه لا برضاه و بعلمه لا بأمره و بمشيّته لا بمحبّته و بتقديره لا باختياره، و لا يسئل عمّا يفعل و هم يسئلون، و أمّا الفضائل فليست بأمره بل بإرادته و قضائه و رضاه و بعلمه و مشيّته و بمحبّته و باختياره.

و هذا كلام يكشف جميع المشكلات الواردة في هذا الباب و يحل جميع المعضلات النّاشئة من هذا الخطاب، صلّى اللّه على نفسه القدسيّة و ذاته الكاملة، و قد أشار إلى هذا المعنى أيضا ولده المعصوم جعفر بن محمد الصّادق (ع) في

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‏۱، ص ۳۸۲

قوله:

شاء الله و أراد و لم يحبّ و لم يرض، شاء الله عز و جلّ ألّا يكون شيء إلا بعلمه و أراد مثل ذلك و لم يحبّ أن يقال له ثالث ثلاثة، و لم يرض لعباده الكفر «۹۷».

و هذا أيضا كلام حسن دقيق و لا يصدر مثل هذا إلاّ منهم، لأنّهم معدن العلوم و منبعها، و مصدر المعارف و منشأها، و الحقّ أنّ الفرق بين المشيّة و الإرادة و العلم و الأمر و المحبّة و الرّضا و الجبر و القدر في غاية الصّعوبة، و كأنّ هذا البحث ممنوع بالنّسبة إلى بعض الأذهان الجامدة البعيدة عن الفهم، لأنّ هذا البحث من أدّق أبحاث القدر و أجلّها و أعظم أسرار الحقّ و أشرفها، و إفشاء سرّ الرّبوبيّة كفر و إظهار سرّ القدر محظور منهيّ عنه، و من هذا قال النبيّ (ص):

«إفشاء سرّ الرّبوبيّة كفر و هتك أستار الألوهيّة شرك».

و من هذا قال أمير المؤمنين (ع) في جواب سائل سأله عن القدر:

القدر بحر عميق فلا تلجه، القدر طريق مظلم فلا تسلكه، القدر سرّ من سرّ اللّه عزّ و جلّ فلا تتكلّفه (۹۸).

---

(۹۷) قوله: و قد أشار إلى هذا المعنى أيضا الحديث.

رواه الكليني (رض) في الأصول ج ۱ ص ۱۵۱، باب المشيئة و الإرادة الحديث ۵. بإسناده عن فضيل بن يسار عن الصادق (ع)، و رواه أيضا الصدوق (رض) في التوحيد باب ۵۵ باب المشيئة و الإرادة الحديث ۹، ص ۳۳۹، و الحديث ۱۲، ص ۳۴۳. [.....]

(۹۸) قوله: و من هذا قال أمير المؤمنين (ع) في جواب سائل الخ نهج البلاغة (ط: صبحي الصالح) الحكمة ۲۸۷: و سئل عن القدر، فقال: طريق مظلم فلا تسلكوه، و بحر عميق فلا تلجوه، و سرّ اللّه فلا تتكلّفوه.

روى الصدوق (رض) في التوحيد ص ۳۸۳، الحديث ۳۲ بإسناده عن الأصبغ بن نباتة، قال:

قال أمير المؤمنين (ع) في القدر: ألا إنّ القدر سر من سرّ اللّه، و ستر من ستر اللّه، و حرز من حرز اللّه، مرفوع في حجاب اللّه، مطويّ عن خلق اللّه، مختوم بخاتم اللّه، سابق في علم اللّه، وضع اللّه العباد عن علمه، و رفعه فوق شهاداتهم و مبلغ عقولهم لأنّهم لا ينالونه بحقيقة الربانيّة و لا بقدرة الصمدانيّة و لا بعظمة النورانيّة و لا بعزّة الوحدانيّة، لأنّه بحر زاخر خالص للّه تعالى، عمقه ما بين السماء و الأرض، عرضه ما بين المشرق و المغرب، أسود كالليل الدامس، كثير الحيّات و الحيتان، يعلو مرّة و يسفل أخرى، في قعره شمس تضيء، لا ينبغي أن يطلع إليها إلاّ اللّه الواحد

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ۱، ص ۳۸۳

و إذا تحقق هذا فنرجع إلى ما كنّا بصدده و نقول:

اعلم أنّ الشّيخ الأعظم محيي الدّين الأعرابي قدّس اللّه سرّه قد أشار إلى بحث المشيّة بإشارة شريفة و قد قال فيه ما قلناه مطابقا لما ذهبنا إليه، نذكره هاهنا و نقطع هذا البحث عليه و هو قوله:

و بالكشفين معا ما يحكم علينا إلاّ بنا، لا بل نحن نحكم علينا بنا و لكن فيه و لذلك قال: فلله الحجّة البالغة، يعني على المحجوبين إذ قالوا للحقّ لم

فعلت بنا كذا و كذا ممّا لا يوافق أغراضهم فيكشف لهم غير مناف، و هو الأمر الّذي كشفه العارفون هنا و يرون أنّ الحقّ ما فعل بهم ما ادّعوه أنّه فعله و أنّ ذلك منهم، فإنّه ما عليهم إلاّ على ما هم عليه فتندحض حجّتهم و تبقى الحجّة للّه البالغة.

فإن قلت: ما فائدة قوله فلو شاء لهداكم أجمعين قلت: لو شاء، لو: حرف امتناع، لامتناع ما شاء إلا ما هو الأمر عليه و لكن عين الممكن قابل للشّيء و نقيضه في حكم دليل العقل و أيّ الحكمين المعقولين وقع، ذلك هو الّذي كان عليه الممكن في حال ثبو ته، و معنى لهداكم ليبيّن لكم و ما كلّ ممكن من العالم فتح اللّه عين بصير ته لإدراك الأمر في نفسه على ما هو عليه فمنه العالم و الجاهل، فما شاء فما هديكم أجمعين و لا يشاء و كذلك إن يشاء فهل يشاء هذا ما لا يكون فمشيئته أحديّة التّعلّق و هي نسبة تابعة للقلم و العلم نسبة تابعة للمعلوم و المعلوم أنت

الفرد، فمن تطلّع إليها فقد ضادّ اللّه عزّ و جلّ في حكمه و نازعه في سلطانه، و كشف عن ستره و سرّه، و باء بغضب من اللّه و مأواه جهنّم و بئس المصير.

و روى أيضا في التوحيد ص ٣٦٥ الحديث ٣، بإسناده عن عنترة الشيباني عن أبيه، قال: جاء رجل إلى أمير المؤمنين، فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر، قال (ع): بحر عميق فلا تلجه، قال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر، قال (ع): طريق مظلم فلا تسلكه، قال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر، قال (ع): سرّ اللّه فلا تكلّفه قال: يا أمير

المؤمنين أخبرني عن القدر، فقال أمير المؤمنين (ع): أما إذا أبيت فإنّي سائلك، أخبرني أ كانت رحمة اللّه للعباد قبل أعمال العباد أم كانت أعمال العباد قبل رحمة اللّه؟ قال: فقال له الرجل: بل كانت رحمة اللّه للعباد قبل أعمال العباد، فقال أمير المؤمنين (ع) قوموا فسلّموا على أخيكم فقد أسلم و قد كان كافرا.

الحديث.

و أخرجه ابن عساكر في ترجمة أمير المؤمنين (ع) من تاريخ دمشق بسنده عن عبد اللّه بن جعفر، قاله الخطيب في مصادر نهج البلاغة ج ٤، ص ١٠١.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ١، ص ٣٨٤

و أحوالك فليس للعلم أثر في المعلوم بل للمعلوم أثر في العالم فيعطيه عن نفسه ما هو عليه في عينه و إنّما ورد الخطاب الإلهي بحسب ما تواطأ عليه المخاطبون و ما أعطاه النّظر العقلي ما ورد الخطاب على ما يعطيه الكشف و لذلك كثر المؤمنون و قلّ العارفون أصحاب الكشوف و ما منّا إلاّ له مقام معلوم.

و هذه الكلمات لها شروح و فيها أسرار و المراد منها قوله:

فإن قلت: ما فائدة قوله: فلو شاء لهداكم أجمعين إلى قوله: فمشيئته أحديّة التّعلّق إلى آخره، أمّا قوله: فما هديكم أجمعين، فمعناه أنّه ما شاء هداية الكلّ لعدم قبول بعض الأعيان الهداية من أنفسهم و ذواتهم، و لا يشاء هداية الجميع أبدا لامتناعهم القبول لتلك الهداية و ذلك لأنّ شئون الحقّ كما تقتضي الهداية كذلك تقتضي الضّلال بل نصف شئونه يترتّب على الضّلال

كما يترتّب النّصف الآخر على الهداية و لذلك قسم الدّار الآخرة بالجنّة و النّار و خلق آدم بيديه و هما الصّفات الجماليّة التي مظهرها في الآخرة الجنّة و الجلاليّة التي مظهرها فيها النّار فطابق الأوّل الآخر، و أمّا قوله: فمشيئته أحديّة التّعلق و هي نسبة تابعة للعلم إلى آخره، فمعناه أن تعرف أنّ للحقّ مشيئة واحدة عامة يتجلّى بها فتأخذ كلّ عين نصيبها منها بحسبها فيظهر بمقتضاها هداية كانت أو ضلالة كما قال:

وَ مٰا أَمْرُنٰا إِلاّٰ وٰاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ [سورة القمر: ٥٠].

و إذا كان الواقع في الوجود أحد النّقيضين باقتضاء العين ذلك، فمشيئته أحديّة التّعلّق لأنّها نسبة للعلم إذ ما لا يعلم بوجه من الوجوه لا يمكن تعلّق الإرادة و المشيئة به و العلم نسبة تابعة للمعلوم من حيث تغايرهما و امتياز كلّ واحد منهما عن غيره و المعلوم الأعيان الثّابتة و أحوالها و هي لا تقتضي إلاّ وجود أحد الطرفين من النّقيض فالمشيئة أيضا لا تتعلّق إلاّ به، و قوله: ليس للعلم أثر نتيجة لقوله: و العلم نسبة تابعة للمعلوم و أثر المعلوم في العالم اقتضاؤه و طلبه من العالم القادر على إيجاده على ما هو عليه كما مرّ مرارا، و قوله: إنّما ورد الخطاب الإلهي بحسب ما تواطأ عليه المخاطبون إلى آخره، معناه أنّه لمّا كان أكثر الأشخاص الإنسانية عقلاء و أصحاب النّظر الفكري ما ورد الخطاب الإلهي إلاّ بحسب ما تواطئوا أي توافقوا عليه و هو العقل و مقتضاه و لم يرد على ما يعطيه الكشف لعدم وفاء الاستعدادات بذلك و لقلّة العارفين أصحاب

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ١، ص ٣٨٥

الكشوف الواقفين على سرّ القدر، و لورود الخطاب الإلهي بحسب إدراك المخاطبين و عقولهم كثر المؤمنون و قلّ العارفون، لأنّ طور المعرفة فوق طور الإدراك العقلي و هو الكشف عن حقائق الأمور على ما هي عليه و كلّ ميسّر لما خلق له.

(وجود كل شخص مطابق لسؤاله و طلبه بلسان استعداده)

و حاصل هذا الكلام و الكلام السّابق من اللّه تعالى و كلام الأئمّة (ع)، شيء واحد و هو أن المشيئة إمّا أن تكون بمعنى العلم الإلهي في الأزل بوجود الموجودات و ماهيّاتها و أعيانها من غير تأثير فيها بما يقرّر أنّ العلم ليس له تأثير في المعلوم، و إمّا أن تكون بمعنى المنع من طرف القابل و امتناع التصرّف فيه من عدم قابليّته، و إمّا أن تكون بمعنى الإرادة و رجوع الأمر إلى اختياره مطلقا، فإن كان الأوّل فما شاء هدايتهم إلاّ على الوجه الذي كان عالما بهم و باقتضاء أعيانهم و حقائقهم و طلبهم منه الوجود الخارجي و اعطائهم ما طلبوا منه بمقتضى ذواتهم لقوله:

وَ آتٰاكُمْ مِنْ كُلِّ مٰا سَأَلْتُمُوهُ [سورة إبراهيم: ٣٤].

أي و آتيكم من كلّ ما سألتموه بلسان استعدادكم و قابليّتكم، و إن كان الثّاني فإعطاؤهم الوجود على قدر قابليّتهم و استعدادهم من غير جبر و لا إكراه على شيء خارج عن استحقاقهم لأنّ العدل لا يقتضي غير هذا أي إعطاء وجود كلّ موجود على قدر قابليّته و استعداده كما ورد عن داود (ع) أنّه قال:

قلت لربّي يا ربّ! لما ذا خلقت الخلق؟ قال: لما هم عليه.

و يشهد بذلك: قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلى‏ شاكِلَتِه [سورة الإسراء: ٨٤].

و إن كان الثّالث ففي الأزل ما أراد اللّه إلاّ أن يهديهم و يرشدهم إرادة و اختيارا لا جبرا و لا قهرا حتّى لا يناقض فعله غرضه كما تقدّم ذكره.

و على جميع التقادير، تفسير المشيّة بالعلم أولى و أنسب من تفسيرها بالأمر و الإرادة، لأنّ بهذا ترتفع الشّبهات كلّها و يتّضح الأمر عليها على ما هو عليه في نفس الأمر، و بذلك تزيد الشّبهات و يكثر الإغواء و الإضلال للخلق نعوذ باللّه منه و اللّه يقول الحقّ و هو يهدي سواء السّبيل، و سيجيء هذا البحث أبسط من ذلك

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ١، ص ٣٨٦

في هذه المقالة الآتية بعد المقالة الثانية، و هو هذا:

المقالة الثّالثة في تحقيق قوله تعالى: وَ لَوْ شاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً واحِدَةً إلى قوله وَ لِذلِكَ خَلَقَهُمْ

[سورة هود: ١١٨- ١١٩].

اعلم، أنّ هذا البحث مشتمل على بيان اختلاف الحقائق و الماهيّات، و اختلاف النّاس في ذواتهم و حقائقهم و آرائهم و عقائدهم، متمسّكا بقوله: وَ لا يَزالُونَ مُخْتَلِفِينَ [سورة هود: ١١٨].

(هل الاختلاف و الكثرة في الماهيات بجعل الجاعل أم لا؟)

و هذا البيان مفتقر إلى تقديم مقدّمتين، الاولى إلى أنّ الأعيان و الماهيّات بجعل الجاعل، و الثّانية إلى أنّها ليست بجعل الجاعل، و المذهب الأول مذهب أهل الظاهر و العلماء و أرباب التّقليد منهم، و المذهب الثّاني مذهب

اهل اللّه من العارفين الموحدين و بعض الحكماء.

أمّا الطائفة الأولى، فقالوا أنّ اللّه تعالى عليم حكيم لا يفعل إلاّ على الوجه الأصلح و الأنفع و على الوجه الّذي يقتضي علمه و حكمته لاٰ يُسئَلُ عَمّٰا يَفْعَلُ وَ هُمْ يُسْئَلُونَ [سورة الأنبياء: ٢٣]، و على هذا التّقدير فاختلاف الماهيّات و الأعيان يكون من مقتضى علمه و حكمته و كذلك جعلهم في الخارج و تخليقهم في عالم الشّهادة يرجع إلى علمه بهم في الأزل و جعله لهم على ما هم عليه مطابقا لما في علمه لقوله:

وَ يَفْعَلُ اللّٰهُ مٰا يَشٰاءُ و يَحْكُمُ مٰا يُرِيدُ [سورة إبراهيم: ٢٧].

لكن تبقى هاهنا اعتراضات و احتجاجات كثيرة لأنّ كلّ ماهيّة من الماهيّات و كلّ عين من الأعيان له أن يعترض عليه و يقول: بلسان الحال أو القال لم جعلتني كذا و كذا و ما جعلتني كذا و كذا كالشّقيّ مثلا بالنّسبة إلى السّعيد، فإنّ له أن يقول:

لم جعلتني شقيّا و ما جعلتني سعيدا، و كذلك الجاهل بالنّسبة إلى العالم و الفقير إلى الغنيّ.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ١، ص ٣٨٧

و بهذا يكون لهم على اللّه حجّة من غير العكس، و قد قال اللّه تعالى: فَلِلّٰهِ الْحُجَّةُ الْبٰالِغَةُ [سورة الأنعام: ١٤٩]، و ليس لهم من هذا الإلزام مفرّ و لا مرجع إلاّ التّسليم و الرّضى بما قضى و رجوع (الأمر إلى) علمه و حكمته بمقتضى إرادته و مشيّته و لا شكّ أنّ هذا الجواب غير موجّه و من هنا قال: لاٰ تَسْئَلُوا عَنْ أَشْيٰاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ [سورة المائدة: ١٠١].

و الحق أنه اعتقاد غير مطابق.

(المعلومات الأزليّة لا يجوز أن تكون مجعولة)

و أمّا الطّائفة الثّانية، فقالوا: إنّ الحقائق و الأعيان و الماهيّات ليست بجعل الجاعل لأنّها معلوماته الأزليّة و المعلومات الأزليّة لا تجوز أن تكون مجعولة، لأنّها لو كانت مجعولة لزم سبق العلم على المعلوم بزمان أو أزمنة أو عدم العلم بالمعلومات الأزليّة قبل أن يجعلها مجعولة له، و القسمان بأسرهما باطلان، فلم يبق إلاّ أن تكون معلومة غير مجعولة له، و أيضا قد تقرّر في الأصول، أن العلم تابع للمعلوم و وجود التّابع الّذي هو العلم بغير وجود المتبوع الّذي هو المعلوم محال، لأنّ العلم لا يصدق عليه أنّه علم إلا إذا طابق المعلوم و إلاّ يسمّى جهلا تعالى اللّه عن ذلك علواّ كبيرا، و المراد من قولهم: إن العلم يجب أن يكون مطابقا للمعلوم، هذا (...) لأنّ كلّ علم لا يكون مطابقا للمعلوم في الخارج يكون جهلا، و بناء على هذا لا يجوز أن تكون معلوماته الأزليّة مجعولة له و إلاّ ما يثبت له العلم، و يلزم الفساد المذكور و هذا هو المطلوب في هذا البحث، و وجه آخر و هو أنّه تعالى عالم بالمعدومات و عالم بالموجودات، و كلامنا في المعلومات المعدمة أزلا أعني المعدومة في الخارج الثّابتة في العلم قبل وجودها في الخارج فإنّها لا يصدق عليها أنّها مجعولة لأنّ الجعل إنّما يتعلّق بالوجود الخارجي لا بالوجود العلمي أو الذّهني، و الموجودات لا بالمعدومات، و إذا تقرّر هذا فالأولى أن نرجع إلى الأصول و القواعد الكليّة، و نبحث على الأصل الصّحيح و الأساس الكلّي، و هو أن نقول:

لا شك و لا خفاء أن الأعيان و الحقائق و الماهيات من معلوماته الأزلية و قيل الوجود الخارجي لم يكن لها أثر إلاّ في العلم، فالوجود لو كان بجعل لم يكن الجاعل عالما بها في الأزل لأنّها لو كانت بجعله لم تكن أزليّة و الحال أنّها أزليّة، فحينئذ لا

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۱، ص ۳۸۸

يكون بجعله أصلا نعم يصدق عليها أنّها مجعولة بالنّسبة إلى الوجود الخارجي لا الوجود العلمي و كلامنا في الوجود العلمي فلا تكون مجعولة بهذا المعنى و قد أشار إلى هذا بعض الفضلاء أوضح من هذا و هو قوله:

(عدم مجعوليّة الأعيان الثابتة و الماهيّات المعدومة)

حقيقة كلّ موجود عبارة عن نسبته بعينه في علم ربّه أزلا و يسمّى باصطلاح المحققين عينا ثابتة، و باصطلاح الحكماء ماهيّة معدومة، و معلوميّة الحقائق و عدميّتها لا توصف بالجعل إذ المجعول هو الموجود في الخارج فما لا وجود له في الخارج لا يكون مجعولا: فلو كان كذلك لكان للعلم القديم في تعيّن معلوماته فيه أزلا أثر مع أنّها خارجة عن العالم بها فإنّها معدومة لأنفسها لا ثبوت لها إلاّ في نفس العالم بها و لو قيل بجعلها لزم أمّا مساوقها للعالم بها في الوجود أو أن يكون العالم بها محلاّ لقبول الأثر في نفسه و ظرفا لغيره، و كلّ ذلك محال، لأنه قادح في صرافة وحدته أزلا تعالى اللّه عن ذلك علوّا كبيرا.

و قد أشار شارح الفصوص في مقدّماته «۹۹» أيضا إلى هذا و قال: الأعيان و الحقائق من حيث إنّها صور علمية لا توصف بأنها مجعولة لأنّها حينئذ

معدومة من الخارج و المجعول لا يكون إلاّ موجودا كما لا توصف الصّور العلميّة و الخياليّة الّتي في أذهاننا بأنّها مجعولة ما لم توجد في الخارج و لو كانت كذلك لكانت الممتنعات أيضا مجعولة، لأنّها صور علميّة، فالجعل إنما يتعلّق بها بالنّسبة إلى الخارج و ليس جعلها إلاّ إيجادها في الخارج.

فلا تكون حينئذ قبل إيجادها مجعولة و هو المطلوب.

و قال أوضح من هذا و هو قوله «۱۰۰»:

اعلم أنّ للأسماء صورا معقولة في علمه تعالى لأنّه عالم بذاته لذاته و أسمائه

---

(۹۹) قوله: و قد أشار شارح الفصوص في مقدماته الخ.

شرح القيصري ص ۲۰ فراجع.

(۱۰۰) قوله: و قال أوضح من هذا الخ.

شرح القيصري ص ۱۸ الفصل الثالث.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۱، ص ۳۸۹

و صفاته، و تلك الصّور العقليّة العلميّة من حيث إنّها عين الذّات المتجليّة بتعيّن خاصّ، و نسبة معيّنة هي المسمّاة بالأعيان الثّابتة، سواء كانت كليّة أو جزئيّة في اصطلاح أهل اللّه، و تسمّى كليّاتها بالماهيّات و الحقائق، و جزئيّاتها بالهويّات عند أهل النّظر، فالماهيّات هي الصّور الكليّة الأسمائيّة

المتعيّنة في الحضرة العلميّة (تعينا أوّليّا)، و تلك الصور فائضة عن الذّات الإلهيّة بالفيض الأقدس و التجلّي الأوّل بواسطة الحبّ الذّاتي، و طلب مفاتح الغيب الّتي لا يعلمها إلاّ هو ظهورها و كمالها، فإنّ الفيض الإلهي ينقسم بالفيض الأقدس و الفيض المقدّس، و بالأوّل تحصل الأعيان الثابتة و استعداداتها الأصليّة في العلم، و بالثّاني تحصل تلك الأعيان في الخارج مع لوازمها و توابعها.

(اتحاد العقل و العاقل و المعقول)

و هذا بحث مبنيّ على أنّ الفاعل و القابل يكون شيئا واحدا، و لا يكون في الوجود إلاّ هو و كمالاته فيكون فاعلا من جهة و قابلا من جهة أخرى، كما قالت الحكماء في العقل و العاقل و المعقول فإنّها شيء واحد في الحقيقة و كثيرة بالاعتبار، و كذلك في العشق و العاشق و المعشوق، و إلى هذا أشار الشّيخ الأعظم في فصوصه أيضا في قوله: «١٠١».

و من شأن الحكم الإلهي أنّه ما سوّى محلاّ إلاّ و لا بدّ أن يقبل روحا إلهيّا عبّر عنه بالنفخ، و ما هو إلاّ حصول الاستعداد من تلك الصّورة المسوّاة لقبول الفيض التجلّي الدّائم الّذي لم يزل و لا يزال، و ما بقي إلاّ قابل، و القابل لا يكون إلاّ من فيضه الأقدس، فالأمر كلّه منه ابتداؤه و انتهاؤه- و إليه يرجع الأمر كلّه- كما ابتدأ منه.

و على هذه التّقادير لا يجوز أن تكون الأعيان و الماهيّات و القوابل بجعل الجاعل، لأنّا إذا فرضنا القابل و الفاعل شيئا واحدا و فرضنا الفاعل ذاته و القابل أسماءه و صفاته و سمّينا الأول بالوجود المطلق الحقّ، و الثاني

بالوجود المقيّد

(١٠١) قوله: و إلى هذا أشار الشيخ الأعظم الخ.

شرح القيصري للفصوص ص ٦٣، و فصوص العفيفي ص ٤٩.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج١، ص ٣٩٠

الخلق، و سمّينا الكلّ مظهر أسمائه و صفاته و أفعاله و الأعيان و الماهيّات و الحقائق صورة معلوماته الأزليّة الأوّليّة فلا يكون حينئذ هذا الوجود جاعلا لشيء يتعلّق بذاته و كمالاته لأنّه كان دائما على هذه الصّفة فكيف يصير غير هذا و قلب الحقائق محال خصوصا بالنّسبة إلى الواجب، و الشيء قطّ لا يكون جاعلا لنفسه أصلا، و كذلك لكمالاته الذّاتيّة و خصوصيّاته الأسمائيّة، لأنّ الشيء لا يخلو من وجهين إمّا أن يكون واجبا لذاته أو ممكنا لذاته فإن كان واجبا لذاته فكمالاته و خصوصيّاته و جميع ما يترتّب عليها تكون حاصلة له بالذات ... فيه أصلا، و إن كان ممكنا فماهيّاته العلميّة و أعيانه المعقولة لا تكون بجعله و لا بجعل غيره، فإن ذلك من المعلومات الأزليّة الإلهيّة كما تقرّر، و أمّا المترتب ... الوجود الخارجي و توابعه من الكمالات و النقائص فذلك يجوز أن يكون مجعولا للحقّ و ليس كلامنا فيه مع أنّه تابع للوجود العلمي، بل كلامنا في الوجود العلمي الّذي هو من معلوماته الأزليّة و الممكن ليس له إلاّ الطلب بلسان الحال الوجود الخارجي

على حسب قابليّته و استعداده من الفاعل الحقيقي مطابقا للوجود العلمي و هذا هو مطلوبنا من هذا البحث و لهذا قال:
وَ آتٰاكُمْ مِنْ كُلِّ مٰا سَأَلْتُمُوهُ [سورة إبراهيم: ٣٤].
بلسان استعدادكم و قابليّتكم تابعا للوجود العلمي الغير المجعول و على هذا التّقدير لا يكون شيء بجعله من ذلك الوجود بل في الوجود الخارجي المذكور و لا يصدق الجعل إلاّ عليه أي على الوجود الخارجي فافهم فإنّه ينفعك كثيرا في مواطن كثيرة بالنّسبة إلى هذا الكتاب و حيث إنّ هذا البحث من أعظم أسرار القدر و الحقيقة من الضروريّات بالنّسبة إلى هذا المكان فلنشرع فيه بمثال مناسب تقريبا للفهم و توضيحا للمبحث و نقول:
(الأعيان و الماهيّات في علم الحق بمثابة الحروف و ماهيّاتها في ذهن الكاتب)
اعلم أنّ مثال الأعيان و الماهيّات الممكنة في علم الحقّ تعالى مثال أعيان الحروف و ماهيّاتها في ذهن الكاتب مثلا، فإنّ ثبوتها ليس بجعل الكاتب لأنّ الكاتب ليس له إلاّ العلم بوجودها و ماهيّاتها أي وجودها العلمي و ماهيّاتها الذّهنيّة على ما هي عليها في أنفسها من الأوضاع و الأشكال، و معلوم أنّ العلم ليس بمؤثّر

في العلوم فلا تكون حينئذ مجعولة للكاتب من هذا الوجه، نعم يصدق عليها أنّها مجعولة للكاتب إذا أوجدها في الخارج مطابقا لما في الذّهن، فالحق تعالى كذلك، فإنّه إذا أوجد شيئا في الخارج مطابقا لما في علمه

الأزليّ السّابق على وجود ذلك الشيء. يسمّى مجعولاته و مخلوقاته، فأمّا إذا كان في علمه الأزليّ الذّاتي و كان من معلوماته الأوّليّة فلا يسمّى مجعولا و لا يصدق عليه أنّه من مجعولاته، لأنّه تعالى ما صار عالما به في الأزل إلاّ على الوجه الّذي كان هو عليه في نفسه حالة العدم، لأنّه لو جعله موجودا ثمّ صار به عالما للزم الفساد المذكور الّذي هو سبق العلم على المعلوم أو الجهل به في آن من الآنات، و الأقسام بأسرها باطلة كما عرفتها فلا تكون معلوماته الأزلية مجعولاته و هو المطلوب، وَ تِلْكَ الْأَمْثٰالُ نَضْرِبُهٰا لِلنّٰاسِ وَ مٰا يَعْقِلُهٰا إِلاَّ الْعٰالِمُونَ [سورة العنكبوت: ٤٣].

(الأعيان و الماهيّات من شئون ذات الحق تعالى و كمالاتها غير المتناهية)

و مثال آخر، و هو أنّ الأعيان و الماهيّات من شئونه الذّاتيّة الّتي هي عبارة عن كمالاتها غير المتناهية الكامنة في ذاته المسمّاة بالصّفات و الأسماء و الكمالات و الشؤون، كما أنّ الأعضاء و الأوراق و الأثمار كلّها من كمالات الشّجر و أنّها حال علمها بذاتها في النّواة لا تسمّى شجرا و لا موجودا في الخارج، بل يسمّى هذا العلم علم النّواة بكمالاتها الذّاتية و مراتبها الشّجريّة فكما لا ينسب علم النّواة مثلا بتفاصيل كمالاتها الذّاتيّة في صور أوراقها و أغصانها و أزهارها و أثمارها إلى جعلها، كذلك لا ينسب علم الحق تعالى بتفاصيل كمالاته الذّاتية في صور أسمائه و صفاته و أفعاله و مظاهره و مجاليه الّتي هي المخلوقات العلميّة أزلا و المكونات الذّاتيّة المكتفية في الذات إلى جعله و لهذا قال:

إِذا أَرادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ [سورة يس: ٨٢].
و تقديره إذا أراد إيجاد شيء من هذه الموجودات العلميّة في الخارج يشير إليه بإبرازه من العدم إلى الوجود و من الكتم إلى الظّهور ...
وَ لَهُ الْمَثَلُ الأَعْلى فِي السَّماواتِ وَ الأَرْضِ [سورة الرّوم: ٢٧].
و قوله:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج١، ص ٣٩٢

هَلْ أَدُلُّكَ عَلى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَ مُلْكٍ لا يَبْلى [سورة طه: ١٢٠].
كأنّه إشارة إلى شجرة الوجود المطلق الّذي هو العالم تفصيلا و الإنسان إجمالا كما سبق تقريره، و إلى أغصانها و أوراقها و أزهارها الّتي هي الموجودات المقيّدة الخارجيّة، لأنّ كلّ من يشاهد هذه الشّجرة على ما هي عليه من الكمالات و الأسماء و الصّفات يكون في ملك لا يبلى و لا يزول أزلا و أبدا و سنبيّنه أبسط من ذلك إن شاء اللّه عند بيان قوله:
اللهُ نُورُ السَّماواتِ وَ الأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكاةٍ، إلى قوله: يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَ لا غَرْبِيَّةٍ [سورة النور: ٣٥].
لأنّها أيضا كناية عن هذه الشجرة و أغصانها و أوراقها و قد ورد في اصطلاح المحقّقين هذا المعنى بعينه بحيث نسبوا الوجود العلمي إلى الأعيان الثابتة و الوجود الخارجي إلى الأكوان الخارجيّة، و نسبوا الأوّل إلى التّجلّي الأوّل الذّاتي و الثّاني إلى التجلّي الثاني الصّفاتي، كقولهم:

(في بيان التجلّي الأول الذاتي و التجلّي الثاني الصفاتي)

التّجلّي الأوّل هو التّجلّي الذّاتي أي تجلّي الذّات وحدها لذاتها و هي

الحضرة الأحديّة التي لا نعت فيها و لا رسم إذ الذّات التي هي الوجود الحقّ المحض وحدته عينه لأنّ ما سوى الوجود من حيث هو وجود ليس إلاّ العدم المطلق و هو اللاّشيء المحض فلا يحتاج في أحديّته إلى وحدة و تعيّن يمتاز به عن غيره و لا عن شيء مطلقا فوحدته عين ذاته، و هذه الوحدة منشأ الأحديّة و الواحديّة لأنّها عين الذّات من حيث هي هي أعني لا بشرط شيء معه أي المطلق الّذي يشمل كونه أن لا شيء معه و هو الأحديّة، و كونه بشرط أن يكون معه شيء و هو الواحديّة، و الحقائق في الذّات الأحديّة كالشجرة في النواة و هي غيب الغيوب، و التّجلّي الذّاتي هو الّذي تظهر به أعيان الممكنات الثّابتة الّتي هو شئون الذّات لذاته تعالى و هو التعيّن الأوّل بصفة العالميّة و القابليّة لأنّ الأعيان معلوماته الأول الذّاتيّة القابلة للتجلّي الشّهودي، و للحقّ بهذا التجلّي تنزّل من الحضرة الأحديّة إلى الحضرة الواحديّة بالنّسب الأسمائيّة.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‏١، ص ٣٩٣

و كلّ هذا الكلام مطابق موافق لما ذهبنا إليه، و الغرض من الاستشهاد و الاعتضاد بكلام الأكابر من أولياء اللّه، و جهان: الأوّل اطمئنان قلب السّامع و استظهاره في إزالة الشّبهات. و الثّاني دفع أقوال الجهّال و المنكرين لأهل اللّه بقدر الوسع و الطّاقة و إن لم ينفع.

و هاهنا أبحاث كثيرة ليس هذا موضعها و هذه كلّها مقدّمات لغرض نريد أن نبيّنه و هو تأويل قوله تعالى:

وَ لاٰ يَزٰالُونَ مُخْتَلِفِينَ [سورة هود: ١١٨].

و إذا عرفت هذه الأصول و القواعد في كلامنا و كلام غيرنا، فاعلم أنّ قوله تعالى:

وَ لاٰ يَزٰالُونَ مُخْتَلِفِينَ [سورة هود: ١١٨].

(اختلاف الأعيان الثابتة في الحضرة العلميّة الغيبيّة و حضرة الشهادة)

إشارة إلى الاختلافات الذّاتيّة المعنويّة للأعيان الثابتة في الحضرة العلميّة الغيبيّة، و إلى الاختلافات الصّوريّة الخارجيّة المطابقة لتلك الاختلافات في حضرة العينيّة الشهاديّة، و تقديره و هو أنّ الأعيان و الماهيّات العلميّة الأزليّة الغير المجعولة لا يزالون مختلفين في الموجودات المجعولة الخارجيّة و توابعها و لوازمها من النّقائص و الكمالات و الآراء و الاعتقادات و الأوضاع و التشكّلات.

إلاّ ما رحم ربّك:

أي إلاّ ما كان في علم ربّك إنّه من أهل الرّحمة و الهداية و العناية، و بقي على صرافة فطرته و لطافة جبلّته دون أهل الخلاف و الجدال و الإغواء و الإضلال و ما اختلف في شيء من تلك الاختلافات و إن كان في الحقيقة هذه كلّها يرجع إلى اقتضاء ذات ذلك الموجود، لأنّ اللّه تعالى له علم بحاله على ما يكون في استقباله و العلم ليس بمؤثّر كما مرّ و قوله:

وَ لِذٰلِكَ خَلَقَهُمْ [سورة هود: ١١٨].

أي و لذلك الاختلاف خلقهم، و المراد بالخلق الجعل يعني خلقهم

و جعلهم مختلفين في الصّور و الأشكال و الآراء و الاعتقادات كما كانوا مختلفين في الذّوات و الماهيّات و الحقائق ... الوجود الخارجي مطابقا للوجود العلمي لئلاّ يخالف علمه فعله و غيبه شهادته، و لا يكون لأحد عليه اعتراض بأنّك لم جعلتني كذا و كذا و ما جعلتني كذا و كذا، لأنّ الفاعل ليس له إعطاء وجود القابل إلاّ على الوجه الّذي هو علمه في نفسه و يطلب من الفاعل ذلك الوجود بلسان الحال، و قد سبق في صورة المثال الّذي كان في الكتاب و الكتابة و الحروف الذّهنيّة و الخارجيّة هذا المعنى بعينه، و مع ذلك نرجع إليه و نقول مرّة أخرى:

(طلب الأعيان الثابتة الوجود الخارجي)

اعلم أنّ هذه الأعيان و الماهيّات المعدومة في الخارج، الثّابتة في العلم دائما تطلب الوجود الخارجي من الفاعل الحقيقي بلسان الحال و الاستعداد و الفاعل أيضا يقتضي ذاته دائما إفاضة الوجود الخارجي على القوابل الّتي هي الأعيان و الماهيّات لأنّه جواد مطلق و الجواد المطلق هذا شأنه أعني يكون مفيضا للخيرات دائما، وجودا كان أو صفة، علما كان أو حالا، قولا كان أو فعلا، فإذا طلب مثلا عين من تلك الأعيان منه تعالى - الّذي هو الفاعل الحقيقي - الوجود الخارجي بلسان الحال و الاستعداد فالحقّ تعالى جلّ ذكره لا بدّ أن يفيض عليه ذلك الوجود الخارجي على حسب ما اقتضى استعداده و قابليته، لأنّ الفاعل المطلق لا يتصرّف في القابل مطلقا إلاّ على الوجه الّذي هو عليه من القابليّة، و كذلك الجواد المطلق بالنّسبة إلى السائل مطلقا فإنّه لا يجود عليه إلاّ على الوجه الّذي ينبغي أي على الوجه الأتمّ و

الأكمل، أعني على قدر قابليّته و استعداده من غير إمساك و بخل، لأنّ البخل ممتنع في حضرته تعالى اللّه عن ذلك.

(النقص و الكمال اقتضاء الذات و مطابق للسؤال و القابليّة)

و على هذا التّقدير فإذا أفاض عليهم الوجود الخارجي على الوجه المذكور أعني بقدر القابليّة و الاستعداد من غير زيادة و لا نقصان، لأنّه لو أفاض عليهم فوق قابليّتهم ما قبلوا و كانت إفاضته عليهم عبثا و العبث عليه تعالى محال، و كذا لو أفاض دون قابليتهم فأيضا ما قبلوا من عدم قابليتهم و كانت عبثا فلا يكون لموجود

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۱، ص ۳۹۵

من الموجودات عليه اعتراض بوجه من الوجوه بأنّك لم جعلتني كذا و كذا فإنّه يعلم حقيقة أنّ هذا الاعتراض غير موجّه لعلمه به بأنّ هذا كان منه و من اقتضاء عينه و حقيقته و أنّه حكم عليه تعالى بلسان حاله بجعله كذا و كذا كما سبق ذكره في صورة الحروف، فإنّ الجيم أو الدّال أو أيّ حرف أردت، يحكم على الكاتب بأن تخطّني كذا و كذا في الخارج و كلام الشّيخ الّذي تقدّم عند بحث المشيّة إشارة إلى هذا و هو قوله «۱۰۲»:

ما يحكم علينا إلّا بنا، لا، بل نحن نحكم علينا بنا و لكنّ فيه، و لذلك قال: فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبالِغَةُ [سورة الأنعام: ۱٤۹].

يعني على المحجوبين إذا قالوا للحقّ لم فعلت بنا كذا و كذا ممّا لا يوافق أغراضهم، فيكشف لهم عن ساق و هو الأمر الّذي كشفه العارفون هنا و يرون أنّ الحقّ ما فعل لهم ما ادّعوه أنّه فعله و أنّ ذلك منهم، فإنّه ما علّمهم

إلا على ما هم عليه فتندحض حجّتهم، و تبقى الحجة لله البالغة.

و مثل العرب الّذين قالوا: يداك أوكتا و فوك نفخ، مناسب بهذا المقام، لأنّه مثل مشهور واقع في مثل هذا الحال.

و بناء على هذا فكلّ ما يظهر من موجود من الموجودات مثلا، من الفعل أو القول كمالا كان أو نقصانا، حسنا كان أو قبيحا يكون راجعا إليه و إلى اقتضائه الذّاتيّة لا إلى اللّه و لا إلى غيره، نعم يرجع إلى اللّه في هذا إعطاؤه على حسب ما طلبه أعني يكون وجود ذلك الشيء من اللّه و الطلب على الوجه المعلوم منه، و هذا معنى قوله تعالى:

قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلىٰ شٰاكِلَتِهِ [سورة الإسراء: ٨٤].

و معنى قول النبيّ (ص): «كلّ ميسّر لما خلق له» [مرّت الإشارة إليه في التعليقة ٦٤ فراجع].

و يعضد هذين القولين قود داود (ع) الذي قال: قلت: يا ربّ لما ذا خلقت

(١٠٢) قوله: و كلام الشيخ الذي تقدّم الخ.

شرح الفصوص للقيصري ص ١٧٦.

الخلق؟ قال: لما هم عليه.

أي لما هم عليه من الاستعدادات و القابليّات و النقائص و الكمالات و يكفي

في هذا قوله: و لذلك خلقهم، لأنه يقوم بجواب الكلّ عند العارف المحقّق كما سبق ذكره بأنّ اللام الّذي في ذلك للعلّة فيكون تقديره: أي للاختلاف خلقهم، و قد عرفت أنّ الخلق بمعنى الجعل فيرجع القول إلى ما قلناه مرارا بأنّه يقول:

جعلتهم كذا و كذا بمقتضى ما كانوا عليه في العالم الذّوات و الماهيّات و إذا بيّن الاختلافات في الذّوات بيّن الاختلافات في الصّفات، و إذا بيّن الاختلافات في الصّفات و الذّوات ارتفع التساوي بينهم في جميع الحالات، و لهذا نطق بالحقّ و العدل و صدق في القول و الفعل من قال بعدم المثليّة في الأشياء مطلقا دون واجب الوجود لأنّه شاهد حقا و نطق عدلا، و قد تقرّر في الأصول عند أرباب التوحيد أنّ التجلّي غير متكرّر و ان الحق لا يتجلّى أبدا في صورة مرّتين. و لا بمعنى واحد فيه.

و كذلك أزل الآزال و أبد الآباد و الباقي باق في الأزل و الفاني فان لم يزل و إذا رجعت إلى القاعدة الكلّيّة: أنّه ليس في الوجود غيره و لا غير أسمائه و صفاته و الكلّ هو و به و منه و إليه عرفت أنّ كمالاته غير متناهية من غير تكرار و الوجود كلّه مظهر كمالاته الغير المتناهية و عرفت أنّ هذا صحيح و قط لا يمكن في الوجود مساواة من جميع الوجوه أصلا و أبدا و عرفت معنى قوله:

وَ لاٰ يَزٰالُونَ مُخْتَلِفِينَ [سورة هود: ١١٨].

و عرفت سرّ إشارته و لذلك خلقهم، و قد صنّفنا رسالة في المبدأ و المعاد أكثرها مشتملة على هذه الأبحاث و رتّبنا لها خطبة أيضا مشتملة على هذا

المجموع و الخطبة لها مناسبة بهذا الكلام نذكرها و نختم هذه الأبحاث و هي هذه: الحمد للّه الموجد بجوده العام وجود الموجودات و المخلوقات من المبدعات و المكوّنات، المعطي حقّهم من حيث اقتضائهم الذّاتي في عالم الأعيان و الماهيّات، الظّاهر فيهم على حسب اختلافاتهم في الاستعدادات و الذّوات، الحاكم عليهم بحسب حكمهم عليه في عالم الأسماء و الصّفات، لئلاّ يكون لأحد منهم عليه حجّة بظهور أفعالهم من الحسنات و السّيّئات، و يصل كلّ واحد منهم إلى مقامه المعيّن له بحسب اختلاف الملكات، و صلّى اللّه على من هو أكمل منهم في تطبيق هذه الطبقات، المخصوص من بينهم ذاتا و صفة بأشرف المقام و أعظم

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۱، ص ۳۹۷

الدّرجات، و على آله و أصحابه و أهل بيته الّذين اصطفاهم اللّه لنفسه من سائر المخلوقات، المخصوصين منهم آنا فآنا بأعظم السّلام و أشرف الصّلوات، خصوصا على من هو نقطة هذه الدائرة بعده من جميع الجهات، القائم بقيام مراتبه التّوحديّة من الوحدات و الكثرات.

و بالجملة هذا آخر ما كان عندنا في تأويل قوله تعالى:

وَ لاٰ يَزٰالُونَ مُخْتَلِفِينَ، بقدر هذا المقام، و حيث ثبت اختلاف الأعيان و الماهيّات و ثبت اختلاف الموجودات و المخلوقات، سبقت اختلافها في عالم الأسماء و الصّفات، ثبت اختلاف القرآن المترتّب على هذه العوالم كلّها ليشمل الكلّ و لا يخرج أحد من حكمه و إن لم يختلف هو في نفس الأمر كما بيّناه غير مرّة.

و إذا فرغنا من تأويل هذه الآية، فلنشرع في باقي الآيات المتشابهات حسب ما قرّرناه في الفهرست و هو هذا:

المقالة الرابعة في تطبيق المتناقضات و المتشابهات الواردة في الكلمات و الآيات المتقدّم ذكرها في المقدّمات

(المراد من وحدة الناس و اختلافهم و بيان التطبيق بين الكريمتين):

كٰانَ النّٰاسُ أُمَّةً وٰاحِدَةً و وَ لَوْ شٰاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النّٰاسَ أُمَّةً وٰاحِدَةً اعلم أنّ قوله تعالى:

كٰانَ النّٰاسُ أُمَّةً وٰاحِدَةً فَبَعَثَ اللّٰهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَ مُنْذِرِينَ وَ أَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتٰابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النّٰاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ [سورة البقرة: ۲۱۳].

و قوله: وَ لَوْ شٰاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النّٰاسَ أُمَّةً وٰاحِدَةً وَ لاٰ يَزٰالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلاّٰ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ الآية [سورة هود: ۱۱۸- ۱۱۹].

ليس فيه تناقض و لا تعارض، لأنّ مراده بالقول الأوّل و هو أنّ النّاس كانوا في زمان آدم (ع) على ملّة واحدة و طريقة واحدة و هي الملّة التّوحيديّة و الفطرة الإسلاميّة، لقربهم من عالم الغيب و نزولهم عنه و عدم الاختلاط بشياطين الأنس

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۱، ص ۳۹۸

و الجنّ حتّى اختلف بعضهم بمخالطتهم لأهل الأهواء و البدع و الإغواء و الضّلال من أتباع الشّياطين الصّوريّة أو المعنويّة و اختلطوا في اعتقادهم وَ ضَلُّوا عَنْ سَوٰاءِ السَّبِيلِ [سورة المائدة: ۷۷].

لقوله تعالى فيهم:

يٰا وَيْلَتىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاٰناً خَلِيلاً. لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جٰاءَنِي وَ كٰانَ الشَّيْطٰانُ لِلْإِنْسٰانِ خَذُولاً [سورة الفرقان: ٢٨- ٢٩].

و بقي بعضهم على صرافة فطرتهم و لطافة عقيدتهم من غير اختلاف في شيء أصلا رعاية للمشهد الأزلي المشار إليه في قوله:

وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَ أَشْهَدَهُمْ عَلىٰ أَنْفُسِهِمْ أَ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ قٰالُوا بَلىٰ [سورة الأعراف: ١٧٢].

و عناية في حقّه من اللّه و رحمة منه، لقوله:

إِلاّٰ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ [سورة هود: ١١٩].

و لقوله أيضا:

إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنّٰا الْحُسْنىٰ أُولٰئِكَ عَنْهٰا مُبْعَدُونَ [سورة الأنبياء: ١٠١].

و قيل: هذا الاختلاف إشارة إلى اختلاف هابيل و قابيل من أولاد آدم (ع)، و الّذي جرى بينهم و قضيّتهم مشهورة، و ذلك راجع إلى تقابل الأسماء و تعارضها من الأسماء الجلاليّة و الجماليّة و القهريّة و اللّطفيّة المشار إليهما في قوله:

خَلَقْتُ بِيَدَيَّ [سورة ص: ٧٥].

و في قوله:

خمّرت طينة آدم بيديّ أربعين صباحا «١٠٣».

(١٠٣) قوله: و في قوله: خمّرت طينة آدم بيديّ الحديث.

رواه ابن أبي جمهور في عوالي اللئالئ ج ٤، ص ٩٨، الحديث ١٣٨.

و ذكره نجم الدين الرازي في مرصاد العباد ص ٤٨ و ذكره أيضا الغزالي في إحياء العلوم ج ٤، ص ٢٧٧ و قال: قال (ع): إنّ اللّه خمّر طينة آدم بيده أربعين صباحا، و قال العراقي في ذيله: رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن مسعود و سلمان الفارسي الخ، و ذكره أيضا السهروردي في عوارف المعارف الباب السادس و العشرون ج ١، إحياء العلوم ج ٥، ص ١٢١.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ١، ص ٣٩٩

(في بيان المقصود من اليدين المنسوبتين إلى اللّه سبحانه)

لأنّ المراد باليدين الصّفتان المذكورتان لا غير، لأنّ اليد هي الآلة الّتي بها يتصرف صاحبها في الأفعال، و الحقّ تعالى جلّ جلاله بهاتين الصّفتين يتصرّف في العالم كيفما شاء فكأنّهما كاليدين بالنّسبة إليه، و قوله جوابا لليهود:

بَلْ يَدٰاهُ مَبْسُوطَتٰانِ [سورة المائدة: ٦٤].

إشارة إلى هذا، و يداه عند التّحقيق العالم العلوي و العالم السفلي و ما أشار عليهما لقوله بالنّسبة إلى العلوي:

وَ السَّمٰاوٰاتُ مَطْوِيّٰاتٌ بِيَمِينِهِ [سورة الزمر: ٦٧].

و لقوله بالنّسبة إلى السّفلي:

وَ الْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ [سورة الزمر: ٦٧].

و ذلك أيضا لأنّ العالمين المذكورين هما مظهران لاسمي الجلاليّة و الجماليّة و القهريّة و اللّطفيّة.

(المقصود من إرسال الرسل حلّ اختلاف النّاس و هدايتهم)

و هنا أبحاث كثيرة ستعرفها في موضعها، و الغرض أنّهم لمّا اختلفوا في العقائد و تشتّتوا في الآراء بعث إليهم الأنبياء و الكتب بعد آدم (ع) ليحكموا عليهم و يردعوهم عن الضّلال و الإضلال و الإغواء و الاختلاف، لقوله تعالى:

فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَ مُنْذِرِينَ وَ أَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتٰابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ [سورة البقرة: ٢١٣].

و معناه، الّذي سبق، أعني بعث النبيّين و أنزل الكتاب معهم ليحكموا بين هؤلاء المختلفين من النّاس و يقولوا ما هو الحقّ و الصّدق في نفس الأمر لكي

يرجعوا عمّا هم عليه من الضّلال و الإغواء و يتوجّهوا إلى الحقّ و الطّريق المستقيم المأمور به، و أكّد أيضا القول السّابق بالقول اللاحق و قال:

وَ مٰا أَنْزَلْنٰا عَلَيْكَ الْكِتٰابَ إِلاّٰ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَ هُدىً وَ رَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ [سورة النحل: ٦٤].

ليتحقّقوا أنّ الخلاف و الاختلاف كان منهم بتبعيتهم الشياطين، و الإرشاد و الهداية كانت من اللّه تعالى بإنزاله الكتاب عليهم، و إرساله الأنبياء إليهم، و يجوز أن يكون آدم (ع) من جملة هؤلاء النّبيّين و يكون قد وقع هذا

الاختلاف في زمانه و زمان أولاده (ع)، كشيث و إدريس و نوح و أمثالهم، و على جميع التّقادير لا بدّ من الاختلاف بحكم قوله الثّاني:

لا يزالون مختلفين، إن كان في الماهيّات و الحقائق، و إن كان في الصور و العقائد، و إن كان في الكلّ أو البعض، و الاختلاف في الكل لا يمكن أصلا بل لا بدّ و أن يكون دائما الاختلاف في البعض و الاتّفاق في البعض، و إن كان هذا الاختلاف في البعض و هذا الاتّفاق في البعض عين الاتّفاق في الكلّ، لأنّ الكلّ من حيث هو الكلّ لا بدّ و أن يكون مشتملا على المتناقضات و المتخالفات بحكم الأسماء و الصّفات الّتي هو مظهرها و جامعها و الكلّ لا يكون كلاّ إلا أن يكون كذلك، أي مشتملا على المتناقضات و المتخالفات و النّاقص و الكامل و الشريف و الخسيس، و قول العارف المتقدم ذكره:

فالكلّ مفتقر، ما الكلّ مستغن   هذا هو الحق قد قلناه لا نكني

الكلّ بالكلّ مربوط فليس له   عنه انفصال خذوا ما قلته عنّي

«١٠٤» إشارة إلى هذا، و قوله تعالى:

وَ لاٰ يَزٰالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَ لِذٰلِكَ خَلَقَهُمْ [سورة هود: ١١٨، ١١٩].

أيضا إشارة إليه، و معناه: أي و لذلك الاختلاف الواقع فيهم من حيث الحقائق

و الماهيّات و الأعيان و الأشكال و الآراء و الاعتقاد في عالم الشّهادة، و لا

---

(١٠٤) قوله: فالكلّ مفتقر، الكلّ مستغن الخ.

قائله محيي الدين بن العربي في فصوصه- شرح الفصوص القيصري ص ٩٣.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ١، ص ٤٠١

يزالون مختلفين على هذه الصورة من غير اتّفاق بينهم من جميع الوجوه، فإنّ ذلك ممكن.

و هذا البحث يرجع إلى أنّ الحقائق بجعل الجاعل أم لا؟ و قد سبق ذكره مرارا، و سيجيء مرّة أخرى، و الحاصل أن الاختلاف في الوجود واقع أيضا. الاختلاف في العقائد و ذلك تقدير العزيز العليم لا يسأل عمّا يفعل و هم يسألون، و حيث كلامنا بحكم الآية كان في العقائد، فنرجع و نقول:

(سبب اختلاف العقائد بين الناس)

اعلم، أنّ النّاس كانوا في أوّل العهد على ملّة واحدة و لكنهم اختلفوا في آخر العهد بمخالطتهم لأهل الأهواء و الإغواء لقوله تعالى:

وَ مَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مٰا جٰاءَتْهُمُ الْبَيِّنٰاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ [سورة البقرة: ٢١٣].

و هذا تصريح بأنّ الاختلاف كان في البعض دون البعض و كان سبب اختلافهم بغيا بينهم أي إضلالا و إغواءا لبعضهم بعضا، و إن ذلك البعض

وقفوا على هذه الحالة و البعض الآخر منهم رجعوا عن حالهم إمّا بواسطة الكتاب النّازل عليهم، أو الأنبياء و الرّسل المبعوثين إليهم، أو بغير واسطة، كما أشار إليه جلّ ذكره في قوله:

فَهَدَى اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَ اللهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ [سورة البقرة: ۲۱۳].

و هذا الرّجوع دالّ على قوّة استعدادهم، و بقاء نور فطرتهم أوّلا، ثمّ إلى عناية اللّه تعالى بهم، و كمال فضله و رحمته في حقّهم كما قال:

إِلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ [سورة هود: ۱۱۹].

و قال:

إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى [سورة الأنبياء: ۱۰۱].

و كأنّه تعالى عن الطائفتين المذكورتين أخبر في قوله:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۱، ص ۴۰۲

اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ [سورة البقرة: ۲۵۷].

و قوله في موضع آخر:

وَ مَا كَانَ النَّاسُ إِلاَّ أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَ لَوْ لاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ [سورة يونس: ۱۹].

يشهد بأن ارتفاع هذا الاختلاف مستحيل وجودا كان أو اعتقادا، لأنّ معنى قوله: و لولا كلمة سبقت من ربّك، و هو أنّه يقول: لو لا علم ربّك السّابق

بوجود كلّ موجود و ما يصدر منه، لقضي بينهم فيما هم فيه يختلفون أي لارتفع الاختلاف من بينهم بالقهر و الجبر من حيث القدرة و القوّة و التمكّن، لكن خلاف علمه القديم و خلاف ما هو المعلوم عليه مستحيل ممتنع، لأنّه يؤدي إلى الجهل بالمعلومات أو بغير المعلومات ممّا كانت عليهما، و كلّ ما يؤدّي إلى أمثال ذلك لا يصدر من ربّك، تعالى اللّه عن ذلك.

و تقديره مرّة أخرى: و هو أنّه تعالى يقول: لولا علمي السّابق بهم و بوجودهم بأنّه لا يظهر منهم شيء من الأفعال و الأحوال إلاّ ما يقتضي ذواتهم و حقائقهم، لقضيت بينهم برفع الاختلاف و التّنازع الواقع، وجودا كان أو اعتقادا، لكن هذا مستحيل منّي، لأنّه يخالف علمي بالمعلومات و كلّ ما يخالف علمي بالمعلومات صدور ذلك يكون من المستحيلات.

(في معنى العدل و الظلم)

و علّة ذلك أنّ العدل و الحكمة و العلم الأزلي بوجود الأشياء، ما يقتضي إلاّ وضع الشيء في موضعه، و هذا لو فعلناه لكان وضع الشيء في غير موضعه، و لا يصدر منّا أمثال ذلك أصلا، لأنّه يوجب الاتّصاف بالظّلم و الجهل، و ما أنا بظلاّم للعبيد، و أيضا على الفاعل المطلق إعطاء وجود القابل ليعمل لا على وفق الّذي هو علمه، كما بيّناه مرارا، فلو أعطي بدون ذلك لم يكن يقبله، لعدم قابليّته، و إن قبل كان ظلما صريحا، لأنّه كان وضع الشّيء في غير موضعه، و وضع الشّيء في غير

موضعه ظلم بالاتفاق، و قوله:

وَ لَوْ شِئْنا لَآتَيْنا كُلَّ نَفْسٍ هُداها وَ لٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ [سورة السجدة: ١٣].

يؤكد هذا المعنى لأنّه يقول: و لو شئنا على سبيل الجبر و القهر من كمال القدرة و القوّة لآتينا كلّ نفس هديها، لكن سبق في علمنا، أنّ هذا محال، لأن هذا يخالف علمنا بهم و يخالف غرضنا من تكليفهم مع أنّه مستحيل، فحقّ القول منّا، أي سبق العلم الأزلي القديم منّا بإملاء جهنّم منهم، بالأفعال الصّادرة منهم اختيارا لا إجبارا، فخلاف ذلك محال.

و أيضا قد سبق علمنا بعدم قابليّتهم و استعدادهم لهدايتهم و إرشادهم، فكيف يمكن هدايتهم و إرشادهم، و كيف يمكن التّصرّف في القابل بدون قابليّته، فمن هذا لا يمكن هداية الكلّ كما لا يمكن إضلال الكلّ، و بالنّسبة إلى عدم قابليّة البعض للهداية قال:

وَ إِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِها وَ إِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَ إِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً [سورة الأعراف: ١٤٦].

و بالنّسبة إلى البعض الآخر الّذي يكون بعكسهم أعني يكون قابلا للهداية من غير دفع و لا منع قال:

فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ. الَّذِينَ آمَنُوا وَ لَمْ يَلْبِسُوا إِيمانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَ هُمْ مُهْتَدُونَ [سورة الأنعام: ٨١- ٨٢].

لأن هناك طائفة لم يلبسوا إيمانهم بظلم أي شرك و كفر و لا يمكن منهم هذا، كما لا يمكن من الطّائفة الأولى بعكس ذلك، و قوله جلّ ذكره:

قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلى‏ شاكِلَتِهِ [سورة الإسراء: ٨٤].

و قول النبيّ (ع):

«كلّ ميسر لما خلق له» [مرّت الإشارة إليه في التعليقة ٨٩].

يقومان بجواب الكلّ.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‏١، ص ۴۰۴

و إن قلت: عدم قابليتهم و قلّة استعدادهم يرجع إلى علم الحق بهم، و عدم إعطائهم القابليّة في الأزل.

قلنا: قد مرّ مرارا أنّ العلم ليس له تأثير في المعلوم باتّفاق العقلاء، و أنّ القابليّة في القوابل ليس من الفاعل، و إلّا لبقي الاعتراض و الحجّة من كلّ واحد واحد من القوابل على الفاعل! بأنّك لم ما جعلتني كذا كذا و جعلتني كذا، و قد سبق هذا البحث أيضا في صورة الحروف و الكاتب و غير ذلك.

و اللّه لو لم يكن في القرآن إلا قوله:

كُلٌّ يَعْمَلُ عَلى‏ شاكِلَتِهِ [سورة الإسراء: ٨٤].

لكفى برهانا في صدق هذه الدّعوى و تطبيق هذا المعنى.

و بالجملة ليس في هذه الآيات تناقض و لا تخالف، و قول اللّه تعالى:

وَ لَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً [سورة النساء: ٨٢].

يحكم لصدق هذا، لأنّ الاختلاف لو فرضنا في زمان آدم (ع) و آخر غير زمان آدم و هو عين الاتّفاق في نفس الأمر، لأن الاختلاف في زمان و الاتّفاق في زمان آخر هو عين الاتّفاق في الكلّ، لأنّ الكلّ لا يكون كلا إلّا كذلك و إدراكه يحتاج إلى كشف سرّ القدر، و ذلك دقيق رزقك اللّه الفهم

فيه فإنّه قادر على ذلك و ما ذلك على الله بعزيز، هذا معنى قوله:

كٰانَ النّٰاسُ أُمَّةً وٰاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ [سورة البقرة: ۲۱۳].

و أمّا معنى قوله:

وَ لَوْ شٰاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وٰاحِدَةً إلى آخره [سورة المائدة: ٤٨].

و قد سبق معناه مرارا، و الكلام غير مستحسن من العقلاء، لكن الضّرورات تبيح المحظورات، و المراد به انّه و لو شاء ربّك أن يجعل النّاس أمّة واحدة على سبيل الجبر و القهر لأمكن، و لكن ما شاء هذا إلاّ على سبيل الاختيار و الإرادة لئلاّ يناف التّكليف و يخالف الغرض من الحكيم الكامل.

لقوله: وَ مٰا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ [سورة الذاريات: ٥٦].

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۱، ص ۴۰۵

أي ليعرفوني «۱۰۵» و يعبدوني بإرادتهم و اختيارهم و سعيهم و اجتهادهم، ليحصل لهم الثّواب و الجنّة بفعلهم، و العقاب و الجحيم بتركهم، لأنّهم لو كانوا مجبورين على الأفعال، ما استحقّوا شيئا من هذا، و كان التّكليف عاطلا، و إرسال الرسل باطلا، و الجحيم و الجنّة عبثا، و الخير و الشّر لعبا، و ليس هذا من حكمتنا، و لا ما يقتضي ذلك علمنا و عدلنا، و لهذا قلنا:

قَدْ جٰاءَكُمْ بَصٰائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَ مَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهٰا وَ مٰا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ [سورة الأنعام: ۱۰٤].

هذا وجه.

(في بيان أنّ الإختلاف واقع في المظاهر و هو عين الاتفاق في الحقائق)

و بوجه آخر يمكن أن يريد بالأمّة الواحدة، أمّة آدم لا غير، كما أنّ أمّة موسى (ع) تسمّى أمّة واحدة، و كذلك أمّة عيسى (ع)، و كذلك أمّة محمد (ص)، كما قال تعالى فيهم:

إِنَّ هٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً واحِدَةً وَ أَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ [سورة الأنبياء: ۹۲].

و قال في إبراهيم (ع):

إِنَّ إِبْراهِيمَ كانَ أُمَّةً قانِتاً لِلَّهِ حَنِيفاً وَ لَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ [سورة النحل: ۱۲۰].

---

(۱۰۵) قوله: أي ليعرفوني الخ.

روى الصدوق (رض) في العلل ص ۹، باب ۹، الحديث ۱ بإسناده عن سلمة بن عطاء عن أبي عبد اللّه (ع) قال: خرج الحسين بن علي (ع) على أصحابه فقال: أيها النّاس، إنّ اللّه جلّ ذكره ما خلق العباد إلاّ ليعرفوه، فإذا عرفوه عبدوه، فإذا عبدوه استغنوا بعبادته عن عبادة من سواه الحديث.

قال البغوي في معالم التنزيل ج ۵، ص ۲۳۰: و قال مجاهد: إلا ليعرفوني و هذا حسن، لأنّه لو لم يخلقهم لم يعرف وجوده و توحيده، دليله قوله تعالى: **وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللّهُ [سورة الزخرف، الآية: ۸۷].**

ذكره أيضا الميبدي في كشف الأسرار تفسير خواجه عبد اللّه الأنصاري ج ۹، ص ۳۲۴ و أيضا ذكره القرطبي في تفسيره عن مجاهد و تحسينه عن الثعلبي، ج ۱۷، ص ۵۶.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‌١، ص ۴٠۶

و قول النّبي (ع) في حقّ أويس القرني بأنّه:

يحشر يوم القيامة أمّة وحده، يدخل في شفاعته مثل ربيعة و مضر «(١٠٦)».

يشهد بذلك أيضا، و مع ذلك كلّه إذا كان النّاس في زمان نبيّ مثلا متّفقين، و في زمان نبيّ آخر مختلفين، أو في زمانين متّفقين و في زمانين مختلفين، فهذا لا يدل على عدم اختلافهم مطلقا، أو عدم اتّفاقهم كذلك، لأن اتّفاقهم في زمان و اختلافهم في زمان آخر هو عين الاختلاف في الكلّ بوجه و عين الاتفاق في الكل بوجه آخر، لأنّ الكلّ من حيث هو الكلّ مظاهر للحقّ و ليس في الحقيقة منها إلاّ الحقّ، فلا يمكن الاختلاف أصلا و قاعدة مقرّرة أن الوجود خير محض و أن العدم شرّ محض، و مقرّر أيضا أنّه ليس الوجود إلاّ هو و غيره عدم محض، فلا يكون الوجود إلاّ الخير، و الخير من حيث هو الخير لا اختلاف فيه فلا يكون في الوجود اختلافا في نفس الأمر، و إن اختلف مظاهره و مراتبه بحسب الكمالات اللاّزمة لذاته، و ذلك لأنّ الأسماء واقعة بحسب الصّفات، و الصّفات بحسب الكمالات، و الكمالات من لوازم الذّات، فالذّات كما تقتضي الظّهور فكذلك تقتضي

---

(١٠٦) قوله: و قول النبيّ (ص) في حق أويس القرني الخ.

روى المفيد (رض) في الإرشاد ص ١٦٦ عن أمير المؤمنين (ع) في حديث عنه (ع) بذي قار و هو جالس لأخذ البيعة، إنه قال:

أخبرني حبيبي رسول اللّه (ص): إنّي أدرك رجلا من أمّته يقال له: أويس القرني، يكون من حزب اللّه و رسوله، يموت على الشهادة يدخل في شفاعته مثل ربيعة و مضر.

نقل المجلسي رحمه اللّه في البحار ج ٤٢، ص ١٥٥، الحديث ٢٢ عن كتابي الروضة و الفضائل و قال: روي عن رسول اللّه (ص) أنّه كان يقول: تفوح روائح الجنّة من قبل قرن، وا شوقاه إليك يا أويس القرني، ألا و من لقيه فليقرأه منّي السلام، فقيل: يا رسول اللّه و من أويس القرني؟

فقال (ص) إن غاب عنكم لم تفتقدوه، و إن ظهر لكم لم تكترثوا به، يدخل الجنّة في شفاعته مثل ربيعة و مضر، يؤمن بي و لا يراني، و يقتل بين يدي خليفتي أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (ع) في صفّين.

و أخرج الحاكم في المستدرك ج ٣ ص ٧- ٤٠٥ بإسناده عن هشام عن الحسن قال: قال رسول اللّه (ص) يدخل الجنّة بشفاعة رجل من أمّتي أكثر من ربيعة و مضر، قال هشام فأخبرني حوشب عن الحسن أنّه أويس القرني. و أيضا أخرج بإسناده عن عبد اللّه بن أبي الجداء، أنّه سمع رسول اللّه (ص) يقول: يدخل الجنّة بشفاعة رجل من أمّتي أكثر من بني تميم، قال الثقفي قال هشام سمعت الحسن يقول: إنّه أويس القرني.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ١، ص ٤٠٧

الاختلافات في المظاهر، و الاختلافات في المظاهر هو عين الاتّفاقات في الحقائق، و التّجلّي غير مكرّر، و الوجود غير قابل لذلك، فلا يكون هناك اختلاف أصلا، و من هذا قيل:

لا يتجلّى الحقّ في صورة مرّتين و لا يتجلّى في صورة للاثنين. و إن فرضنا

أنّ الله تعالى ظهر بصور المظاهر و القوابل على حسب اختلافهم الذّاتي و استعدادهم الجبلّي بموجب ما يقرّر مرارا، فكيف يمكن أيضا الاتّفاق من غير الاختلاف، و الذّوات مختلفة و القوابل متنوّعة، فلا جرم يقول:

وَ لاٰ يَزٰالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَ لِذٰلِكَ خَلَقَهُمْ [سورة هود: ١١٨، ١١٩].

و الّذي سبقت من قولنا: إنّ هذا هو عين الاتّفاق، معناه أنّ الوجود لو كان على وتيرة واحدة، لم يكن فيه اختلاف و لا تفاضل في الدّرجات و المراتب صورة و معنى، لم يكن كاملا في نفسه، و لا جامعا بين الظّاهر و الباطن بل كان ناقصا غير تامّ محتاجا إلى الغير، خارجا عن صفة الوجوب الذّاتي داخلا في صفة الإمكان الذّاتي، لأنّ الاحتياج إلى الغير و النّقص من لوازم الممكن لا الوجوب، و الوجود من حيث هو وجود واجب باتّفاق المحقّقين، فلا يكون محتاجا إلى الغير أصلا و لا ناقصا.

و إلى هذا المعنى و هذا التّرتيب و النّسق الإلهي و الحكمة الّتي فيه أشار الحقّ تعالى في قوله مفصّلا و قال:

وَ أَنْزَلْنٰا إِلَيْكَ الْكِتٰابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمٰا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتٰابِ وَ مُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمٰا أَنْزَلَ اللّٰهُ وَ لاٰ تَتَّبِعْ أَهْوٰاءَهُمْ عَمّٰا جٰاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنٰا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَ مِنْهٰاجاً وَ لَوْ شٰاءَ اللّٰهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وٰاحِدَةً وَ لٰكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مٰا آتٰاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرٰاتِ إِلَى اللّٰهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمٰا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ [سورة المائدة: ٤٨].

لأنّ قوله: لكلّ جعلنا منكم شرعة و منهاجا دالّ على اختلافهم في

الاستعدادات و الذّوات، و كذلك في الآراء و الاعتقاد، لأنّ الآراء و الاعتقادات توابع للذّوات و الاستعدادات، كما أنّ الظّاهر تابع الباطن و الصورة للمعنى.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج١، ص ٤٠٨

و فيه قيل: الظّاهر عنوان الباطن.

و إليه أشار أمير المؤمنين (ع) في قوله:

اعلم أنّ لكلّ ظاهر باطنا على مثاله فما طاب ظاهره طاب باطنه، و ما خبث ظاهره خبث باطنه، و قد قال الرّسول الصّادق صلوات اللّه عليه و آله:

إنّ اللّه يحبّ العبد و يبغض علمه و يحبّ العمل و يبغض بدنه. و اعلم أنّ لكلّ عمل نباتا، و كلّ نبات لا غناء به عن الماء، و المياه مختلفة، فما طاب سقيه طاب غرسه و حلت ثمرته، و ما خبث سقيه خبث غرسه و أمرّت ثمرته «(١٠٧)».

و قوله تعالى عقيب قوله: و لو شاء اللّه لجعلكم أمّة واحدة، دالّ على ما سبق من البحث كلّه، و هو أنّه لو شاء أن يجعل النّاس بأسرهم أمّة واحدة و ملّة واحدة على سبيل الإلجاء و القهر لأمكن، لكن ما شاء إلاّ على سبيل الاختيار و الإرادة، لأنّه لو كان كذلك لكان خارجا عن العدل و القسط خلافا للعلم و الحكمة، و قوله:

و لكن ليبلوكم فيما آتيكم إلى آخره، يؤكّد هذا صريحا لأنّه يقول على سبيل التهكّم و الحكم، و التّعليل أنّ المقصود من هذا الأمر كان ابتلاؤكم و اختباركم ليمتحنكم بأنّكم كيف تقومون بأمره و تكليفه و كيف تجهدون

في تحصيل رضائه، و إجراء أحكامه، لقوله أيضا فاستبقوا الخيرات، لأنّه إشارة إلى سبق الخير و تأخير الشرّ و تحصيل الكمالات بالسّعي و الاجتهاد، فالعبد لو لم يكن مختارا في فعله لم يكن مخاطبا بهذه الأمور المبتنية على اختياره، و لهذا قال عقيبه: إلى اللّه مرجعكم جميعا فينبّئكم بما كنتم فيه تختلفون، لأنّه إشارة إل أنّ مرجع الجميع إليّ فأنا أنبّئهم فيما كانوا فيه من الاختلاف، و الحكمة البالغة فيه و لا يعزب عن علمه مثقال ذرّة في السّماء و لا في الأرض كما أشار إليه في كتابه:

إِنّٰا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنٰاهُ بِقَدَرٍ [سورة القمر: ٤٩].

---

(١٠٧) قوله: و إليه أشار أمير المؤمنين (ع) في قوله:

اعلم أن لكلّ ظاهر الخ.

نهج البلاغة صبحي الصالح الخطبة ١٥٤ ص ٢١٦، و رواه أيضا ابن أبي جمهور في عوالي اللئالئ ج ١، ص ٢٧٧، الحديث ١٠٧، و قول النبيّ (ص) في عوالي اللئالي فقط.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‌١، ص ۴٠٩

مٰا أَصٰابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَ لاٰ فِي أَنْفُسِكُمْ إِلاّٰ فِي كِتٰابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهٰا إِنَّ ذٰلِكَ عَلَى اللّٰهِ يَسِيرٌ [سورة الحديد: ٢٢].

و في هاتين الآيتين الأخيرتين كفاية لمن يريد أن يحقّق هذا البحث من أوّله إلى آخره، و قد اجتهدنا في توضيحه حقّ الاجتهاد فعليك بتحقيقه و القيام

بما فيه من الأسرار و الأحكام، و ما على الرّسول إلاّ البلاغ المبين، و حيث تحقّقت تطبيق القولين المتناقضين و هو قوله:

وَ لَوْ شاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النّاسَ أُمَّةً واحِدَةً [سورة هود: ١١٨].

و قوله: كانَ النّاسُ أُمَّةً واحِدَةً [سورة البقرة: ٢١٣].

فلنشرع في باقي الآيات المتناقضات بحسب اللّفظ المتّفقات بحسب المعنى، كما شرحناه، و نستمدّ من اللّه تعالى العون و التّوفيق.

(في بيان معاني الهداية و تطبيق الآيات المتناقضات في الهداية)

و منها، قوله: رَبُّنَا الَّذِي أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدى [سورة طه: ٥٠].

و قوله: إِنّا هَدَيْناهُ السَّبِيلَ إِمّا شاكِراً وَ إِمّا كَفُوراً [سورة الإنسان: ٣].

و نقيضهما قوله:

قَدْ جاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدى فَإِنَّما يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَ مَنْ ضَلَّ فَإِنَّما يَضِلُّ عَلَيْها وَ ما أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ [سورة يونس: ١٠٨].

و قوله: قَدْ جاءَكُمْ بَصائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَ مَنْ عَمِيَ فَعَلَيْها وَ ما أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ [سورة الأنعام: ١٠٤].

و عند التّحقيق ليس هذا بتناقض لأنّ المراد بهداية اللّه تعالى، و بل جميع المخلوقات، هداية عامّة مشتملة على الهدايات الأربع المذكورة عند بحث التّقوى الّتي هي هداية كلّ شيء أوّلا إلى مصالحه في المعاش و تدبيره في الحياة الدّنيا من الإنسان و الحيوان و الوحوش و الطّيور و السّباع و البهائم و الملك و الجنّ و غير ذلك.

ثمّ إلى توحيد خالقهم و رازقهم لقوله:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج١، ص ۴١٠

وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللّٰهُ [سورة لقمان: ٢٥].

و لقوله: وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاّٰ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ [سورة الإسراء: ٤٤].

و يؤكّد هذا المعنى قوله في الأزل:

أَ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ قٰالُوا بَلىٰ [سورة الأعراف: ١٧٢].

ثم إلى الدّين و الإيمان و المذاهب و الملل، لقوله:

لِكُلٍّ جَعَلْنٰا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَ مِنْهٰاجاً [سورة المائدة: ٤٨].

ثمّ إلى الصّراط المستقيم في كلّ مذهب و ملّة، لقوله:

اهْدِنَا الصِّرٰاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرٰاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَ لاَ الضّٰالِّينَ [سورة الحمد].

و ليس المراد بالهداية من هذه الهدايات إلاّ الأخيرة الّتي هي الهداية إلى الصّراط المستقيم الحقيقي و الدّين القويم المحمّدي، و ذلك بعد عناية اللّه تعالى و حسن توفيقه، موقوف على اجتهاد العبد و سعيه، لقوله تعالى:

وَ الَّذِينَ جٰاهَدُوا فِينٰا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنٰا إِنَّ اللّٰهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَ الَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ [سورة العنكبوت: ٦٩].

و هذه الهداية مخصوصة بذوي العقول من الإنسان و بعض الجنّ و ليس لغيرهم دخل في هذا الصراط.

و غير المغضوب عليهم، إشارة إلى اليهود و النصارى كما ستعرفه عند تأويل الفاتحة إن شاء اللّه.

(ملاك استحقاق الثواب و العقاب فعل العبد و أنّ الهداية و عدمها

أيضا يتعلقان بفعله)

فالتّفاوت و الاختلاف في الهداية و عدم الهداية إشارة إلى هذه الهداية لا غير، و لا شكّ أنّ هذه الهداية تتعلّق بفعل العبد و إلاّ لم يكن مستحقّا للثّواب بحصولها، و مستحقا للعقاب بتركها، و لم يكن مأمورا من عند اللّه أن يقول كلّ يوم و ليلة سبع عشرة مرّة بالوجوب: اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ. صِراطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‏١، ص ٤١١

عَلَيْهِمْ. غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَ لاَ الضَّالِّينَ لأنّ هذا تأكيد في التّخصيص.

و هذا لو لم يكن كذلك لم يكن اللّه تعالى يقول عن لسان عبيده: قالوا:

رَبَّنا لا تُؤاخِذْنا إِنْ نَسِينا أَوْ أَخْطَأْنا رَبَّنا وَ لا تَحْمِلْ عَلَيْنا إِصْراً كَما حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنا [سورة البقرة: ٢٨٦].

و لم يكن يقول:

رَبَّنا ظَلَمْنا أَنْفُسَنا وَ إِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنا وَ تَرْحَمْنا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخاسِرِينَ [سورة الأعراف: ٢٣].

لأنّ هذا القول يحكم بالنّسيان منهم و الخطأ عنهم، و بأنّ عدم الهداية منسوب إليهم و إلى تقصيرهم، و يؤكّد هذا أيضا قوله:

وَ لَقَدْ عَهِدْنا إِلى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ [سورة طه: ١١٥].

لأنّ هذا خبر إلى أولاد آدم لا إلى آدم، لأنّ آدم (ع) نبيّ معصوم لا يجوز عليه الخطأ و النّسيان و أمثال ذلك منه، يعرف هذا من الأصول بالدّلائل العقليّة و البراهين القطعيّة.

ثم لقوله تعالى:

وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَ أَشْهَدَهُمْ عَلى أَنْفُسِهِمْ أَ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلى [سورة الأعراف: ١٧٢].

لأنّ نسيانهم ليس إلا نسيان العهد الأزلي و الإقرار الجبلي، بمتابعة الشّيطان و مطاوعة النّفس و الهوى اللّذين هما من جنوده أيضا.

و قوله تعالى: أَ لَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ [سورة يس: ٦٠].

إشارة إلى هذا.

و إن قلت: إنّ آدم شخص واحد و أولاده كثيرون و ضمير نسي لا يدلّ على أنّه إلى الأولاد.

قلنا: إنّ المراد بآدم نوع الإنسان لا الشّخص، و النّوع واحد، و الضّمير

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‌١، ص ٤١٢

صحيح، و يجوز عند العرب الرّجوع و الالتفات من الغيبة إلى الحضور و من الجمع إلى المفرد، و قد ورد في القرآن أمثال ذلك كثيرة منها قوله تعالى:

وَ لَقَدْ خَلَقْناكُمْ ثُمَّ صَوَّرْناكُمْ ثُمَّ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ [سورة الأعراف: ١١].

لأنّ هذا رجوع من الجمع إلى الواحد و من الأولاد إلى الأب و من الأشخاص إلى النّوع، و في الحقيقة ليس المراد إلاّ الأولاد المسمّى بالأشخاص الّتي تحت الأنواع. فافهم جدّا فإنّه ينفعك كثيرا، و سيجيء هذا البحث مستوفى في موضعه.

و بناء على هذه القواعد فقوله:

قَدْ جٰاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدىٰ فَإِنَّمٰا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَ مَنْ ضَلَّ فَإِنَّمٰا يَضِلُّ عَلَيْهٰا [سورة يونس: ١٠٨].

يكون صحيحا، و يكون تقديره، انّه يقول: من اهتدى أوّلا إلى هدايته الأزليّة و معرفته الجبليّة، ثمّ إلى هدايته التّكليفيّة و قام بالأمر على ما ينبغي، فإنّما يهتدي لنفسه و ترجع ثمرة تلك الهداية إليه لا إلى غيره، و من لم يهتدي إلى هذه الهدايات و يضلّ عن هذه الحكايات و لم يفهم معناها و لم يقبل فحواها، فإنما يضلّ على نفسه و يرجع و بالها و وزرها إليه لا إلى غيره و ليس الحقّ تعالى بوكيل له و لغيره بأن يحفظه من الخطأ و النسيان و الفجور و العصيان، لأنّ هذا يؤدّي إلى ارتفاع التّكليف و نقض الغرض من الحكيم و إسقاط الثّواب و العقاب و غير ذلك من المفاسد، و هذا لا يجوز، فلم يبق إلاّ أن يكون الكلّ راجعا إليهم، أعني من الجدّ و التقصير كما قال:

مٰا أَصٰابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ وَ مٰا أَصٰابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ [سورة النساء: ٧٩].

نعم يجب عليه تعالى هدايتهم أوّلا في المعاش كما قلنا، و قد هداهم إليه بإعطائهم العقل و الفهم و الإدراك و كلّ ما يتعلّق بالتكليف، و قبوله، ثمّ هدايتهم إلى التّوحيد، فهداهم بقوله: ألست بربكم، ثمّ إلى الدّين و الإسلام، فهداهم بالنبيّ و الكتاب، ثمّ إلى الطريق المستقيم، فهداهم بالدّعوة و الإرشاد، و قد فعل ذلك كلّه

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج١، ص ٤١٣

و لم يبق من طرفه شيء، و إلاّ لكان مخلاً بالواجب، و إليه أشار بقوله أيضا تأكيدا:

و لولا فضل اللّه عليكم و رحمته بإنزال الكتب و إرسال الرّسل و إقامة البراهين العقليّة و الدّلائل النقليّة، ما زكّى منكم واحد أبدا من الضّلالة و الجهالة و الكفر و الطّغيان، و تقديره و هو أنّه يقول: لو لا عنايتي بكم في الأبد بإنزال الكتب و إرسال الرّسل، و الأمر بالتكليف، مع عنايتي بكم في الأزل بالهداية و الإرشاد، ما زكّى منكم أحدا أبدا بذلك، لأنّ كل ما يكون من وجود بالقوّة، و هو يحتاج إلى إبرازه بالفعل، و الإنسان ليس بعامل بذلك من نفسه إلاّ النوادر، فلم يبق إلاّ أن يكون المبرز لذلك أمر خارج، و ذلك الأمر هو الكتب و الرّسل و التكليف و الدّعوة و الإرشاد، و إنّ الكلّ من اللّه، فيصّح قوله: لولا عنايتي بنور العناية الأزليّة بكم في الأبد ما زكّى منكم من واحد أبدا، و يعلم من هذا وجوب بعثة الرّسل و الكتب و الدّعوة و الإرشاد و أمثال ذلك، و من هنا قال:

لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيٰاتِهِ وَ يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتٰابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ إِنْ كٰانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلاٰلٍ مُبِينٍ [سورة آل عمران: ١٦٤].

و إذا عرفت هذا و تحقّق انّه ليس تناقض في القولين المذكورين، فقس أكثر الأقوال القريبة عليهما و اللّه أعلم و أحكم.

(في بيان التطبيق بين الكريمتين النسيان و معنى النسيان فيهما)

و منها قوله:

فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هٰذَا [سورة الأعراف: ٥١].

و قوله: وَ مَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا [سورة مريم: ٦٤].

فإنّ فيهما تناقض بحسب الظّاهر، و في الحقيقة ليس فيهما تناقض، لأنّ مراده بالنّسيان الأوّل هاهنا التّرك، و تقديره أي نتركهم في الآخرة و أعمالهم الرديّة، كما تركونا في الدّنيا و أوامرنا و نواهينا، فمن هذا المعنى بعينه قال:

لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمىٰ وَ قَدْ كُنْتُ بَصِيراً قَالَ كَذٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَ كَذٰلِكَ

الْيَوْمَ تُنْسىٰ [سورة طه: ٦- ١٢٥].

و بالنّسيان الثّاني، عدم العلم بالشيء، و معناه أنّ اللّه تعالى ليس بناس للشّيء أصلا و ليس النّسيان من شأنه لأنّه عليم بكلّ شيء قبل وجوده و بعد وجوده، و مع وجوده في الزّمان الحاضر و يعلم الأشياء كلّها من الأزل إلى الأبد على ما هي عليها من غير تغيير و تبديل، و زيادة و نقصان، و كان غرضه من هذا القول تصريح الكفّار الّذين يعتقدون أنّه تعالى مثل الخلق ينسى و يتذكّر و يتنبّه و يغفل، و لهذا قال بالنّسبة إليهم:

وَ اللهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ [سورة البقرة: ١٩].

إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ [سورة فصّلت: ٥٤].

وَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ [سورة البقرة: ٢٨٢].

لأنّهم كانوا يتوهّمون أنّ إله العالم مثلا كآلهتهم الّتي في بيوتهم من الأصنام و الأوثان، و ليس لهم علم بما يفعلون هم خارج البيت ليعلموا يقينا أنّ اللّه

تعالى محيط بهم و بما في ضمائرهم و قلوبهم من العقائد و النيّات، كما أشار إليه بقوله:

مٰا يَكُونُ مِنْ نَجْوىٰ ثَلاٰثَةٍ إِلاّٰ هُوَ رٰابِعُهُمْ وَ لاٰ خَمْسَةٍ إِلاّٰ هُوَ سٰادِسُهُمْ وَ لاٰ أَدْنىٰ مِنْ ذٰلِكَ وَ لاٰ أَكْثَرَ إِلاّٰ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مٰا كٰانُوا [سورة المجادلة: ۷].

و على جميع التّقادير، النّسيان، و الغفلة، و الجهل، و التّذكر، و التيقّظ، على اللّه تعالى محال.

لاٰ يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقٰالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمٰاوٰاتِ وَ لاٰ فِي الْأَرْضِ وَ لاٰ أَصْغَرُ مِنْ ذٰلِكَ وَ لاٰ أَكْبَرُ إِلاّٰ فِي كِتٰابٍ مُبِينٍ [سورة سبأ: ۳].

(المراد من كلام اللّه سبحانه و الملائكة و الأنبياء و الكفّار في يوم القيامة)

و منها قوله:

يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَ الْمَلاٰئِكَةُ صَفًّا لاٰ يَتَكَلَّمُونَ إِلاّٰ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمٰنُ وَ قٰالَ صَوٰاباً [سورة النّبأ: ۳۸].

و قوله:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‌۱، ص ۴۱۵

يَوْمَ الْقِيٰامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَ يَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضاً [سورة العنكبوت: ۲۵].

فإنّهما أيضا غير متناقضان، لأنّ المراد بالتّكلّم الأوّل النّطق باللّسان و القول به، كشفاعة الأنبياء و الأولياء في حقّ أمّتهم و تابعيهم من المسلمين و المؤمنين، لقوله تعالى:

مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ [سورة البقرة: ٢٥٥].

لأنّ القول الموصوف بالصّواب في الأغلب لا يكون إلاّ في الشفاعة سيّما في الآخرة، و المراد بالتكلّم الثاني النّطق بالقوّة من حيث الاعتقاد و الآراء لا النّطق بالفعل و لهذا قال فيهم:

إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَ أَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً أُولٰئِكَ لاٰ خَلاٰقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَ لاٰ يُكَلِّمُهُمُ اللهُ وَ لاٰ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ لاٰ يُزَكِّيهِمْ وَ لَهُمْ عَذٰابٌ أَلِيمٌ [سورة آل عمران: ٧٧].

و معلوم أنّ كلام اللّه معهم ليس بالنّطق الظّاهر و لا بالقول اللساني بل بمعنى عدم الالتفات إليهم و قلّة التعرّض بهم لحقارتهم و خسارتهم كما جرت العادة بأنّ كلّ من لم ينظر إلى المخاطب و لا يلتفت إليه يقال: ما تكلّم معه و لا جعله مستحقا للكلام، فأحوال الضّالّين و المضلّين تكون كذلك، أعني ما يحتاجون إلى التكلّم باللّسان، لأنّ اعتقاد كلّ واحد منهم إذا انكشف له حقيقته و باطنه فكأنّه كفر بغيره و لعن لمن هو على غير طريقه لحسن اعتقاده و قبح اعتقاد غيره و إن لم يكن في الواقع كذلك لقوله تعالى:

كُلُّ حِزْبٍ بِمٰا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ [سورة الروم: ٣٢].

و لقوله: إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَ رَأَوُا الْعَذٰابَ وَ تَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبٰابُ وَ قٰالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنٰا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمٰا تَبَرَّؤُا مِنّٰا كَذٰلِكَ يُرِيهِمُ اللهُ أَعْمٰالَهُمْ حَسَرٰاتٍ عَلَيْهِمْ وَ مٰا هُمْ بِخٰارِجِينَ مِنَ النّٰارِ [سورة البقرة: ١٦٦- ١٦٧].

و الذي قال: يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمٰاهُمْ [سورة الرّحمن: ٤١].

و قال: وَ لَوْ تَرىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نٰاكِسُوا رُؤُسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ [سورة

السجدة: ۱۲].

يدل أنّ المجرم و العاصي لا يحتاج إلى النّطق و التكلّم و ذلك لأنّ حالهم معلوم من غير تكلّم، لأنّهم بلسان الحال يتكلّمون و ما لهم سعود بذلك، و الشّاهد عليه قوله:

وَ عَلَى الْأَعْرٰافِ رِجٰالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمٰاهُمْ [سورة الأعراف: ٤٦].

و قوله: سِيمٰاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ [سورة الفتح: ٢٩].

و ذلك لو لم يكن كذلك، لم يكن اللّه تعالى يقول:

يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَ أَيْدِيهِمْ وَ أَرْجُلُهُمْ بِمٰا كٰانُوا يَعْمَلُونَ [سورة النور: ٢٤].

لأنّ الأيدي و الأرجل ما لها قوّة النطق الإنساني، و إن كان اللّه على كلّ على أهل النار، و تحقّق أحوالهم و أفعالهم و عرفوا أنّهم من أهل النار فحقّ لهم أن يتخاصموا بعضهم مع بعض و يلعن بعضهم بعضا، كالتابع للمتبوع، و المتبوع للتابع، و الإمام للمأموم. و بالعكس، كما قال تعالى:

(المتّقون هم طائفة واحدة و ليس بينهم تناكر)

الْأَخِلاّٰءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ [سورة الزخرف: ٦٧].

لأنّ المتّقين هم طائفة واحدة في الحقيقة و ليس بينهم تناكر و لا تخالف حتى يكفر بعضهم بعضا و يلعن بعضهم بعضا بل مطلوبهم واحد و سلوكهم واحد و مقصدهم واحد كما بيّنّاه في الوجه المتقدّم على هذا

الوجه، و الله أعلم و أحكم.

(في بيان التطبيق بين الكريمتين التخاصم)

و منها قوله:

لاٰ تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَ قَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ [سورة ق: ۲۸].

و قوله: إِنَّ ذٰلِكَ لَحَقٌّ تَخاصُمُ أَهْلِ النّٰارِ [سورة ص: ٦٤].

فإنهما أيضا متناقضتان، لكن ليس في الحقيقة بينهما تناقض، لأن قوله: لا

تختصموا لديّ إلى آخره، بمعنى أنه لا تختصموا لدي الآن فإنه لا ينفعكم و إني قد قدمت إليكم بالوعيد في الدنيا و بيّنت لكم الفساد و الصلاح، فمن أبصر فلنفسه و من عمى فعليها.

و قوله: و إنّ ذلك لحق تخاصم أهل النار، بمعنى أنّه إذا ظهر حال أهل النار على أهل النار، و تحقّق أحوالهم و أفعالهم و عرفوا أنّهم من أهل النار فحق لهم أن يتخاصموا بعضهم مع بعض و يلعن بعضهم بعضا، كالتابع للمتبوع، و المتبوع للتابع، و الإمام للمأموم. و بالعكس، كما قال تعالى:

وَ قٰالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنٰا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلاّٰنٰا مِنَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ نَجْعَلْهُمٰا تَحْتَ أَقْدٰامِنٰا لِيَكُونٰا مِنَ الْأَسْفَلِينَ [سورة فصّلت: ۲۹].

و هذا البحث قريب إلى ما سبق أعني كل ذلك يكون بلسان الحال دون لسان المقال و الحديث وحده.

(المراد من النظر إلى الرّبّ في يوم القيامة)

و منها قوله: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نٰاضِرَةٌ إِلىٰ رَبِّهٰا نٰاظِرَةٌ [سورة القيامة: ۳۲].

و قوله: لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ وَ هُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصارَ وَ هُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ [سورة الأنعام: ۱۰۳].

فإن هذان القولان متناقضان بحسب الظاهر، لأن قوله: إلى ربها ناظرة، مراده إلى ثواب ربها أو إلى نعم ربّها ناظرة، أو إلى جنة ربها ناظرة، و هذا غير دال على أنه ينظر إلى اللّه بعين الباصرة، لأن الباصرة إدراكها موقوف على شرائط، منها التقابل و عدم البعد المفرط و القرب المفرط، و رفع الموانع، و اللون و أمثال ذلك، و جل جناب الحق عن مثل هذه النّقائص، فحينئذ لا تدركه الأبصار أبدا، و الذي قال تعالى مخاطبا لموسى (ع)- و إن كان المراد به في الحقيقة الأمّة كما سنبيّنه- بقوله:

لَنْ تَرانِي [سورة الأعراف: ۱٤۳].

دال على عدم الرؤية بالبصر أبدا لأن لن لنفي الأبد، فأبدا على هذا التقدير

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‏۱، ص ۴۱۸

لا يمكن إدراكه بعين الباصرة، و هذا هو الحق و الصدق في هذا المقام، لأنه تنزيه اللّه عن صفة الجسميّة و التحيّز و الإمكان و أمثال ذلك، كما وصف نفسه به.

و قال:

لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْ‏ءٌ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ [سورة الشورى: ۱۱].

و يكفي في هذا قوله:

لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ وَ هُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصارَ وَ هُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ [سورة الأنعام: ۱۰۳].

لأن هذا برهان قاطع على عدم الرؤية بالبصر، و الله أعلم و أحكم، هذا تأويل الآيات التي ذكرنا في الوجه الأول مجملا، و شرطنا أن نفسّرها مفصلا.

(المراد من وجه الرّبّ في القرآن)

و أما الآيات التي ما سبق ذكرها و تحتاج في هذا المكان إلى التأويل، فكقوله عزّ و جل:

كُلُّ شَيْءٍ هٰالِكٌ إِلاّٰ وَجْهَهُ.

فإن الوجه ها هنا ليس بمعنى الوجه الذي للإنسان أو الحيوان بل المراد به عند أهل الظاهر، الطاعة و الدين و الرضا و أمثال ذلك، لقوله:

إِنَّمٰا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لاٰ نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزٰاءً وَ لاٰ شُكُوراً [سورة الإنسان: ٩].

و عند أهل الباطن الوجود و الذات الحقيقة، لقوله:

كُلُّ مَنْ عَلَيْهٰا فٰانٍ وَ يَبْقىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلاٰلِ وَ الْإِكْرٰامِ [سورة الرحمن: ٢٦- ٢٧].

و لقوله: فَأَيْنَمٰا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ [سورة البقرة: ١١٥].

لأنه المطلق و المطلق لا يتقيد بجهة من الجهات، بل يحيط بالكل لقوله:

بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ [سورة فصلت: ٥٤].

و من هذا قيل:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج١، ص ٤١٩

تجلّى لي المحبوب من كل وجهة

فشاهدته في كل معنى و صورة

و هاهنا أبحاث كثيرة ستأتي في موضعها إن شاء اللّه.

(المراد من النفخ و الروح)

و كقوله: وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي [سورة الحجر: ٢٩].

فإن معناه: إني نفخت من روحي الأعظم الكلي الحقيقي المشار إليه في قول حبيبي و خليفتي و رسولي:

أول ما خلق اللّه تعالى الروح، و أول ما خلق اللّه تعالى نوري، و أول ما خلق اللّه تعالى العقل [قد مرت الإشارة إليه في التعليقة ٧٣ فراجع].

لأن الكل بمعنى واحد و هو الروح الأعظم، و يكون تقديره، إني نفخت من الروح الأعظم الكلي روحا جزئيا في آدم و ذرّيته، و النفخ هاهنا بمعنى وهبت، أو بمعنى: أضفت إليهم من الروح الكلي الروح الجزئي، فهذه الإضافة تكون كإضافتي إلى نفسي السماء و الأرض و العبد و البيت و الجنة و النار، فكما لا يلزم من هذه الإضافات أن السماء و الأرض و البيت و العبد، يكون جزءا مني، فكذلك لا يلزم من هذه الإضافة أن روح آدم كان جزءا منفصلا منّي، جلّ جنابي عن أمثال ذلك، ما للتراب و ربّ الأرباب، إِنَّ مَثَلَ عِيسىٰ عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرٰابٍ [سورة آل عمران: ٥٩].

المراد من النفس في قوله تعالى: تَعْلَمُ مٰا فِي نَفْسِي

و كقوله عزّ و جلّ:

تَعْلَمُ مٰا فِي نَفْسِي وَ لاٰ أَعْلَمُ مٰا فِي نَفْسِكَ [سورة المائدة: ١١٦].

فإن معناه أنه يقول: تعلم ما في ذاتي و طبيعتي من الأفكار و الأسرار و العلوم و غير ذلك، و لا أعلم ذاتك و حقيقتك من العلوم و الحقائق و الأسرار. و قوله في موضع آخر:

وَ يُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ [سورة آل عمران: ٢٨].

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج١، ص ٤٢٠

فإن معناه، أي و يحذّركم الله عقابه و انتقامه، إذا نسبتم إليه شيئا لا يليق به، و الأصح أن المراد بالنفس حقيقة الشيء و ذاته، لكن تطلق النفس تارة على الحقيقة، و تارة على الذات، و تارة على الوجود، و تارة على الأفعال الصادرة من ذي النفس، و لا يلزم من هذا تناقض و لا تعارض.

(المراد من يد اللّه سبحانه في القرآن)

و كقوله عزّ و جلّ: يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ [سورة الفتح: ١٠].

بل: يَدٰاهُ مَبْسُوطَتٰانِ [سورة المائدة: ٦٤].

فإن معناه، قدرة اللّه فوق قدرتهم و نعمته فوق نعمتهم، لأنّ اليدان عبارتان عن النعمتان المعبرتان: من نعمته الظاهرة و الباطنة، لقوله:

وَ أَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظٰاهِرَةً وَ بٰاطِنَةً [سورة لقمان: ٢٠].

و العادة قد جرت أنّه إذا كان هناك رجل كريم يقال له يد (يده) مبسوطة و المراد: تكون النعمة المبسوطة، هذا على طريق أهل الظاهر، و أمّا على طريقة أهل الباطن، فالمراد باليدين الصفتان المتقابلتان، كالصفة الجلالية، و الصفة الجمالية المتقدم ذكرهما، و في هذا قال جل ذكره:

يٰا إِبْلِيسُ مٰا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمٰا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ [سورة ص: ٧٥].

و ورد الحديث القدسي:
خمرت طينة آدم بيدي أربعين صباحا [و قد مرّت الإشارة إليه في التعليقة ١٠٣ فراجع].
و المراد هما الصفتان المذكورتان اللتان تشملان العالم كله من السموات و الأرض و ما بينهما بدلالة قوله:
وَ الْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَ السَّماواتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ [سورة الزمر: ٦٧].
لأنه أضاف الأرض إلى اليد اليسرى و السموات إلى اليد اليمنى، و ليس هناك غير هذين المظهرين شيء آخر، لأن السموات عبارة عن جميع الروحانيات

و المجرّدات و العقول و النفوس و ما شاكل ذلك، و الأرض عبارة عن جميع الجسمانيات و العنصريات و المركبات المشار إليها و غير ذلك.
و من هذا ذهب أهل الباطن إلى أن الأرض بالنسبة إلى آدم الحقيقي الذي هو العالم و الإنسان الكبير، كاليد اليسرى، و السموات كاليد اليمنى لمناسبة فيضان البركات و النعمة من اليمين إلى اليسار و من العلو إلى السفل، و من الجمال إلى الجلال، و معلوم أن اليمين ما سمّى يمينا إلا لليمن و البركة التي فيه، و اليسر يسارا إلاّ لسهولة الأخذ و التصرف فيه لأنّ الجمادات و العنصريات أقرب إلى السهولة في التصرف من الروحانيات العلويات سيما بالنسبة إلى أهل الظاهر، و هاهنا أبحاث.
و حيث كانت الأرض، و أكثر من عليها مائلا إلى الشر و الفساد و الفتنة، كما

قالت الملائكة:

أَ تَجْعَلُ فِيهٰا مَنْ يُفْسِدُ فِيهٰا وَ يَسْفِكُ الدِّمٰاءَ وَ نَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَ نُقَدِّسُ لَكَ [سورة البقرة: ٣٠].

نسب أهلها إلى أصحاب الشمال و جعلهم من أهل النار.

و حيث كانت السموات و من عليها مائلا إلى الخير و الصلاح كما قالت الملائكة أو قال تعالى فيهم:

لاٰ يَعْصُونَ اللّٰهَ مٰا أَمَرَهُمْ وَ يَفْعَلُونَ مٰا يُؤْمَرُونَ [سورة التحريم: ٦].

نسب أهلها إلى أصحاب اليمين و جعلهم من أهل الخير، و قال في أصحاب اليمين:

وَ أَصْحٰابُ الْيَمِينِ مٰا أَصْحٰابُ الْيَمِينِ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ وَ طَلْحٍ مَنْضُودٍ وَ ظِلٍّ مَمْدُودٍ وَ مٰاءٍ مَسْكُوبٍ وَ فٰاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ لاٰ مَقْطُوعَةٍ وَ لاٰ مَمْنُوعَةٍ [سورة الواقعة: ٢٧- ٣٣].

و قال في أصحاب الشمال:

وَ أَصْحٰابُ الشِّمٰالِ مٰا أَصْحٰابُ الشِّمٰالِ فِي سَمُومٍ وَ حَمِيمٍ وَ ظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ لاٰ بٰارِدٍ وَ لاٰ كَرِيمٍ إِنَّهُمْ كٰانُوا قَبْلَ ذٰلِكَ مُتْرَفِينَ [سورة الواقعة: ٤١- ٤٥].

و في خلق أشرف الموجودات الذي هو الإنسان في الأرض، و جانب اليسار من الإنسان الحقيقي، المنسوب إلى أهل الشمال سر عظيم يعرف في خلق أشرف

الأعضاء الذي هو القلب في الجسد في جانب اليسار من الإنسان الصغير

المنسوب إلى أهل الشمال، وَ لَهُ الْمَثَلُ الأَعْلىٰ فِي السَّماٰواٰتِ وَ الأَرْضِ [سورة النحل: ٦٠ و سورة الروم: ٢٧].

(المراد من جنب اللّه)

و كقوله عزّ و جلّ: عَلىٰ ماٰ فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ [سورة الزمر: ٥٦].

الجنب عند أهل الشريعة الطاعة، و معناه أي ما قصرت في طاعته و مرضاته، و عند أهل الحقيقة الجانب اليسار من الإنسان الكبير الحقيقي الذي هو الأرض كما سبق ذكره في معنى اليد، و معناه أي ما قصرت في الأرض الذي جنب اللّه في الحقيقة إذا كنت فيها و كنت متمكّنا في طاعة اللّه و تحصيل مرضاته، و جنب اللّه و جنب أنبيائه و أوليائه يكون بمعنى واحد إذا أردناه الطاعة، لقوله:

مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطاٰعَ اللهَ [سورة النساء: ٨٠].

و لقوله:

أَطِيعُوا اللهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ [سورة النساء: ٥٩].

و ورد تأويل الجنب بالنبي و الإمام و الخليفة و القطب، و الكل صحيح، و يكون حينئذ تقديره:

وا حسرتا على ما فرّطت في جنب اللّه أي في معرفة جنب اللّه الذي هو الرسول و الإمام و الخليفة، و طاعتهم و متابعتهم، و ورد في بعض خطب أمير المؤمنين (ع):

أنا جنب اللّه التي فرّطتم فيها و أنا وجه اللّه الذي يتوجّه به إليه (١٠٨).

(١٠٨) قوله: و ورد في بعض خطب أمير المؤمنين: أنا جنب اللّه التي الحديث.

أقول: ورد في مضمونه و معناه أيضا أحاديث متعددة و بألفاظ مختلفة و أسانيد متفرقة نذكر هاهنا بعضها مزيدا للفائدة:

(أ) روى محمد بن يعقوب الكليني في كتابه أصول الكافي ج ١، ص ١٤٥ بإسناده عن

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج١، ص ٤٢٣

(المقصود من سميعية الحق سبحانه)

و كقوله عزّ و جلّ:

وَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ [سورة الشورى: ١١].

فإن معناه بحسب الشريعة، العالم بالمسموعات و المبصرات، فيكون سميعا

هاشم بن أبي عمارة الجنبيّ قال: سمعت أمير المؤمنين (ع) يقول: أنا عين اللّه، و أنا يد اللّه، و أنا جنب اللّه، و أنا باب اللّه.

و مثله في بصائر الدرجات، باب ٣، ص ٦١، الحديث ٢.

(ب) و أيضا روي بإسناده عن علي بن سويد، عن أبي الحسن موسى بن جعفر (ع) في قول اللّه عزّ و جلّ: **يٰا حَسْرَتىٰ عَلىٰ مٰا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللّٰهِ [سورة الزمر، الآية: ٥٦]. قال جنب اللّه:**

أمير المؤمنين (ع)، و كذلك ما كان بعده من الأوصياء بالمكان الرفيع إلى أن ينتهي الأمر

إلى آخرهم.

و مثله في بصائر الدرجات باب ٣، ص ٦٢، حديث ٦، و ٨ و ١٢.

(ج) في بصائر الدرجات ص ٦٤ ح ١٣ بإسناده عن عبد المزاحم بن كثير عن الصادق (ع) قال:

كان أمير المؤمنين (ع) يقول: أنا علم اللّه، انا قلب اللّه الواعي، و لسان اللّه الناطق، و عين اللّه الناظر، و أنا جنب اللّه، و أنا يد اللّه.

(د) في علل الشرائع للشيخ الصدوق (رحمة اللّه) ص ١٦٤، ح ٣، باب ١٣٠ بإسناده عن المفضل بن عمر عن الصادق (ع) قال: قال أمير المؤمنين (ع): أنا قسيم اللّه بين الجنّة و النّار، و أنا الفاروق الأكبر و أنا صاحب العصا و الميسم.

(ه) في الأمالي للشيخ الطوسي الجزء الثامن ص ٢٠٩ بإسناده عن سعيد الأعرج عن الصادق (ع) قال:

ما جاء عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب يؤخذ به و ما نهى عنه ينتهي عنه، جرى له من الفضل ما جرى لرسول اللّه (ص)، و لرسوله الفضل على جميع من خلق اللّه، العائب على أمير المؤمنين في شيء كالعائب على اللّه و على رسوله (ص)، و الرادّ عليه في صغير أو كبير على حدّ الشّرك باللّه، كان أمير المؤمنين (ع) باب اللّه لا يؤتى إلاّ منه، و سبيله الّذي من تمسّك بغيره هلك، كذلك جرى حكم الأئمّة (ع) بعده واحد بعد واحد، جعلهم اللّه أركان الأرض و هم الحجّة البالغة على من فوق الأرض و من تحت الثرى، أما علمت أنّ أمير المؤمنين (ع) كان يقول: أنا قسيم اللّه بين الجنّة و النّار، و أنا الصادق الأكبر، و أنا صاحب عصا و الميسم، و لقد أقرّ لي جميع الملائكة و الرّوح بمثل ما أقرّوا لمحمّد (ص)، و لقد حملت مثل حمولة محمّد و هي حمولة الربّ، و إنّ محمّد يدّعى

فيكسى و يستنطق و أدّعى فاكسى و أستنطق فأنطق، و لقد أعطيت خصالا لم يعطها أحد قبلي، علمت البلايا، و القضايا، و فصل الخطاب.

فلاحظ في هذا تعليقنا، ١١٥ و ١١٦ و ٢٠- ١٩- ٢٠ أيضا.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج١، ص ٤٢٤

بصيرا بهذا المعنى، و أما بحسب الحقيقة فهو أنه السميع و البصير حقيقة، بمعنى أنه هو السميع البصير في الحقيقة لا غير، لأن الألف و اللام في السميع و البصير، يفيد الحصر في السّميعيّة و البصيريّة، كقولك: هو الرجل، أي الكامل في الرجولية الجامع لما يكون في الرجال من خيار الخصال، أو لقولك هو العالم أي الكامل في العالمية الجامع لما يكون في العالم من فنون العلوم.

و ورد في الحديث القدسي:

لا يزال العبد يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته فكنت سمعه و بصره و لسانه و يده و رجله، فبي يسمع و بي يبصر و بي ينطق و بي يبطش و بي يمشي. [مرّت الإشارة إليه في التعليقة ٨٥ فراجع].

و بيان ذلك و هو أن السالك إذا وصل إلى مقام الفناء و حصل له البقاء بعد الفناء و شاهد الكل بعين الحق، و الحق بعين الكل، عرف أنه السامع و المستمع و الناظر و المنظور و الكلام و المتكلّم و المريد و المراد و الطالب و المطلوب و العاشق و المعشوق، كما قال بعضهم:

فلمّا أضاء الليل أصبحت عارفا   بأنّك مذكور و ذكر و ذاكر

(المراد من مجيء الربّ)

و كقوله عزّ و جلّ:

وَ جاءَ رَبُّكَ وَ الْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا [سورة الفجر: ٢٢].

و كقوله: هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمامِ وَ الْمَلائِكَةُ [سورة البقرة: ٢١٠].

فإنّ المراد بالمجيء ليس مجيئه بنفسه، كمجيء الإنسان برجل بل المجيء هو مجيء أمره، امّا في الدنيا بالتكليف و الابتلاء، و امّا في الآخرة بالثواب و الجزاء و غيرهما، لأنّ المجيء المعهود من الإنسان و الحيوان يوجب الإمكان و المكان و التحيّز و الجهة و جنابه منزّه عن أمثال ذلك.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ١، ص ۴۲۵

(المراد من استوى الربّ على العرش)

و كقوله: الرَّحْمٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوىٰ [سورة طه: ٥].

فإن معناه أن الرحمن على العرش استوى أي غلب عليه و ظهر فوقه بالقوة و القدرة، و تخصيص التغلب (التغليب) و القدرة بالعرش مع استواء هذا المعنى في الكلّ، لأنّ العرش أعظم الأشياء في هذا العالم، و الغالب على الأعظم يكون غالبا على الأصغر بطريق أولى، و هذا من طريق المفسّرين و أهل الظّاهر، و أمّا في طريق المحقّقين و أرباب الباطن و فيه بسط و تأويل طويل، سيجيء في موضعه إن شاء الله، لأنّ هذا المكان لا يحتمل مجموعه

و إن شرعنا في بعضه لا ينفع، لأنّ البعض بدون الكلّ في أكثر المواضع غير مفيد خصوصا بالنسبة إلى هذا الموضع، و اللّه أعلم و أحكم.

و أما قوله عزّ و جلّ:

وَ مَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي [سورة طه: ۸۱].

و قوله: وَ مَكَرُوا وَ مَكَرَ اللّٰهُ [سورة آل عمران: ٥٤].

و قوله: يُخٰادِعُونَ اللّٰهَ وَ هُوَ خٰادِعُهُمْ [سورة النساء: ١٤٢].

و قوله: اللّٰهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَ يَمُدُّهُمْ فِي طُغْيٰانِهِمْ [سورة البقرة: ١٥].

و أمثال ذلك من الأقوال الدالة على التشبيه و التّجسيم و الاتّصاف بصفات الخلق، فالكل راجع إلى شيء واحد، و هو جزاؤه لهم في كل ذلك يوم القيامة بالعذاب و النكال، أو في الدنيا بالابتلاء في الأموال و الأنفس، فيكون تقديره: أنه المعطي جزاء المكر و السّخريّة و الاستهزاء و الخدع.

و الغضب من اللّه ليس إلاّ من عدم الرّضا و حلول العذاب على المغضوب عليه، و هذا من حيث الظاهر، و أمّا من حيث الباطن، فتقابل الأسماء، كالجلاليّة و الجماليّة، و اللّطفيّة و القهريّة، فإنّ الوجود مترتّب على ترتيب الأسماء، فبإزاء كل اسم من أسماء اللّه الجماليّة اسم آخر من الأسماء الجلاليّة، و كذلك مظاهرهما، و تارة يغلب مظهر الاسم القهّار على اللّطيف، و تارة مظهر الاسم اللّطيف على

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‏١، ص ۴۲۶

القهّار، كإبليس مثلا على آدم، و نمرود على إبراهيم، و فرعون على موسى، و أبو جهل على محمّد (ص)، و إليه الإشارة بقوله:

وَ كذٰلِكَ جَعَلْنا لِكلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنْسِ وَ الجِنِّ [سورة الأنعام: ١١٢].

و في الحقيقة ليس الحشر في الآخرة إلا كذلك، لقوله تعالى:

يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمٰنِ وَفْداً [سورة مريم: ٨٥].

و المراد أن حشر المتّقين كله يكون إلى الرحمن، و حشر المجرمين يكون إلى القهار، و كذلك جميع المظاهر.

و في هذا المعنى قيل:

فلا عبث و الخلق لم يتركوا سدى
و إن لم تكن أفعالهم بالسّديدة

على سمة الأسماء تجري أمورهم
و حكمة وصف الذات للحكم أجرت

«١٠٩» و فيه قيل:

جمالك في كل الحقائق سائر　　و ليس له إلاّ جلالك ساتر

تجلّيت للأكوان خلف ستورها　　فنمّت بما ضمّت عليه السّائر

هذا آخر تأويل بعض المتشابهات في القرآن الموعودة في المقدمات على سبيل الأنموذج و الاختصار. و أمّا على سبيل البسط و التطويل فسيجيء

تاویل کل آية في موضعها إن شاء الله.

و حيث فرغنا من هذا في هذا الوجه، فلنشرع في الوجه الخامس و بيان أن التأويل حق التأويل مخصوص بالعلماء الراسخين من أهل البيت (ع) و تابعيهم من أرباب التوحيد دون غيرهم، هذا و بالله التوفيق.

---

(۱۰۹) قوله: فلا عبث و الخلق لم يتركوا سدى الشعر.

قائله ابن الفارض، مشارق الدراري ص ٦٣١. [.....]

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۱، ص ۴۲۷

الوجه الخامس في بيان أن التأويل مخصوص بالعلماء الراسخين من أهل بيت النبي (ص) و تابعيهم من أرباب التوحيد دون غيرهم

اعلم أن إثبات الشيء لا يخلو من وجوه ثلاثة، إما أن يكون بالنّقل أو العقل أو الكشف، و قد ثبت بهذه الوجوه الثلاثة عند المحققين من أهل اللّه، أن الرسوخ في العلم، مخصوص بأهل البيت (ع) و تابعيهم من أرباب التوحيد لا غير.

و إثبات هذا المعنى هاهنا يحتاج إلى أبحاث كثيرة مشتملة على النقل و

العقل و الكشف، فإن كل عالم من علماء الإسلام ينسب هذا المعنى إلى نفسه، و يعد نفسه من العلماء الراسخين و إن لم يكن كذلك.

فالبحث الأول منها، في إثبات خصوصية التأويل بهم متمسّكا بقول اللّه تعالى و قول رسوله و قول الأئمة و أهل البيت من ذريّته (ع)

و أما قول اللّه تعالى:

فالذي قال:

يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنٰازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَ الرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ ذٰلِكَ خَيْرٌ وَ أَحْسَنُ تَأْوِيلاً [سورة النساء: ۵۹].

و قال:

وَ إِذٰا جٰاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذٰاعُوا بِهِ وَ لَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَ إِلىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَ لَوْ لاٰ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطٰانَ إِلاَّ قَلِيلاً [سورة النساء: ۸۳].

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۱، ص ۴۲۸

(المراد من أولي الأمر)

و بيان ذلك، و هو أن أولى الأمر المشار إليه و بمتابعته وجوبا، إمّا أن يكون شخصا معيّنا أو أشخاصا معيّنين، أو يكون المراد به السّلاطين الصورية، كما هو رأي بعض الناس.

فإن كان الأول يجب أن يكون هذا الشخص المشار إليه معيّنا في زمان الرسول (ع) و إلا يلزم هناك الأمر بالإجمال و الإهمال من غير تحقيق و تعيين، و هذا عبث منه و العبث على اللّه تعالى محال، لقوله:
أَ فَحَسِبْتُمْ أَنَّما خَلَقْناكُمْ عَبَثاً وَ أَنَّكُمْ إِلَيْنا لا تُرْجَعُونَ [سورة المؤمنون: ١١٥].
لأن الناس إذا لم يكن لهم علم بوجود هذا أولي الأمر فكيف يطيعونه و متابعة المجهول من جميع الوجوه مستحيلة.
و مثال ذلك مثال ملك من الملوك يقول لعبيده: أطيعوا الأمير و لم يعيّن لهم أيّ أمير، فإنّه لا بدّ و أن يحصل لهم من هذا تحيّر في الأمير، لأن الأمراء كثيرون و ليس لهم علم بمراد الملك، فيجب على الملك حينئذ تعيين أمير و إلا لا يمكن مطاوعتهم له و يقع فعله عبثا، و كذلك في تعيين أولى الأمر المذكور، فإنه يجب على اللّه تعالى تعيينه في زمان الرسول حتى لا يلزم الفساد المعلوم، فإذا عيّنه اللّه تعالى، فهذا المعين إمّا كان واحدا أو كان جماعة أو كان كلّ الأمة.
إن كان كل الأمة فهذا محال لأن الكل لا يقدر أن يطيع الكل لأنه ممتنع، الخليفتين و الإمامين نافذي الحكم في زمان واحد غير جائز، و كذلك في الرسل دون الأنبياء (ع).
و إن كان واحدا فذلك الواحد كان معصوما أو لا، فإن كان معصوما فثبت بدعوى الخصم أنّه كان عليّا (ع)، لأنّ بعد النبيّ لم يكن في صدد الخلافة باتّفاق المهاجرين و الأنصار إلاّ ثلاثة: عليّ و أبا بكر و عبّاس، و بقول الخصم أبا بكر و عبّاس ليسا معصومين، بل ليس عنده أحد بمعصوم، فلا

يبقى إلا عليّ.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج١، ص ٤٢٩

(إثبات مقام العصمة لعليّ (ع)

و أما ثبوت العصمة لعلي (ع) فلوجهين:

أما الأوّل فلأنّه أثبت العصمة لنفسه و لا يثبت الشيء لنفسه خليفة اللّه و رسوله، إلاّ أن يكون واقعا حقّا، و عليّ خليفة اللّه و خليفة رسوله بالاتفاق، أما عند الشيعة فالأوّل و أما عند السنة فالرابع، فيكون قوله حقا واقعا، فإن الكذب يستحيل صدوره عنه سيّما إذا تحققت عصمته، و الصدق و عدم الكذب لو لم يكن من لوازم خلفاء اللّه و أمنائه ما صرنا مأمورين بمتابعتهم وجوبا لقوله تعالى:

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَ كُونُوا مَعَ الصّادِقِينَ [سورة التوبة: ١١٩].

و بيان هذا القول يعضد القول الأول، لأنّا نقول هذا الصادق الذي يجب علينا متابعته وجوبا، يجب أن يكون صادقا في جميع ما قال و إلا لكان يجب علينا متابعته فيما لا يكون صادقا فيه، و ذلك لا يجوز.

و إذا كان صادقا في كل الأمور، فذلك الصادق إما أن يكون معينا أو غير معيّن، و الثاني باطل و إلا لزم الإجمال و التعطيل، و الأول إما أن يكون ذلك المعين جميع الأمة أو بعضهم، و الأول باطل بالضرورة فبقي الثاني، فيجب أن يكون في الأمة شخص معين معصوم لا يجوز عليه خطأ، عمدا كان أو سهوا، صغيرا كان أو كبيرا، و هذا هو المطلوب.

و أما الثاني فلأنه قد ثبت بالبراهين العقلية أن الزمان قط لا يجوز أن يكون خاليا من إمام معصوم و إلا يلزم منه الإخلال بالواجب عن اللّه تعالى و الإخلال بالواجب عن اللّه تعالى محال، فمحال أن يكون زمان من الأزمنة خاليا عن الإمام المعصوم و يعرف هذا من سرّ بقاء المهدي (ع) كل من أقر بوجوده و بقائه.

و بيان ذلك، و هو أن اللطف واجب على اللّه تعالى عقلا، و اللطف في الاصطلاح هو الذي يكون العبد به إلى الطاعة أقرب و من الفساد أبعد، كإنزال الكتب و بعثة الرسل و تعيين الإمام، و إعطاء العقل و القدرة و وجوب التكليف و غير ذلك، و هذا كله واجب على اللّه تعالى لأنه لو لم يفعل ذلك يكون ناقضا لغرضه و نقض الغرض على الحكيم محال.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ۱، ص ۴۳۰

أما الأول فلأنه قال:

مٰا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلاّٰ لِيَعْبُدُونِ [سورة الذّاريات: ۵۶].

فالجن و الإنس إن لم يبعث إليهم الكتب و الرسل ليعلمونهم التكليف و العبادة فكيف يعبدونه؟ فوجب عليه اللطف حينئذ بالضرورة.

و أما الثاني فلأنه لو لم يفعل ذلك لا يحصل غرضه الذي هو العبودية فيكون مخلاّ بشيء يوجب نقض غرضه و هذا محال عن الحكيم، لأن الحكيم هو الذي لا يفعل القبيح، و لا يخلّ بالواجب، فإذا أخلّ بالواجب لا يكون حكيما لأنه قبيح عقلا.

و وجه آخر و هو أنه لو فرض زمان لا يكون فيه من هذه الألطاف شيء، يلزم

منه الفساد المذكور، فيجب أن لا يكون زمان إلا و يكون فيه إمّا نبيّ معصوم أو إمام معصوم، فبعد الرسول (ص) لا يجوز أن يكون الزمان خاليا من إمام معصوم بعد أن ثبت أن النبوة ختمت بنبيّنا و لا يجوز وجود نبيّ بعده، و أبو بكر و عباس لم يكونا معصومين بمدّعى الخصم و غيرهما بطريق الأولى مع أن عنده ليس أحد بمعصوم، فيجب أن يكون المعصوم في ذلك الزمان عليّا لا غير، و كذلك الإمام، أعني لا يجوز أن يكون الإمام إلا هو، و هذا كله دلائل عقلية على عصمته و على أنّه هو (اولى الأمر) المشار إليه في الآية (سورة النساء ۵۹)، هذا على تقدير أن يكون المشار إليه بأولي الأمر يكون معصوما.

و أما إن كان غير معصوم فلا يجوز متابعته أصلا و لا يأمر الحق تعالى به أيضا لأن الأمر بمتابعة غير المعصوم الذي يمكن وقوع الفسق منه لا يجوز من الحكيم الكامل، لأن الأمر بمتابعة الفاسق فسق، و قد تحقق هذا المعنى في عدم متابعة غير الصادق و غير المعصوم، بعد أنه مقرر في العلوم العقلية و البراهين القطعية، أن تقدّم المفضول على الفاضل قبيح و معلوم أن المعصوم أفضل من غير المعصوم، فيكون تقدمه أولى، فيلزم من هذا أن في زمان النبي و بعده لا يستحقّ اسم الإمارة و لا اسم (اولي الأمر) إلاّ الذي يكون معصوما من الخطأ و الخلل، و عليّ كان كذلك فيكون هو أولى الأمر، و بعده ولديه الحسن و الحسين، لأنهما كانا معصومين أيضا كما ستعرف، و لقول النبي (ع):

هذان ابناي، إمامان، قاما أو قعدا «١١٠».

و هذا برهان قاطع على عصمتهما و إمامتهما، لأن قول المعصوم حجّة على جميع التقادير.

و أما القسم الثاني الذي هو السلاطين الصورية فهذا لا يجوز بوجوه:

الأول، أنه قد ثبت أن أولي الأمر يجب أن يكون معصوما و السلاطين الصورية ليسوا بمعصومين.

و الثاني، أن أكثر السلاطين الصورية يصدق عليهم اسم الفسق مع الجهل، و الحق تعالى لا يأمر عبيده بمتابعة الفاسق وجوبا، و الفسق أعمّ من أن يكون بشرب الخمر أو الزّنا، فإنّ اللّه تعالى سمّى الشيطان فاسقا، لقوله: و كان من الفاسقين [أقول: لم نجد في القرآن مثل هذا و لكن في سورة الكهف ٥٠]:

---

(١١٠) قوله: لقوله: هذان ابناي إمامان قاما أو قعدا.

أقول: قال ابن أبي جمهور في عوالي اللئالئ ج ٣ ص ١٢٩ حديث ١٤: و قد ثبت في الأحاديث الصحيحة عن النبيّ (ص) أنّه قال للحسن و الحسين (ع):

هذان ابناي إمامان قاما أو قعدا.

و في علل الشرائع للصدوق (رض) باب ١٥٩، حديث ٢، ص ٢١١ قال: حدثنا علي بن أحمد بن محمد رحمه اللّه قال: حدثنا محمّد بن موسى بن داود الدقاق قال: حدثنا الحسن بن أحمد بن الليث، قال: حدثنا محمد بن حميد، قال: حدثنا يحيى بن أبي بكير، قال: حدثنا أبو العلاء الخفاف، عن أبي سعيد عقيصا قال: قلت للحسن بن علي بن أبي

طالب: يا ابن رسول اللّه لم داهنت معاوية و صالحته و قد علمت أنّ الحق لك دونه، و أن معاوية ضال باغ؟ فقال:

يا أبا سعيد ألست حجّة اللّه تعالى ذكره على خلقه و إماما عليهم بعد أبي (ع)؟ قلت: بلى، قال:

ألست الّذي قال رسول اللّه (ص) لي و لأخي: الحسن و الحسين إمامان قاما أو قعدا؟ قلت: بلى، قال: فأنا إذن إمام لو قمت، و أنا إمام إذ قعدت، يا أبا سعيد علّة مصالحتي لمعاوية، علّة مصالحة رسول اللّه (ص) لبني ضمرة و بني أشجع و لأهل مكّة حين انصرف من الحديبيّة، أولئك كفّار بالتنزيل، و معاوية و أصحابه كفّار بالتأويل، يا أبا سعيد إذا كنت إماما من قبل اللّه تعالى ذكره لم يجب أن يسفه رأيي فيما أتيته من مهادنة أو محاربة، و إن كان وجه الحكمة فيما أتيته ملتبسا، ألا ترى الخضر (ع) لما خرق السفينة، و قتل الغلام، و أقام الجدار؟ سخط موسى (ع) فعله لاشتباه وجه الحكمة عليه حتّى أخبره فرضي، هكذا أنا، سخطتم عليّ بجهلكم بوجه الحكمة فيه و لولا ما أتيت لما ترك من شيعتنا على وجه الأرض أحد إلاّ قتل. ذكره أيضا المجلسي في بحار الأنوار ج ٤٤ ص ١ ح ٢.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ١، ص ۴٣٢

كٰانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ.

و الشيطان لم يشرب خمرا و لم يفعل زنا، و المراد أن كل من خالف اللّه بشيء من الأوامر و النواهي و هو فاسق، و الفسق هو الخروج عن أمر اللّه مطلقا.

(في بيان أنّ أولى الأمر الذين ثبتت عصمتهم و تجب متابعتهم بعد النبي (ص) هم أهل البيت (ع))

و إذا تقرّرت هذه القواعد و تحققت هذه الضوابط، فنقول:

هذا (أولي الأمر) الذي كان بعد النبي، و ثبتت عصمته و أمرنا اللّه تعالى بمطاوعته و متابعته و أمرنا بطاعة أهل بيت الرسول (ص) و سمّاهم بأولى الأمر بعده بقول اللّه و قول الرسول.

أما قول اللّه تعالى فالذي سبق الآن:

وَ لَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَ إِلىٰ أُولِي الأَمْرِ مِنهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ [سورة النساء: ٨٣].

و قوله: فَإِنْ تَنٰازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَ الرَّسُولِ [سورة النساء: ٥٩].

و أما الذي سبق في الخطبة فقوله:

فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاٰ تَعْلَمُونَ [سورة النحل: ٤٣].

فإنه دليل واضح على صدق هذا، لأن أهل الذكر ليس إلا أهله، لقوله تعالى فيهم:

وَ إِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَ لِقَوْمِكَ [سورة الزّخرف: ٤٤].

و هذا إشارة إلى القرآن بالاتفاق و بناء على هذا لا يجوز السؤال في القرآن حق السؤال إلا منهم و من تابعيهم على قدم الصدق و المحبة و لهذا أمر نبيّه أن يأمر أمّته بمحبّتهم في قوله:

قُلْ لاٰ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبىٰ [سورة الشورى: ٢٣].

لأن المودة توجب المتابعة و المتابعة توجب المحبة لقوله تعالى:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج١، ص ٤٣٣

قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ [سورة آل عمران: ٣١].

و المحبة توجب المناسبة و الدخول في المحبوب، لقوله:

فَادْخُلِي فِي عِبادِي وَ ادْخُلِي جَنَّتِي [سورة الفجر: ٣٠].

و الدخول في العباد بغير المناسبة مستحيل و المناسبة موقوفة على المحبة و المحبة على المتابعة، فتجب المتابعة حتى يحصل الكل، و ما حصل سلمان هذا المقام إلا من المحبة و المتابعة، لقول النبي (ص):

«سلمان منّا أهل البيت» «(١١١)»، و سيجيء ذكره و سرّه من قول غيرنا لك في هذا عقيب هذا البحث إن شاء اللّه.

---

(١١١) قوله: لقول النبيّ (ص): سلمان منّا أهل البيت.

روى الصدوق (رض) في أماليه المجلس الثالث و الأربعون ص ٢٠٨ في حديث بإسناده عن المسيب بن نجيّة عن علي (ع) قيل له (ع): فحدثنا عن سلمان الفارسي قال: أدرك علم الأوّل و الآخر و هو بحر لا ينزح و هو منّا أهل البيت. و روى الكشي ص ١٧ بإسناده عن الحسين بن صهيب عن أبي جعفر (ع) قال: ذكر عنده سلمان الفارسي، فقال أبو جعفر (ع) مه لا تقولوا: سلمان الفارسي و لكن قولوا: سلمان المحمدي ذلك رجل منا أهل البيت. و روى مثله أيضا في ص ٢٢.

و أيضا ص ١٧ بإسناده عن زرارة قال: سمعت أبا عبد اللّه (ع) يقول: أدرك سلمان العلم الأول و العلم الآخر و هو بحر لا ينزح و هو منّا أهل البيت.

في البحار ج ٢٢ ص ٣٢٩، ح ٣٨ عن الاحتجاج عن الأصبغ في حديث قال: قال ابن الكوّا: يا أمير المؤمنين أخبرني عن سلمان الفارسي قال: بخّ بخّ، سلمان منا أهل البيت، و من لكم بمثل لقمان الحكيم؟ علم علم الأوّل، و علم الآخر الحديث.

و أيضا ص ٣٣١ عن بصائر الدرجات بإسناده عن الفضل بن عيسى الهاشمي قال: دخلت على أبي عبد اللّه (ع) أنا و أبي فقال له: أمن قول رسول اللّه (ص): سلمان رجل منّا أهل البيت؟

فقال: نعم، فقال: أي من ولد عبد المطلب؟ فقال: منّا أهل البيت، فقال له: أي من ولد أبي طالب؟ فقال: منّا أهل البيت، فقال له: إنّي لا أعرفه، فقال: فاعرفه يا عيسى فإنّه منّا أهل البيت، ثمّ أومأ بيده إلى صدره، ثمّ قال: ليس حيث تذهب، إنّ اللّه خلق طينتنا من علّيّين و خلق طينة شيعتنا من دون ذلك، فهم منّا، و خلق طينة عدوّنا من سجّين، و خلق طينة شيعتهم من دون ذلك، و هم منهم، و سلمان خير من لقمان.

فلاحظ في ذلك أيضا تعليقتنا ٦٦ و ١٤٣ و في الأخير حديث يوضح ما هو معنى كون سلمان منهم أهل البيت (ع) فراجع و رواه أيضا في الجامع الصغير للسيوطي ص ٥٢، ٤٦٩٦، ج ٢ و الحاكم في المستدرك ج ٣، ص ٥٩٨ في كتاب معرفة الصحابة.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ١، ص ٤٣٤

و أما قول الرسول (ص)، فقوله:

«إني تارك فيكم الثقلين كتاب اللّه و عترتي من أهل بيتي، حبلان متّصلان لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا أبدا» (١١٢).

---

(١١٢) قوله: و أمّا قول الرّسول (ص) فقوله (ص):

إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب اللّه و عترتي الحديث.

الحديث مرويّ عن النبيّ (ص) متواترا بل فوق التواتر، و أنّه (ص) قاله في مواضع عديدة بألفاظ متفرقة، رواه أكابر علماء الإسلام من المحدثين و المفسّرين و غيرهم من العامّة و الخاصّة مسندا و مرسلا و بطرق كثيرة عن عدّة من الصحابة رضي اللّه عنهم و عن طريق أهل البيت (ع) في كتبهم المختلفة كثيرا، فإنّ الحديث ثابت عند المسلمين و متسالم عليه لدى علمائهم و هو من أعرف الأحاديث التي صدرت منه (ص)، و من الموارد الّتي صدرت منه (ص) هذا الحديث: يوم عرفة على ناقته القصوى، و في مسجد خيف، و في خطبة يوم الغدير في حجّة الوداع، و يوم قبض في خطبته على المنبر، هذا و نذكر هاهنا أمور:

الأوّل، أسامي أصحاب النبيّ (ص) الذين يروون الحديث عنه (ص).

الثاني، لفظ الحديث عن بعض المصادر.

الثالث، بعض ما يستفاد منه من الحقائق.

أمّا الأمر الأوّل، أسامي رواة حديث الثقلين عن النبيّ (ص) على ما في أسانيده المنقولة هكذا:

١- علي بن أبي طالب (ع)، ٢- فاطمة الزهراء (ع) بنت رسول اللّه (ص)، ٣- الحسن بن علي (ع)، ٤- سلمان الفارسي، ٥- أبو ذر الغفاري، ٦- ابن عباس، ٧- جابر بن عبد اللّه الأنصاري، ٨- أبو سعيد الخدري، ٩- زيد بن ثابت، ١٠- زيد بن أرقم، ١١- ثابت، ١٢-

زيد بن ثابت، ١٣- حذيفة بن أسيد الغفاري، ١٤- أبو هريرة، ١٥- أمّ هانئ، ١٦- أبو رافع، ١٧- جبير بن مطعم، ١٨- أنس بن مالك، ١٩- ابن أبي الدّنيا، ٢٠- عبد اللّه بن حنطب، ٢١- حمزة الأسلمي، ٢٢- عبد بن حميد، ٢٣- أمّ سلمة، ٢٤- محمّد بن فلاد، ٢٥- أبو الهيثم بن التيهان، ٢٦- حذيفة بن اليمان، ٢٧- خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين، ٢٨- البراء بن عازب، ٢٩- طلحة بن عبيد اللّه التميمي، ٣٠- عبد الرّحمن بن عوف، ٣١- سعد بن أبي وقّاص، ٣٢- عمرو بن العاص، ٣٣- سهل بن سعد، ٣٤- عدي بن حاتم، ٣٥- عقبة بن عامر، ٣٦- أبو أيّوب الأنصاري، ٣٧- أبو شريح الخزاعي، ٣٨- أبو قدامة الأنصاري، ٣٩- أبو ليلى الأنصاري، ٤٠- ضميرة الأسلمي، ٤١- عامر بن ليلى بن ضمرة.

و أمّا الأمر الثاني، فروى الصدوق في أماليه ص ٣٣٨، الحديث ١٥، من المجلس الرابع و الستّين، عن الحسن بن علي بن شعيب الجوهري، عن عيسى بن محمد العلوي، عن أبي عمرو أحمد بن أبي حازم الغفاري، عن عبيد اللّه بن موسى، عن شريك، عن الركين بن الربيع، عن القاسم بن حسان، عن زيد بن ثابت قال: قال رسول اللّه (ص): إني تارك فيكم الثقلين كتاب اللّه

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ١، ص ۴٣۵

عزّ و جلّ و عترتي أهل بيتي، ألا و هما الخليفتان من بعدي، و لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض.

و أيضا في كتابه الخصال باب الاثنين الحديث ٩٨، ص ٦٥، عن محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد، عن محمد بن الحسن الصفّار، عن محمد بن الحسين بن أبي الخطاب، و يعقوب بن يزيد جميعا، عن محمد بن أبي عمير، عن عبد الله بن سنان، عن معروف بن خرّبوذ، عن أبي الطفيل عامر بن واثلة، عن حذيفة بن أسيد الغفاري، قال: لمّا رجع رسول اللّه (ص) من حجّة الوداع، و نحن معه، أقبل حتّى انتهى إلى الجحفة فأمر أصحابه بالنزول فنزل القوم منازلهم، ثمّ نودي بالصلاة فصلّى بأصحابه ركعتين، ثمّ أقبل بوجهه إليهم فقال لهم:

إنّه قد نبّأني اللطيف الخبير: إنّي ميّت و أنكم ميتون، و كأنّي قد دعيت فأجبت، و إنّي مسؤول عمّا أرسلت به إليكم، و عمّا خلّفت فيكم من كتاب اللّه و حجّته، و أنّكم مسؤولون، فما أنتم قائلون لربّكم؟ قالوا: نقول: قد بلّغت و نصحت و جاهدت، فجزاك اللّه عنّا أفضل الجزاء، ثمّ قال لهم:

ألستم تشهدون أن لا إله إلاّ اللّه، و أنّي رسول اللّه إليكم، و أنّ الجنّة حقّ، و أنّ النّار حق، و أنّ البعث بعد الموت حقّ؟ فقالوا: نشهد بذلك، قال: اللّهمّ اشهد على ما يقولون، ألا و إنّي أشهدكم أنّي أشهد أنّ اللّه مولاي، و أنا مولى كلّ مسلم، و أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فهل تقرّون لي بذلك، و تشهدون لي به؟ فقالوا: نعم نشهد لك بذلك، فقال: ألا من كنت مولاه فإنّ عليّا مولاه (فعلي مولاه) و هو هذا، ثمّ أخذ بيد عليّ (ع) فرفعها مع يده حتّى بدت آباطهما: ثمّ قال: اللهمّ وال من ولاه، و عاد من عاداه، و انصر من نصره، و اخذل من خذله، ألا و إنّي فرطكم و أنتم واردون عليّ الحوض، حوضي غدا و هو حوض عرضه ما بين بصري و صنعاء فيه أقداح من فضّة عدد نجوم السماء، ألا و إنّي سائلكم غدا ما ذا صنعتم فيما أشهدت اللّه به عليكم في يومكم هذا إذا وردتم عليّ حوضي، و ما ذا صنعتم

بالثقلين من بعدي فانظروا كيف تكونون خلفتموني فيهما حين تلقوني؟ قالوا: و ما هذان الثّقلان يا رسول اللّه؟ قال: أمّا الثقل الأكبر فكتاب اللّه عزّ و جلّ سبب ممدود من اللّه و منّي في أيديكم، طرفه بيد اللّه و الطرف الآخر بأيديكم، فيه علم ما مضى و ما بقي إلى أن تقوم الساعة، و أمّا الثقل الأصغر فهو حليف القرآن و هو عليّ بن أبي طالب و عترته (ع)، و إنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض.

و أيضا فيه الحديث ٩٧ عن الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري، عن محمّد بن حمدان القشيريّ، عن المغيرة بن محمّد بن المهلّب، عن أبيه، عن عبد الله بن داود، عن فضيل بن مرزوق، عن عطيّة العوفيّ، عن أبي سعيد الخدريّ قال: قال رسول اللّه (ص): إنّي تارك فيكم أمرين أحدهما أطول من الآخر كتاب اللّه حبل ممدود من السماء إلى الأرض و عترتي، ألا و إنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض، فقلت لأبي سعيد: من عترته؟ قال: أهل بيته.

و أيضا روى الصدوق في كتابه معاني الأخبار ص ٩١، الحديث ٥، عن أحمد بن الحسن القطّان، عن الحسن بن علي بن الحسين السكريّ، عن محمّد بن زكريّا الجوهريّ، عن جعفر بن محمد بن عمارة، عن أبيه، عن الصادق جعفر بن محمّد، عن أبيه محمد بن علي، عن

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‏١، ص ٤٣٦

أبيه علي بن الحسين، عن أبيه الحسين بن عليّ، عن أبيه علي بن أبي طالب (ع) قال: قال

رسول اللّه (ص):

إنّي مخلف فيكم الثقلين: كتاب اللّه و عترتي أهل بيتي، و إنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض كهاتين، و ضمّ بين سبّابتيه، فقام إليه جابر بن عبد اللّه الأنصاري، فقال: يا رسول اللّه! و من عترتك؟ قال: عليّ، و الحسن، و الحسين، و الأئمّة من ولد الحسين إلى يوم القيامة.

أقول: راجع في تفسير أهل البيت كتاب المستدرك على الصحيحين للحاكم ج ۳، ص ١٤٦ فيه أحاديث عن النبيّ (ص) تفسّر أهل البيت مثل ما في رواية الصدوق (رض). و أيضا انظر في بيان معنى أهل البيت الأحاديث الواردة عن النبيّ (ص) في تفسير آيات المباهلة و التطهير و المودّة في تعليقتنا ٨ و ١٥٦.

و روى الصدوق أيضا في كتابه كمال الدين و تمام النعمة ص ٣٤٥، عن محمد بن إبراهيم بن أحمد بن يونس، عن العباس بن الفضل، عن أبي زرعة، عن كثير بن يحيى أبي مالك، عن أبي عوانة، عن الأعمش، عن حبيب بن أبي ثابت، عن عامر بن واثلة، عن زيد بن أرقم، قال:

لما رجع رسول اللّه (ص) من حجة الوداع فنزل بغدير خمّ، ثمّ أمر بدوحات فقمم ما تحتهن، ثمّ قال كأنّي قد دعيت، فأجبت، إنّي تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر، كتاب اللّه و عترتي أهل بيتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض، ثمّ قال: إنّ اللّه مولاي و أنا مولى كلّ مؤمن و مؤمنة، ثمّ أخذ بيد علي بن أبي طالب (ع) ثم قال: من كنت وليّه فهذا وليّه، اللهم وال من والاه و عاد من عاداه.

قال: فقلت لزيد بن أرقم: أنت سمعت عن رسول اللّه (ص) فقال ما كان في الدوحات أحد إلاّ رآه بعينه و سمعه بأذنيه.

و فيه أيضا عن محمّد بن عمرو البغدادي، عن محمّد بن الحسن بن حفص الخثعمي، عن محمد بن عبيد، عن صالح بن موسى، عن عبد العزيز بن رفيع عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول اللّه (ص): إنّي قد خلفت فيكم شيئين لن تضلوا بعدي أبدا ما أخذتم بهما و عملتم بما فيهما كتاب اللّه و سنتي و إنهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض.

و فيه أيضا، عن محمد بن عمرو الحافظ، عن القاسم بن عباد، عن سويد، عن عمرو بن مصالح، عن زكريا، عن عطيّة، عن أبي سعيد، قال: قال رسول اللّه (ص):

إني تارك فيكم ما أن تمسكتم به لن تضلّوا كتاب اللّه جلّ و عزّ حبل ممدود و عترتي أهل بيتي و لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض.

و فيه أيضا، عن أبي محمّد جعفر بن نعيم بن شاذان النيسابوري، عن عمّه أبي عبد اللّه محمد بن شاذان، عن الفضل بن شاذان، عن عبد الله بن موسى، عن إسرائيل، أبي إسحاق، عن عيسى بن معتمر، قال: رأيت أبا ذر الغفاري (ره) آخذا بحلقة باب الكعبة و هو يقول: ألا من عرفني فقد عرفني، و من لم يعرفني فأنا أبو ذر جندب بن السكن، سمعت رسول اللّه (ص) يقول:

إنّي خلفت فيكم الثقلين كتاب اللّه و عترتي أهل بيتي و إنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، ألا

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‏1، ص 437

و إن مثلهما فيكم كسفينة نوح من ركب فيها نجا و من تخلف عنها غرق.

و روى الكليني في الأُصول الكافي ج ١، ص ٢٩٤، الحديث ٣، بإسناده عن عبد الحميد بن الديلم، عن الصادق (ع) قال في الحديث: قال رسول اللّه (ص):

إنّي تارك فيكم أمرين، إن أخذتم بهما لن تضلّوا: كتاب اللّه عزّ و جلّ و أهل بيتي عترتي، أيها الناس اسمعوا و قد بلّغت، إنّكم ستردون عليّ الحوض فأسألكم عمّا فعلتم في الثقلين، و الثقلان:

كتاب اللّه جلّ ذكره و أهل بيتي، فلا تسبقوهم فتهلكوا، و لا تعلّموهم فإنّهم أعلم منكم.

و أخرج أحمد بن حنبل في مسنده ج ٣، ص ١٤، بإسناده عن أبي سعيد قال: قال رسول اللّه (ص):

إني تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر: كتاب اللّه حبل ممدود من السماء إلى الأرض و عترتي أهل بيتي و إنهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض.

و مثله عنه أيضا في ص ٢٦.

و أيضا في ج ٥، ص ١٨٢ بإسناده عن زيد بن ثابت مثله إلاّ أن فيه: إني تارك فيكم خليفتين.

و مثله أيضا عن أبي سعيد الخدري ص ١٧ مع زيادة: و أنّ اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض فانظروني بم تخلفوني فيهما.

و أيضا في ص ٥٩ بإسناده عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول اللّه (ص):

إني تركت فيكم ما أن أخذتم به لن تضلّوا بعدي، الثقلين أحدهما الحديث.

و أخرج مثله السيوطي في الجامع الصغير ج ١، ص ٤٠٢، الحديث ٢٦٣١، و أخرج الدارمي في سننه ج ٢، ص ٥٢٤، الحديث ٣٣١٦ بإسناده عن زيد بن أرقم، قال: قام

رسول اللّه (ص) يوما خطيبا، فحمد اللّه و أثنى عليه، ثم قال:

أيّها النّاس إنّما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربّي فأجيبه، و إنّي تارك فيكم الثقلين، أولهما كتاب اللّه، فيه الهدى و النور فتمسّكوا بكتاب اللّه و خذوا به، فحثّ عليه و رغّب فيه، ثمّ قال:

و أهل بيتي أذكركم اللّه في أهل بيتي، أذكركم اللّه في أهل بيتي، أذكركم اللّه في أهل بيتي.

و أخرجه أيضا أحمد بن حنبل في مسنده ج ٤، ص ٣٦٦، و مسلم في صحيحه ج ٤، ص ١٨٧٣، الحديث ٣٦.

قد سبق منّا الإشارة إلى مرجع أحاديث النبيّ (ص) في تفسير أهل البيت في المستدرك للحاكم فراجع.

و انظر أيضا في الحديث بأسانيد مختلفة و ألفاظ متفرقة كنز العمال ج ١، ص ١٨٥ إلى ١٨٩، أحاديث ٩٤٣ إلى ٩٦٠.

و راجع أيضا في مصادر الحديث و بأسانيده و طرقه إحقاق الحق و ملحقاته ج ٩، ص ٣٠٩ إلى ٣٧٥، و أيضا ج ١٨، ص ٢٦١ إلى ٢٨٩، و رسالة حديث الثقلين للشيخ محمّد قوام الدين القمي الوشنوي سلمه اللّه المطبوعة في دار التقريب بالقاهرة.

أمّا الأمر الثالث، أنّه قد يستفاد من الحديث أمور: منها، يفهم منه وجود من يكون أهلا للتمسك

من أهل البيت و العترة الطاهرة في كلّ زمان إلى قيام الساعة، حتّى يتوجّه الحثّ المذكور إلى التمسك به، كما أن الكتاب كذلك، فلذا كانوا أمانا لأهل الأرض، فإذا ذهبوا ذهب أهل الأرض.

قاله الشريف السمهودي، راجع رسالة حديث الثقلين للوشنوي ص ۲۲، و الغدير ج ۳، ص ۸۰.

و منها، دلّت هذه الأحاديث على عصمة أهل البيت من الذنوب و الخطأ لمساواتهم فيها بالقرآن الثابت عصمته في أنّهم أحد الثقلين المخلفين في الناس، و في الأمر بالتمسك بهم كالتمسك بالقرآن، و لو كان الخطأ يقع منهم لما صح الأمر بالتمسك بهم الّذي هو عبارة عن جعل أقوالهم و أفعالهم حجّة، و في أن المتمسّك بهم لا يضل كما لا يضل المتمسّك بالقرآن و لو وقع منهم الذنب أو الخطأ لكان المتمسك بهم يضل، و أنّ في اتّباعهم الهدى و النور كما في القرآن و لو لم يكونوا معصومين لكان في اتباعهم الضلال، و في أنّهم حبل ممدود من السماء إلى الأرض كالقرآن و هو كناية عن أنّهم واسطة بين اللّه تعالى و بين خلقه، و أنّ أقوالهم عن اللّه تعالى و لو لم يكونوا معصومين لم يكونوا كذلك، و في أنّهم لن يفارقوا القرآن و لم يفارقهم مدّة عمر الدنيا و لو أخطأوا أو أذنبوا لفارقوا القرآن و فارقهم، و في عدم جواز مفارقتهم يتقدم عليهم بجعل نفسه إماما لهم أو تقصير عنهم و ائتمام بغيرهم، كما لا يجوز التقدم على القرآن بالإفتاء بغير ما فيه أو التقصير عنه باتباع أقوال مخالفيه، و في عدم جواز تعليمهم و ردّ أقوالهم، و لو كانوا يجهلون شيئا لوجب تعليمهم و لم ينه عن ردّ قولهم.

و دلّت هذه الأحاديث أيضا على أن منهم من هذه صفته في كلّ عصر و زمان بدليل قوله

(ص) أنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، و أن اللطيف الخبير أخبره بذلك، و ورود الحوض كناية عن انقضاء عمر الدنيا فلو خلا زمان من أحدهما لم يصدق أنهما لن يفترقا حتّى يردا عليه الحوض.

قاله العلاّمة السيد محسن الأمين في كتابه أعيان الشيعة ج ١، ص ٣٧٠.

و منها، أنّه نعلم من الكتاب الحكيم و السنّة أنّ رسول اللّه (ص) بلغ رسالته بكمالها و تمامها حتى قال (ص): لم أترك من أموركم شيئا، (بحار الأنوار ج ٢٢، ص ٤٧٨). مع أنّا نعلم أيضا أنّه (ص) ما قال كثيرا من الأحكام، فإذن لا يصح قوله (ص) إلاّ بضميمة هذه الأحاديث و أمثالها مثل قوله: أنا مدينة العلم و عليّ بابها (راجع التعليقة ١٣٦) فإنّ عليّا و أولاده (ع) هم وارثوا علمه (ص)، فظهر أنّ كمال الإسلام و تماميّة رسالته (ص) يتحقّق بالتمسّك بهم و بأخذ العلم عنهم و أنّ علمهم علم النبيّ و قولهم (ع) قوله (ص).

و منها، يستفاد من هذه الأحاديث أنّ الكتاب و العترة توأمان معا و لن يفترقا في العمل بهما و أخذ المعارف عنهما، يعني أن الهداية تكون في أخذهما معا و الضلالة في التفريق بينهما و الأخذ بأحدهما فقط، فمن أخذ الكتاب بدون العترة فقد ضلّ، و من أخذ العترة بدون الكتاب فقد ضلّ، فلا بد من أخذهما معا و العمل بهما معا و الإيمان بحقّانيّتهما معا و التمسّك بهما معا حتى يكون من الفائزين و المهتدين.

أَ فَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لاٰ يَهِدِّي إِلاّٰ أَنْ يُهْدىٰ [سورة يونس، الآية: ٣٥].

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ١، ص ٤٣٩

و قوله: «إن أولى الناس بكتاب اللّه أنا و أهل بيتي من عترتي» لأن هذه

الأقوال كلها إشارة إليهم و إلى أنهم هم أولو الأمر المأمورين بمتابعتهم المستنبطين لعلوم القرآن و حقائقه و دقائقه.

و أما قوله الدال على متابعتهم و مطاوعتهم في جميع الأحكام الشرعية، خصوصا في علم القرآن و أسراره كثيرة.

منها قوله في بعض خطبه «١١٣»:

(فأين تذهبون؟ و أنّى تؤفكون؟ و الأعلام قائمة و الآيات واضحة و المنار منصوبة! فأين يتاه بكم؟ و كيف تعمهون، و بينكم عترة نبيّكم؟! و هم أزمة الحق، و أعلام الدين، و ألسنة الصدق! فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن، و ردوهم ورود الهيم العطاش.

أيها الناس خذوها عن خاتم النبيّين (ص): إنه يموت من مات منا و ليس بميت، و يبلى من بلى منا و ليس ببال، فلا تقولوا بما لا تعرفون، فإن أكثر الحق فيما تنكرون، و أعذروا من لا حجّة لكم عليه، و أنا هو (و هو أنا)، ألم أعمل فيكم بالثقل الأكبر، و أترك فيكم الثقل الأصغر، (قد) و ركزت فيكم راية الإيمان، و وقفتكم على حدود الحلال و الحرام، و ألبستكم العافية من عدلي، و فرشتكم المعروف من قولي و فعلي، و أريتكم كرائم الأخلاق من نفسي، فلا تستعملوا الرّأي فيما لا يدرك قعره البصر، و لا تتغلغل إليه الفكر).

النور، الآية: ٥٢].

و منها، دلّت هذه الأحاديث أنّ إطاعتهم (ع) و العمل بقولهم و الأخذ بسنّتهم هي اطاعة رسول اللّه و الأخذ بقوله و سنّته (ص) بل هي عين السنّة و تكميلها كما بيّناه، على أن ملاك العمل بعد الكتاب هو سنّة نبيّنا (ص) و أن قوله و فعله و تقريره حجّة علينا، و السنّة تثبت بكل نقل و طريق موثق أو متواتر عنه (ص) و أيّ طريق أوثق من طريق العترة (ع)؟ و الحال أنّ قربهم من النبيّ و علمهم بالقرآن و السنّة و تقواهم و طهارتهم و وثاقتهم موضع وفاق عند المسلمين، هذا مضافا إلى تأكيد النبيّ (ص) على التمسك بهم في هذه الأحاديث و غيرها المنقولة عنه (ص) متواترا بل فوق التواتر كما مرّ.

(١١٣) قوله: منها قوله (ع) في بعض خطبه: أين تذهبون؟

نهج البلاغة صبحي الصالح الخطبة ٨٧، و فيض الإسلام ٨٦.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ١، ص ٤٤٠

و منها قوله بعد كلام طويل «١١٤»:

(و إنما الأئمة، قوام اللّه على خلقه، و عرفاؤه على عباده، لا يدخل الجنة إلا من عرفهم و عرفوه، و لا يدخل النار إلا من أنكرهم و أنكروه، إن اللّه خصّكم بالإسلام و استخلصكم له، و ذلك لأنه اسم سلامة، و جماع كرامة. اصطفى اللّه تعالى منهجه، و بين حججه، من ظاهر علم، و باطن حكم. لا تفنى غرائبه، و لا تنقضي عجائبه، فيه مرابيع النعم، و مصابيح الظّلم، لا تفتح الخيرات إلا بمفاتيحه، و لا تكشف الظلمات إلا بمصابيحه. قد أحمى حماه، و أرعى مرعاه، فيه شفاء المستشفي، و كفاية المكتفي).

و الكل إشارة إلى القرآن و حامليه الذين هم الأئمة الهداة من أولاده المعصومين (ع)، و قد عرفت من قوله في حق القرآن في أول المقدمة أكثر من ذلك.

و أما قول أولاده المعصومين المشار إليهم بأهل البيت (ع) في أنفسهم، فكثيرة.

منها قولهم بحذف الأسانيد الصحيحة المعتبرة: نحن قوم فرض اللّه تعالى طاعتنا على خلقه في قوله: أَطِيعُوا اللهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ [سورة النساء: ٥٩]، و أمرهم بمحبّتنا و مودّتنا في قوله: قُلْ لاٰ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبىٰ [سورة الشورى: ٢٣] و نحن الراسخون في العلم في قوله: وَ مٰا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَ الرّٰاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ [سورة آل عمران: ٧] و نحن المحسودون الذين قال اللّه تعالى فيهم: أَمْ يَحْسُدُونَ النّٰاسَ عَلىٰ مٰا آتٰاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ [سورة النساء: ٥٤] و نحن الورثة و الخزّان الذين قال تعالى فيهم: أُولٰئِكَ هُمُ الْوٰارِثُونَ اَلَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهٰا خٰالِدُونَ [سورة المؤمنون: ١١] و نحن المهديّين الهادين الذين ورد فيهم: أُولٰئِكَ الَّذِينَ هَدٰاهُمُ اللهُ وَ أُولٰئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبٰابِ [سورة الزمر: ١٨] «١١٥»، و هذا منقول من كتاب سليم بن قيس الهلالي.

(١١٤) قوله: و منها قوله (ع) بعد كلام طويل: و إنّما الأئمة الخ.

نهج البلاغة صبحي الصالح الخطبة ١٥٢.

(١١٥) قوله: منها قولهم بحذف الأسانيد: نحن قوم فرض اللّه الحديث إلى قوله: و هذا منقول من كتاب سليم بن قيس الهلالي.

انظر في أمثال هذا الحديث في المعنى بحار الأنوار ج ٢٥، باب بدء خلقهم و طينتهم و أرواحهم و أنّهم نور واحد، الحديث ٤، ص ٢ و الحديث ٧، ص ٤ و الحديث ٣١، ص ١٧ و الحديث ٣٨، ص ٢٢ و الحديث ٤٦، ص ٢٥ و غيرها في الباب.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج١، ص ٤٤١

و أما من كتاب بصائر الدرجات لأبي جارود، ورد عن أبي جعفر (ع) بأسانيد صحيحة الرجال:

نحن جنب اللّه التي فرطتم فيها، و نحن صفوته، و نحن خيرته، و نحن مواريث الأنبياء، و نحن أمناء اللّه في خلقه و نحن حجّة اللّه على عباده، و نحن أركان الإيمان، و نحن دعائم الإسلام، و نحن من رحمة اللّه على خلقه، و نحن الذين بنا يفتح و بنا يختم، و نحن أئمة الهدى، و نحن مصابيح الدّجى، و نحن منار الهدى، و نحن السابقون، و نحن الآخرون، و نحن العلم المرفوع للخلق، من تمسّك بنا لحق، و من تخلّف عنّا غرق، و نحن قادة الغرّ المحجّلين، و نحن ورثة سيّد المرسلين، و نحن الطريق القويم، و نحن الصّراط المستقيم، و نحن من نعمة اللّه على خلقه أجمعين، و نحن المنهاج، و نحن معدن النبوة، و نحن موضع الرسالة، نحن الذين إلينا مختلف الملائكة، و نحن الذين أنزل الكتاب علينا، و نحن الذين خصّ تفسيره و تأويله بنا، و نحن السراج لمن استضاء بنورنا، و نحن السبيل إلى

الله لمن اقتدى بنا، و نحن الهداة إلى الجنة و الصراط المستقيم، و نحن الذين قال تعالى فيهم:

ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتٰابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنٰا مِنْ عِبٰادِنٰا [سورة فاطر: ٣٢].

و نحن الذين ورثنا علم هذا القرآن الذي فيه تبيان كل شيء المشار إليه في قوله:

وَ مٰا مِنْ غٰائِبَةٍ فِي السَّمٰاءِ وَ الْأَرْضِ إِلاّٰ فِي كِتٰابٍ مُبِينٍ [سورة النمل: ٧٥].

و نحن المقتصد في الآية، و السابق بالخيرات بإذن اللّه (١١٦)

---

(١١٦) قوله: و أمّا من كتاب بصائر الدرجات إلى أن قال: نحن جنب اللّه التي فرطتم فيها الحديث.

الحديث مذكور في بصائر الدرجات باب ٣ ص ٦٣، حديث ١٠ مع تفاوت في اللفظ.

أقول: و قد ورد أحاديث كثيرة بأسانيد مختلفة في أنّهم (ع) جنب اللّه و عين اللّه و يد اللّه، و هكذا و نذكر هاهنا بعضها لمزيد المعرفة و الفائدة.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج١، ص ۴۴۲

(أ) أصول الكافي ج ١، ص ٥- ١٤٣ باب النوادر الحديث ٧- ٥- ٤- ٣:

محمد بن يعقوب بإسناده عن أبي سلام النّحاس (مرسلا) عن أبي جعفر (ع) قال: نحن

المثاني الذي أعطاه اللّه نبيّنا محمّدا (ص) و نحن وجه اللّه نتقلب في الأرض بين أظهركم، و نحن عين اللّه في خلقه، و يده المبسوطة بالرحمة على عباده، عرفنا من عرفنا، و جهلنا من جهلنا و إمامة المتقين.

رواه الصدوق في التوحيد باب ١٢، ح ٦، ص ١٥٠ و فيه: فأمامه اليقين.

(ب) و روى أيضا بإسناده عن معاوية بن عمّار عن أبي عبد اللّه (ع) في قول اللّه عزّ و جلّ: **وَ لِلَّهِ الْأَسْمٰاءُ الْحُسْنىٰ فَادْعُوهُ بِهٰا** [سورة الأعراف، الآية: ١٨٠].

قال: نحن و اللّه الأسماء الحسنى الّتي لا يقبل اللّه من العباد عملا إلاّ بمعرفتنا.

(ج) و روى أيضا بإسناده عن مروان بن صبّاح قال: قال الصادق (ع): إنّ اللّه خلقنا فأحسن خلقتنا، و صوّرنا فأحسن صورنا، و جعلنا عينه في عباده، و لسانه الناطق في خلقه، و يده المبسوطة على عباده بالرأفة و الرّحمة، و وجهه الّذي يؤتي منه، و بابه الّذي يدلّ عليه، و خزّانه في سمائه و أرضه، بنا أثمرت الأشجار و أينعت الثمار، و جرت الأنهار، و بنا ينزل غيث السماء و ينبت عشب الأرض، و بعبادتنا عبد اللّه، و لو لا نحن ما عبد اللّه.

(د) و روي أيضا بإسناده عن أسود بن سعيد قال: كنت عند أبي جعفر الباقر (ع)، فأنشأ يقول ابتداء منه من غير أن أسأله: نحن حجّة اللّه، و نحن باب اللّه، و نحن لسان اللّه، و نحن وجه اللّه، و نحن عين اللّه في خلقه، و نحن ولاة أمر اللّه في عباده.

و مثله في بصائر الدرجات ص ٦١، حديث ١، باب ٣.

(ه) روى شيخ القميين الشيخ الصدوق محمد بن الحسن الصفّار في كتابه بصائر الدرجات في الجزء الثاني باب ٣- ٢- ١، ص ٦٤- ٥٦: بإسناده عن خيثمة الجعفي قال: قال لي أبو عبد اللّه (ع):

يا خيثمة! نحن شجرة النبوة، و بيت الرحمة، و مفاتيح الحكمة، و معدن العلم، و موضع الرّسالة، و مختلف الملائكة، و موضع سرّ اللّه، و نحن وديعة اللّه في عباده، و نحن حرم اللّه الأكبر، و نحن ذمّة اللّه، و نحن عهد اللّه فمن و في بذمّتنا فقد وفى بذمّة اللّه، و من وفى بعهدنا فقد وفى بعهد اللّه، و من خفرها فقد خفر ذمّة اللّه و عهده.

أقول: رقم هذا الحديث ٦ و مثله الحديثان ٣ و ٢ من الباب ٢، خفر أي نقض.

و في أمالي المفيد رضي اللّه عنه المجلس الأول حديث ٣، ص ١٧ بإسناده عن الأصبغ بن نباتة عن أمير المؤمنين (ع) في خطابه للحارث الهمداني:

إنّي عبد اللّه، و أخو رسوله، و صدّيقه الأوّل، صدّقته و آدم بين الرّوح و الجسد، ثمّ إنّي صدّيقه الأوّل في أمتكم حقّا، فنحن الأوّلون و نحن الآخرون، و نحن خاصّته يا حارث و خالصته، و أنا صنوه و وصيّه و وليّه و صاحب نجواه و سرّه، أوتيت فهم الكتاب، و فصل الخطاب، و علم القرون و الأسباب، و استودعت ألف مفتاح يفتح كلّ مفتاح ألف باب يفضى كلّ باب إلى ألف عهد،

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ١، ص ۴۴٣

و أمثال ذلك كثيرة في أقوالهم، نكتفي منها بهذا المقدار، و قد ذهب أكثر المفسّرين من الإماميّة و بعض المفسّرين من غيرهم: أن فيهم نزل قوله تعالى:

إِنَّ اللهَ اشْتَرى‏ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَ أَمْوالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَ يُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْراةِ وَ الْإِنْجِيلِ وَ الْقُرْآنِ وَ مَنْ أَوْفى‏ بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بايَعْتُمْ بِهِ وَ ذلِكَ هُوَ الْفَوْزُ

العظيمُ [سورة التوبة: ١١١].

التَّائِبُونَ الْعابِدُونَ الْحامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ النَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ الْحافِظُونَ لِحُدُودِ اللهِ وَ بَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ [سورة التوبة: ١١٢].

و أيّدت و اتّخذت و أمددت بليلة القدر نفلا، و إنّ ذلك يجري لي و لمن استحفظ من ذرّيّتي، ما جرى اللّيل و النّهار حتّى يرث اللّه الأرض و من عليها. الحديث.

و في معاني الأخبار للصدوق (رضي اللّه عنه) ص ٣٥، باب معنى الصراط ح ٥، بإسناده عن ثابت الثمالي عن سيّد العابدين علي بن الحسين (ع) قال: ليس بين اللّه و بين حجّته حجاب، فلا للّه دون حجّته ستر، نحن أبواب اللّه، و نحن الصراط المستقيم، و نحن عيبة علمه، و نحن تراجمة وحيه، و نحن أركان توحيده، و نحن موضع سرّه.

و فيه أيضا ص ١٣، ح ٢، باب معاني ألفاظ الخ بإسناده عن صالح بن سهل، عن الصادق (ع) في قول اللّه عزّ و جلّ:

كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ [سورة القصص، الآية: ٨٨]: نحن.

و في الغيبة للطوسي ص ١٧٣ في توقيع من الصاحب (ع)، بإسناده عن علي بن إبراهيم الرازي عن الشيخ الموثوق به عنه (ع) في توقيعه:

نحن صنائع ربنا، و الخلق بعد صنائعنا الحديث فراجع.

أقول: هذا مثل ما قال أمير المؤمنين (ع) في كتابه إلى معاوية عليه الهاوية، ذكره الرضي في نهج البلاغة الكتاب ٢٨ في الفيض و صبحي الصالح: «و لولا ما نهى اللّه عنه من

تزكية المرء نفسه، لذكر ذاكر فضائل جمّة، تعرفها قلوب المؤمنين، و لا تمجّها آذان السامعين، فدع عنك من مالت به الرميّة، فإنّا صنائع ربّنا و الناس بعد صنائع لنا الخ».

و في إحقاق الحق ج ٥، ص ٢٤٦ الحديث الثاني عن حسن بن المولوي في كتابه «تجهيز الجيش» ص ٢٤، عن أحمد بن حنبل في «الفضائل و المسند» و الديلمي في «فردوس الأخبار» عن رسول اللّه (ص) قال:

كنت و علي نورا بين يدي الرحمن قبل أن يخلق عرشه أربعة عشر ألف عام، فلم يزل يتمحّض في النور حتّى إذا وصلنا إلى حضرة العظيمة في ثمانين ألف سنة، ثمّ خلق الخلائق من نورنا، فنحن صنائع اللّه و الخلق كلّهم صنائع لنا. [.....]

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج١، ص ٤٤٤

و الحق أن هذه الأوصاف لا تليق إلا بهم، و هذه الأخلاق لا تتناسب إلا بكمالهم، و بناء على هذه الآيات و الأخبار و الأحاديث لا يصدق اسم الرسوخ إلا عليهم، و لا يجوز أخذ التأويل و التفسير إلا منهم و من تابعيهم على قدم الصدق كما مرّ، و فيهم قيل:

أنتم تراجمة الكتاب و عندكم   يا آل بيت المصطفى تأويله

الشرع قول أنتم مفتاحه   و يذهل الخليل عن خليله

و روى عن أمير المؤمنين (ع) أنّه قال:

نحن ضربناكم على تنزيله فاليوم نضربكم على تأويله

ضربا يزيل الهام عن مقليه و يذهل الخليل عن خليله

و روى عن عمرو بن العاص قطعة طويلة في هذا الباب، منها ما سبق في الخطبة و هو قوله:

بآل محمّد عرف الصواب و في أبياتهم نزل الكتاب

و هم حجج الإله على البرايا بهم و بجدّهم لا يستراب

هو النّبأ العظيم و فلك نوح و باب اللّه و انقطع الخطاب

«١» و معلوم أن المراد بفلك نوح الإشارة النبوية فيهم و هو قوله:

«إن مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح، من ركب فيها نجى و من تخلّف عنها غرق» «١١٧».

(١) أقول: الظاهر و اللّه العالم المشهور أنّ الأشعار عن عليّ بن عبد اللّه بن وصيف الناشي المتوفّى ٣٦٥، و هو شاعر مشهور و عالم نحويّ، راجع تأسيس الشيعة ص ٢١١ و الغدير ج ٤ ص ٢٤.

(١١٧) قوله: و هو قوله: إنّ مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح الحديث. رواه عن النبيّ (ص) من الصحابة: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، و ابن عباس، و أبو ذر، و أبو سعيد الخدري، و عبد الله بن زبير، و عامر بن واثلة، و أنس بن مالك، و سلمة بن الأكوع، و إياس بن سلمة.

و الحديث معروف عند الفريقين و منقول في طرقهم، ذكره السيد العلامة الحجّة المرعشي النجفي في ملحقات الإحقاق و تعليقاته ج ٩، ص ٢٩١- ٢٧٠، و ج ١٨، ص ٣٢٢- ٣١١، و المجلسي في البحار ج ٢٣، باب ٧ من كتاب الامامة، فراجع و راجع أيضا عيون أخبار الرضا ج ٢، ص ٢٧، الحديث ١٠، الباب ٣١، و ذخائر العقبى للطبري ص ٢٠، و الجامع الصغير للسيوطي ج ٢، ص ٥٣٣، الحديث ٨١٤٢، و المستدرك للحاكم ج ٢، ص ٣٤٣.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‏١، ص ۴۴۵

و تقديره و معناه، أن من تخلّف عنهم في أمر من الأمور الشرعية، سيّما في القرآن و أسراره الحقيقية غرق في بحر الهلاك و الضلال و الجهل و الشقاوة، كما أن من تخلّف عن نوح (ع) يوم الطوفان فإنه غرق في بحر الصّوري الذي هو بإزالة البحر المعنوي و من هذا وجب متابعتهم و إطاعتهم في الكل، لقوله تعالى فيهم:

أَطِيعُوا اللهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ [سورة النساء: ٥٩].

لأن هذا لا يصدق إلا عليهم كما سبق.

و لقوله:

إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ هُمْ رَاكِعُونَ [سورة المائدة: ٥٥].

و معلوم أن هذا أيضا ورد في جدّهم و كل ما ورد في جدّهم فهو وارد فيهم، لأنهم بمثابة نفس واحدة، لقولهم:

أوّلنا كآخرنا فمن أنكر واحدا منّا كمن أنكر الكلّ و كفرنا (١١٨).

---

(١١٨) قوله: لقولهم: أوّلنا كآخرنا الحديث.

روى الصدوق (رض) في كمال الدين ج ٢ الباب الحادي و الأربعون الحديث ٧، ص ٨٠ بإسناده عن موسى بن جعفر البغدادي قال سمعت أبا محمد الحسن بن علي (ع) يقول: كأنّي بكم و قد اختلفتم بعدي في الخلف منّي، أما إنّ المقرّ بالأئمّة بعد رسول اللّه المنكر لولدي كمن أقرّ بجميع أنبياء اللّه و رسله ثمّ أنكر نبوّة محمّد رسول اللّه (ص)، و المنكر لرسول اللّه (ص) كمن أنكر جميع الأنبياء لأنّ طاعة آخرنا كطاعة أوّلنا، و المنكر لآخرنا كالمنكر لأوّلنا، أما إنّ لولدي غيبة يرتاب فيها النّاس إلاّ من عصمه اللّه.

و روى المفيد (رض) في أماليه المجلس التاسع الحديث ٥، ص ٩٧ بإسناده عن عبد الأعلى بن أعين قال: سمعت أبا عبد اللّه (ع) يقول: أوّلنا دليل على آخرنا، و آخرنا مصدّق لأوّلنا، و السنّة فينا سواء، إنّ اللّه تعالى إذا حكم حكما أجراه.

و روى الكليني (رض) في اصول الكافي ج ۱، ص ۳۷۳، الحديث ۷ بإسناده عن محمّد بن مسلم قال: قلت لأبي عبد اللّه (ع): رجل قال لي: اعرف الآخر من الأئمّة و لا يضرّك إن لا تعرف الأوّل، قال: فقال: لعن اللّه هذا، فإنّي أبغضه و لا أعرفه، و هل عرف الآخر إلاّ بالأوّل؟

و روى الصدوق (رض) في كمال الدين بإسناده عن علي بن أبي حمزة الثمالي عن الصادق (ع)، عن آبائه، عن النبيّ (ص) قال: حدّثني جبرائيل عن ربّ العزّة جلّ جلاله أنّه قال: من علم أنّه لا إله إلاّ أنا وحدي و أنّ محمّدا عبدي و رسولي و أن علي بن أبي طالب خليفتي و أنّ الأئمّة من ولده حججي أدخلته الجنّة برحمتي، إلى أن قال: فقام جابر بن عبد اللّه الأنصاري فقال: يا رسول اللّه

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ۱، ص ۴۴۶

و قوله تعالى:

وَ جَعَلْنٰاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنٰا [سورة الأنبياء: ۷۳].

إشارة إليهم، و قوله تعالى:

أُولٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّٰهُ فَبِهُدٰاهُمُ اقْتَدِهْ [سورة الأنعام: ۹۰].

بعد الأنبياء إشارة إليهم، و قوله تعالى:

أُولٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوٰاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ رَحْمَةٌ وَ أُولٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ [سورة البقرة: ۱۵۷].

إشارة إليهم، و قوله تعالى:

وَ مِنْ آبٰائِهِمْ وَ ذُرِّيّٰاتِهِمْ وَ إِخْوٰانِهِمْ وَ اجْتَبَيْنٰاهُمْ وَ هَدَيْنٰاهُمْ إِلىٰ صِرٰاطٍ مُسْتَقِيمٍ

[سورة الأنعام: ۸۷].

إشارة إليهم بعد الأنبياء و الرسل، لأنهم أيضا من ذرّيّتهم و ذرّيّة أعظمهم و أشرفهم صلى اللّه عليهم و على آبائهم الطاهرين المطهرين إلى يوم الدين.

و ستعرف هذا المعنى أكثر من هذا في الأبحاث الآتية بعد هذا، و خصوصا عند بحث المهدي (ع) الذي هو منهم، و يكون (من) في المشرق و المغرب من (في) حكمه طوعا و كرها، و باللّه التوفيق و العصمة.

هذا آخر البحث الأول في هذا الباب.

و من الأئمّة من ولد عليّ بن أبي طالب؟ قال: الحسن و الحسين سيّدا شباب أهل الجنّة، ثمّ سيد العابدين في زمانه عليّ بن الحسين، ثم الباقر محمّد بن عليّ، و ستدركه يا جابر فإذا أدركته فاقرأه منّي السلام، ثمّ الصادق جعفر بن محمّد، ثمّ الكاظم موسى بن جعفر، ثم الرضا علي بن موسى، ثم التقيّ محمّد بن علي، ثمّ الهادي علي بن محمّد، ثمّ الزكيّ الحسن بن عليّ، ثمّ ابنه القائم بالحق مهدي أمّتي الّذي يملأ الأرض عدلا و قسطا كما ملئت ظلما و جورا، هؤلاء يا جابر خلفائي و أوصيائي و أولادي و عترتي، من أطاعهم فقد أطاعني و من عصاهم فقد عصاني، و من أنكر واحدا منهم فقد أنكرني، بهم يمسك اللّه السماوات أن تقع على الأرض إلا بإذنه، و بهم يحفظ الأرض أن تميد بأهلها.

البحث الثاني في إثبات طهارتهم و عصمتهم و إثبات المناسبة

بينهم و بين القرآن و حقائقه متمسّكا بقول الله تعالى و رسوله و المشايخ الثّقات من أُمّته

اعلم، أن أسرار القرآن و حقائقه أسرار إلهيّة و حقائق ربّانية منزلة من عالم القدس و الطهارة على النفوس المقدسة الطاهرة و الذوات الشريفة المنزهة، لقوله:

إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتٰابٍ مَكْنُونٍ لاٰ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ [سورة الواقعة: ٧٧-٧٩].

و لقوله:

كَلاَّ إِنَّهٰا تَذْكِرَةٌ. فَمَنْ شٰاءَ ذَكَرَهُ فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ كِرٰامٍ بَرَرَةٍ [سورة عبس: ١١- ١٦].

فلا يكون لها نزول و لا ظهور إلا في نفوس كاملة و ذوات طاهرة من الذنب و المعاصي المعبر عنها بالرّجس، لقوله تعالى:

الْخَبِيثٰاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَ الْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثٰاتِ وَ الطَّيِّبٰاتُ لِلطَّيِّبِينَ [سورة النور: ٢٦].

و ليس هذه النفوس الطاهرة و الذوات الكاملة إلا للأنبياء و الرسل و بعدهم لهؤلاء الأئمة التابعين لهم على قدم الصدق و الطهارة من أرباب التوحيد، و من هنا قلنا و نقول: إن الراسخين في العلم على الإطلاق، هم الأنبياء ثم الرسل، ثم الأولياء، ثم الأئمة، ثم العلماء الورثة، المسمّين بأرباب التوحيد حتى لا يدخل أحد آخر في هذا الحكم بغير الحق، لأن الدخول في هذا مشروط بشرط الطهارة الذاتية و ليس هذا إلا لأهل التوحيد، فلا يدخل فيهم

غيرهم كما ستعرفه الآن في قول المشايخ الثّقات، و قوله تعالى:
إِنَّمٰا يُرِيدُ اللّٰهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً [سورة الأحزاب: ۳۳].

إشارة إلى طهارة أهل البيت و تقدّسهم و تنزّههم من الذنب و المعصية، لأن

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۱، ص ۴۴۸

هذا الرّجس لا يخلو من وجهين، إما أن يكون بمعنى الكفر و الشّرك و إما أن يكون بمعنى الذنب و الفسق، فإن كان بالمعنى الأول فطهارتهم و تنزّههم من ذلك معلوم بالضرورة، و إن كان بالمعنى الثاني، فلو لم يكونوا طاهرين منه، مطهرين عن أمثاله، لا يصدق عليهم الطهارة، لأن الذنب و الفسق من أقذر النّجاسات و أنجسها، و قد شهد الحق بطهارتهم منه، فيجب أن يكونوا طاهرين بالضّرورة و إلا يلزم الخلاف في قول اللّه تعالى، و ذلك مستحيل.

و أيضا قد تقرّر في الأصول الكلامية و العقائد الشرعية، أن الإمام و الرسول، و النبي يجب أن يكونوا معصومين، و إلا لم يبق الوثوق بقولهم و فعلهم، و تبطل بعثتهم و دعوتهم و يلزم منه الإهمال و العبث، و نقض غرض الحكيم الكامل و قد أثبتنا أن كل هذا باطل، فيجب أن يكون الإمام معصوما من الخطأ مطلقا، و كذلك النبي و الرسول، و هذا هو المطلوب، و كل من يريد البسط فيه فيرجع إلى مظانّه، فإن الكتب الكلامية منا و من غيرنا مملوّة بهذا. و أما من المشايخ الصوفية، فالشيخ الأعظم محيي الدين الأعرابي قدّس اللّه سرّه، قد أشار إلى هذا المعنى في الفتوحات المكيّة من الجلد

الأول في الباب التاسع و العشرين في معرفة سرّ سلمان و سرّ إلحاقه بأهل البيت، و هو باب وسيع و فيه فوائد كثيرة، نريد أن نذكر مجموع ذاك الباب في هذا المقام استشهادا و اعتقادا و حجّة على جاحدي أقوالنا السابقة و هو هذا:

(التوجّه إلى غيره سبحانه ينافي التجريد و الانقطاع)

اعلم أيّدك اللّه! انّا روينا من حديث جعفر بن محمد الصادق، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين عن أبيه الحسين بن علي، عن أبيه علي بن أبي طالب، عن رسول اللّه (ص)، أنه قال: مولى القوم منهم «١١٩».

و خرّج الترمذي عن رسول اللّه (ص)، أنه قال:

---

(١١٩) قوله: عن رسول اللّه (ص) قال: مولى القوم منهم.

رواه ابن أبي جمهور في عوالي اللئالئ ج ٢، ص ٢٣٢، الحديث ١٨، و فيه: موالي القوم منهم، و نقله المصحح في ذيله عن كنوز الحقائق على هامش الجامع الصغير ح ٢، ص ١٢٣.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‏١، ص ٤٤٩

أهل القرآن هم أهل اللّه و خاصّته «١٢٠».

و قال تعالى في حق المختصّين من عباده:

إِنَّ عِبادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطانٌ [سورة الإسراء: ٦٥].

فكل عبد إلهيّ توجه لعبد عليه من المخلوقين حقّ، فقد نقص من عبوديته بقدر ذلك الحق، فإن ذلك المخلوق يطلبه بحقّه، و له عليه سلطان به، فلا يكون عبدا، محضًا، خالصا للّه، و هذا هو الذي رجّح، عند المنقطعين إلى اللّه، انقطاعهم عن الخلق، و لزومهم السّياحات و البراري و السّواحل، و الفرار من الناس، و الخروج عن ملك الحيوان، فإنهم يريدون الحرية عن جميع الأكوان، و لقيت منهم جماعة كثيرة في أيام سياحتي.

و من الزمان الذي حصل لي هذا المقام، ما ملكت حيوانا أصلا، بل و لا الثّوب الذي ألبسه، فإنّي لا ألبسه إلا عارية لشخص معيّن، أذن لي في التصرف فيه، و الزمان الذي أتملّك الشيء فيه، أخرج عنه في ذلك الوقت، إما بالهبة أو بالعتق، إن كان مما يعتق، و هذا حصل لي لما أردت التحقّق بعبودية الاختصاص للّه، قيل لي: لا يصح لك ذلك حتى لا تقوم لأحد عليك حجّة، قلت: و لا للّه، إن شاء اللّه، قيل لي: و كيف يصح لك أن لا تقوم للّه عليك حجّة؟ قلت: إنما تقام الحجج على المنكرين، لا على المعترفين، و على أهل الدّعاوى و أصحاب الحظوظ، لا على من قال: ما لي حق و لا حظّ.

(الطهارة رزق لمن يكون عبدا محضا)

و لما كان رسول اللّه (ص)، عبدا محضا، قد طهّره اللّه و أهل بيته تطهيرا، و أذهب عنهم الرّجس، و هو كلّ ما يشينهم، فإن الرّجس، هو القذر عند العرب،

(۱۲۰) قوله: إنّه (ص) قال: أهل القرآن ... الحديث.

تمام الحديث كما في مسند ابن حنبل ج ۲، ص ۱۲۸، و ص ۲٤۲ بإسناده عن أنس قال: قال رسول اللّه (ص) أن للّه أهلين من الناس، قال: قيل: من هم يا رسول اللّه (ص) قال: أهل القرآن هم أهل اللّه و خاصّته.

أخرجه أيضا ابن ماجة في سننه ج ۱، ص ۷۸، الحديث ۲۱۵، و الحاكم في المستدرك ج ۱، ص ۱۳۹.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۱، ص ۴۵۰

هكذا حكى الفرّاء.

قال تعالى:

إِنَّمٰا يُرِيدُ اللّٰهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً [سورة الأحزاب: ۳۳].

فلا يضاف إليهم إلا مطهر و لا بدّ، فإن المضاف إليهم هو الذي يشبههم، فما يضيفون لأنفسهم إلا من له حكم الطهارة و التقديس، فهذه شهادة من النبي (ص)، لسلمان الفارسي بالطهارة و الحفظ الإلهي و العصمة، حيث قال فيه رسول اللّه (ص):

سلمان منا أهل البيت [و قد مرّت الإشارة إليه في التعليقة ۱٦۲ فراجع].

(أهل البيت (ع) هم عين الطهارة)

و شهد اللّه لهم بالتطهير و ذهاب الرجس عنهم، و إذا كان لا ينضاف إليهم إلا

مطهر مقدّس، و حصلت له العناية الإلهيّة بمجرد الإضافة، فما ظنّك بأهل البيت في نفوسهم؟ فهم المطهّرون، بل هم عين الطهارة.
فهذه الآية تدل على أن اللّه قد شرك أهل البيت مع رسول اللّه (ص)، في قوله تعالى:
لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مٰا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَ مٰا تَأَخَّرَ [سورة الفتح: ٣].
و أي وسخ و قذر أقذر من الذنوب و أوسخ منها؟ فطهّر اللّه سبحانه، نبيّه (ص)، بالمغفرة، فما هو ذنب، بالنسبة إلينا لو وقع منه (ص)، لكان ذنبا في الصورة، لا في المعنى، لأن الذم لا يلحق به على ذلك، من اللّه و لا منا شرعا، فلو كان حكمه حكم الذنب، لصحبه ما يصحب الذنب من المذمّة، و لم يصدق قوله:
لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً [سورة الأحزاب: ٣٣].
فدخل الشّرفاء أولاد فاطمة كلهم و من هو من أهل البيت مثل سلمان الفارسي إلى يوم القيامة في حكم هذه الآية.
من الغفران، فهم المطهرون اختصاصا من اللّه و عناية منهم، لشرف

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‌١، ص ٤٥١

محمّد (ص)، و عناية اللّه به، و لا يظهر حكم هذا الشرف لأهل البيت، إلا في الدار الآخرة، فإنهم يحشرون مغفورا لهم، و أما في الدنيا فمن أتى منهم حدّا أقيم عليه، كالتائب إذا بلغ الحاكم أمره، و قد زنى أو سرق أو شرب، أقيم عليه الحد، مع تحقّق المغفرة، كما عز و أمثاله، و لا يجوز ذمّه.
و ينبغي لكل مسلم موٴمن باللّه و بما أنزله، أن يصدق اللّه تعالى في قوله:

لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً [سورة الأحزاب: ٣٣].
فيعتقد في جميع ما يصدر من أهل البيت، أن اللّه قد عفا عنهم فيه، فلا ينبغي لمسلم أن يلحق المذمّة بهم، و لا ما يشنأ أعراض من قد شهد اللّه بتطهيره و ذهاب الرجس عنه، لا بعمل عملوه و لا بخير قدّموه، بل سابق عناية من اللّه بهم.
ذٰلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ وَ اللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ [سورة الجمعة: ٤].
و إذا صح الخبر الوارد في سلمان الفارسي، فله هذه الدرجة، فإنه لو كان سلمان على أمر يشنؤه ظاهر الشرع، و تلحق المذمّة بعامله، لكان مضافا إلى أهل البيت من لم يذهب عنه الرجس، فيكون لأهل البيت من ذلك بقدر ما أضيف إليهم، و هم المطهّرون بالنّص، فسلمان منهم بلا شك، فأرجو أن يكون عقب عليّ و سلمان تلحقهم هذه العناية كما لحقت أولاد الحسن و الحسين و عقبهم، و موالي أهل البيت، فإن رحمة اللّه واسعة.
(أهل البيت المعصومون و هم أقطاب العالم)
يا وليّ! فإذا كانت منزلة مخلوق عند اللّه بهذه المثابة، أن يشرف المضاف إليهم بشرفهم و شرفهم ليس لأنفسهم، و إنما اللّه تعالى هو الذي اجتباهم و كساهم حلّة الشرف، كيف، يا وليّ! بمن أضيف إلى من له الحمد و المجد و الشرف لنفسه و ذاته؟ فهو المجيد، سبحانه و تعالى، فالمضاف من عباده، الذين هم عباده، و هم الذين لا سلطان لمخلوق عليهم في الآخرة، قال تعالى لإبليس:
إِنَّ عِبٰادِي (فأضافهم إليه) لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطٰانٌ [سورة الإسراء: ٦٥].

و ما تجد في القرآن عبادا مضافين إليه سبحانه، إلا السعداء خاصة، و جاء

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‌١، ص ۴۵۲

اللفظ في غيرهم بالعباد فما ظنّك بالمعصومين، المحفوظين منهم، القائمين بحدود سيّدهم، الواقفين عند مراسمه؟ فشرفهم أعلى و أتمّ، و هؤلاء هم أقطاب هذا المقام.

و من هؤلاء الأقطاب ورث سلمان شرف مقام أهل البيت فكان رضى اللّه عنه، من أعلم الناس بما للّه على عباده من الحقوق و ما لأنفسهم و الخلق عليهم من الحقوق، و أقواهم على أدائها، و فيه قال رسول اللّه (ص):

«لو كان الإيمان بالثريّا لناله رجال من فارس و أشار إلى سلمان الفارسي» «١٢١».

و في تخصيص النبي (ص)، ذكر الثّريا، دون غيرها إشارة بديعة لمثبتي الصفات السبعة، لأنها سبعة كواكب. فافهم! فسرّ سلمان الذي ألحقه بأهل البيت، ما أعطاه النبيّ (ص)، من أداء كتابته، و في هذا فقه عجيب، فهو عتيقه (ص)، و مولى القوم منهم، و الكل موالي الحق، و رحمة اللّه وسعت كل شيء [إشارة إلى الكريمة في سورة الأعراف ١٥٦: و رحمتي وسعت كل شيء]، و كل شيء هو عبده و مولاه.

(ذام أهل البيت (ع) ذام لنفسه في الحقيقة)

و بعد أن تبيّن لك منزلة أهل البيت عند اللّه، و أنه لا ينبغي لمسلم أن يذمّهم بما يقع منهم أصلا، فإن اللّه طهّرهم، فليعلم الذامّ لهم أن ذلك راجع إليه، و لو ظلموه فذلك الظلم هو، في زعمه، ظلم لا في نفس الأمر، و إن حكم عليه

(١٢١) قوله: و قال رسول اللّه (ص): لو كان الإيمان بالثريّا الخ.

أخرج أحمد بن حنبل في مسنده ج ٢، ص ٤١٧ بإسناده عن أبي هريرة، قال كنّا جلوسا عند النبيّ (ص) إذ نزلت عليه سورة الجمعة، فلمّا قرأ: و آخرين منهم لمّا يلحقوا بهم قال رجل: من هؤلاء يا رسول اللّه، فلم يراجعه (ص) حتّى سأله مرّة أو مرّتين أو ثلاثا و فينا سلمان الفارسي، قال: فوضع النبيّ (ص) يده على سلمان، و قال: لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال من هؤلاء.

و أخرجه مسلم في صحيحه ج ٤، ص ١٩٧٣، الحديث ٢٣١، و في كنز العمال ج ١١، ص ٦٩٠، الحديث ٣٣٣٤٢، و ج ١٢، ص ٣٠٣ الحديث ٣٥١٢٥ و الحديث ٣٤١٢٩، ص ٩١ قريب منه.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ١، ص ٤٥٣

الشرع بأدائه، بل حكم ظلمهم إيّانا في نفس الأمر يشبه جرى المقادير على العبد في ماله و نفسه بغرق أو بحرق و غير ذلك من الأمور المهلكة، فيحترق أو يموت له أحد أحبابه، أو يصاب في نفسه، و هذا كله مما لا يوافق غرضه.

و لا يجوز له أن يذم قدر اللّه و لا قضاءه، بل ينبغي له أن يقابل ذلك كله بالتسليم و الرضا، و إن نزل عن هذه المرتبة فبالصبر، فإن ارتفع عن تلك

المرتبة فالشكر، فإن في طيّ ذلك نعما من الله لهذا المصاب، و ليس وراء ما ذكرناه خير، فإنه ما وراءه إلا الضجر و السّخط و عدم الرضا و سوء الأدب مع اللّه.

فكذا ينبغي أن يقابل المسلم جميع ما يطرأ عليه، من أهل البيت، في ماله و نفسه و عرضه و أهله و ذويه، فيقابل ذلك كله، بالرضا و التسليم و الصبر، و لا يلحق المذمّة بهم أصلا، و إن توجّهت عليهم الأحكام المقررة شرعا، فذلك لا يقدح في هذا، بل يجريه مجرى المقادير، و إنما منعنا تعليق الذّمّ بهم، إذ ميّزهم اللّه عنّا بما ليس لنا معهم فيه قدم.

و أما أداء الحقوق المشروعة، فهذا رسول اللّه (ص)، كان يقترض من اليهود، و إذا طالبوه بحقوقهم أدّاها على أحسن ما يمكن، و إن تطاول اليهودي عليه بالقول، يقول: دعوه! إن لصاحب الحق مقالا.

و قال (ص) في قصة:

لو أن فاطمة بنت محمّد سرقت لقطعت يدها (۱۲۲) فوضع الأحكام للّه

(۱۲۲) قوله: قال (ص) في قصّة: لو أنّ فاطمة (ع) الحديث أقول: القصّة قصّة امرأة من بني مخزوم سرقت، فأمر النبيّ (ص) أن تقطع يدها، أخرج مسلم في صحيحه ج ۳ كتاب الحدود باب ۲ قطع السارق الشريف و غيره و النهي عن الشفاعة في الحدود، الحديث ۹- ۱٦۸۸ بإسناده عن عائشة زوج النبيّ (ص): أنّ قريشا أهمّهم شأن المرأة الّتي سرقت في عهد النبيّ (ص) في غزوة الفتح، فقالوا: من يكلّم فيها رسول اللّه (ص)؟ فقالوا: و من

يجترئ عليه إلاّ أسامة بن زيد، حبّ رسول اللّه (ص)؟ فأتي بها رسول اللّه (ص)، فكلمه فيها أسامة بن زيد، فتلوّن وجه رسول اللّه (ص) فقال: أتشفع في حدّ من حدود اللّه؟ فقال له أسامة: استغفر لي يا رسول اللّه! فلمّا كان العشيّ قام رسول اللّه (ص) فاختطب فأثنى على اللّه بما هو أهله، ثمّ قال: أمّا بعد، فإنّما أهلك الّذين من قبلكم، أنّهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، و إذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحدّ، و إنّي و الّذي نفسي بيده، لو أنّ فاطمة بنت محمّد سرقت لقطعت يدها، ثمّ أمر بتلك المرأة الّتي سرقت فقطعت يدها.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج١، ص ۴۵۴

يضعها كيف يشاء، و على أي حال يشاء، فهذه حقوق اللّه و مع هذا لم يذمّهم اللّه، و إنما كلامنا في حقوقنا، و ما لنا أن نطالبهم به، فنحن مخيّرون، إن شئنا أخذنا و إن شئنا تركنا، و الترك أفضل عموما فكيف في أهل البيت؟ و ليس لنا ذمّ أحد، فكيف بأهل البيت؟ فإنّا إذا نزلنا عن طلب حقوقنا و عفونا عنهم في ذلك- أي فيما أصابوه منا- كانت لنا بذلك عند اللّه اليد العظمى و المكانة الزّلفى.

(حب أهل البيت (ع) و محبتهم طلب من قبل رسول اللّه (ص))

فإن النبي (ص)، ما طلب منّا عن أمر اللّه: إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبىٰ [سورة الشورى: ٢٣]. و فيه سرّ صلة الأرحام، و من لم يقبل سؤال نبيّه فيما سأله فيه ممّا هو قادر عليه بأيّ وجه يلقاه غدا أو يرجو شفاعته، و هو ما أسعف نبيّه (ص)، فيما طلب منه من المودة في قرابته فكيف بأهل بيته فهم أخص

القرابة؟ ثم إنّه تعالى جاء بلفظ المودة و هو أثبت على المحبة، فإنه من ثبت ودّه في أمر استصحبه في كل حال، و إذا استصحبته المودّة، في كل حال، لم يؤاخذ أهل البيت بما يطرأ منهم في حقه، مما له أن يطالبهم به، فيتركه ترك محبة، و إيثارا لنفسه لا عليها.

قال المحب الصادق:

و كل ما يفعل المحبوب محبوب.

و جاء باسم، الحب، فكيف حال المودّة؟ و من البشرى و رود اسم الودود، للّه تعالى.

و لا معنى لثبوتها إلا حصول أثرها بالفعل في الدار الآخرة و في النار لكل طائفة بما تقتضيه حكمة اللّه فيهم.

و قال الآخر في المعنى:

أحبّ لحبّها، السودان، حتى أحبّ لحبّها سود الكلاب

أخرجه أيضا الدارمي في سننه ج ٢، كتاب الحدود باب ٥، ص ٣٢٧، باب الشفاعة في الحدود دون السلطان الحديث ٢٣٠٢، و أيضا ابن ماجة ج ٢ باب ٦، من كتاب الحدود ص ٨٥١ الحديث ٢٥٤٧، و أيضا أبي داود في سننه ج ٤، ص ١٣٢، الحديث ٤٣٧٣ كتاب الحدود، و أحمد بن حنبل في مسنده ج ٣، ص ٣٨٧ و ص ٣٩٥.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۱، ص ۴۵۵

و لنا في هذا المعنى:

أحـبّ لـحـبّـك الـحـبـشـان طـرّا   و أعشق لاسمك البدر المنيرا

قيل: كانت الكلاب السود تناوشه و هو يتحبب إليها، فهذا فعل المحب في حب من لا تسعده محبته عند اللّه، و لا تورثه القربة من اللّه فهل هذا إلا من صدق الحب و ثبوت الود في النفس؟

(دليل صحّة محبّة اللّه و رسوله (ص) محبة أهل بيته (ع)

فلو صحّت محبتك للّه و لرسوله، أحببت أهل بيت رسول اللّه (ص)، و رأيت كل ما يصدر منهم في حقك مما لا يوافق طبعك و لا غرضك، إنه جمال تتنعم بوقوعه منهم، فتعلم عند ذلك أن لك عناية عند اللّه الذي أحببتهم من أجله، حيث ذكرك من يحبه و خطرت على باله، و هم أهل بيت رسول اللّه (ص)، فتشكر اللّه على هذه النعمة، فإنهم ذكروك بألسنة طاهرة بتطهير اللّه طهارة لم يبلغها علمك.

و إذا رأيناك على ضد هذه الحالة مع أهل البيت الذين أنت محتاج إليهم، و لرسول اللّه (ص)، حيث هداك اللّه به، فكيف أثق أنا بودّك الذي تزعم به

أنك شديد الحب فيّ، و الرعاية لحقوقي أو لجانبي، و أنت في حق أهل بيت نبيّك، بهذه المثابة من الوقوع فيهم؟ و اللّه! ما ذاك إلا من نقص إيمانك، و من مكر اللّه بك و استدراجه إياك من حيث لا تعلم.

و صورة المكر أن تقول و تعتقد في ذلك أنك، تذب عن دين اللّه و شرعه، و تقول في طلب حقك: إنك ما طلبت إلا ما أباح اللّه لك طلبه، و يندرج الذمّ في ذلك الطلب المشروع، و البغض و المقت، و إيثارك نفسك على أهل البيت، و أنت لا تشعر بذلك، و الدّواء الشافي من هذا الداء العضال، أن لا ترى لنفسك معهم حقّا، و تنزل عن حقّك لئلاّ يندرج في طلبه، ما ذكرته لك، و ما أنت من حكّام المسلمين حتى يتعيّن عليك إقامة حدّ، أو إنصاف مظلوم، أو ردّ حقّ إلى أهله، فإن كنت حاكما، و لا بدّ، فاسع في استنزال صاحب الحق عن حقه، إذا كان المحكوم عليه من أهل البيت، فإن أبى، حينئذ يتعين عليك إمضاء حكم الشرع فيه، فلو كشف اللّه لك، يا وليّ! عن منازلهم عند اللّه في الآخرة، لوددت أن تكون

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۱، ص ۴۵۶

مولى من مواليهم، فاللّه يلهمنا رشد أنفسنا، فانظر ما أشرف منزلة سلمان رحمة اللّه عليه و عليهم أجمعين.

(أسرار أهل البيت (ع) و بعض مختصاتهم)

و لما بينت لك أقطاب هذا المقام، و أنهم عبيد اللّه المصطفون الأخيار، فاعلم أن أسرارهم التي اطلعنا اللّه عليها تجهلها العامة، بل أكثر الخاصة التي ليس لها هذا المقام، و الخضر منهم رضي اللّه عنه، و هو من أكبرهم، و قد

شهد اللّه له أنه آتاه، رحمة من عنده و علمه من لدنه علما، اتبعه فيه كليم اللّه موسى (ع)، الذي قال فيه (ص):

لو كان موسى حيّا ما وسعه إلا أن يتبعني (اتّباعي).

فمن أسرارهم ما قد ذكرناه من العلم بمنزلة أهل البيت و ما قد نبّه اللّه على علوّ رتبتهم في ذلك.

و من أسرارهم علم المكر الذي مكر اللّه بعباده في بغضهم، مع دعواهم في حب رسول اللّه (ص)، و سؤاله المودة في القربى، و هو (ص)، من جملة أهل البيت، فما فعل أكثر الناس ما سألهم فيه رسول اللّه (ص)، عن أمر اللّه، فعصوا اللّه و رسوله و لا أحبوا من قرابته إلا من رأوا منه الإحسان، فأغراضهم أحبّوا، و بنفوسهم تعشّقوا.

و من أسرارهم الاطلاع على صحّة ما شرع اللّه لهم في هذه الشريعة المحمّدية، من حيث لا يعلم العلماء بها، فإن الفقهاء و المحدثين الذين أخذوا علمهم ميّتا عن ميّت، إنما المتأخّر منهم هو فيه على غلبة ظنّ إذ كان النقل بشهادة و التواتر عزيز، ثم إنهم إذا عثروا على أمور تفيد العلم بطريق التواتر، لم يكن ذلك اللفظ، المنقول بالتواتر نصّا فيما حكموا فيه، فإن النصوص عزيزة، فيأخذون من ذلك اللفظ بقدر قوّة فهمهم به و لهذا اختلفوا، و قد يمكن أن يكون لذلك اللفظ في ذلك الأمر نص آخر يعارضه و لم يصل إليهم، و ما لم يصل إليهم ما تعبدوا به و لا يعرفون بأي وجه من وجوه الاحتمالات التي في قوة هذا اللفظ كان يحكم رسول اللّه (ص) المشرع، فأخذه أهل اللّه عن رسول اللّه (ص)، في الكشف،

تفسیر المحیط الأعظم و البحر الخضم، ج۱، ص ۴۵۷

على الأمر الجليّ و النص الصريح في الحكم أو عن اللّه بالبيّنة التي هم عليها من ربهم و البصيرة التي بها دعوا الخلق إلى اللّه عليها، كما قال اللّه:

أَ فَمَنْ كٰانَ عَلىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ [سورة محمّد: ۱۴].

و قال:

أَدْعُوا إِلَى اللهِ عَلىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَ مَنِ اتَّبَعَنِي [سورة يوسف: ۱۰۸].

فلم يفرد نفسه بالبصيرة و شهد لهم بالاتباع في الحكم فلا يتبعونه، إلا على بصيرة و هم عباد اللّه أهل هذا المقام.

و من أسرارهم أيضا إصابة أهل العقائد فيما اعتقدوه في الجناب الإلهي و ما تجلّى لهم حتى اعتقدوا ذلك، و من أين تصوّر الخلاف، مع الاتفاق على السبب الموجب الذي استندوا إليه، فإنه ما اختلف فيه اثنان؟ و إنما وقع الخلاف فيما هو ذلك السبب؟ و بما ذا يسمّى ذلك السبب؟ فمن قائل: هو الطبيعة، و من قائل هو الدهر، و من قائل هو غير ذلك، فاتفق الكل في إثباته و وجوب وجوده. و هل هذا الخلاف يضرّهم مع هذا أم لا؟ هذا كله من علوم أهل هذا المقام.

و اللّه يقول الحق و هو يهدي السبيل.

هذا آخر الباب المذكور من كلام الشيخ الأعظم قدّس سرّه «۱۲۳»، و كان الغرض منه أولا علمك بشرف أهل البيت و فضلهم من لسانه، و علمك بطريق المحبة و كيفية المودة معهم، ثم علمك بتطهيرهم و عصمتهم و خصوصيّة أسرار القرآن و علومه بهم و بتابعيهم كسلمان و غيره على طريق

التبصرة و الكشف المشار إليهم الآن بأهل التوحيد و أهل اللّه.

و إذا عرفت هذا و تحقّقت هذا المعنى، فنرجع إلى البحث الذي كنا بصدده من بحث خصوصيّة التأويل بهم و بتابعيهم، و نثبت هذا المعنى بعينه للمهدي (ع)

(۱۲۳) قوله: فالشيخ الأعظم محيي الدين ابن عربي (قدس سره) قد أشار إلى هذا المعنى الخ.

الفتوحات المكيّة، الطبعة السابقة ج ۳، ص ۲۲۷- و الطبعة السابقة ج ۱، ص ۱۹۶- الباب التاسع و العشرون في معرفة سرّ سلمان الّذي ألحقه بأهل البيت و الأقطاب الذين ورثه منهم و معرفة أسرارهم.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ۱، ص ۴۵۸

الذي هو من أولادهم، و هو هذا و باللّه التوفيق.

البحث الثالث في اثبات هذا المعنى للمهدي (ع) متمسّكا بالعقل و النقل و الكشف

اعلم أن التأويل لو لم يكن مخصوصا بهم و بتابعيهم، لم يكن اللّه تعالى يقيّد التأويل حق التأويل بالإمام المنتظر منهم المسمّى بالمهدي (ع) في قوله:

وَ لَقَدْ جِئْنٰاهُمْ بِكِتٰابٍ فَصَّلْنٰاهُ عَلىٰ عِلْمٍ هُدىً وَ رَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ هَلْ

يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَ ضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ [سورة الأعراف: ۵۲- ۵۳].

(عصر ظهور المهدي (ع) عصر لظهور التأويل)

و ذلك لأن زمانه يقتضي ظهور التأويل على ما هو عليه و ظهور الشريعة على ما ينبغي و رفع المذاهب و الملل بحيث لا يبقى إلا مذهب واحد و دين واحد و هو دين محمّد (ص) و مذهبه كما أشار إليه الحق تعالى في قوله:

يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِؤُا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَ يَأْبَى اللهُ إِلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَ لَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ، هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَ دِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ [سورة التوبة: ۳۲- ۳۳].

و أشار إليه النبي (ص) بقوله:

«لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد، لطول اللّه تعالى ذلك اليوم ليخرج رجل من أهل بيتي، يواطئ اسمه اسمي و كنيته كنيتي، يملأ الأرض قسطا و عدلا كما ملئت جورا و ظلما» [قد مرّت الإشارة إليه في التعليقة ۸۰ فراجع].

و إن قيل: المراد باليوم الذي يأتي تأويله، يوم القيامة الكبرى، لا يوم ظهور المهدي.

(القیامات الثلاث و آثارها)

أجبت عنه بأن القيامات ثلاث، الصغرى و الوسطى و الكبرى، فالصغرى باتفاق أكثر المحدّثين هو ظهور المهدي (ع) و تأسيس العدل بين الناس و قيام أكثر الناس عن القبور، و نزول عليّين عن السماء و ظهور كثير من الأخيار ... و كسب الكمالات منه، و الدليل على ذلك و هو أن يوم القيامة الكبرى ليس فيه تأويل و لا تفسير و لا إيمان و لا كتاب ليقول الحق:

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ [سورة الأعراف: ۵۳].

بل ذلك اليوم يوم جزاء و حساب و يوم ثواب و عقاب لقوله تعالى:

يَوْمَ لاٰ يَنفَعُ مٰالٌ وَ لاٰ بَنُونَ إِلاَّ مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ [سورة الشعراء: ۸۷].

و يشهد بذلك أيضا قوله:

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلاٰئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيٰاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيٰاتِ رَبِّكَ لاٰ يَنْفَعُ نَفْساً إِيمٰانُهٰا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمٰانِهٰا خَيْراً قُلِ انْتَظِرُوا إِنّٰا مُنْتَظِرُونَ [سورة الأنعام: ۱۵۸].

لأن يوم القيامة الكبرى يوم ظهور الآيات كلها لا بعضها.

فعلمنا من هذا أن المراد بذلك اليوم، القيامة الصغرى الذي هو يوم ظهور بعض الآيات و يوم ظهور تأويل القرآن حقّ تأويله، كما قال عيسى (ع):

نحن نأتيكم بالتنزيل، و أما التأويل فسيأتيكم به الفارقليط في آخر الزمان [قد مرّت الإشارة إليه في التعليقة ۸۷ فراجع].

و من جملة آيات اللّه تعالى في ذلك اليوم غير ما ذكرناه، طلوع الشمس من المغرب، و ظهور الدّجال و فتح بلاد الكفر و أمثال ذلك، كما سنذكرها إن

شاء الله.

و قوله تعالى أيضا في كتابه الكريم:

وَ يَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً [سورة النمل: ۸۳].

شاهد على صدق هذه الدعوة، لأن حشر بعض الناس المعبّر عنهم بالفوج لا يكون إلا في القيامة الصغرى، لأن القيامة الكبرى يوم حشر الكل لا البعض، لقوله

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۱، ص ۴۶۰

تعالى:

وَ حَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً [سورة الكهف: ٤٧].

و لقوله:

إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَ الْآخِرِينَ لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ [سورة الواقعة: ٤٩ ۵۰] و إن قلت: إن المراد بالقيامة الصغرى الموت لقول النبي (ص):

«من مات فقد قامت قيامته» «١٢٤» لا الذي أشرتم إليها قلنا: إن هذه القيامة التي أشرنا إليها و هي القيامة الصغرى في الآفاق و تلك القيامة الصغرى في الأنفس و لا يدخل هذا في هذا لأن القيامات كما أنها بالنسبة إلى الآفاق ثلاث، الصغرى و الوسطى و الكبرى فكذلك بالنسبة إلى الأنفس فإنها أيضا ثلاث الصغرى و الوسطى و الكبرى، و قد أشرنا إلى هذه القيامات في رسالتنا المسمّاة برسالة المعاد مفصّلا، كما نذكره في المقدمة السادسة من هذه المقدمات السبع، لأن هذا المكان لا يحتمل بسطها لأنها تنقسم إلى اثنتي عشرة قيامة آفاقية و أنفسية، هذا مضى و قد ورد عن النبي (ص) أنه

قال:

«زويت لي الأرض، فأريت مشارقها و مغاربها و سيبلغ ملك أمّتي ما زوى لي منها» «(١٢٥)».

و ورد عنه (ع) أنه قال:

لا يبقى على الأرض بيت مدر و لا وبر إلا أدخله اللّه تعالى كلمة الإسلام بعزّ عزيز و ذلّ ذليل، إمّا أن يعزّهم اللّه، فيجعلهم من أهلها، و إمّا أن يذلّهم، فيدينون لها «(١٢٦)».

---

(١٢٤) قوله: لقول النبيّ (ص) من مات فقد قامت قيامته، ذكره الغزالي في إحياء العلوم ج ٤، ص ٦٤، و قال العراقي في ذيله: أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت من حديث أنس ...

(١٢٥) قوله: و قد ورد عن النبيّ (ص) أنّه قال: زويت لي الأرض الحديث، أخرجه ابن ماجة في سننه ج ٢، ص ١٣٠٤، الحديث ٣٩٥٢ من كتاب الفتن، و أخرجه أيضا مسلم في صحيحه ج ٤، ص ٢٢١٥ الحديث ٢٨٨٩، باب هلاك هذه الأمة من كتاب الفتن، و أخرجه البيهقي أيضا ج ٩، ص ١٨١، كتاب السير بإسناده عن ثوبان، و أخرجه أيضا أبو عبيد في غريب الحديث ج ١، ص ٣.

(١٢٦) قوله: و ورد عنه (ص): لا يبقى على الأرض بيت مدر الخ.

أخرجه أحمد في مسنده ج ٤، ص ٦ بإسناده عن المقداد بن الأسود، و البيهقي أيضا ج ٩، ص ١٨١ كتاب السير بإسناده عنه أيضا، و أخرجه الحاكم في المستدرك ج ٤، ص ٤٣٠

كتاب الفتن و الملاحم عنه أيضا.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج١، ص ۴۶۱

و ذهب أكثر المفسرين إلى أن قوله تعالى:

وَ نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَ نَجْعَلَهُمُ الْوٰارِثِينَ [سورة القصص: ۵].

و قوله:

وَعَدَ اللّٰهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ عَمِلُوا الصّٰالِحٰاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ لَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضىٰ لَهُمْ وَ لَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لاٰ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً [سورة النور: ۵۵].

و قوله:

فَسَوْفَ يَأْتِي اللّٰهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَ يُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكٰافِرِينَ يُجٰاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ وَ لاٰ يَخٰافُونَ لَوْمَةَ لاٰئِمٍ ذٰلِكَ فَضْلُ اللّٰهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشٰاءُ وَ اللّٰهُ وٰاسِعٌ عَلِيمٌ [سورة المائدة: ۵٤].

إِنَّمٰا وَلِيُّكُمُ اللّٰهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاٰةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكٰاةَ وَ هُمْ رٰاكِعُونَ [سورة المائدة: ۵۵].

نزل في حق أهل البيت عموما و في حق المهدي منهم خصوصا، و ذلك صحيح، لأن هذه الآيات كلها شاهدة على ما ذهبنا إليه من ظهور المهدي في آخر يوم من أيام الدنيا المسمّى بالقيامة الصغرى، و ظهور الحق تعالى بمظهر القطب الأعظم و الخليفة الأكبر الخاتم الولاية المحمّدية، و الحكم

بالتوحيد الذاتي من المشرق إلى المغرب و تبديل الأديان و الملك، و كملين أهل اللّه من أرباب التوحيد الذين هم من جنوده الخاصّة، و أمثال ذلك.

و قد قيل في الآية المذكورة في قوله: وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَ نَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ أنه دال على خلافته و إمامته و حجّيته، و أنه وارث حقيقي لهذا المقام، لأن الألف و اللام متى دخلا في الخبر أفادا انحصاره في المبتدأ، فإنا إذا قلنا: إنّه هو العالم،

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۱، ص ۴۶۲

دل على أن غيره ليس بعالم، و كل إمام غيره من الأئمة فهو موروث، و لا يكون هو الوارث دون غيره، لأن من بعده وارثه، فدل على أن الإمام الذي هو بهذه الصفات يرث من قبله، أعني يرث هو الإمامة و لا يورث عنه، و غير الإمام محمد بن الحسن صاحب الزمان (ع)، ليس له هذه الصفات بإجماع المسلمين، فيكون هو المراد بهذه الآية، فثبتت إمامته و خلافته بالعصمة الحاصلة له دون غيره.

و كذلك ختميّته بانحصار الوراثة فيه، لأن المراد بالخاتم للأولياء هو الذي لا يكون بعده وليّ يرجع إليه، و هذا كذلك فيكون هو خاتما للولاية المحمّدية، و هذا هو المطلوب، و قد ورد عن كل واحد من الأئمة خبر دال، و ذكر المجموع هاهنا يطول و يخرج الكلام عن المقصد.

و حاصل الكل قول مولانا جعفر بن محمد الصادق (ع) في بعض أدعيته «۱۲۷».

سبحانه ما أبين كرمه و أعلى شأنه، سبحانه ما أجل نيله و أعظم إحسانه، بعث الأنبياء ليبيّن عدله و نصب الأولياء ليظهر طوله و فضله، و جعلنا من أمة سيد الأنبياء و خير الأولياء و أفضل الأزكياء و أعلى الأصفياء، محمد (ص)، آمنّا به و بما دعانا إليه، و بالقرآن الذي أنزله عليه، و بوصيّه الذي نصبه يوم الغدير و أشار بقوله: هذا علي إليه، و أشهد أن الأئمة الأبرار و الخلفاء الأخيار بعد الرسول المختار على قامع الكفار و من بعده سيد أولاده الحسن بن علي، ثم أخوه السبط التابع لمرضات اللّه الحسين، ثم العابد علي، ثم الباقر محمد، ثم الصادق جعفر، ثم الكاظم موسى، ثم الرّضا عليّ، ثم التقى محمّد، ثم النّقى عليّ، ثم الزّكيّ الحسن، ثم الحجّة الخلف القائم المنتظر المهدي المرجى الذي ببقائه بقيت الدنيا و بيمنه رزق الورى و بوجوده ثبتت الأرض و السماء و به يملأ اللّه الأرض قسطا و عدلا كما ملئت جورا و ظلما.

لأن هذا القول ناطق بخلافته و حجّيته و قطبيته و جميع ما أشرنا إليه، و ذلك

(١٢٧) قوله: و حاصل الكلّ قول مولانا جعفر بن محمد الصادق (ع) في بعض أدعيته الخ.

أقول: العبارات المذكورة بعض من دعاء العديلة المعروف، ذكرها الشيخ عباس القمي في كتابه مفاتيح الجنان فراجع. [.....]

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۱، ص ۴۶۳

لأن هذا المهدي (ع) كما هو عند الإمامية إمام زمانه و وارث علم آبائه و أجداده، و به يظهر الدين على ما هو عليه و به تقوم الساعة، و به يتم الدورة، فهو عند الموحدين من أهل اللّه، القطب الأعظم الذي به يكون به قيام الوجود و ختم الولاية و ظهور الساعة و أمثال ذلك.

و إليه ذهب من المشايخ الإسلامية، أبا يزيد البسطامي و معروف الكرخي و السرى السقطي و الجنيد البغدادي، ثم من بعدهم الشيخ الكامل سعد الدين الحموي ثم أولاده ثم أتباعه كما سنذكرهم مفصّلا بعد هذا البحث عند بحث الخرقة و إسنادها إليهم.

ثم الشيخ الأعظم الأكمل محيي الدين الأعرابي قدس اللّه سرّه، فإنه ذكر في فتوحاته في هذا الباب، بابا مفردا و هو الباب السادس و الستون و ثلاثمائة في معرفة (منزل) وزراء المهدي (ع) الظاهر في آخر الزمان في المجلد الخامس منه، و هو قوله:

اعلم، أيدنا اللّه، أن للّه خليفة يخرج و قد امتلأت الأرض جورا و ظلما، فيملؤها قسطا و عدلا لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد طوّل اللّه ذلك اليوم حتى يلي هذا الخليفة من عترة رسول اللّه (ص) من ولد فاطمة يواطئ اسمه اسم رسول اللّه (ص)، جده الحسين بن علي بن أبي طالب (ع) يبايع بين الرّكن و المقام يشبه رسول اللّه (ص) في خلقه (بفتح الخاء)، و ينزل عنه في الخلق (بضم الخاء)، لأنه لا يكون أحد مثل رسول اللّه (ص) في خلقه (أخلاقه)، و اللّه يقول فيه: وَ إِنَّكَ لَعَلى‏ خُلُقٍ عَظِيمٍ [سورة القلم: ٤]

هو أجلى الجبهة أقنى الأنف أسعد الناس به أهل الكوفة يقسم المال بالتسوية و يعدل في الرعية، و يفصل في القضية، إلى قوله: يعزّ الإسلام بعد ذلّه و يحيى بعد موته، يضع الجزية، و يدعو إلى اللّه بالسيف، فمن أبى قتل و من نازعه خذل، يظهر من الدين ما هو الدين عليه في نفسه ما لو كان رسول اللّه (ص)، يحكم به، يرفع المذاهب من الأرض، فلا يبقى إلا الدين الخالص، أعداؤه مقلّدة العلماء أهل الاجتهاد لما يرونه من الحكم بخلاف ما ذهبت إليه أئمتهم فيدخلون كرها تحت حكمه خوفا من سيفه و سطوته، و رغبة فيما لديه يفرح به عامة المسلمين أكثر من خواصهم، يبايعه العارفون باللّه من أهل الحقائق عن شهود و كشف، بتعريف إلهي له رجال إلهيون يقيمون دعوته،

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۱، ص ۴۶۴

و ينصرونه هم الوزراء يحملون أثقال المملكة، و يعينونه على ما قلّده اللّه، ينزل عليه عيسى ابن مريم بالمنارة البيضاء بشرقي دمشق بين مهرودتين، متكئا على ملكين، ملك عن يمينه و ملك عن يساره. إلى آخر الباب و هو باب طويل ما يحتمله هذا المكان «۱۲۸».

و الغرض أن التأويل حق التأويل بعد أجداده الطاهرين مخصوص به و بزمانه، و سيجيء بحثه و بحث ولايته أكثر من ذلك في المقدمة السابعة إن شاء اللّه، و إذا تقرر هذا فلنشرع في البحث الرّابع، و نثبت هذا المعنى له و لآبائه مرّة أخرى، عقلا و نقلا و كشفا و هو هذا:

البحث الرّابع في تخصيص التأويل بأهل البيت و تابعيهم بوجوه

اخر من القرآن و غيره

اعلم أن هذا البحث يتضمن وجوه: العلوم العقلية و الشرعية و ما يتعلّق بهما و إسنادها إليهم، و إلى جدهم.

ثم تقسيم العلوم الإلهية الدينية و المعارف الكشفية الذوقية و إسنادها إليهم.

ثم نسبة الخرقة من طريق المشايخ و إسنادها إليهم.

ثم تخصيص التأويل بهم و بتابعيهم من أرباب التوحيد.

و ذلك لأن قوله تعالى:

هُوَ الَّذي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتٰابَ مِنْهُ آيٰاتٌ مُحْكَمٰاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتٰابِ وَ أُخَرُ مُتَشٰابِهٰاتٌ فَأَمَّا الَّذينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مٰا تَشٰابَهَ مِنْهُ ابْتِغٰاءَ الْفِتْنَةِ وَ ابْتِغٰاءَ تَأْويلِهِ وَ مٰا يَعْلَمُ تَأْويلَهُ إِلاَّ اللهُ وَ الرّٰاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنّٰا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنٰا وَ مٰا يَذَّكَّرُ إِلاّٰ أُولُوا الْأَلْبٰابِ [سورة آل عمران: ۷].

---

(۱۲۸) قوله: ثمّ الشيخ الأعظم الأكمل، ذكر في فتوحاته، الفتوحات المكيّة ج ۳، ص ۳۲۷، الباب السادس و الستّون و ثلاثمائة في معرفة منزل وزراء المهدي الظاهر في آخر الزمان الّذي بشر به رسول اللّه (ص) و هو من أهل البيت.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ۱، ص ۴۶۵

يحتاج إلى مجموع ذلك ليتحقق معنى قوله تعالى:

وَ مٰا يَعْلَمُ تَأْويلَهُ إِلاَّ اللهُ وَ الرّٰاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ [سورة آل عمران: ۷].

(تقسيم العلوم من حيث الظاهر و من حيث الباطن)

أما تقسيم العلوم و تحقيقها، فله إجمال و تفصيل.

أما الإجمال من حيث الظاهر، فكالعلوم العربية من اللغة و الصرف و النحو و المعاني و البيان و الشعر و العروض، و العلوم الشرعية، من أصول الفقه و أصول الكلام و التفسير و الحديث على حسب طبقاتها و درجاتها، و العلوم العقلية الحكمية من المنطق و الرياضي و الطبيعي و الإلهي و توابعها من الطبّ و النجوم و الهندسة و إن أضفت علم الكلام إلى هذه العلوم العقلية يجوز، و إن تركته على قراره في الشرعيات يجوز.

(علم اللدني و العلوم التي ترزق بتعليم الحق بطريق الكشف)

و أما الإجمال من حيث الباطن، فكالعلوم الكشفية الذوقية من علم التوحيد و التجريد و التفريد و علم البقاء و الفناء و فناء الفناء، و علم الذات و الصفات و الأفعال، و علم النبوة و الرسالة و الولاية، و علم الوحي و الإلهام و الكشف، و علم المبدأ و المعاد و الحشر و النشر، و علم السلوك و الأخلاق و السياسة و التأديب و التهذيب، و علم الآفاق و الأنفس و التطبيق بينهما، و علوم، أخر التي يتعذّر ذكرها المشار إليها في قوله تعالى:

فَلاٰ تَعْلَمُ نَفْسٌ مٰا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزٰاءً بِمٰا كٰانُوا يَعْمَلُونَ [سورة السجدة: ١٧].

و في الحديث القدسي «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر» [انظر تعليقنا ٦٥].

و من هذا صار القسم الآخر من العلوم أشرف من القسم الأول، لأن الأول

حاصل بتعليم الخلق بطريق الكسب، و الثاني بتعليم الحق بطريق الفيض، و بينهما بون بعيد. و النقل الدال على تعليم الحق و فيضانه قوله:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۱، ص ۴۶۶

اقْرَأْ وَ رَبُّكَ الْأَكْرَمُ. الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ. عَلَّمَ الْإِنْسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ [سورة العلق: ٣- ٤].

و قوله: الرَّحْمنُ. عَلَّمَ الْقُرْآنَ. خَلَقَ الْإِنْسانَ. عَلَّمَهُ الْبَيانَ [الرحمن: ١- ٤].

و قوله: آتَيْناهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنا وَ عَلَّمْناهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً [سورة الكهف: ٦٥]، و قول النبي (ص) ليلة المعراج:

«علمت علم الأولين و الآخرين» [و قد مرّت الإشارة إليه في التعليقة ٥٣ فراجع].

و قوله تعالى في حقه:

وَ عَلَّمَكَ ما لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَ كانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيماً [سورة النساء: ١١٣].

هذا من حيث الإجمال في القسمين في العلوم.

و أما التفصيل بحسبهما، فقد كتب الغزالي رسالة في العلم اللدني و قسم فيها القسمين بأسرهما و هو أنسب بهذا المقام من غيره لأنه يصير حجّة على الخصم و برهانا على المنكر، فأول التقسيم فيها قوله:

اعلم، أن العلم هو تصور النفس الناطقة المطمئنة حقائق الأشياء و صورها المجردة عن المواد بأعيانها و كيفيّاتها و جواهرها و ذواتها، إن كانت مفردة، و إن كانت مركبة و العالم هو المحيط المدرك، المتصور، و المعلوم هو ذات الشيء الذي ينتقش علمه في النفس، و شرف العلم يكون على قدر شرف

معلومه، و رتبة العالم تكون على قدر شرف معلومه، و رتبة العالم تكون بحسب رتبة العلم، و لا شكّ أنّ أفضل المعلومات و أعلاها و أشرفها و أجلّها هو اللّه الصانع المبدع الحق الواحد، فعلمه، و هو علم التوحيد، أفضل العلوم و أجلّها و أكملها، و هذا العلم ضروري واجب تحصيله على جميع العقلاء، كما قال صاحب الشرع (ع):

الحق الواحد، فعلمه، و هو علم التوحيد، أفضل العلوم و أجلّها و أكملها، و هذا العلم ضروري واجب تحصيله على جميع العقلاء، كما قال صاحب الشرع (ع):

طلب العلم فريضة على كل مسلم «١٢٩».

---

(١٢٩) قوله: كما قال صاحب الشرع (ع): طلب العلم فريضة الحديث. الحديث معروف بين المسلمين روي عن النبيّ (ص) رواه الكليني (رض) في اصول الكافي المجلد ١، ص ٣١- ٣٠ الحديث ٥ و ١ و أيضا رواه الصفار في بصائر الدرجات ص ٣- ٢، الحديث ٣ و ١، و أخرجه السيوطي في الجامع الصغير رقم الحديث ١- ١١١٠.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ١، ص ٤٦٧

و أمر بالسفر في طلب هذا العلم فقال:

اطلب العلم و لو بالصين «١٣٠».

و طالب هذا العلم أفضل العلماء، و بهذا السبب خصّهم اللّه تعالى بالذكر في

أجل المراتب فقال:

شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لا إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ وَ الْمَلاٰئِكَةُ وَ أُولُوا الْعِلْمِ [سورة آل عمران: ١٨].

فعلماء علم التوحيد بالإطلاق هم الأنبياء و بعدهم العلماء الذين هم ورثة الأنبياء. إلى قوله:

اعلم أن العلم على قسمين: أحدهما شرعي و الآخر عقلي، و أكثر العلوم العقلية شرعية عند عارفها، و أكثر العلوم الشرعية عقلية عند عالمها، وَ مَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُوراً فَمٰا لَهُ مِنْ نُورٍ [سورة النور: ٤٠].

أما القسم الأول، و هو العلم الشرعي، فينقسم إلى نوعين، أحدهما في الأصول و هو علم التوحيد، و بهذا العلم ينظر في ذات اللّه و صفاته الذاتية و صفاته الفعلية، و صفاته الزائدة المعدودة من الأسامي على الوجه المذكور.

و ينظر أيضا في أحوال الأنبياء و الأئمة من بعدهم و الصحابة رضي اللّه عنهم.

و ينظر في أحوال الموت و الحياة و في أحوال القيامة و البعث و الحشر و الحساب و لقاء اللّه تعالى.

و أهل النظر في هذا العلم يتمسّكون أولا بآيات القرآن، ثم بأخبار الرسول (ص)، ثم بالدلائل العقلية و البراهين القياسية، و أخذوا مقدمات القياس الجدلي و العنادي و لواحقهما من أصحاب المنطق الفلسفي، و وضعوا أكثر الألفاظ

(۱۳۰) قوله: اطلب العلم و لو بالصين.

أقول: هذا الحديث أيضا معروف و متنه: اطلبوا العلم الخ رواه عوالي اللئالئ ج ٤، رقم الحديث ۳۷، ص ۷۰ و بحار الأنوار أيضا عن روضة الواعظين ج ۱، ص ۱۸۰ الحديث ٦٥، و في الجامع الصغير للسيوطي أيضا ج ۱، ص ۱٦۸، الحديث ۱- ۱۱۱۰.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۱، ص ۴۶۸

في غير موضعها و يدعون في عباراتهم الجوهر و العرض و الدليل و النظر و الاستدلال و الحجّة، و يختلف معنى كل لفظة من هذه الألفاظ عند كل قوم حتى إن الحكماء يعنون بالجوهر شيئا، و الصوفية يعنون شيئا آخر، و المتكلمون كذلك، و على هذا المثال، و ليس المراد من هذه المقالة تحقيق معاني الألفاظ على حسب آراء الأقوام و لا نشرع فيه. و هؤلاء المخصوصون بالكلام في الأصول و علم التوحيد هم المتكلمون، فإن اسم الكلام يقع على علم التوحيد و على غيره، و من علم الأصول التفسير فإن القرآن من أعظم الأشياء و أبينها و أجلّها و أعرفها و فيه من المشكلات الكثيرة ما لا يحيط بها عقل إلا من أعطاه اللّه فهما و علما في كتابه، قال رسول اللّه (ص):

«ما من آية من آيات القرآن إلا و لها ظهر و بطن و لبطنه بطن إلى سبعة أبطن». و في رواية أخرى: «إلى تسع أبطن» [قد تقدم ذكر مرجعها في التعليق ۱۱ فراجع].

و قال (ع):

لكن حرف من حروف القرآن حدّ و لكل حدّ مطلع.

و اللّه تعالى أخبر في القرآن عن جميع العلوم، و جليّ الموجودات و خفيّها و صغيرها و كبيرها و محسوسها و معقولها، و لهذا أشار بقوله:

وَ لاٰ رَطْبٍ وَ لاٰ يٰابِسٍ إِلاّٰ فِي كِتٰابٍ مُبِينٍ [سورة الأنعام: ۵۹]. و قال سبحانه: لِيَدَّبَّرُوا آيٰاتِهِ وَ لِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبٰابِ [سورة ص: ۲۹].

و إذا كان أمر القرآن أعظم الأمور، فأيّ مفسّر أدّى حقه و أي عالم خرج عن عهدته، نعم كل واحد من المفسرين شرع في تفسيره بمقدار طاقته، و خاض في بيانه بحسب قوة عقله و قدر كنه علمه، فكلهم قالوا و بالحقيقة ما قالوا.

و علم القرآن يدل على علم الأصول و الفروع و الشرعي و العقلي، و يجب على المفسّر أن ينظر في القرآن من وجه اللغة، و من وجه الاستعارة، و من وجه تركيب اللفظ، و من وجه النحو، و من وجه عادة العرب، و من وجه رموز الحكماء، و من وجه كلام المتصوفة، حتى يقرب تفسيره إلى التحقيق و إن اختص على وجه واحد، وضع في البيان بمعنى واحد لم يخرج عن عهدة البيان و هو حينئذ عليه حجّة المطالب و إقامة البرهان. و من علم الأصول أيضا علم الأخبار، فإن

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۱، ص ۴۶۹

النبي (ص) كان أفصح العرب و العجم و كان معلّما يوحى إليه من جهة اللّه تعالى و كان عقله محيطا بجميع العلويّات و السفليّات، فكل كلمة من

كلماته، بل كل لفظة من ألفاظه توجد تحتها بحار الأسرار و كنوز الرموز، فعلم أخباره و كنوز رموزه أمر عظيم و خطب جليل كبير لا يقدر أحد أن يحيط بعلم الكلام النبوي إلا من يهذّب نفسه و يزيل الاعوجاج عن قلبه بتقويم الشرع النبي الأمين (ص).

و من أراد أن يتكلم في تفسير القرآن و تأويل أخبار النبي (ص)، و يصيب في كلامه فيجب عليه أولا تحصيل علم اللغة و التبحر في علوم النحو و الشروع في ميدان الاعراب و التصرف في أصناف التصريف، فإن علم اللغة سلّم و مرقاة إلى جميع العلوم، و من لا يعلم اللغة فلا سبيل له إلى تحصيل العلوم، فإن من أراد أن يصعد سطحا يجب عليه تمهيد المرقاة أولا ثم بعد ذلك يصعد، فعلم اللغة وسيلة عظيمة و مرقاة جليلة لا يستغني الطالب للعلم عن أحكام اللغة، فعلم اللغة أصل الأصول، و أوّل علم اللغة معرفة الأدوات و هي بمنزلة الكلمات المفردة، و بعده معرفة الأسامي المفردة، و بعده معرفة الأفعال مثل الثلاثي و الرباعي و الخماسي و غيرها.

و يجب على اللغوي أن ينظر في أشعار العرب و أولاها و أتقنها أشعار الجاهلية، فإن فيها تنقيحا للخاطر و تلويحا للنفس، و مع الشعر و الأدوات و الأسامي و التصريف يجب تحصيل علم النحو، فإن علم النحو للغة بمنزلة الميزان للذهب و الفضة، و المنطق لعلم الحكمة، و العروض للشعر، و الذّراع للأثواب، و المكيال للحبوب، و كل شيء لا يوزن بميزان لا يتبيّن فيه الزيادة و النقصان.

فعلم اللغة سبيل إلى علم التفسير و الأخبار، و علم القرآن و الأخبار دليل إلى

علم التوحيد، و علم التوحيد هو الأصل المهم، و الذي لا تنجلي نفوس العباد إلا به، و لا يتخلّص من خوف المعاد إلا بنوره.

فهذا تفصيل علم الأصول.

و النوع الثاني من العلم السّماعي، هو علم الفروع، و ذلك، أنّ العلم إمّا أن يكون علميا و إما أن يكون عمليا، و علم الأصول هو العلمي و علم الفروع هو العملي. و هذا العملي يشتمل على ثلاثة حقوق:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۱، ص ۴۷۰

أوّلها: حق اللّه تعالى، و هو أركان العبادات مثل الطهارة و الصلاة و الزكاة و الصوم و الحج و الجهاد و الأذكار و الأعياد و الجماعات، و زوائدها من النوافل و الفرائض.

و ثانيها: حق العباد و هو أبواب العبادات، و يجري على وجهين: أحدهما المعاملة مثل البيع و الشركة و الهبة و القرض و الدين، و القصاص و جميع أبواب الديّات.

و الوجه الثاني، المعاقد، مثل النكاح و الطلاق و الفرائض و لواحقها، و يطلق اسم الفقه على هذين الحقّين، و علم الفقه علم شريف مفيد عام ضروري لا يستغنى الناس عن علم الفقه لعموم الضرورة إليه.

و ثالثها: حق النفس و هو علم الأخلاق، إما مذمومة و يجب دفعها و قلعها و إما محمودة و يجب تحصيلها و تحلية النفس بها. و الأخلاق المذمومة و الأوصاف المحمودة، معيّنة مشهورة في كتاب اللّه تعالى و أخبار الرسول (ص)، من تخلّق بواحدة منها دخل الجنّة.

و أما القسم الثاني من العلم و هو القسم العقلي، و هو علم مفصّل مشكل يقع فيه الخطأ و الصواب، و هو موضوع في ثلاث مراتب:

المرتبة الأولى و هي أول المراتب العلم الرياضي و المنطقي.

أما الرياضي فينظر في العدد و الهيئة أعني الأفلاك و الأنجم و الهندسة و هو علم المقادير و الأشكال و أقاليم الأرض و ما يتّصل بها و يتصل به النجوم و أحكام المواليد و الطّوالع، و كذلك علم الموسيقى و أشباهه.

و أما المنطق فينظر في طريق الحدّ و الرسم في الأشياء التي تدرك بالتصور، و ينظر في طريق القياس و البرهان في العلوم التي تنال بالتصديق، و يدور علم المنطق على هذه القاعدة، و يبتدئ بالمفردات ثم بالمركّبات ثم بالقضايا ثم بالقياس، ثم أقسام القياس، ثم طريق البرهان و عنواناته علم المنطق.

و المرتبة الثانية و هي أوسطها، العلم الطبيعي و صاحبه ينظر في الجسم المطلق و أركان العالم، و في الجواهر و الأعراض و الحركة و السكون و في أحوال

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۱، ص ۴۷۱

السموات و الأشياء الفعلية و الانفعالية، و يتولّد من هذا العلم النظر في أحوال مراتب الموجودات و أقسام النفوس و الأمزجة و كمّيّة الحواس و كيفية إدراكها لمحسوساتها، ثم يؤدّي النظر إلى علم الطب و هو علم الأبدان و العلل و الأدوية و المعالجات و ما يتعلق به من فروعه علم الآثار العلوفة و علم المعادن و معرفة خواصّ الأشياء و ينتهي إلى علم صنعة

الكيمياء و هو معالجة الأجساد المريضة في أطراف المعادن.

و المرتبة الثالثة و هي العليا، و هو النظر في علم الموجود، ثم تقسيمه إلى الواجب و الممكن، ثم النظر في الصانع و ذاته و جميع صفاته و أفعاله و أمره و حكمه و قضائه و ترتيب ظهور الموجودات عنه، ثم النظر في علم العلويّات و الجواهر المفردة و العقول المفارقة و النفوس الكاملة، ثم النظر في أحوال الملائكة و الشياطين، و ينتهي إلى علم النبوّات و أمر المعجزات و أحوال الكرامات، و النظر في أحوال النفوس المقدسة و حال النوم و اليقظة و مقامات الرؤيا، و من فروعه علم الطّلسمات و النّيرنجات و ما يتعلّق بها.

و لهذه العلوم تفاصيل و أعراض و مراتب، و يحتاج إلى شرح جليّ ببرهان بهيّ و لكن الاقتصار أولى.

و اعلم أن البرهان العقلي مفرد بذاته و يتولّد منه علم مركّب يوجد فيه جميع أحوال العلمين مفردين، و ذلك العلم المركب علم الصوفية، و طريقة أحوالهم، فإن لهم علما خاصا و طريقة واضحة مجموعة من العلمين، و علمهم يشتمل على الحال، و الوقت، و السماع، و الوجد، و الشوق، و السّكر، و الصحو، و الإثبات و المحو، و الفقر و الغنى، و الولاية، و الإرادة، و الشيخ و المريد، و ما يتعلّق بأحوالهم مع الزوائد و الأصناف و المقامات، و نحن نتكلم في هذه العلوم الثلاثة في كتاب خاص إن شاء اللّه، و الآن قصدنا تحديد العلوم و أصنافها، و قد حصرتها و عددتها على طريق الاختصار بالإيجاز، و من أراد الزّيادة و شرح هذه العلوم فليرجع إلى مطالعة

الكتب التي في هذا الفن.

و بعد تعديد العلوم يجب عليك أن تعرف كميّة طريق التحصيل، فإن لتحصيل العلم طريقة معيّنة نحن نفصّلها و نشرحها و هي هذه:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ١، ص ۴۷۲

(حصول العلم من طريقين: التعلّم الإنساني و التعلّم الرباني)

اعلم أن العلم الإنساني يحصل من طريقين أحدهما التعلّم الإنساني و الثاني التعلّم الرباني:

أما الطريق الأوّل و هو التعليم الإنساني فطريق مشهور مسلوك محسوس يقرّبه جميع العقلاء، و هذا العلم يكون على وجهين أحدهما من خارج و هو التحصيل بالتعلم و الآخر من داخل و هو التحصيل بالتفكّر، و التفكّر من الباطن بمنزلة التعلّم من الظاهر، فإن التعلّم هو استفادة الشخص من الشخص الجزوى، و التفكّر هو استفادة الروح من النفس الكلي، و النفس الكلي أشدّ تأثيرا و أقوى تعليما من جميع العلماء و العقلاء، و العلوم مركوزة في أصل النفوس بالقوة كالبذر في الأرض و الجوهر في قعر البحر و في قلب المعدن، و التعلّم هو طلب خروج ذلك الشيء الذي بالقوة إلى الفعل، و التعليم هو إخراجه من القوة إلى الفعل، فنفس المتعلّم يتعلّم بنفس العالم و يتقرب إليها بالنسبة بها، فالعالم بالإفادة كالزّارع و المتعلّم بالاستفادة كالأرض و العلم الذي بالقوّة كالبذر و الذي بالفعل كالنبات، و إذا كمل نفس المتعلّم يكون كالشجر المثمر و كالجوهر الظاهر من قعر

البحر و إذا ظهرت القوى البدنية على النفس يحتاج المتعلّم إلى زيادة التعلم و طول المدة و يحتمل المشقة و التعب في طلب الفائدة، و إذا غلب (ظهر) نور العقل على أوصاف الحسّ، يستغني الطالب بقليل الفكر عن كثرة التعلّم، فإن نفس العاقل تجد من الفوائد بتفكر ساعة ما لا يجد نفس الجاهل بتعلّم سنة، فإذا فبعض الناس يحصلون العلوم بالتعلّم و بعضهم بالتفكّر، و التعلّم يحتاج إلى التفكّر، فإن الإنسان لا يقدر أن يتعلّم جميع الأشياء من الجزئيات و الكليات و جميع العادات، بل يتعلّم شيئا و يستخرج بالتفكّر من العلوم شيئا، و أكثر العلوم النظرية و الصنائع العملية استخرجها نفوس الحكماء بصفاء ذهنهم و قوّة فكرهم وحدّة حدسهم من غير زيادة تعلّم و تحصيل، و لو لا أن يستخرج العالم بالتفكّر شيئا من معلومه الأوّل لكان يطول الأمر على الناس و لما كانت تزول ظلمة الجهل عن القلوب، لأن النفوس لا تقدر أن تتعلّم جميع مهماتها الجزئية و الكلية بالتعلّم بل بعضها يتعلّمه بالتحصيل و بعضها يتعلمه بالنظر كما ترى عادات الناس في الأمور المستحسنة، و بعضها يستخرجه عن ضميره بصفاء فكره. و على هذا جرت عادة العلماء (و صارت) قاعدة العلوم

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۱، ص ۴۷۳

حتى إن المهندس لا يتعلم جميع ما يحتاج إليه في طول عمره بل يتعلّم كليات علمه و موضوعات فنّه، ثم بعد ذلك يستخرج و ... و كذلك الطبيب لا يقدر أن يتعلّم جزئيات أدواء الأشخاص و أدويتهم، بل يتفكّر في معلوماته الكلية و يعالج كل شخص بحسب مزاجه، و كذلك المنجّم يتعلم

كليات النجوم ثم يتفكر و يحكم الأحكام المختلفة، و كذلك الفقيه و الأديب، و هكذا في بدائع الصنائع فواحد وضع آلة الضرب و هو العود بتفكّره، و آخر استخرج من تلك الآلة آلة أخرى، و كذلك جميع الصنائع البدنية و النفسانية أوائلها محصّلة من التعلّم و البواقي مستخرجة بالتّفكر و إذا انفتح باب التفكر على النفس و علمت كيفية طريقه و كيفية الرجوع بالحدس إلى المطلوب ينشرح قلبه و تنفتح بصيرته فيخرج ما في نفسه بالقوة إلى الفعل من غير زيادة تعب و طول نصب.

(التعلّم الرباني بالوحي و الإلهام)

الطريق الثاني، و هو التعلّم الرباني.

و ذلك على وجهين:

الأول إلقاء الوحي و هو أن النفس إذا كملت ذاتها و زال عنها درن الطبيعة و دنس الحرص و الأمل و الافتخار، و انفصل نظرها عن شهوات الدنيا و انقطع نسبها عن الأماني الفانية، أقبلت بوجهها على بارئها و منشئها، و تمسّكت بجود مبدعها، و اعتمدت على إفادته و فيض نوره، فاللّه عز و جل بحسن عنايته يقبل على تلك النفس إقبالا كليا و ينظر إليها نظرا إلهيا، و يتّخذ من تلك النفس لوحا و من النفس (العقل) الكلي قلما و ينقش فيها جميع علومه، و يصير العقل الكلي كالمعلم و النفس القدسي كالمتعلم، فتحصل جميع العلوم لتلك النفس و تنقش فيها جميع الصور من غير تعلم و تفكر، و مصداق هذا قول اللّه عزّ و جلّ لنبيه (ع):

وَ عَلَّمَكَ مٰا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَ كٰانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيماً [سورة النساء: ١١٣].

(علم النبيّ أشرف العلوم)

فعلم الأنبياء أشرف مرتبة من جميع علوم الخلائق، لأنّ محصوله عن الله

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‏۱، ص ۴۷۴

تعالى بلا واسطة و وسيلة و بيان.

هذه الكلمة توجد في قصة آدم (ع) و الملائكة فإنهم تعلّموا طول عمرهم و حظوا بفنون الطريق و كثير العلوم حتى صاروا أعلم المخلوقات و أعرف الموجودات، و آدم لما جاء ما كان عالما لأنه ما تعلّمه لأنه ما رأى معلّما، فتفاخرت عليه الملائكة و تجبّروا و تكبّروا و قالوا:

نَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَ نُقَدِّسُ لَكَ [سورة البقرة: ۳۰]. و نعلم حقائق الأشياء، فرفع آدم إلى باب خالقه و أخرج محبته عن جملة المكونات و أقبل بالاستعانة على الرب تعالى فعلّمه الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال:

أَنْبِئُونِي بِأَسْمٰاءِ هٰؤُلاٰءِ إِنْ كُنْتُمْ صٰادِقِينَ [سورة البقرة: ۳۱].

فصغر حالهم عند آدم و قلّ علمهم و انكسرت سفينة جبروتهم ففرغوا في بحر العجز و قالوا:

لاٰ عِلْمَ لَنٰا إِلاّٰ مٰا عَلَّمْتَنٰا [سورة البقرة: ۳۲].

فقال تعالى:

يٰا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمٰائِهِمْ [سورة البقرة: ۳۳].

فأنبأهم آدم عن مكنونات العلم و مستترات الأمر.

فتقرّر الأمر عند العقلاء أنّ العلم العيني المتولّد عن الوحي أقوى و أكمل من

العلوم المكتسبة و صار علم الوحي أرث الأنبياء و حقّ الرسل (ع) حتى أغلق اللّه سبحانه باب الوحي في حقّ محمّد (ص)، فكان رسول اللّه خاتم النبيّين و كان أعلم الناس و أفصح العرب، و كان يقول: «أدّبني ربّي فأحسن تأديبي» «(۱۳۱)».

و قال لقوله:

(۱۳۱) قوله: و كان يقول: أدّبني ربّي فأحسن تأديبي.

أخرجه السيوطي في الجامع الصغير ج ۱، ص ۵۱، الحديث ۳۱۰، و روى الكليني في الأصول ج ۱، ص ۲٦٦، الحديث ٤ بإسناده عن فضيل بن يسار قال: سمعت أبا عبد اللّه (ع) يقول لبعض أصحاب قيس الماصر: إنّ اللّه عزّ و جلّ أدّب نبيّه فأحسن أدبه، فلمّا أكمل له الأدب قال:

إِنَّكَ لَعَلىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ، ثمّ فوّض إليه أمر الدين و الأمّة ليسوس عباده، فقال عزّ و جلّ:

مٰا آتٰاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مٰا نَهٰاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا، الحديث.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ۱، ص ۴۷۵

«أنا أعلمكم باللّه و أخشاكم من اللّه» «(۱۳۲)».

و إنما كان علمه أكمل و أشرف و أقوى لأنه حصل من التعلم الرباني و ما اشتغل قط بالتعلم الإنساني فقال تعالى:

عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوىٰ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوىٰ وَ هُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلىٰ [النجم: ۵- ۷].

(معنى الإلهام و العلم اللّدني)

و الوجه الثاني هو الإلهام و هو تنبيه النفس الكلي للنفس الجزئي الإنساني على قدر صفاته و قبوله و قوته و استعداده، و الإلهام أثر الوحي فإن الوحي تصريح الأمر الغيبي، و الإلهام تعريضه، و العلم الحاصل من الوحي يسمّى علما نبويّا و الذي يتحصّل عن الإلهام يسمّى علما لدنيّا، و العلم اللدني هو الذي لا واسطة في حصوله بين النفس و الباري تعالى، و إنما هو كالضوء في سراج الغيب يقع على قلب صاف لطيف فارغ، و ذلك أن العلوم كلها موجودة في جوهر النفس الكلي الأزلي الذي هو من الجواهر المفارقة الأولية المحضة، و هو بالنسبة إلى العقل الأوّل كنسبة حوّاء إلى آدم، و قد تبين أن العقل الكلي أشرف و أكمل و أقوى و أقرب إلى الباري تعالى من النفس، و النفس الكلي أعزّ و ألطف و أشرف من سائر المخلوقات.

فمن إفاضة العقل الكلي يتولّد الوحي، و من إشراف النفس الكلي يتولد الإلهام، و الوحي حلية الأنبياء، و الإلهام زينة الأولياء، و كما أن النفس دون العقل، و الوليّ دون النبيّ، فكذلك الإلهام دون الوحي، فهو ضعيف بنسبة الوحي، قويّ بنسبة الرّؤيا، و العلم اللّدنّي علم الأنبياء و الأولياء، و أما علم الوحي فخاص بالرّسل، موقوف عليهم، كما كان لآدم (ع) و إبراهيم و موسى و محمّد (ع) و غيرهم من الرسل.

(۱۳۲) قوله: و قال (ص) لقومه: أنا أعلمكم الحديث.

أخرج البخاري في صحيحه ج ۸، ص ۳۱ بإسناده عن عائشة قالت: صنع النبيّ (ص) شيئا فرخّص فيه فتنزّه عنه قوم، فبلغ ذلك النبيّ (ص) فخطب فحمد اللّه ثمّ قال: ما بال أقوام يتنزّهون عن الشيء أصنعه فواللّه إنّي لأعلمهم باللّه و أشدّهم له خشية.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۱، ص ۴۷۶

(الفرق بين الرسالة و النبوّة)

و فرق بين الرسالة و النبوة، فإن النبوّة هي قبول النفس القدسي حقائق المعلومات و المعقولات عن جوهر العقل الأول، و الرسالة تبليغ تلك المعلومات و المعقولات إلى المستفيدين و التابعين، و إنما يتفق القبول لنفس من النفوس و لا يتأتّي لها التبليغ لعذر من الأعذار و سبب من الأسباب، و العلم اللدّنّي يكون لأهل النبوة و الولاية كما حصل للخضر (ع) حيث أخبر اللّه تعالى فقال:

وَ عَلَّمْنٰاهُ مِنْ لَدُنّٰا عِلْماً [سورة الكهف: ٦٥].

و قال أمير المؤمنين (ع):

إن رسول اللّه (ص)، أدخل لسانه في فمي فانفتح في قلبي ألف باب من العلم مع كل باب ألف باب «۱۳۳».

و قال أيضا:

لو ثنيت لي وسادة لجلست عليها، و حكمت لأهل التوراة بتوراتهم، و لأهل الإنجيل بإنجيلهم، و لأهل الزّبور بزبورهم، و لأهل الفرقان بفرقانهم

(۱۳٤).

(۱۳۳) قوله: و قال أمير المؤمنين (ع): إن رسول اللّه (ص) الحديث.

ذكره أيضا السيّد الجليل ابن طاوس في كتابه «سعد السعود» ص ۲۸٤ نقلا عن الغزالي و أيضا المجلسي في بحار الأنوار عنه ج ۹۲ ص ۱۰٤ و ارجع أيضا الرقم ۹۱ مزيدا للفائدة و اطّلاعا على أحاديث في مضمونه.

(۱۳٤) قوله: و قال أيضا لو ثنيت لي وسادة الخ.

روى المفيد في الإرشاد ص ۲۳، بإسناده عن الأصبغ بن نباتة عن علي أمير المؤمنين (ع) في خطبة انّه قال:

يا معشر الناس سلوني قبل أن تفقدوني، سلوني فإن عندي علم الأوّلين و الآخرين، أما و اللّه لو ثنى لي الوسادة لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم، و بين أهل الإنجيل بإنجيلهم و بين أهل الزبور بزبورهم، و بين أهل الفرقان بفرقانهم حتّى ينتهي كلّ كتاب من هذه الكتب، و يقول يا ربّ إن عليّا قضى بقضائك و اللّه إني لأعلم بالقرآن و تأويله من كلّ مدع علمه و لو لا آية في كتاب اللّه تعالى لأخبرتكم بما يكون إلى يوم القيامة. الحديث.

قال المجلسي في البحار ج ٤۰، ص ۱۵۳: و روى ابن أبي البختري من ستّة طرق و ابن المفضّل من عشر طرق و إبراهيم الثقفي من أربعة عشر طريقا منهم عديّ بن حاتم و الأصبغ بن نباتة و علقمة بن قيس و يحيى بن أم الطويل و زرّ بن حبيش و عباية بن ربعيّ و عباية بن رفاعة و أبو

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ١، ص ۴۷۷

(حين رفع الحجاب بين نفس العبد و النفس الكلية تظهر فيها أسرار المكنونات)

و هذه المرتبة لا تنال بمجرّد التعلّم الإنساني بل يتمكّن المرء في هذه المرتبة بقوّة العلم اللّدنّي، كذلك قال أمير المؤمنين (ع):

إنّه حكي عن وليّ عهد موسى أنّه شرح كتابه في أربعين حملا، فلو يأذن اللّه لي لأشرع في شرح معاني ألف الفاتحة حتّى يبلغ مثل ذلك لفعلت.

يعني أربعين وقرا و هذه الكثرة و السعة و الانفتاح في العلم لا تكون إلاّ لدنيّا إلهيّا سماويّا.

فلو أراد اللّه بعبد خيرا رفع الحجاب بين نفسه و بين النّفس الكلّي الّذي هو اللّوح، فيظهر فيها أسرار المكنونات، و ينتقش فيها معاني تلك المكوّنات، فتعبّر النّفس عنها كما تشاء إلى من يشاء من عباده، و حقيقة الحكمة تنال من العلم اللّدنّي، و ما لم تبلغ النّفس هذه المرتبة لا يكون حكيما، لأنّ الحكمة من مواهب اللّه تعالى:

يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشٰاءُ وَ مَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَ مٰا يَذَّكَّرُ إِلاّٰ أُولُوا الْأَلْبٰابِ [سورة البقرة: ٢٦٩].

و أولوا الألباب هم الواصلون إلى مرتبة العلم اللّدني المستغنون عن التّحصيل و تعب التعلّم، فيتعلّمون قليلا و يعلمون كثيرا، و يتعبون قليلا و يستريحون كثيرا.

(استغناء الناس عن الرسالة بعد كمال الدين و تعيين الحجّة)

اعلم أن الوحي إذا انقطع، و باب الرّسالة إذا انسدّ استغنى النّاس عن الرّسل

الطفيل، أنّ أمير المؤمنين (ع) قال بحضرة المهاجرين و الأنصار- و أشار إلى صدره-: كيف ملأ علما لو وجدت له طالبا، سلوني قبل أن تفقدوني، هذا سفط العلم، هذا لعاب رسول اللّه (ص)، هذا ما زقّني رسول اللّه (ص) زقّا، فاسألوني فإنّ عندي علم الأوّلين و الآخرين، أما و اللّه لو ثنيت لي الوسادة، ثم أجلست عليها لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم، و بين أهل الإنجيل بإنجيلهم، و بين أهل الزبور بزبورهم، و بين أهل الفرقان بفرقانهم، حتّى ينادي كلّ كتاب بأنّ عليّا حكم في بحكم اللّه فيّ، الحديث.

و لاحظ المجلّد السادس من كتاب الغدير ص ٤- ١٩٣.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‏١، ص ۴۷۸

و إظهار الدّعوة بعد تصحيح الحجّة و تكميل الدين كما قال اللّه تعالى: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي [سورة المائدة: ٣].

و ليس من الحكمة إظهار زيادة الفائدة من غير حاجة.

و أمّا باب الإلهام فلا ينسدّ، و مدد نور النّفس الكلّي لا ينقطع، لدوام ضرورة النّفوس و حاجتها إلى تأكيد و تجديد و تذكير، و حيث إنّ النّاس استغنوا عن الرّسالة و الدّعوة، و احتاجوا إلى التذكير و التّنبيه، لاستغراقهم في هذه الوساوس و انهماكهم في هذه الشّهوات، فاللّه تعالى غلق باب الوحي و هداية العباد و فتح باب الإلهام رحمة و هيّأ الأمور و رتّب المراتب ليعلم أنّ

اللّٰهُ لَطِيفٌ بِعِبادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشاءُ.

هذا آخر أقوال الغزالي في تقسيم العلوم و ترتيبها.

و كان لنا في نقل هذه الأقوال أغراض:

منها انّه لا ينكر أحد فضيلة أهل البيت (ع) إذا قلنا علومهم من هذا القبيل أعني من قبيل اللدنيّات و الإلهاميّات و الكشفيّات الحاصلة لهم بالإرث المعنوي و أنّهم من الرّاسخين في العلم المشار إليهم في الكتاب الكريم.

و منها انّه لا ينكر أحد أيضا على أرباب التّوحيد إذا قلنا إنّهم من الرّاسخين في العلوم الإلهيّة و إنّهم من تابعي أهل البيت على الحقيقة دون غيرهم و عليهم يصدق قول الرّسول (ص):

«العلماء ورثة الأنبياء» (۱۳۵).

---

(۱۳۵) قوله: قول النبيّ (ص): العلماء ورثة الأنبياء.

رواه الكليني في اصول الكافي ج ۱، باب ثواب العالم و المتعلم الحديث ۱، ص ۳۴، و تمام الحديث هكذا:

محمد بن يعقوب بإسناده عن القداح عن أبي عبد الله (ع) قال: قال رسول اللّه (ص): من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك اللّه به طريقا إلى الجنّة، و أنّ الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا به و إنّه يستغفر لطالب العلم من في السماء و من في الأرض حتّى الحوت في البحر، و فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر النجوم ليلة البدر، و أنّ العلماء ورثة الأنبياء إنّ الأنبياء لم يورّثوا دينارا و لا درهما و لكن ورّثوا العلم فمن

أخذ منه أخذ بحظ وافر.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۱، ص ۴۷۹

و منها أنّه لا ينكر أحد علينا لما ذكرنا في الفهرست من إنعام اللّه تعالى و إفضاله بالنّسبة إلينا، فإنّ الّذي قلنا ما أردنا به إلا حصول هذه المرتبة و الوصول إلى هذه العلوم الموجبة لمشاهده في مظاهره الآفاقيّة و الأنفسيّة.

و منها أنّه لا يدّعي أحد آخر لنفسه أنّه من الرّاسخين في العلم بمجرد العلم الصّوري، أو من الوارثين بمجرد العلم الكسبي، فإنّ الإرثي غير الكسبي و بينهما بون بعيد كما سنشير إليهما مرّة أخرى.

(في أنّ عليّا (ع) أخذ علمه عن النبيّ (ص) و علمه (ع) لدنيّ تامّ)

و إذا تحقق هذا فلنشرع في إسناد العلوم الظاهرة و الباطنة إليهم و إلى جدّهم أمير المؤمنين (ع)، ثمّ في إسناد الخرقة كذلك، و هو هذا:

أما إسناد العلوم إلى أمير المؤمنين (ع) ثم إلى أولاده، فذلك يتحقّق أوّلا بمعرفتك بعلمه و فضله و كمالاته النّفسانيّة، ثمّ بمعرفتك ... غير ما عرفت من قول غيرنا.

أمّا علمه فعلى قسمين: قسم حصل له من اللّه بطريق الفيض و الإلهام المعبّر

رواه أيضا الصدوق (رض) في ثواب الأعمال باب ثواب طالب العلم الحديث ۱، ص ۱۵۹، و في الأمالي المجلس الرابع عشر الحديث ۹، ص ۵۸ و رواه المجلسي ج ۱ باب

فرض العلم الخ، ح ٢، ص ١٦٤ عن بصائر الدرجات أيضا.

و رواه أحمد بن حنبل في مسنده ج ٥، ص ١٩٦ و الترمذي أيضا رواه في كتاب العلم باب ١٩ ما جاء في فضل الفقه على العبادة الحديث ٢٦٨٢.

و في حديث آخر في الكافي ج ١، باب صفة العلم و فضله و فضل العلماء ص ٣٢، الحديث ٢:

محمد بن يعقوب بإسناده عن أبي البختري عن الصادق (ع) قال: إن العلماء ورثة الأنبياء، و ذاك أنّ الأنبياء لم يورثوا درهما و لا دينارا، و إنّما أورثوا أحاديث من أحاديثهم، فمن أخذ بشيء منها فقد أخذ حظّا وافرا، فانظروا علمكم هذا عمّن تأخذونه؟ فإن فينا أهل البيت في كلّ خلف عدولا ينفون عنه تحريف الغالين، و انتحال المبطلين، و تأويل الجاهلين.

رواه الوسائل ج ١٨، باب وجوب العمل بأحاديث النبيّ الخ من أبواب صفات القاضي الحديث ٢، ص ٥٣، عن الصفار في بصائر الدّرجات أيضا.

و في الخصال للصدوق (رض) ص ٦٥١، الحديث ٤٩ بإسناده عن المحاربيّ قال: سمعت أبا عبداللّه (ع) يقول: نحن ورثة الأنبياء، ثمّ قال: جلّل رسول اللّه (ص) على عليّ (ع) ثوبا، ثمّ علّمه ألف كلمة، كلّ كلمة تفتح ألف كلمة.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ١، ص ۴٨٠

عنه بالعلم اللّدنيّ الإلهي السّابق ذكره في قوله:

وَ عَلَّمْناهُ مِنْ لَدُنّا عِلْماً [سورة الكهف: ٦٥].

و هذا العلم مخصوص بالأولياء و الأوصياء و العلماء الورثة، و معلوم أنّه

سيّدهم و رئيسهم و قطبهم و إمامهم.
و قسم حصل له من النّبيّ (ص) بالتّعليم و التّعلّم و الملازمة و غير ذلك لقوله (ع):
تعلّمت من رسول اللّه ألف باب ففتح لي بكل باب ألف باب. [قد مرّت الإشارة إليه في التعليقة ۹۱ فراجع].
و إلى تربية رسول اللّه (ص) من أوّل عمره إلى أن أعدّه لأعلى الكمالات النّفسانيّة و أشرف خصال الإنسانية، أشار في خطبته القاصعة بقوله:
و قد علمتم موضعي من رسول اللّه (ص)، بالقرابة القريبة، و المنزلة الخصيصة، وضعني في حجره و أنا وليد يضمّني إلى صدره، و يكنفني في فراشه، و يمسّني جسده، و يشمّني عرفه، و كان يمضغ الشّيء ثمّ يلقمنيه، و ما وجد لي كذبة في قول، و لا خطلة في فعل، و لقد قرن اللّه به (ص)، من لدن أن كان فطيما أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم، و محاسن أخلاق العالم، ليله و نهاره، و لقد كنت أتّبعه اتّباع الفصيل أثر أمّه، يرفع لي في كلّ يوم من أخلاقه علما، و يأمرني بالاقتداء به، و لقد كان يجاور في كلّ سنة بحراء فأراه، و لا يراه غيري، و لم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول اللّه (ص)، و خديجة و أنا ثالثهما، أرى نور الوحي و الرّسالة، و أشمّ ريح النبوّة.
و لقد سمعت رنّة الشّيطان حين نزل الوحي عليه (ص)، فقلت: يا رسول اللّه ما هذه الرّنة؟ فقال: هذا الشّيطان قد أيس من عبادته، إنّك تسمع ما أسمع، و ترى ما أرى، إلاّ أنّك لست بنبيّ، و لكنّك لوزير و إنّك لعلى خير.

و من هذا قال النبيّ (ص):

«أنا مدينة العلم و علي بابها فمن أراد المدينة فليقصد الباب» (۱۳۶). و معناه

(۱۳۶) قوله: قال النبي (ص): أنا مدينة العلم و علي بابها فمن أراد المدينة فليقصد الباب.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۱، ص ۴۸۱

أنّ من يريد الدّخول في مدينة علمي و حكمتي المشتمل عليهما القرآن و السنّة، إجمالا و تفصيلا فعليه بالدّخول في عليّ، فإنّه باب تلك المدينة، و مفتاح تلك الخزينة و عليّ (ع) لو لم يكن من هذه المرتبة من العلم لم يكن يقول:

لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا [و قد مرت الإشارة إليه في التعليقة ۳۳ فراجع].

و يقول:

سلوني عمّا دون العرش

أقول: الحديث معروف و منقول متواترا بطرق الفريقين على تعابير مختلفة منها.

أنا مدينة العلم و علي بابها، فمن أراد العلم فليأت الباب.

أنا مدينة العلم و أنت بابها، كذب من زعم أنّه يدخل المدينة بغير الباب.

أنا مدينة العلم و أنت بابها، كذب من زعم أنه يصل إلى المدينة إلاّ من قبل الباب.

أنا مدينة العلم و عليّ بابها و لا تؤتى البيوت إلاّ من أبوابها.

أنا ميزان العلم و عليّ كفتاه.

أنا مدينة الفقه و علي بابها.

أنا ميزان الحكمة و علي لسانه.

أنا دار الحكمة و علي بابها.

أنا مدينة الحكمة- و هي الجنة- و أنت يا علي بابها، فكيف يهتدي المهتدي إلى الجنة و لا يهتدي إليها إلاّ من بابها.

أنا مدينة الحكمة و علي بابها، فمن أراد الحكمة فليأت الباب.

يا علي أنا مدينة الحكمة و أنت بابها، و لن تؤتى المدينة إلاّ من قبل الباب، و كذب من زعم أنّه يحبني و يبغضك، لأنّك منّي و أنا منك، لحمك من لحمي الحديث.

أنا مدينة العلم و علي بابها فمن أراد العلم فليقتبسه من علي (ع) و غيرها من العبارات المختلفة الكثيرة الدّالة على أنّ الإسلام كلّه و تفسير القرآن و سنة النبيّ (ص) و المعارف الإلهية و الفقه و الحكمة و غيرها لا بدّ أن يؤخذ منه (ع) و بكلامه و فعله يطمئن القلب في العمل بالإسلام و على أن في الموارد اختلاف في النقل عن النبيّ (ص) لا بدّ من مراجعة كلامه فهو فصل الخطاب و نور الهدى و الحمد اللّه الذي جعلنا من المتمسّكين بولاية علي بن أبي طالب (ع) و أولاده المعصومين عترة الرّسول الّذين أذهب اللّه عنهم الرّجس أهل البيت و طهّرهم تطهيرا.

و أمّا المصادر فراجع الجامع الصغير ج ۱، و المستدرك على الصحيحين للنيسابوري ج ۳،

ص ٧- ١٢٦ و البحار للمجلسي ج ٤٠ باب ٩٤ ص ٢٠٠ رواها من الكتب الفريقان من القدماء و المتأخرين- و كتاب الغدير ج ٦، ص ٨١- ٧٩ و كتاب ملحقات الأحقاق ج ٥، ص ٤٦٩، إلى ص ٥٠٢، و ج ١٦، ص ٢٧٨ إلى ٢٩٧ و ج ٢١، ص ٤٠٧ إلى ٤٢٨، نقلها من كتب العامّة كلّها. و الإرشاد للمفيد ص ٣٢.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ١، ص ۴۸۲

و يقول:

فاسألوني قبل أن تفقدوني فإنّي بطرق السّماء أعلم من طرق الأرض «١٣٧».

و لم يكن يصحّ من مثل هذا الشخص الكامل المعصوم قوله:

و اللّه لو شئت لأوقرت سبعين بعيرا من باء بسم اللّه الرّحمن الرّحيم [قد مرّ مرجعه في التعليقة ٩٢ فراجع].

و قوله ما من آية نزلت في برّ أو بحر أو ليل أو نهار إلاّ و أنا أعلم بها في أيّ شيء نزلت و في أيّ وقت نزلت (١٣٨).

---

(١٣٧) قوله: و علي (ع) لو لم يكن من هذه المرتبة من العلم لم يكن يقول: سلوني عما دون العرش- و يقول: فاسألوني قبل أن تفقدوني الحديث.

الحديثان رويا في المصادر العديدة و بمضمونهما روايات أخرى فلاحظ ما ذكرنا ذيلا:

في نهج البلاغة الخطبة ١٨٩ صبحي الصالح قال (ع): يا أيّها الناس، سلوني قبل أن تفقدوني، فلأنا بطرق السماء أعلم مني بطرق الأرض.

و فيه أيضا في الخطبة ٩٣ قال (ع): فاسألوني قبل أن تفقدوني، فوالّذي نفسي بيده لا تسألوني عن شيء فيما بينكم و بين الساعة، إلى أن قال: إلاّ أنبأتكم، الخطبة.

و في بحار الأنوار للمجلسي ج ٤٠، ص ١٣٦ الحديث ٢٧ عن بصائر الدرجات بإسناده عن زرارة قال: كنت قاعدا عند أبي جعفر (ع) فقال له رجل من أهل الكوفة: سله عن قول أمير المؤمنين (ع): سلوني عمّا شئتم، و لا تسألوني عن شيء إلاّ أنبأتكم به الحديث.

و في غرر الحكم للآمدي.

سلوني قبل أن تفقدوني فإني بطرق السماوات أخبر منكم بطرق الأرض.

و في المستدرك للحاكم النيسابوري ج ٢، ص ٣٥٢ بإسناده عن عامر بن واثلة قال: سمعت عليّا رضي اللّه عنه قام فقال: سلوني قبل أن تفقدوني الحديث.

و رواه الصدوق (رض) في أماليه المجلس الخامس و الخمسون ص ٢٨٠، الحديث ١، في حديث طويل فراجع.

و في الإرشاد للمفيد (رض) ص ٢٣ بإسناده عن الأصبغ بن نباتة حديث ذكرناه في تعليقنا رقم ١٣٨ فراجع.

(١٣٨) قوله (ع): ما من آية نزلت في بر أو بحر الحديث.

في الإرشاد للشيخ المفيد (رض) ص ٢٣ بإسناده عن الأصبغ بن نباتة في حديث قال أمير المؤمنين (ع): سلوني قبل أن تفقدوني فو الّذي فلق الحبّة و برأ النسمة لو سألتموني عن أية آية لأخبرتكم بوقت نزولها و فيم نزلت و أنبأتكم بناسخها من منسوخها و خاصها من عامها و محكمها من متشابهها و مكيها من مدنيها، و اللّه ما من فئة تضل أو تهدى إلاّ و أنا أعرف قائدها و سائقها و ناعقها [.....]

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ۱، ص ۴۸۳

و هذا الكلام كلام عظيم الشّأن رفيع المنزلة لا يقول إلاّ مثله، و قد صحّت هذه الأخبار بالأسانيد الصّحيحة عند السنّة و الشيعة.

أمّا السّنّة فعند الإمام أخطب الخوارزمي، و أبي نعيم الأصفهاني، و الإمام أحمد بن حنبل و أمثالهم.

و أمّا الشيعة فعند الإماميّة بأجمعهم من غير خلاف.

فتعرف صدق هذا من قوله تعالى في صفة القرآن: تِبْيانا لِكُلِّ شَيْءٍ.

و قوله: وَ نَزَّلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ تِبْياناً لِكُلِّ شَيْءٍ [سورة النحل: ۸۹].

و قوله: وَ لا رَطْبٍ وَ لا يابِسٍ إِلاَّ فِي كِتابٍ مُبِينٍ [سورة الأنعام: ۵۹].

فإن هذا شاهد على أنّ القرآن شامل للعلوم كلها من علوم الأوّلين و الآخرين، و كلّ من يعرف القرآن على ما ينبغي يصدق عليه هذا المعنى، و عليّ كان ممّن يعرف القرآن على ما ينبغي فتصح له هذه الدعوة، و سيّما قال:

أنا القرآن الناطق [قد مرّت الإشارة إليه في التعليقة ۲۱ فراجع].

و قال: هذا القرآن خط مسطور بين الدفتين، لا ينطق بلسان، و لا بد له من ترجمان، و إنّما ينطق عنه الرّجال [نهج البلاغة، صبحي الصالح الخطبة ۱۲۵].

و يشهد بهذا أيضا قوله تعالى الّذي أنزله في حقّ علي (ع):

قُلْ كَفى بِاللهِ شَهِيداً بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتابِ [سورة الرعد: ۴۳].

لأنّ هذا الكتاب لا يخلو من وجهين: إمّا أن يراد به القرآن، أو يراد به اللّوح المحفوظ.

إلى يوم القيامة.

روي مثله مع الاختلاف في اللفظ المجلسي في البحار ج ٤٠، ص ١٥٧ عن تاريخ البلاذريّ و حلية الأولياء و في ص ١٥٣ عن ابن أبي البختري من طرق مختلفة عن الأصبغ بن نباتة و غيره عن أمير المؤمنين فراجع.

و رواه في إحقاق الحق ج ٧ ص ٥٩١ عن العلاّمة الهروي في الأربعين حديثا ص ٤٧ (مخطوط) فراجع.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ١، ص ۴۸۴

فإن كان الأوّل فالمطلوب حاصل، لأن شهادة اللّه جلّ و عزّ تكفي في كمال علومه و علوّ شأنه.

و إن كان الثّاني بدليل أنّ ذلك الوقت لم يكن القرآن كتابا جامعا بل بعد ما كان نزل بالتّمام لأنّه كان ينزل (نجوما نجوما) فذلك أعظم و أعظم، لأنّ كلّ من يكون له الاطلاع على اللوح المحفوظ فعلى القرآن بطريق أولى، لأنّ القرآن كان ثابتا في اللّوح المحفوظ قبل النّزول لقوله تعالى:

بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ [سورة البروج: ٢١- ٢٢].

و قال بعض علمائنا هاهنا لطيفة دقيقة: و هي أنّ اللّه تعالى أخبر عن آصف بن برخيا وزير سليمان (ع) بقوله:

عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتٰابِ [سورة النمل: ٤٠].

و أخبر عن عليّ (ع) وزير نبيّنا (ص) بقوله:

وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتٰابِ [سورة الرّعد: ٤٣].

و هذان القولان دالّان على أن آصف كان عالما ببعض الكتاب المسمّى باللّوح المحفوظ لأنّ من في الكتاب للتبعيض و أنّ عليّا (ع) كان عالما بالكلّ لأنّ الألف و اللاّم فيه للاستغراق، و ليس هناك مخصّص، و السرّ في ذلك أنّ الوزير لا بدّ و أن يكون مناسبا للخليفة فنسبة آصف إلى عليّ كنسبة سليمان إلى محمّد، و الفرق ظاهر، و الحقّ أنّها لطيفة شريفة و دقيقة غريبة.

و يحكم العقل الصّحيح بأنّ كلّ شخص لا تكون له هذه المرتبة في العلم، لا تصدر منه تلك الأقوال المذكورة، و لا يتكلّم بمثل قوله:

و اللّه لو شئت أن أخبر كلّ رجل منكم بمخرجه و مولجه و جميع شأنه لفعلت و لكنّي أخاف أن تكفروا فيّ برسول اللّه (ص) «١٣٩».

و أمثال ذلك في كلامه كثير يكفي للعاقل المنصف واحدة منها.

---

(١٣٩) قوله: و لا يتكلّم بمثل قوله: و اللّه لو شئت أن أخبر الخ.

نهج البلاغة. الخطبة ١٧٥ صبحي الصالح.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‏١، ص ۴۸۵

و إذا تحقّق هذا و عرفت بعض فضائله.

فاعلم أن العلوم الظاهرة و الباطنة و العقليّة و النقليّة كلّها باتفاق العلماء

مسندة إليه ثمّ إلى أولاده المعصومين (ع).

أمّا علم الفصاحة، فهو منبعه و أصله و قد بلغ فيه و تجاوز النّهاية حتى قيل في كلامه: بأنه فوق كلام المخلوق و دون كلام الخالق و كلّ الخطباء تعلّموا منه، و معلوم أنّ جميع من ينسب إلى الفصاحة بعده يملئون أوعية أذهانهم من ألفاظه و يضمنونها كلامهم و خطبهم فيكون منها بمنزلة درر العقود كابن بنانة (نباتة) و غيره، و الأمر في ذلك ظاهر.

أمّا علم النّحو فأوّل واضع له هو أبو الأسود الدؤلي و كان ذلك بإرشاده (ع) إلى ذلك و بداية الأمر أنّ أبا الأسود سمع رجلا يقرأ: إن اللّه بريء من المشركين و رسوله، بالكسر، فأنكر ذلك و قال نعوذ باللّه من الجور بعد الكور، أي من نقصان الإيمان بعد زيادته، و راجع عليّا في ذلك فقال له نحوت أن أضع للنّاس ميزانا يقوّمون ألسنتهم فقال له (ع) انح نحوه و أرشده إلى كيفيّة ذلك الوضع و علّمه إيّاه.

و أمّا علم التّفسير فإنّه مستند إليه لأنّ ابن عباس رضي اللّه عنه رئيس المفسّرين بالاتّفاق و هو تلميذ لعليّ (ع) فيه و في غيره من العلوم، و روى عنه أنه قال:

حدثني أمير المؤمنين (ع) في تفسير الباء من بسم اللّه الرّحمن الرحيم من أوّل الليل إلى آخره.

أمّا علم الفقه، فالفقهاء كلهم يرجعون إليه، و مذاهبهم المشهورة أربعة.

أمّا الحنفية، فإن أصحاب أبي حنيفة كأبي يوسف و محمد و غيرهما فإنّهم أخذوا عن أبي حنيفة و هو تلميذ جعفر الصّادق (ع) و الصّادق تلميذ الباقر

و الباقر تلميذ زين العابدين و زين العابدين تلميذ والده الحسين و الحسين ولد عليّ (ع) و تلميذه و الكلّ تلميذ للنبيّ (ع) و هذا ظاهر مشهور.
و أمّا الشافعيّة، فإنّهم أخذوا عن الشّافعي و هو قرأ على محمد بن الحسن تلميذ أبي حنيفة و على مالك فرجع فقهه إليهما.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۱، ص ۴۸۶

أمّا أحمد بن حنبل، فقرأ على الشّافعي فيرجع فقهه إليه.
و أمّا مالك، فقرأ على ربيعة الرّأي و قرأ ربيعة على عكرمة و قرأ عكرمة على عبد الله بن عبّاس و عبد الله بن عبّاس تلميذ عليّ (ع) كما ذكرناه، فرجع انتساب فقه الجميع إلى عليّ (ع).
و ممّا يؤكّد كماله في الفقه قول الرّسول (ص):
«أقضاكم عليّ» «۱۴۰».
و الأقضى لا بدّ و أن يكون أفقه و أعلم بقواعد الفقه و أصوله.
أمّا الشّيعة الإماميّة، فانتسابهم في الفقه و بل في جميع العلوم إليه معلوم مشهور، فإنّهم منه و من أولاده المعصومين (ع) أخذوا ما أخذوا و منهم نقلوا ما نقلوا، و تعرف هذا من فقههم و علومهم.
و أمّا علم الكلام، فهو الّذي قرّر قواعده و أوضح براهينه، و من خطبه استفاد النّاس كافّة، و مرجع الكلّ إليه، فإنّ العالم بعلم الكلام أربعة، المعتزلة و الأشاعرة و الشّيعة و الخوارج.
أمّا المعتزلة، فإنّهم انتسبوا إلى واصل بن عطاء و هو كبيرهم و كان تلميذ أبي هاشم عبد اللّه بن محمد بن الحنفيّة، و أبو هاشم تلميذ أبيه، و أبوه تلميذ

والده علي بن أبي طالب (ع).

و أمّا الأشاعرة، فإنّهم تلامذة أبي الحسن علي بن أبي بشر الأشعري و هو تلميذ أبي علي الجبائي و هو من مشايخ المعتزلة.

و أمّا الشيعة، فانتسابهم إليه معلوم لأنّهم إمّا أخذوا من خطبه و حكمه مسندا إليه بالإسناد الصّحيح، و إمّا أخذوا من أساتذتهم و مشايخهم الّذين كانوا منتسبين إليه و إلى أولاده المعصومين (ع).

---

(١٤٠) قوله: قول رسول اللّه (ص) أقضاكم عليّ (ع).

الحديث معروف ورد بتعابير مختلفة و في قول الأصحاب أيضا، فراجع في مصادر الحديث إحقاق الحق و ملحقاته ج ١٥، ص ٣٦٦ إلى ص ٣٧٤، و ج ٤، ص ٣٢١ إلى ٣٢٣ و ص ٣٨٢ و أيضا و ج ٨، ص ٤٩ إلى ص ٦٧، و أيضا الغدير ج ٣ ص ٩٦.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ١، ص ۴٨٧

و أمّا الخوارج، فهم و إن كانوا في غاية البعد عن الحقّ، إلاّ أنّهم ينتسبون إليه انتسابا إلى مشايخهم الّذين كانوا تلامذة لعليّ (ع).

و أمّا العلوم الحكميّة الإلهيّة، الّتي هي أعظم العلوم و أشرفها المعبّرة عنها بالحكمة المحمّديّة، لا الفلسفيّة اليونانيّة المشار إليها في قوله تعالى:

يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشٰاءُ وَ مَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً [سورة البقرة: ٢٦٩].

فتلك بأسرها مأخوذة من خطبه و حكمه، فإنّ فيها من الأسرار الإلهيّة و المعارف الربّانيّة، و علم القضاء و القدر و علم المبدأ و المعاد و الحشر و النشر، فوق ما تجد في كتب أكابر الحكماء و أساطين العلماء.

و قد كان مشهورا بحكيم العرب و أستاذ البشر، و معلّم الجنّ و الملك أيضا، و كان تلميذه في هذه العلوم أوّلا أولاده المعصومين، ثمّ عبد اللّه بن عباس رضي اللّه عنه.

و أمّا علم التّصوّف و أرباب الطريقة، فانتسابهم إليه في العلوم و المعارف، و تصفية الباطن، و السّلوك إلى اللّه ظاهرة الانتهاء، و ستعرفه إن شاء اللّه عند إسناد الخرقة إليه.

و أمّا أصحاب الفتوّة، فرجوعهم إليه ظاهر لأنّ جبرائيل (ع)، نزل يوم بدر من السّماء و هو يقول:

لا سيف إلاّ ذو الفقار و لا فتى إلاّ علي «١٤١».

و خرج رسول اللّه (ص) يوما فرحا مسرورا و قال:

---

(١٤١) قوله: نزل يوم بدر من السماء و هو يقول: لا سيف الخ.

روى الخوارزمي في المناقب ص ١٦٧، الحديث ٢٠٠ بإسناده عن جابر بن عبد اللـه قـال: قال رسول اللّه (ص) يوم بدر:

هذا رضوان ملك من ملائكة اللّه ينادي: لا سيف إلاّ ذو الفقار و لا فتى إلاّ عليّ.

و في ذخائر العقبى للطبري ص ٧٤، عن أبي جعفر محمد بن علي قال: نادى ملك من

السماء يوم بدر يقال له: رضوان: أن لا سيف إلاّ ذو الفقار و لا فتى إلاّ عليّ.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۱، ص ۴۸۸

«أنا الفتى ابن الفتى أخو الفتى» «۱٤۲».

أمّا أنّه الفتى فلأنّه سيد العرب، و أمّا أنّه ابن الفتى فلأنّه ابن إبراهيم خليل الرّحمن الّذي نزل في حقه:

فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقٰالُ لَهُ إِبْرٰاهِيمُ [سورة الأنبياء: ٦٠].

و أمّا أنّه أخو الفتى فلأنّه أخو علي (ع)، الّذي قال جبرائيل فيه: و لا فتى إلاّ عليّ.

و هذا نقل نقلته من كتاب كشف اليقين من فضائل أمير المؤمنين، للشيخ الأعظم جمال الدّين المطهر الحلّي قدس اللّه روحه العزيز.

و أمّا أرباب الشّجاعة و الممارسون للأسلحة و الحروب، فهم أيضا ينتسبون إليه في علم ذلك و ترتيبه. و هذه العلوم الّتي ذكرناها هي الّتي يحتاج النّاس إليها في معاشهم و معادهم و هذه كلّها بعض علومهم و أسرارهم، و بعض بعض علوم القرآن و أسراره، و إلاّ عندهم علوم أخر لا يطّلع عليها غيرهم و لا هم مأذونين من عند اللّه بإظهارها و إفشائها، و إليه الإشارة بقوله تعالى:

إِنَّ اللّٰهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمٰانٰاتِ إِلىٰ أَهْلِهٰا [سورة النساء: ٥٨].

و أمانات اللّه تعالى لا تكون إلاّ علمه و أسراره في قلوب أوليائه و أنبيائه، و الخيانة في هذه الأمانات هي الإيداع عند غير أهلها و الإفشاء عند غير صاحبها، لقوله جلّ ذكره:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاٰ تَخُونُوا اللهَ وَ الرَّسُولَ وَ تَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ [سورة الأنفال: ٢٧].

---

(١٤٢) قوله: و خرج رسول اللّه (ص) يوما فرحا مسرورا و قال: أنا الفتى الحديث.

رواه الصدوق (رض) في معاني الأخبار ص ١١٩ بإسناده عن أبان بن عثمان عن الصادق عن أبيه عن جدّه (ع)، قال: إنّ إعرابيّا أتى رسول اللّه (ص) فخرج إليه في رداء ممشق، فقال: يا محمّد لقد خرجت إليّ كأنّك فتى، فقال (ص): نعم يا أعرابي أنا الفتى، ابن الفتى، أخو الفتى، فقال:

يا محمد (ص) أمّا الفتى فنعم، و كيف ابن الفتى و أخو الفتى؟ فقال (ص): أما سمعت اللّه عزّ و جلّ يقول: **قٰالُوا سَمِعْنٰا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقٰالُ لَهُ إِبْرٰاهِيمُ [سورة الأنبياءِ، الآية: ٦٠] فأنا ابن إبراهيم، و أمّا أخو الفتى فإنّ مناديا نادى في السماءِ يوم أحد: لا سيف إلاّ ذو الفقار و لا فتى إلاّ علي، فعليّ أخي و أنا أخوه.**

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ١، ص ۴٨٩

لأنّ الخيانة في العلوم الّتي هي الأمانات لا تتصوّر بغير هذا لهذا (...) لا تضعوا الحكمة عند غير أهلها، فيظلموها و لا تمنعوها و كونوا كالطبيب الرّفيق يضع الدواء موضع الداء (...) و من منح الجهال علما أضاعه، و من منع المستوجب ظلمه.

و حيث عرفت أنّ هذا نهي عن الخيانة في أماناتهم، و النّهي لا يكون إلاّ عن

شيء عظيم الشأن.

و بالجملة أحسن شاهد و أعظم دليل على كثرة علومهم، القرآن الكريم فإنّه شهد بأنّ تأويله حقّ التّأويل لا يعلمه إلاّ الرّاسخ في العلوم كلّها، لقوله:

وَ مٰا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّٰهُ وَ الرّٰاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ (إلى قوله) وَ مٰا يَذَّكَّرُ إِلاّٰ أُولُوا الْأَلْبٰابِ [سورة آل عمران: ۷].

و قد ثبت أنّ الرّسوخ في العلوم ليس إلاّ لهم و قد ثبت أنّ القرآن جامع لجميع العلوم، و ثبت أنّ القرآن و الاطلاع عليه على ما ينبغي مخصوص بهم، فتكون علومهم على هذا التّقدير غير قابلة للانتهاء و الانقطاع، لأنّ علوم القرآن كذلك كما ثبت و تقرّر و يشهد بذلك قول سيّدهم و جدّهم:

و اللّه لو شئت لأوقرت سبعين بعيرا من باء بسم اللّه الرحمن الرحيم. [راجع التعليقة ۹۲].

لأنّ كلّ من يتمكّن أن يفعل هذا في حرف واحد في القرآن فكيف يكون الحال في الحروف كلّها فضلا عن الكلمات و الآيات و السّور، فافهم جيّدا.

و حيث تقرّر هذا فنذكر بعض تلك العلوم هاهنا على سبيل النقل منقولا من كلّ واحد منهم لئلاّ يتوهّم بعض النّاس أنّ هذا كلام على غير أصل صحيح أو دعوى من غير إثبات و لا برهان.

فمنها قول أمير المؤمنين (ع) في هذا الباب مخاطبا لكميل بن زياد النخعي رضي اللّه عنه.

يا كميل بن زياد هلك خزّان الأموال و هم أحياء، و العلماء باقون ما بقي

الدّهر، أعيانهم مفقودة و أمثالهم في القلوب موجودة، ها أنّ هاهنا لعلما جمّا- و أشار (ع) إلى صدره- لو أصبت له حملة، بلى أصبت له لقنا غير مأمون عليه، مستعملا آلة الدّين للدّنيا، و مستظهرا بنعم اللّه على عباده، و بحججه على أوليائه، أو منقادا لحملة الحقّ لا بصيرة له في أحنائه، ينقدح الشّك في قلبه لأوّل عارض من شبهة، «ألا لا ذا و لا ذاك» أو منهوما باللّذّة، سلس القياد للشهوة أو مغرما بالجمع و الادّخار، ليسا من رعاة الدّين في شيء، أقرب شيء شبها بهما الأنعام السائمة، كذلك يموت العلم بموت حامليه.

اللهم بلى لا تخلو الأرض من قائم للّه بحجّة، إمّا ظاهرا مشهورا، و إمّا خائفا مغمورا، لئلاّ تبطل حجج اللّه و بيّناته، و كم ذا و أين أولئك؟ أولئك و اللّه الأقلّون عددا، و الأعظمون عند اللّه قدرا، يحفظ اللّه بهم حججه و بيّناته حتّى يودعوها نظراءهم، و يزرعوها في قلوب أشباههم، هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة، و باشروا روح اليقين، و استلانوا ما استوعره المترفون، و أنسوا بما استوحش منه الجاهلون، و صحبوا الدّنيا بأبدان أرواحها معلّقة بالمحلّ الأعلى، أولئك خلفاء اللّه في أرضه، و الدعاة إلى دينه، آه آه شوقا إلى رؤيتهم. [نهج البلاغة- صبحي الصالح، الحكمة ١٤٧، و فيض الإسلام: ١٣٩].

و قوله في موضع آخر:

و اللّه لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي أمّه، بل اندمجت على مكنون علم لو بحت به لاضطربتم اضطراب الأرشية في الطّوىّ البعيدة

[نهج البلاغة الخطبة ۵، صبحي الصالح]. و له أقوال كثيرة في هذا الباب يكفي منها هذا القدر تنبيها.

و قد ورد عن النّبي (ص) أمثال ذلك كثيرة، منها ما روي عنه (ع) أنّه قال بحضور جماعة من المهاجرين و الأنصار:

لو علم سلمان ما في باطن أبي ذر من الحكمة لكفر، و لو علم أبو ذر ما في باطن سلمان من الحكمة لكفره (١٤٣)

---

(١٤٣) قوله: منها ما روي عنه (ص) أنّه قال بحضور جماعة: لو علم سلمان، الحديث، و لو علم أبو

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ١، ص ۴۹۱

و كما يقول أكثر الأوقات:

إنّي لأنشق روح الرّحمان أو نفس الرّحمن من قبل اليمن، و قد سأله سلمان عن هذا الشخص، فقال له (ع): إن باليمن لشخصا يقال له أويس القرني يحشره اللّه يوم القيامة أمّة واحدة، يدخل في شفاعته مثل ربيعة و مضر ألا من رآه فليقرأه عنّي السّلام و ليأمره أن يدعو لي «١٤٤».

و ليس هذا التّعظيم إلاّ لتعظيم علم كان عنده، و كان النّبيّ عالما به و بعلمه رزقنا اللّه الوصول إليه بمحمد و ولديه، و قال (ع):

إنّ من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلاّ أهل المعرفة باللّه تعالى، فإذا نطقوا

لم يجهله إلاّ أهل الإقرار بالله تعالى فلا تحقروا عالما آتاه الله علما فإنّ الله سبحانه لم يحقره إذا آتاه العلم، و إلى هذا العلم أشار عيسى (ع) في قوله:

ذر الحديث.

محمد بن يعقوب في أصول الكافي، ج ١، ص ٤٠١ الحديث ٢- بإسناده عن مسعدة بن صدقة عن الصادق (ع) قال: ذكرت التقيّة يوما عند علي بن الحسين (ع) فقال: و اللّه لو علم أبو ذر ما في قلب سلمان لقتله، و لقد آخى رسول اللّه (ص) بينهما، فما ظنّكم بسائر الخلق، إنّ علم العلماء صعب مستصعب، لا يحتمله إلاّ نبيّ مرسل أو ملك مقرّب أو عبد مؤمن امتحن اللّه قلبه للإيمان، فقال: و إنّما صار سلمان من العلماء لأنّه امرؤ منّا أهل البيت، فلذلك نسبته إلى العلماء.

و في الاختصاص للشيخ المفيد (رض) ص ١١ بإسناده عن أبي بصير، عن الصادق (ع) قال:

قال رسول اللّه لسلمان: يا سلمان لو عرض علمك على المقداد لكفر، يا مقداد لو عرض صبرك على سلمان لكفر.

و رواه أيضا الكشي في رجاله ص ١٦.

و لاحظ أيضا تعليقنا ٦٦ ففيه حديث مشابه عن الاختصاص.

(١٤٤) قوله: و كما يقول أكثر الأوقات: إنّي لأنشق روح الرحمان، أو نفس الرحمان من قبل اليمين.

أقول: روي الحديث بألفاظ مختلفة:

(أ) إني لأجد نفس الرحمان يأتيني من قبل اليمين، عوالي اللئالئ ج ١، ص ٥١، الحديث ٧٤ و في النهاية لابن الأثير ج ٥، ص ٩٢ مادة نفس.

(ب) أحمد بن حنبل في مسنده ج ٢، ص ٥٤١ في حديث:

ألا إن الإيمان يمان، و الحكمة يمانية، و أجد نفس ربكم من قبل اليمن.

(ج) الفتوحات المكيّة ج ٢، ص ١١٣، الباب الثالث و ج ٣، ص ٩١ الباب العشرون:

إني لأجد نفس الرحمن يأتيني من قبل اليمن.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‌١، ص ۴۹۲

يا بني إسرائيل لا تقولوا العلم في السّماء من يصعد به و لا في تخوم الأرض من ينزل به و لا في ما وراء البحار من يعبر به يأتي، العلم مجهول في قلوبكم تأدبوا بين يدي اللّه بآداب الروحانيّين و تخلّقوا بأخلاق الصدّيقين يظهر العلم في قلوبكم حتّى يغطيكم و يغمركم.

و قد أشار إلى هذا المعنى كلّه الشّيخ الكامل محيي الدّين الأعرابي قدّس اللّه سره في فتوحاته المكيّة في الجلد الأوّل باب تعريف الأفراد و تعيينهم بوجه آخر، و هو مناسب بهذا المقام و ذلك قوله بعد كلام طويل «١٤٥»:

(للأفراد من الإنس من الحضرات الحضرة الفردانيّة و قصّة موسى و الخضر (ع))

فأوّل الأفراد، الثلاثة، و قد قال (ص): «الثلاثة ركب» «١٤٦».

فأوّل الركب الثلاثة إلى ما فوق ذلك، و لهم من الحضرات الإلهيّة: الحضرة الفردانيّة، و فيما يتميّزون من الأسماء الإلهية: الفرد، و المواد الواردة على

قلوبهم من المقام الّذي ترد منه على الأفلاك المهيمنة، و لهذا يجهل مقامهم و ما يأتون به، مثل ما أنكر موسى (ع) على الخضر مع شهادة اللّه فيه لموسى (ع) و تعريفه بمنزلته، و تزكية اللّه إيّاه و أخذه العهد عليه إذا أراد صحبته، و لمّا علم الخضر: أن موسى (ع) ليس له ذوق في المقام الّذي هو الخضر عليه، كما أنّ الخضر ليس له ذوق فيما هو موسى (ع) من العلم الّذي علّمه اللّه، إلاّ أنّ مقام الخضر لا يعطي الاعتراض على أحد من خلق اللّه، لمشاهدة خاصّة هو عليها، و مقام موسى و الرّسل يعطي الاعتراض من حيث هم رسل لا غير في كلّ ما يرونه خارجا عمّا أرسلوا به، و دليل ما ذهبنا إليه في هذا قول الخضر لموسى (ع).

---

(١٤٥) قوله: و قد أشار إلى هذا المعنى كلّه الشيخ الكامل محيي الدين بن العربي، الفتوحات المكيّة ج ٣، الطبعة الجديدة ص ٢٤٦ و الطبعة القديمة ج ١، ص ١٩٩- عنوان الباب: الباب الثلاثون في معرفة الطبقة الأولى و الثانية من الأقطاب الركبان.

(١٤٦) قوله: و قد قال (ص): الثلاثة ركب.

قال عثمان يحيى في تعليقته على الفتوحات ج ٣، ص ٢٤٦: انظر المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي مادّة ركب ص ٢٩٣، آخر العمود الأوّل و العمود الثّاني بكامله من المجلد الثاني.

وَ كَيْفَ تَصْبِرُ عَلىٰ مٰا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً [سورة الكهف: ٦٨].

فلو كان الخضر نبيّا لما قال: ما لم تحط به خبرا، فالّذي هذا قوله لم يكن من مقام النبوّة، و قال له في انفراد: كلّ واحد منهما بمقامه الّذي هو عليه، قال الخضر لموسى: يا موسى: أنا على علم علّمنيه اللّه لا تعلمه أنت، و أنت على علم علّمكه اللّه لا أعلمه أنا، و افترقا و تميّزا بالإنكار «١٤٧».

فالإنكار ليس من شأن الأفراد فإنّهم الأولويّة في الأمور فهم ينكر عليهم و لا ينكرون.

قال الجنيد: لا يبلغ أحد درجة الحقيقة حتّى يشهد فيه ألف صدّيق بأنّه زنديق، و ذلك لأنّهم يعلمون من اللّه ما لا يعلمه غيرهم، و هم أصحاب العلم الّذي كان يقول فيه علي بن أبي طالب (ع) حين يضرب بيده على صدره و يتنهد:

إن هاهنا لعلوما جمّة لو وجدت لها حملة «١٤٨».

---

(١٤٧) قوله: قال الخضر لموسى: يا موسى أنا على علم علّمنيه اللّه الخ.

أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب العلم باب: ما يستحب للعالم إذا سئل أيّ النّاس أعلم فيكل العلم إلى اللّه، ج ١، ص ٤١، بإسناده عن أبيّ بن كعب، عن النبيّ (ص): قام موسى النبيّ خطيبا في بني إسرائيل، فسئل أيّ النّاس أعلم، فقال أنا أعلم، فعتب اللّه عليه إذ لم يردّ العلم إليه، فأوحى اللّه إليه أنّ عبدا من عبادي بمجمع البحرين هو أعلم منك، إلى أن قال:

فسلم موسى، فقال الخضر: و أنّى بأرضك السلام، فقال أنا موسى، فقال: موسى بني إسرائيل، قال: نعم، قال: هل أتّبعك على أن تعلّمني ممّا علّمت رشدا، قال: إنّك لن تستطيع معي صبرا، يا موسى إني على علم من علم اللّه الحديث فراجع و الحديث طويل.

و أيضا أخرجه في كتاب التفسير ج ٦، ص ١١١ و ص ١١٤ و ص ١١٦ في تفسير سورة الكهف.

و أخرجه أيضا مسلم في صحيحه ج ٤، ص ١٨٤٩ الحديث ١٧٠- ٢٣٨٠ كتاب الفضائل باب ٤٦ باب من فضائل الخضر (ع). و أخرجه أيضا أحمد بن حنبل في مسنده ص ١١٧، و أخرجه الترمذي في سننه ج ٥، ص ٣٠٩ الحديث ٣١٤٩ من كتاب تفسير القرآن باب ١٩.

(١٤٨) قوله (ع): إن ها هنا لعلوما الخ.

في الحكمة ١٤٧ في نهج البلاغة قال (ع) مخاطبا لكميل بن زياد: يا كميل، إن هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها إلى أن قال: ها إنّ ها هنا لعلما جمّا- و أشار بيده إلى صدره- لو أصبت له حملة الحكمة.

و في الخصال للصدوق (رض) ص ٦٣٥، الحديث ٢٩ فيما بعد الألف. بإسناده عن أبي إسحاق السبيعي قال: سمعت بعض أصحاب أمير المؤمنين (ع) ممّن يثق به قال: سمعت عليّا يقول: إنّ في صدري هذا لعلما جمّا علّمنيه رسول اللّه (ص)، لو أجد له حفظة يرعونه حق رعايته و يروونه كما يسمعونه منّي إذا لأودعتهم بعضه، فعلّم به كثير من العلم، إنّ العلم مفتاح كل باب، و كل باب يفتح ألف باب.

و لاحظ تعليقتنا ١٣٨.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۱، ص ۴۹۴

فإنه كان من الأفراد و لم يسمع هذا من غيره في زمانه إلاّ أبي هريرة ذكر مثل هذا، أخرج البخاري في صحيحه إنّه قال: حملت عن النّبيّ (ص) جرابين، أمّا الواحد فبثثته فيكم، و أمّا الآخر فلو بثثته قطع منّي هذا البلعوم، و البلعوم مجرى الطعام «١٤٩»، فأبو هريرة ذكر أنّه حمله عن رسول اللّه (ص) فكان فيه ناقلا عن غير ذوق، و لكنّه علم، لكونه سمعه من رسول اللّه (ص)، و نحن إنّما نتكلّم فيمن أعطى عين الفهم في كلام اللّه تعالى في نفسه، و ذلك علم الأفراد.

و كان من الأفراد عبد الله بن العبّاس البحر، كان يلقب به لاتّساع علمه و كان يقول في قوله عزّ و جلّ:

اللهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَماٰواتٍ وَ مِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ [سورة الطلاق: ۱۲].

لو ذكرت تفسيره على ما سمعت من رسول اللّه لرجمتموني، و في رواية لقلتم أنّي كافر «١٥٠».

---

(١٤٩) قوله: إنّه قال: حملت عن النبيّ (ص) جرابين الخ.

أخرجه البخاري في صحيحه كتاب العلم باب حفظ العلم ج ١، ص ٤١، بإسناده عن أبي هريرة قال: حفظت من رسول اللّه (ص) وعاءين، فأمّا أحدهما فبثثته، و أمّا الآخر فلو

بثته قطع هذا البلعوم.

(١٥٠) قوله: لو ذكرت على ما سمعت من رسول اللّه لرجمتموني الخ.

أقول: روي في جامع البيان لمحمد بن جرير الطبري المتوفّى ٣١٠، ج ٢٨، ص ١٥٣ في ذيل الكريمة: **سَبْعَ سَمٰاوٰاتٍ وَ مِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ [سورة الطلاق، الآية: ١٢] بإسناده عن ابن عبّاس قال: لو حدثتكم بتفسيرها لكفرتم و كفركم تكذيبكم بها.**

و أيضا روي بسند آخر عنه قال لرجل سأله عن الكريمة: ما يؤمنك أن أخبرك بها فتكفر؟.

و روى أيضا مثله الشوكاني في تفسيره الفتح القدير مسندا عن ابن عباس ج ٥، ص ٢٤١.

روي في رجال الكشي بإسناده عن جابر بن يزيد الجعفي قال: حدّثني أبو جعفر (ع) بسبعين ألف حديث لم أجد بها أحدا قطّ، و لا أحدّث بها أحدا أبدا، قال جابر: فقلت لأبي جعفر (ع):

جعلت فداك إنّك قد حملتني وقرا عظيما بما حدثتني به من سرّكم الّذي لا أحدّث به أحدا فربما جاش في صدري حتّى يأخذني منه شبه الجنون، قال يا جابر فإذا كان كذلك فاخرج إلى الجبّان فاحفر حفيرة و دلّ رأسك فيها ثمّ قل: حدّثني محمّد بن علي بكذا و كذا. رجال الكشي ص ١٧١. [.....]

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ١، ص ٤٩٥

و إلى هذا العلم كان يشير علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب زين العابدين عليهم الصّلاة و السّلام بقوله (فلا أدري هل هما من قيله أو تمثّل بهما):

يا ربّ جوهر علم لو أبوح به　　لقيل لي: أنت ممّن يعبد الوثنا

و لاستحل رجال مسلمون دمي　　يرون أقبح ما يأتونه حسنا

(١٥١)

---

(١٥١) قوله: و إلى هذا العلم يشير علي بن الحسين (ع) الخ.

أقول: ذكر الآلوسي في تفسيره روح المعاني ج ٦، ص ١٨٩ في ذيل الكريمة: **يٰا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مٰا أُنْزِلَ إِلَيْكَ [سورة المائدة، الآية: ٦٧].**

بعد ذكر الأقوال في معنى الآية هكذا:

و عن بعض الصوفيّة أنّ المراد تبليغ ما يتعلّق به مصالح العباد من الأحكام، و قصد بإنزاله اطلاعهم عليه، و أمّا ما خصّ به من الغيب و لم يتعلّق به مصالح أمّته فله بل عليه كتمانه.

و روى السلمى عن جعفر رضي اللّه عنه في قوله تعالى:

فَأَوْحىٰ إِلىٰ عَبْدِهِ مٰا أَوْحىٰ ....

قال: أوحى بلا واسطة فيما بينه و بينه سرّا إلى قلبه و لا يعلم به أحد سواه إلاّ في العقبى حين يعطيه الشفاعة لأمّته.

و قال الواسطي ألقى إلى عبده ما ألقى-: و لم يظهر ما الّذي أوحى لأنّه خصّه سبحانه به (ص) و ما كان مخصوصا به عليه الصلاة و السلام كان مستورا، و ما بعثه اللّه تعالى به

إلى الخلق كان ظاهرا.

قال الطيبي: و إلى هذا ينظر معنى ما رويناه في صحيح البخاري عن سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: حفظت من رسول اللّه (ص) وعاءين، فأمّا أحدهما فبثثته، و أمّا الآخر فلو بثثته قطع منّي هذا البلعوم. و أراد عنقه و أصل معناه مجرى الطعام، و بذلك فسّره البخاري.

و يسمّون ذلك علم الأسرار الإلهيّة و علم الحقيقة، و إلى ذلك أشار رئيس العارفين على زين العابدين (ع) حيث قال:

إنّي لأكتم من علمي جواهره
كيلا يرى الحقّ ذو جهل فيفتتنا

و قد تقدّم في هذا أبو حسن
إلى الحسين و أوصى قبله الحسنا

فربّ جوهر علم لو أبوح به لقيل لي أنت ممّن يعبد الوثنا



و لاستحلّ رجال مسلمون دمي يرون أقبح ما يأتونه حسنا

أقول: أمّا الحديث رواه البخاري في كتاب العلم باب حفظ العلم ج ١، ص ٤١ و في المستدرك للحاكم ج ٣ ص ٥٠٩ كتاب معرفة الصحابة بإسناده عن أبي رافع قال: سمعت أبا هريرة (رض) يقول: حفظت من حديث رسول اللّه (ص)، أحاديث، ما حدثتكم بها، و لو حدثتكم بحديث منها لرجمتموني بالأحجار.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ١، ص ۴۹۶

فنبّه بقوله: يعبد الوثنا على مقصوده، ينظر إليه تأويل قوله (ص):

«إن اللّه خلق آدم على صورته» [فانظر تعليقة ۳۱].

بإعادة الضمير على اللّه تعالى، و هو من بعض محتملاته.

يا اللّه يا أخي أنصفني فيما أقوله لك، لا شكّ أنّك جمعت معي على أنّه كلّ

ما صحّ عن رسول اللّه (ص) من الأخبار في كلّ ما وصف به فيها ربّه تعالى من الفرح، و الضّحك، و التعجّب، و التبشبش، و الغضب، و التّردد، و الكراهة، و المحبّة، و الشّوق، إنّ ذلك و أمثاله يجب الإيمان به و التّصديق، فلو هبّت نفحات من هذه الحضرة الإلهيّة كشفا و تجلّيا و تعريفا إلهيّا على قلوب الأولياء، بحيث أن يعملوا بإعلام اللّه، و يشاهدوا بإشهاد اللّه من هذه الأمور، المعبّر عنها بهذه الألفاظ على لسان الرّسول (ص)، و قد وقع الإيمان منّي و منك بهذا كلّه إذا أتى بمثله هذا

و نظيره ما روي عن علي (ع) مخاطبا لميثم رضي اللّه عنه روى المجلسي في البحار ج ۱۰۰، ص ٤٤٩ كتاب المزار باب مسجد السهلة و سائر المساجد في الكوفة الحديث ٢٦: عن مؤلف المزار الكبير بإسناده عن علي بن ميثم عن ميثم رضي اللّه عنه أنه قال: أصحر بي مولاي أمير المؤمنين (ع) ليلة من الليالي قد خرج من الكوفة و انتهى إلى مسجد جعفي و توجّه إلى القبلة و صلّى أربع ركعات، فلمّا سلّم بسط كفّيه و قال: إلهي كيف أدعوك و قد عصيتك، و كيف لا أدعوك و قد عرفتك (و الدّعاء طويل فراجع) إلى أن قال ميثم:

و أخفت دعاءه و سجد و عفّر و قال: العفو، العفو، مائة مرّة، و قام و خرج فاتّبعته حتّى خرج إلى الصحراء، و خطّ لي خطّة و قال: إيّاك أن تجاوز هذه الخطّة و مضى عنّي، و كانت ليلة مد لهمّة، فقلت يا نفسي أسلمت مولاك و له أعداء كثيرة، أيّ عذر يكون لك عند اللّه، و عند رسوله، و اللّه لأقتفينّ أثره و لأعلمنّ خبره و إن كان قد خالفت أمره، و

جعلت أتبع أثره فوجدته (ع) مطلعا في البئر إلى نصفه يخاطب البئر، و البئر تخاطبه، فحسّ بي و التفت (ع) و قال: من؟ قلت: ميثم، فقال: يا ميثم ألم آمرك أن لا تتجاوز الخطّة؟ قلت: يا مولاي خشيت عليك من الأعداء فلم يصبر لذلك قلبي، فقال: أسمعت ممّا قلت شيئا؟ قلت: لا يا مولاي فقال: يا ميثم:

و في الصدر لبانات إذا ضاق لها صدري

نكتّ الأرض بالكفّ و أبديت لها سرّي

فمهما تنبت الأرض فذاك النبت من بذري

و أيضا روى الأميني في كتاب الغدير ج ۷، ص ۳۵ في ترجمة الحافظ

البرسي عن كتاب منح المنة للشعراني ص ١٤ عن أمير المؤمنين (ع) قال: لو جلست أحدّثكم ما سمعت من فم أبي القاسم (ص) لخرجتم من عندي و أنتم تقولون: إنّ عليّا من أكذب الكاذبين.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج١، ص ۴۹۷

الولي في حقّ اللّه تعالى، ألست تزندقه كما قال الجنيد؟ ألست تقول: إنّ هذا مشبّه، هذا عابد و ثن؟، كيف وصف الحقّ بما وصف به المخلوق؟ ما فعلت عبدة الأوثان أكثر من هذا؟، كما قال علي بن الحسين (ع) ألست كنت تقتله، أو تفتي بقتله، كما قال ابن عبّاس؟

فبأيّ شيء آمنت و سلّمت لمّا سمعت ذلك من رسول اللّه (ص) في حقّ اللّه من الأمور الّتي تحيلها الأدلّة العقليّة، و منعت من تأويلها، و الأشعري تأوّلها على وجوه من التّنزيه في زعمه، فأين الإنصاف فهلاّ قلت: القدرة واسعة أن تعطي لهذا الولي ما أعطت للنبيّ من علوم الأسرار، فإنّ ذلك ليس من خصائص النبوّة، و لا حجر الشّارع على أمّته هذا الباب، و لا تكلّم فيه بشيء بل قال:

إن يكن في أمّتي محدّثون فعمر منهم «١٥٢».

فقد أثبت النبيّ (ص) أن ثم من يحدث ممّن ليس بنبيّ، و قد يحدّث بمثل هذا فإنه خارج عن تشريع الأحكام من الحلال و الحرام، فإن ذلك أعني التّشريع من خصائص النبوّة و ليس الاطلاع على غوامض العلوم الإلهيّة من خصائص نبوّة التشريع، بل هي سارية في عباد اللّه: من رسول و وليّ و تابع

و متبوع، فأين الإنصاف يا وليّ! منك، أليس الله تعالى يقول لمن عمل منّا بما شرع اللّه له: إنّ اللّه يعلمه و يتولّى تعليمه بعلوم أنتجتها أعماله.

كقوله جلّ ذكره:

وَ اتَّقُوا اللهَ وَ يُعَلِّمُكُمُ اللهُ وَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ [سورة البقرة: ۲۸۲].

و كقوله:

إِنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقاناً [سورة الأنفال: ۲۹].

و أمثال ذلك، هذا آخر قول الشيخ قدّس اللّه سرّه و كان لنا في هذا النقل أغراض.

---

(۱۵۲) قوله: بل قال: إن يكن في أمّتي محدّثون الخ.

أخرجه مسلم في صحيحه ج ٤ كتاب فضائل الصحابة الحديث ٢٣، ص ١٨٦٤، و الترمذي ج ٥، كتاب المناقب الحديث ٣٦٩٣، ص ٦٢٢.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۱، ص ۴۹۸

و إذا عرفت هذا فلنشرع في نقل أقوال أهل البيت (ع) ممّا كنّا في صدده.

(الآيات و الروايات الواردة في حقّهم (ع)

و منها، ما نقل عن جعفر بن محمد الصادق (ع) أنه قال:

علمنا غابر و مزبور و نكت في القلوب، و نقر في الأسماع، و إن عندنا الجفر الأحمر، و الجفر الأبيض، و صحيفة فاطمة، و إن عندنا الجامعة فيها ما

يحتاج النّاس إليه إلى يوم القيامة، فسئل (ع) عن تفسير هذا الكلام، فقال (ع): أمّا الغابر:

فالعلم بما يكون، و أمّا المزبور: فالعلم بما كان، و النكت في القلوب: فهو الإلهام، و النّقر في الاسماع: حديث الملائكة نسمع كلامهم و لا نرى أشخاصهم، و أمّا الجفر الأحمر: فوعاء سلاح رسول اللّه و لن يظهر حتّى يقوم قائمنا أهل البيت، و أمّا الأبيض: فوعاء فيه توراة موسى، و إنجيل عيسى، و زبور داود، و كتب اللّه الأولى، و أمّا مصحف فاطمة (ع): ففيه ما يكون من حادث و أسماء كلّ من يملك إلى يوم تقوم السّاعة، و أمّا الجامعة: فهي كتاب طوله سبعون ذراعا إملاء رسول اللّه و بخط علي بن أبي طالب، و فيه جميع ما يحتاج النّاس إليه إلى يوم القيامة حتّى أن فيه أرش الخدش و الجلدة، و نصف الجلدة و كان (ع) يقول: حديثي حديث أبي، و حديث أبي حديث جدّي، و حديث جدّي حديث علي بن أبي طالب، و حديث علي بن أبي طالب حديث رسول اللّه، و حديث رسول اللّه قول اللّه تعالى جلّ و عزّ «۱۵۳».

و عن كتاب بصائر الدّرجات، عن محمّد، عن حمّاد، عن إبراهيم بن عبد الحميد، عن أبيه عن أبي الحسن الأوّل (ع)، قال: قلت له: جعلت فداك أخبرني عن النبيّ (ص)، ورث النبيّين كلّهم؟ قال: نعم قلت: من لدن آدم إلى أن انتهى إلى نفسه، قال: نعم ورثهم النبوّة، و ما كان في أيديهم من النبوّة و العلم

(١٥٣) قوله: ما نقل عن جعفر بن محمد الصادق (ع) أنه قال: علمنا غابر الحديث أقول: جمع المؤلّف السيّد (رض) في العبارة مضمون أحاديث متعددة رواها الكليني (رض) في اصول الكافي فراجع ج ١، ص ٢٦٤ باب جهات علوم الأئمة (ع) الحديث ١ و ٣ و أيضا ص ٣١١ باب الإشارة و النصّ على أبي الحسن الرضا (ع) الحديث ٢، و أيضا ص ٢٣٨ باب فيه ذكر الصحيفة و الجفر و الجامعة و مصحف فاطمة (ع) الأحاديث في الباب.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‏١، ص ۴۹۹

قال: ما بعث اللّه نبيّا إلاّ و قد كان محمّد أعلم منه، قال: قلت: إنّ عيسى بن مريم كان يحيي الموتى بإذن اللّه قال: صدقت و سليمان بن داود كان يفهم كلام الطّير قال: و كان رسول اللّه (ص) يقدر على هذه المنازل، قال: إنّ سليمان بن داود قال للهدهد حين فقده و شكّ في أمره:

مٰا لِيَ لاٰ أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كٰانَ مِنَ الْغٰائِبِينَ [سورة النمل: ٢٠].

و غضب عليه فقال:

لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذٰاباً شَدِيداً أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطٰانٍ مُبِينٍ [سورة النمل: ٢١].

و إنّما أراد ليدله على الماء، فهذا لم يعط سليمان و كانت الشّياطين المردة طائعين له و لم يكن يعرف الماء تحت الهواء و كانت الطير تعرفه، إن اللّه تعالى يقول في كتابه:

وَ لَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبٰالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتىٰ [سورة

الرعد: ۳۱].

فقد ورثنا هذا القرآن فعندنا ما نقطع به الجبال، و نقطع به البلدان و نحيي به الموتى بإذن اللّه و نحن نعرف تحت الهواء و إن كانت في كتاب اللّه لآيات ما يراد بها أمر من الأمور الّتي أعطاها اللّه تعالى الماضين من النبيّين و المرسلين، و قد جعل اللّه ذلك كلّه لنا في أمّ الكتاب إن اللّه تعالى يقول:

وَ مٰا مِنْ غٰائِبَةٍ فِي السَّمٰاءِ وَ الْأَرْضِ إِلاّٰ فِي كِتٰابٍ مُبِينٍ [سورة النمل: ۷۵].

ثم قال عزّ و جلّ:

ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتٰابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنٰا مِنْ عِبٰادِنٰا [سورة فاطر: ۳۲].

فنحن الّذين اصطفانا اللّه فقد ورثنا علم هذا القرآن الّذي فيه تبيان كلّ شيء «١٥٤».

---

(١٥٤) قوله: و عن كتاب بصائر الدرجات الخ.

روى الحديث شيخ القمّيّن محمد بن الحسن الصفار في كتابه بصائر الدرجات «ص ۱۱۵ باب في الأئمّة (ع) أنّهم ورثوا علم آدم و جميع العلماء ح ۳» قال:

حدثنا محمّد بن الحسن، عن حمّاد، عن إبراهيم بن عبد الحميد، عن أبيه، عن أبي الحسن الأوّل (ع) قال: قلت له جعلت فداك النبيّ ورث علم النّبيّين كلّهم؟ الحديث.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۱، ص ۵۰۰

و منها ما ورد عن عبد الله عن عامر عن عبد اللّه بن أبي نجران قال: كتب

أبو الحسن الرّضا (ع) رسالة أقرأنيها قال علي بن الحسين (ع): إنّ محمّدا (ص) كان أمين اللّه في أرضه، فلمّا قبض محمّد (ص) كنّا أهل البيت ورثته، فنحن أمناء اللّه في أرضه، عندنا علم المنايا و البلايا و أنساب العرب و مولد الإسلام و إنّا لنعرف الرّجل إذا رأيناه بحقيقة الإيمان و حقيقة النّفاق، و أنّ شيعتنا المكتوبون بأسمائهم و أسماء آبائهم، أخذ اللّه علينا و عليهم الميثاق، يردون موردنا، و يدخلون مدخلنا، نحن النجباء، و إفراطنا إفراط الأنبياء، و نحن أبناء الأوصياء، و نحن المخصوصون في كتاب اللّه، و نحن أولى الناس بكتاب اللّه، و نحن أولى النّاس بدين اللّه. نحن الّذين شرع لنا دينه فقال في كتابه:

شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مٰا وَصّٰى بِهِ نُوحاً [سورة الشورى: ١٣].

قد وصّانا بما وصّى به نوحا، و الّذين أوحينا إليك يا محمّد، و ما وصّينا به إبراهيم و إسماعيل و إسحاق و يعقوب، فقد علمنا و بلغنا ما علمنا و استودعنا علمهم، و نحن ورثة الأنبياء، و نحن ورثة أولي العزم من الرّسل، أن أقيموا الدّين بآل محمد، و لا تتفرقوا و كونوا على جماعة كبر على المشركين «١٥٥».

و أمثال ذلك كثيرة في أقوالهم، نكتفي منها بهذا القدر، فإن ذكر الكلّ يخرج الكلام عن المقصد و بل لا يمكن لأنّه غير قابل للحصر و كلّ من لا ينفعه البعض لا ينفعه الكلّ و بالعكس.

و الغرض أنّ علمهم علم نبيّنا، و علم نبيّنا علم القرآن، و علم القرآن حاصل لهم من النبيّ و من اللّه بالإرث المعنوي و الصّوري، و على الجملة علم

القرآن مخصوص بهم، و كل من يعلم علم القرآن فهو يعلم ما قلناه و أكثر، فإنّ فيه تبيان كلّ شيء:

---

(١٥٥) قوله: و منها ما ورد عن عبد الله عن عامر عن عبد الله بن أبي نجران الحديث.

بصائر الدرجات للصفّار ص ١١٨ باب ٣، الحديث الأوّل، و مسند الإمام الرّضا (ع) ج ١، ص ٩١ باب أن الأئمّة أمناء اللّه الحديث ١٨.

و سند الحديث في المصدرين هكذا: الصفّار رحمه اللّه قال: حدثنا عبد الله بن عامر عن عبد الرحمن بن أبي نجران قال: الحديث.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج١، ص ٥٠١

وَ نَزَّلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ تِبْياناً لِكُلِّ شَيْءٍ [سورة النحل: ٨٩].

و فيه تفصيل كلّ شيء:

ما كانَ حَدِيثاً يُفْتَرى وَ لكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَ تَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ [سورة يوسف: ١١١].

وَ كُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْناهُ فِي إِمامٍ مُبِينٍ [سورة يس: ١٢].

و أورد في حقّه، و كذلك:

وَ لا رَطْبٍ وَ لا يابِسٍ إِلاَّ فِي كِتابٍ مُبِينٍ [سورة الأنعام: ٥٩].

و إذا تقرر هذا فلخصوصيّة هذه العلوم بهم بالإرث و الاستقلال، و خصوصيّة التّأويل بهم و بتابعيهم كذلك بالإرث و الاستقلال، دلائل و

براهين من القرآن أيضا دون ما سبق ذكرها مرارا.
أمّا الأولى من الدّلائل في خصوصية هذه العلوم بهم بالإرث و الاستقلال فقوله تعالى في القرآن:
ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتٰابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنٰا مِنْ عِبٰادِنٰا فَمِنْهُمْ ظٰالِمٌ لِنَفْسِهِ وَ مِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَ مِنْهُمْ سٰابِقٌ بِالْخَيْرٰاتِ بِإِذْنِ اللهِ [سورة فاطر: ۳۲].
لأن هذه الآية باتفاق أكثر المحقّقين فيهم وردت و بهم نزلت لأنّ الظّالم لنفسه إشارة إلى جاحديهم و منكريهم، و المقتصد إلى تابعيهم و محبيهم، و السابق بالخيرات إليهم و إلى أجدادهم، و كذلك قوله:
قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاٰتِهِمْ خٰاشِعُونَ وَ الَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ وَ الَّذِينَ هُمْ لِلزَّكٰاةِ فٰاعِلُونَ (إلى قوله) أُولٰئِكَ هُمُ الْوٰارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهٰا خٰالِدُونَ [سورة المؤمنون: ۱- ۱۱].
لأنّ هذه الآية نازلة فيهم لأن هذه الأوصاف كما قلنا في الآيات السّابقة فيهم، لا تصدق إلاّ عليهم و مع ذلك كلّه و مع انّه تعالى عينه في الكتاب الكريم: أنّ الإرث منه هو هذا الكتاب، و لا يستحقه إلاّ هم.
لا يخلو الحال من وجهين إمّا أن يكون هذا الإرث حاصلا لأحد بالنّسب الصّوريّة أو بالنّسب المعنويّة، و على التّقديرين هم أولى، لأن بالنّسب الصوريّة

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۱، ص ۵۰۲

ليس أحد أقرب إلى النّبي منهم، لأنّه (ص) إذا نزل قوله تعالى:
إِنَّمٰا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً [سورة

الأحزاب: ۳۳].

و سئل عن أهل بيته، فطلب عليّا و فاطمة و الحسن و الحسين (ع) و غطاهم بكساء من كسائهم و قال: هؤلاء أهل بيتي (١٥٦).

---

(١٥٦) قوله: إذا نزل قوله تعالى: إنما يريد اللّه ليذهب الآية و سئل عن أهل بيته الخ.

اعلم أنّه اختصاص الآية الكريمة و أهل البيت و نزولها في حقّ أصحاب الكساء و هم عليّ و فاطمة و الحسن و الحسين (ع) مع النبيّ (ص) مما لا ارتياب فيه عند من تأمّل و أنصف و مورد وفاق بين المفسرين و المحدّثين من الفريقين و تسالمت به الأمة الإسلاميّة كما أشار به غير واحد من العلماء من العامّة و الخاصّة، و ورد فيه أحاديث كثيرة عن النبيّ (ص) حدّ التواتر و ما فوقه رواها عدّة من أصحاب النبيّ (ص)، و أسامي الرواة من الصحابة على ما فحصت أسانيد تلك الأحاديث هكذا:

١- علي أمير المؤمنين (ع)، ٢- الحسن بن علي (ع)، ٣- جابر بن عبد الله، ٤- عبد الله بن عباس، ٥- عبد الله بن جعفر الطيّار، ٦- بريدة الأسلمي، ٧- عبد الله بن عمر، ٨- عمران بن حصين، ٩- سلمة بن الأكوع، ١٠- أبو سعيد الخدري، ١١- أنس بن مالك، ١٢- عائشة، ١٣- أم سلمة، ١٤- عمر بن أبي سلمة، ١٥- أبو الحمراء، ١٦- زينب بنت أبي سلمة، ١٧- عامر بن سعد، ١٨- البراء بن عازب، ١٩- واثلة بن الأسقع (الأصقع) ٢٠- سعد بن أبي وقّاص، ٢١- أبو سلمة ربيب النبي (ص)، ٢٢- أبو الحمراء هلال بن الحرث، ٢٣- عطاء بن يسار، ٢٤- سعد بن مالك الخدري، ٢٥- أبو برزة، ٢٦- صبيح، ٢٧- عطيّة، ٢٨- سهل بن سعد، ٢٩- أبو هريرة.

فنشرع في المقام بذكر طرف من الأحاديث المنقولة في الكتب العامّة من الصحاح و غيرها:

منها- ما أخرجه أحمد في مسنده ج ٦، ص ٢٩٨ بإسناده عن شهر بن حوشب قال: سمعت أم سلمة زوج النّبيّ (ص) حين جاء نعي الحسين بن عليّ، لعنت أهل العراق فقالت: قتلوه قتلهم اللّه، غرّوه و ذلّوه، لعنهم اللّه فإنّي رأيت رسول اللّه (ص) جاءته فاطمة غدية ببرمة قد صنعت له فيها عصيدة تحملها في طبق لها حتّى وضعتها بين يديه فقال لها: أين ابن عمّك قالت: هو في البيت قال: فاذهبي فادعيه و ائتيني بابنيه قالت: فجاءت تقود ابنيها كلّ واحد منهما بيد و عليّ يمشي في أثرهما حتّى دخلوا على رسول اللّه (ص) فأجلسهما في حجره و جلس عليّ عن يمينه و جلست فاطمة عن يساره قالت أمّ سلمة: فاجتبذ من تحتي كساء خيبريّا كان بساطا لنا على المنامة في المدينة فلفّه النبيّ (ص) عليهم جميعا فأخذ بشماله طرف الكساء و ألوى بيده اليمنى إلى ربّه عزّ و جلّ قال: اللّهمّ أهلي اذهب عنهم الرّجس و طهّرهم تطهيرا، اللهمّ أهل بيتي اذهب عنهم الرّجس و طهّرهم تطهيرا، اللّهم أهل بيتي اذهب عنهم الرّجس و طهّرهم تطهيرا، قلت: يا رسول اللّه أ لست من أهلك؟ قال: بلى فادخلي في الكساء قالت: فدخلت في الكساء بعد ما قضى دعاءه لابن عمّه عليّ و ابنيه و ابنته فاطمة رضي اللّه عنهم.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ١، ص ٥٠٣

و كذلك في آية المباهلة و هو قوله تعالى:

و أخرج أيضا قريب منه في ص ٣٠٤ في المجلد ٦.

و منها، روى العلامة الحجّة المرعشي النجفي في تعليقاته على إحقاق الحق ج ٣، ص ٥١٥ عن الحافظ أحمد في الفضائل (مخطوط ص ٢٢٣) بإسناده عن شداد بن عبد اللّه، قال: سمعت واثلة بن الأسقع، و قد جيء برأس الحسين بن علي (ع) قال: فلقيه رجل من أهل الشام فغضب واثلة و قال: و اللّه لا أزال أحبّ عليّا و حسنا و حسينا و فاطمة أبدا بعد إذ سمعت رسول اللّه (ص) و هو في منزل أم سلمة و جاء الحسن فأجلسه على فخذه اليمنى و جاء الحسين و أجلسه على فخذه اليسرى و قبله ثمّ جاءت فاطمة فأجلسها بين يديه ثمّ دعا بعلي (ع) فجاء، ثمّ اغدف عليهم كساءا خيبريا كأنّي أنظر إليه ثمّ قال: إنما يريد اللّه ليذهب عنكم الرّجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا.

و منها، أخرج الحاكم في المستدرك ج ٣، ص ١٠٨ بإسناده عن بكير بن مسمار قال: سمعت عامر بن سعد يقول: قال معاوية لسعد بن أبي وقّاص: ما يمنعك أن تسبّ ابن أبي طالب قال:

فقال: لا أسبّ ما ذكرت ثلاثا قالهنّ له رسول اللّه (ص) لأن تكون لي واحدة منهن أحب إليّ من حمر النعم، قال له معاوية: ما هن يا أبا إسحاق قال: لا أسبه ما ذكرت حين نزل عليه الوحي فأخذ عليّا و ابنيه و فاطمة، فأدخلهم تحت ثوبه، ثمّ قال: ربّ إن هؤلاء أهل بيتي، و لا أسبه ما ذكرت حين خلفه في غزوة تبوك غزاها رسول اللّه (ص) فقال له عليّ: خلفتني مع الصبيان و النساء، قال: ألا ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبوّة بعدي. الحديث.

و منها، أخرج مسلم في صحيحه ج ٤، ص ١٨٨٣ الحديث ٦١، ٢٤٢٤ بإسناده عن صفيّة بنت شيبة، قالت: قالت عائشة: خرج النبيّ (ص) غداة و عليه مرط مرحّل من شعر أسود،

فجاء الحسن بن عليّ فأدخله ثمّ جاء الحسين فدخل معه، ثمّ جاءت فاطمة فأدخلها، ثمّ جاء عليّ فأدخله، ثم قال:

إنما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا.

و منها أخرج الترمذي في الجامع الصحيح ج ٥، باب ٣٢، ص ٦٦٣، الحديث ٣٧٨٧، بإسناده عن عمر بن أبي سلمة، قال: نزلت هذه الآية على النبيّ (ص): إنّما يريد اللّه ليذهب عنكم الرّجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا. في بيت أمّ سلمة، فدعا النّبي (ص) فاطمة، و حسنا، و حسينا، فجلّلهم بكساء و عليّ خلف ظهره فجلّله بكساء، ثم قال: اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا، الحديث.

هذا بعض أحاديث كثيرة متواترة منقولة من طرق مختلفة شتّى في بيان أهل البيت و تفسير الآية الكريمة و طهارة أهل البيت و عصمتهم (ع).

و إن شئت الاطلاع أدقّ منه و أكثر فانظر التفاسير: الكشاف و ابن كثير و الدرّ المنثور و البرهان و نور الثقلين و الميزان في ذيل الكريمة و راجع أيضا إحقاق الحق و ملحقاته ج ٢، ص ٥٠١، إلى ٥٧٣ و ج ٣، ص ٥١٣ إلى ٥٨٨ و ج ٩ ص ١، إلى ٦٩ و ج ١٤، ص ٤٠ إلى ١٠٥، و ج ١٨، ص ٣٥٩ إلى ٣٨٣.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ١، ص ۵۰۴

فَقُلْ تَعالَوْا نَدْعُ أَبْناءَنا وَ أَبْناءَكُمْ وَ نِساءَنا وَ نِساءَكُمْ وَ أَنْفُسَنا وَ أَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللهِ عَلَى الْكاذِبِينَ [سورة آل عمران: ٦١].

فإنّه (ع) ما أخذ معه إلاّ هؤلاء المذكورين (١٥٧).

(١٥٧) قوله: و كذلك في آية المباهلة الخ.

و اعلم أنّ نزول الآية الكريمة المباهلة في حقّ الخمسة و هم أصحاب الكساء: النبيّ (ص) و عليّ و الحسن و الحسين و فاطمة الزهراء البتول (ع)، ممّا لا ريب فيه و أجمع عليه المفسّرون و المحدّثون و ممّا اتّفق عليه الفريقان، بل كاد يكون من الضروريّات في التفسير و الحديث في الدّين.

فإن شئت فراجع في متن الأحاديث و مصادرها:

إحقاق الحق و ملحقاته ج ٤، ص ٤٦ إلى ٧٦، و ج ٩، ص ٧٠ إلى ٩١، و ج ٩، ص ١٣١ إلى ص ١٤٨، و ج ١٨ ص ٣٨٩ إلى ٣٩١، و ج ٢٠، ص ٨٤ إلى ٨٧. و راجع أيضا تفسير الميزان ج ٣، ص ٢٢٨ بحث روائي. و التفسير الدرّ المنثور ج ٢، ص ٢٢٨ إلى ص ٢٣٣ و البرهان للبحراني ج ١، ص ٢٨٦ و نور الثقلين ص ٢٨٨.

و إنّا نذكر في المقام بعضها تقريبا للفائدة:

روى الصدوق (رض) في عيون أخبار الرضا (ع) باب ٢٣ ذكر مجلس الرضا (ع) مع المأمون في الفرق بين العترة و الأمّة ص ٢٢٨ الحديث ١ بإسناده عن الريّان بن الصلت قال: حضر الرضا (ع) مجلس المأمون بمرو، و قد اجتمع في مجلسه جماعة من علماء أهل العراق و خراسان، فقال المأمون: أخبروني عن معنى هذه الآية: **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنا مِنْ عِبادِنا [سورة فاطر، الآية: ٣٢].**

فقال العلماء: أراد اللّه عزّ و جلّ بذلك الأمّة كلّها، فقال المأمون: ما تقول يا أبا الحسن؟ فقال الرضا (ع): لا أقول كما قالوا، و لكني أقول: أراد اللّه عزّ و جلّ بذلك العترة الطاهرة، فقال المأمون: و كيف عني العترة من دون الأمّة؟ فقال له الرضا (ع): إنّه لو أراد الأمّة

لكانت أجمعها في الجنّة، لقول اللّه عزّ و جلّ:

فَمِنْهُمْ ظٰالِمٌ لِنَفْسِهِ وَ مِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَ مِنْهُمْ سٰابِقٌ بِالْخَيْرٰاتِ بِإِذْنِ اللّٰهِ ذٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ.

ثمّ جمعهم كلّهم في الجنّة فقال عزّ و جلّ:

جَنّٰاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهٰا يُحَلَّوْنَ فِيهٰا مِنْ أَسٰاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ الآية، فصارت الوراثة للعترة الطاهرة لا لغيرهم.

فقال المأمون: من العترة الطاهرة؟ فقال الرضا (ع) الّذين وصفهم اللّه في كتابه فقال عزّ و جلّ:

إِنَّمٰا يُرِيدُ اللّٰهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً [سورة الأحزاب، الآية: ٣٣].

و هم الّذين قال رسول اللّه (ص):

إنّي مخلف فيكم الثقلين كتاب اللّه و عترتي أهل بيتي، ألا و إنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ۱، ص ۵۰۵

فعرفنا أنّهم أقرب إليه من غيرهم نسبا.

و كذلك (...) قوله تعالى:

قُلْ لاٰ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبىٰ [سورة الشورى: ٢٣].

فإنه قال هذا، أعني قال: هؤلاء القوم و أولادهم بعدي، هم قرابتي و أهل بيتي (١٥٨).

الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، أيها الناس لا تعلّموهم فإنّهم أعلم منكم ...، إلى أن قال: قالت العلماء:

فأخبرنا هل فسر اللّه عزّ و جلّ الاصطفاء في الكتاب؟ فقال الرضا (ع): فسر الاصطفاء في الظاهر سوى الباطن في اثنا عشر موطنا و موضعا ... إلى أن قال:

و أمّا الثالثة، فحين ميّز اللّه الطاهرين من خلقه، فأمر نبيّه بالمباهلة بهم في آية الابتهال فقال عزّ و جلّ: يا محمد:

فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مٰا جٰاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعٰالَوْا نَدْعُ أَبْنٰاءَنٰا وَ أَبْنٰاءَكُمْ وَ نِسٰاءَنٰا وَ نِسٰاءَكُمْ وَ أَنْفُسَنٰا وَ أَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللّٰهِ عَلَى الْكٰاذِبِينَ [سورة آل عمران، الآية: ٦١].

فأبرز النّبيّ (ص) عليّا و الحسن و الحسين و فاطمة صلوات اللّه عليهم، و قرن أنفسهم بنفسه، فهل تدرون ما معنى قوله: و أنفسنا و أنفسكم؟ قالت العلماء: عنى به نفسه، فقال أبو الحسن (ع): لقد غلطتم. إنّما عنى بها علي بن أبي طالب (ع) و ممّا يدل على ذلك قول النّبيّ (ص) حين قال:

لينتهين بنو وليعة أو لأبعثن إليهم رجلا كنفسي يعني علي بن أبي طالب (ع)، و عنى بالأبناء الحسن و الحسين (ع)، و عنى بالنساء فاطمة (ع)، فهذه خصوصيّة لا يتقدّمهم فيها أحد، و فضل لا يلحقهم فيه بشر، و شرف لا يسبقهم إليه خلق، إذ جعل نفس علي (ع) كنفسه. الحديث.

و أخرج مسلم في صحيحه ج ٤، ص ١٨٧١، الحديث ٣٢ و أحمد في مسنده ج ١، ص

۱۸۵، و الحاكم في المستدرك ج ۳، ص ۱۵۰، بإسنادهم عن سعد بن أبي وقّاص، عن أبيه قال: لمّا نزلت هذه الآية: **فَقُلْ تَعٰالَوْا نَدْعُ أَبْنٰاءَنٰا وَ أَبْنٰاءَكُمْ**، **دعا رسول اللّه (ص) عليّا و فاطمة و حسنا و حسينا، فقال: اللهمّ هؤلاء أهلي.**

(۱۵۸) قوله: و كذلك قوله تعالى: **قُلْ لاٰ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبىٰ.**

اعلم أنّه قد وردت عن رسول اللّه (ص) في بيان المقصود من القربى في الآية أحاديث، فإنّه (ص) بيّن بأنّهم أهل البيت تارة، و آله (ص) تارة أخرى، و عليّ و فاطمة و الحسن و الحسين (ع) ثالثة، حدّثها عدّة من الصحابة و أخرجها بطرق كثيرة كثير من المفسرين و المحدثين من الفريقين، و اختصاص الآية الكريمة و نزولها في حقّهم (ع) مشهور، بل مورد وفاق إلاّ شاذّ ممّن له شذوذ مستندا إلى بيانات غير منطبقة و إلى روايات ضعيفة سندا و عليلة دلالة و متنا.

فإن شئت الاطلاع تفصيلا عن رواة الأحاديث و مداركها فراجع التفاسير: الكشّاف للزمخشري ج ٤، و ابن كثير ج ۳، و التفسير الكبير للفخر الرازي ج ۲۷، و الدرّ المنثور للسيوطي ج ۷،

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ۱، ص ۵۰۶

و البرهان للبحراني ج ٤، و نور الثقلين للحويزي ج ٤، و معالم التنزيل للبغوي ج ۵، و الميزان للعلامة الطباطبائي ج ۱۸، في ذيل الآية.

و إحقاق الحق للقاضي الشهيد التستري و ملحقاته للعلامة الحجّة المرعشي النجفي ج ٣، ص ٢ إلى ٢٣ و ص ٥٣١، و ج ٩، ص ٩٢ إلى ١٠١ و ج ١٤، ص ١٠٦ إلى ١١٥، و ج ١٨، ص ٣٣٦ إلى ٣٣٨، و الغدير للعلامة الأميني ج ٢، ص ٣٠٧ إلى ص ٣١١ و ج ٣، ص ١٧١ إلى ص ١٧٤.

و نورد ها هنا جملة منها:

الشيخ الطوسي في أماليه الجزء الثاني عشر ص ٣٦٦ بإسناده عن ابن عباس، قال: كنّا جلوسا مع النبيّ (ص) إذ هبط عليه الأمين جبرائيل (ع) و معه جام من البلور الأحمر مملوءا مسكا و عنبرا، و كان إلى جنب رسول اللّه (ص) علي بن أبي طالب (ع) و ولداه الحسن و الحسين (ع)، فقال له:

السلام عليك، اللّه يقرأ عليك السلام و يحييك بهذه التحيّة، و يأمرك أن تحيي بها عليّا و ولديه.

قال ابن عباس: فلمّا صارت في كف رسول اللّه (ص) هلل ثلاثا و كبّر ثلاثا، ثم قال بلسان ذرب طلق- يعني الجام-: بسم اللّه الرحمن الرحيم **طه مٰا أَنْزَلْنٰا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقىٰ، فاشتمها النبيّ (ص) و حيا بها عليّا، فلما صارت في كف عليّ قالت: بسم اللّه الرحمن الرحيم إِنَّمٰا وَلِيُّكُمُ اللّٰهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاٰةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكٰاةَ وَ هُمْ رٰاكِعُونَ [سورة المائدة، الآية: ۵۵] فاشتمها علي (ع) و حيا بها الحسن (ع)، فلما صارت في كف الحسن قالت: بسم اللّه الرحمن الرحيم عَمَّ يَتَسٰاءَلُونَ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ [سورة النبأ، الآية: ١]، فاشتمها الحسن (ع) و حيا بها الحسين (ع)، فلما صارت في كف الحسين (ع)**

قالت: بسم اللّه الرحمن الرحيم قُلْ لاٰ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبىٰ وَ مَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهٰا حُسْناً إِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ شَكُورٌ [سورة الشورى، الآية: ٢٣]، ثمّ ردت إلى النبيّ (ص) فقالت: بسم اللّه الرحمن الرحيم، اللّٰهُ نُورُ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ [سورة النور، الآية: ٣٥].

قال ابن عباس: فلا أدري إلى السماء صعدت أم في الأرض توارت بقدرة اللّه عزّ و جلّ.

الصدوق في عيون أخبار الرضا (ع) ج ١، ص ٢٢٨، باب ٢٦ الحديث ١ (ذكرنا بعض الحديث في تعليقة ١٥٧) بإسناده عن الريان بن الصلت عن الرضا (ع) في مجلس المأمون حين قال العلماء: فأخبرنا هل فسّر اللّه عزّ و جلّ الاصطفاء في الكتاب؟ فقال الرضا (ع): فسّر الاصطفاء في الظاهر سوى الباطن في اثني عشر موطنا و موضعا، فذكر مواضع إلى أن قال:

و الآية السادسة قول اللّه عزّ و جلّ: **قُلْ لاٰ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبىٰ [سورة الشورى، الآية: ٢٠]، و هذه خصوصيّة للنبيّ (ص) إلى يوم القيامة، و خصوصيّة للآل دون غيرهم، و ذلك أن اللّه عزّ و جلّ حكى في ذكر نوح في كتابه: وَ يٰا قَوْمِ لاٰ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مٰالاً إِنْ أَجرِيَ إِلاَّ عَلَى اللّٰهِ وَ مٰا أَنَا بِطٰارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلاٰقُوا رَبِّهِمْ وَ لٰكِنِّي أَرٰاكُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ [سورة هود، الآية: ٢٩]، و حكى عزّ و جلّ عن هود، أنّه قال: لاٰ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ**

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج١، ص ٥٠٧

عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَ فَلاٰ تَعْقِلُونَ [سورة هود، الآية: ٥١]، و قال عزّ و جلّ لنبيّه محمّد (ص): قل يا محمد: **لاٰ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ**

فِي الْقُرْبى [سورة الشورى، الآية، ٢٣]، و لم يفرض الله تعالى مودّتهم إلاّ و قد علم أنّهم لا يرتدون عن الدّين أبدا و لا يرجعون إلى ضلال أبدا، و أخرى أن يكون الرجل وادّا للرجل فيكون بعض أهل بيته عدوا له، فلا يسلم له قلب الرجل، فأحبّ اللّه عزّ و جلّ أن لا يكون في قلب رسول اللّه (ص) على المؤمنين شيء، ففرض عليهم مودّة ذوي القربى، فمن أخذ بها و أحبّ رسول اللّه (ص) و أحبّ أهل بيته، لم يستطع رسول اللّه أن يبغضه، لأنّه قد ترك فريضة من فرائض اللّه عزّ و جلّ، فأيّ فضيلة و أي شرف يتقدّم هذا أو يدانيه؟ فأنزل اللّه عزّ و جلّ هذه الآية على نبيّه (ص): **قُلْ لاٰ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبىٰ**، فقام رسول اللّه (ص) في أصحابه فحمد اللّه و أثنى عليه و قال: يا أيها الناس إن اللّه عزّ و جلّ قد فرض لي عليكم فرضا فهل أنتم مؤدّوه؟ فلم يجبه أحد، فقال: يا أيّها الناس إنّه ليس من فضّة و لا ذهب و لا ماكول و لا مشروب، فقالوا: هات إذا فتلا عليهم هذه الآية فقالوا: أما هذه فنعم، فما وفى بها أكثرهم، و ما بعث اللّه عزّ و جل نبيّا إلا أوحى إليه أن لا يسأل قومه أجرا، لأنّ اللّه عزّ و جلّ يوفيه أجر الأنبياء و محمّد (ص) فرض اللّه عزّ و جلّ طاعته و مودّة قرابته على أمّته و أمره أن يجعل أجره فيهم ليؤدوه في قرابته بمعرفة فضلهم الّذي أوجب اللّه عزّ و جلّ لهم، فإن المودّة إنّما تكون على قدر معرفة الفضل، فلما أوجب اللّه تعالى ذلك ثقل ذلك لثقل وجوب الطاعة، فتمسك بها قوم قد أخذ اللّه ميثاقهم على الوفاء، و عاند أهل الشقاق و النفاق و ألحدوا في ذلك، فصرفوه عن حدّه الّذي حدّه اللّه عزّ و جلّ فقالوا: القرابة هم العرب كلها و أهل

دعو ته، فعلى أي الحالتين كان فقد علمنا أن المودة هي للقرابة فأقربهم من النبيّ (ص) أولاهم بالمودة و كلّما قربت القرابة كانت المودّة على قدرها، و ما أنصفوا نبيّ اللّه (ص) في حيطته و رأفته، و ما منّ اللّه به على أمته مما تعجز الألسن عن وصف الشكر عليه أن لا يؤدوه (يؤذوه) في ذريّته و أهل بيته و أن يجعلوهم فيهم بمنزلة العين من الرأس حفظا لرسول اللّه فيهم و حبالهم، فكيف؟ و القرآن ينطق به و يدعو إليه و الأخبار ثابتة بأنهم أهل المودّة و الّذين فرض اللّه تعالى مودّتهم و وعد الجزاء عليها، فما وفى أحد بها، فهذه المودة لا يأتي بها أحد مؤمنا مخلصا إلاّ استوجب الجنّة، لقول اللّه عزّ و جلّ في هذه الآية:

وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحٰاتِ فِي رَوْضٰاتِ الْجَنّٰاتِ لَهُمْ مٰا يَشٰاؤُنَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ، ذلك الّذي يبشر اللّه عباده الذين آمنوا و عملوا الصالحات قل لا أسئلكم عليه أجرا إلاّ المودّة في القربى، مفسرا و مبينا، الحديث.

الكليني في روضة الكافي ص ۷۹، الحديث ٦٦ بإسناده عن إسماعيل بن عبد الخالق قال:

سمعت أبا عبد اللّه (ع) يقول لأبي جعفر الأحول: ما يقول أهل البصرة في هذه الآية: **قُلْ لاٰ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبىٰ**؟ قال: جعلت فداك إنهم يقولون: إنّها لأقارب رسول اللّه (ص) فقال: كذبوا إنّما نزلت فينا خاصّة في أهل البيت في علي و فاطمة و الحسن و الحسين أصحاب الكساء (ع).

في الغدير للأميني ج ٢، ص ٣٠٧: أخرج أحمد في المناقب، و ابن المنذر، و ابن أبي حاتم،

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‌١، ص ٥٠٨

و الطبراني، و ابن مردويه، و الواحدي، و الثعلبي، و أبو نعيم، و البغوي في تفسيره، و ابن المغازلي في المناقب، بأسانيدهم عن ابن عباس قال: لمّا نزلت هذه الآية قيل: يا رسول اللّه من قرابتك هؤلاء الّذين وجبت علينا مودّتهم؟ فقال: علي و فاطمة و ابناهما.

في الدّر المنثور للسيوطي ج ٧، ص ٣٤٨ ذيل الكريمة: و أخرج ابن جرير عن أبي الديلم قال:

لما جيء بعلي بن الحسين- رضي اللّه عنه- أسيرا، فأقيم على درج دمشق، قام رجل من أهل الشام فقال: الحمد للّه الّذي قتلكم و استأصلكم، فقال له علي بن الحسين- رضي اللّه عنه-:

أقرأت القرآن؟ قال: نعم، قال: أقرأت آل حم؟ قال: لا، قال: أما قرأت: قل لا أسألكم عليه أجرا إلاّ المودّة في القربى، قال: فإنّكم لأنتم هم؟ قال: نعم.

نقل الزمخشري في تفسيره ج ٤، ص ٢٢٠ عن النبيّ (ص) مرسلا أنّه (ص) قال حين نزلت الكريمة: من مات على حب آل محمّد مات شهيدا، ألا و من مات على حب آل محمد مات مغفورا له، ألا و من مات على حبّ آل محمّد مات تائبا، ألا و من مات على حب آل محمّد مات مؤمنا مستكمل الإيمان، ألا و من مات على حبّ آل محمّد بشره

ملك الموت بالجنّة، ثمّ منكر و نكير، ألا و من مات على حبّ آل محمّد يزف إلى الجنّة كما تزف العروس إلى بيت زوجها، ألا و من مات على حبّ آل محمّد فتح له في قبره بابان إلى الجنّة، ألا و من مات على حبّ آل محمّد جعل اللّه قبره مزار ملائكة الرحمة، ألا و من مات على حبّ آل محمّد مات على السنّة و الجماعة، ألا و من مات على بغض آل محمّد جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه: آيس من رحمة اللّه، ألا و من مات على بغض آل محمّد مات كافرا، ألا و من مات على بغض آل محمّد لم يشم رائحة الجنّة.

قال الرازي في تفسيره الكبير ج ٢٧ ص ١٦٦ بعد نقل الرواية عن الكشاف: و أنا أقول: آل محمّد (ص) هم الّذين يؤول أمرهم إليه فكلّ من كان أمرهم إليه أشدّ و أكمل كانوا هم الآل، و لا شك أنّ فاطمة و عليّا و الحسن و الحسين كان التعلّق بينهم و بين رسول اللّه (ص) أشدّ التعلّقات و هذا كالمعلوم بالنقل المتواتر فوجب أن يكونوا هم الآل، و أيضا اختلف الناس في الآل، فقيل هم الأقارب و قيل هم أمّته، فإن حملناه على القرابة فهم الآل، و أمّا غيرهم فهل يدخلون تحت لفظ الآل؟ فمختلف فيه، و روى صاحب الكشاف أنّه لما نزلت هذه الآية قيل يا رسول اللّه من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟ فقال علي و فاطمة و ابناهما، فثبت أن هؤلاء الأربعة أقارب النبيّ (ص)، و إذا ثبت هذا وجب أن يكونوا مخصوصين بمزيد التعظيم و يدل عليه وجوه:

الأوّل، قوله تعالى: إلاّ المودّة في القربى، و وجه الاستدلال به ما سبق.

الثاني، لا شك أنّ النبيّ (ص) كان يحب فاطمة (ع)، قال (ص): فاطمة بضعة منّي يؤذيني ما يؤذيها، و ثبت بالنقل المتواتر عن رسول اللّه (ص) أنه كان يحبّ عليّا و الحسن و الحسين، و إذا ثبت ذلك وجب على كلّ الأمّة مثله لقوله: **وَ اتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ** [سورة الأعراف، الآية: ١٥٨]، و لقوله تعالى: **فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ**

عَنْ أَمْرِهِ [سورة النور، الآية: ٦٣]، و لقوله: قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللّٰهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّٰهُ [سورة آل عمران، الآية: ٣١]. و لقوله

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج١، ص ٥٠٩

و كذلك قوله:

وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ [سورة الشعراء: ٢١٤].

لأنّ الإنذار ينبغي أن يكون من الأقرب ثمّ الأقرب لأنّه من نعم اللّه على عبيده، و أولى العبيد بنعمة هو الأقرب إليه و إلى نبيّه. فافهم جيّدا.

ثم قول الرّسول (ص) فيهم.

إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب اللّه و عترتي من أهل بيتي حبلان متّصلان لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا أبدا [انظر التعليقة ١١٢].

و قد تقرر قبل هذا أنّ المراد بأهل البيت، علي و فاطمة و الحسن و الحسين و أولادهم (ع).

ثمّ قول أمير المؤمنين (ع)، و إن لم يحتج في هذا الباب إلى قولهما، لأنّ هؤلاء القوم المشار إليهم إذا كانوا أولادهما و نحن في صدد إثبات النّسب الصوريّة بالنّسبة إليهما، فلا نحتاج إلى التمسّك بقولهما، لكن للتأكيد و التّحقيق، و هو قوله:

و إن كنت بالشورى ملكت أمورهم

فكيف بهذا و المشيرون غيب

و إن كنت بالقربى حججت خصيمهم

فـغـيـرك أولـى بـالـنـبـيّ و أقـرب

(النسب الصّوري لأهل البيت (ع) إلى النبي (ص))

و أمّا ترتيب النّسب الصّوريّة على سبيل الإجمال، فالمهدي (ع) و هو ابن

سبحانه: **لَقَدْ كٰانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ** [**سورة الأحـزاب، الآيـة: ٢١**].

الثّالث، أنّ الدعاء للآل منصب عظيم و لذلك جعل هذا الدعاء خاتمة التشهد في الصلاة و هو قوله: اللهم صل على محمد و آل محمّد، و ارحم محمّدا و آل محمّد، و هذا التعظيم لم يوجد في حقّ غير الآل، فكلّ ذلك يدل على أنّ حبّ آل محمّد واجب، و قال الشافعي رضي اللّه عنه:

يا راكبا قف بالمحصب من منى

و اهتف بساكن خيفها و الناهض

سحرا إذا فاض الحجيج إلى منى

فيضا كما نظم الفرات الفائض

إن كان رفضا حبّ آل محمّد   فليشهد الثقلان أنّي رافضي

انتهى كلام الرّازي.

[.....]

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۱، ص ۵۱۰

الحسن العسكري، و هو ابن علي النقي، و هو ابن محمد التّقي و هو ابن علي بن موسى الرّضا و هو ابن موسى الكاظم، و هو ابن جعفر الصادق، و هو ابن محمد الباقر و هو ابن زين العابدين، و هو ابن الحسين الشّهيد، و هو ابن علي بن أبي طالب و أخو الحسن بن علي (ع)، و هما ابنا فاطمة بنت محمّد رسول اللّه (ص).

و أمّا بالنسبة إلى أمير المؤمنين (ع)، فقول النبيّ (ص):

إنّ اللّه تعالى خلق روحي و روح علي بن أبي طالب قبل أن يخلق آدم بألفي

ألفي عام، (أو أن يخلق الخلق بما شاء الله. على اختلاف الروايتين) فلمّا خلق اللّه آدم أودع أرواحنا صلبه، فقسّمها قسمين، فجعل روحي في صلب عبد الله، و روح علي في صلب أبي طالب، فعليّ منّي و أنا منه، نفسه كنفسي، و طاعته كطاعتي، لا يحبني من يبغضه، و لا يبغضني من يحبه (۱۵۹).

(۱۵۹) قوله: فقول النبيّ (ص): إن اللّه تعالى خلق روحي و روح علي بن أبي طالب قبل، الحديث.

رواه في عوالي اللئالئ ج ۲، ص ۱۲٤، الحديث ۲۱۰ و قال: قال (ع) (النبيّ (ص)): خلق اللّه روحي و روح علي بن أبي طالب قبل أن يخلق اللّه الخلق بألفي ألف عام.

و فيه أيضا عنه (ص):

أنا و علي من نور واحد، و أنا و إيّاه شيء واحد و إنّه منّي و أنا منه، لحمه لحمي و دمه دمي، يريبني ما أرابه و يريبه ما أرابني.

و في أمالي الشيخ الطوسي ص ۷۷ بإسناده عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: قال رسول اللّه (ص) لعلي بن أبي طالب (ع): ألا أبشّرك ألا أمنحك؟ قال: بلى يا رسول اللّه، قال:

فإني خلقت أنا و أنت من طينة واحدة. الحديث.

و في اصول الكافي المجلد ۱، ص ٤٤۲- ٤٤۰ الحديث ۳، بإسناده عن مرازم عن الصادق (ع) قال: قال اللّه تبارك و تعالى: يا محمد إنّي خلقتك و عليّا نورا يعني روحا بلا بدن

قبل أن أخلق سماواتي و أرضي و عرشي و بحري، فلم تزل تهلّلني و تمجّدني، ثمّ جمعت روحيكما فجعلتهما واحدة فكانت تمجّدني و تقدّسني و تهلّلني، ثمّ قسمتها ثنتين و قسمت الثنتين ثنتين فصارت أربعة محمّد واحد و علي واحد و الحسن و الحسين ثنتان، ثمّ خلق اللّه فاطمة من نور ابتدأها روحا بلا بدن، ثمّ مسحنا بيمينه فأفضى نوره فينا.

و فيه أيضا الحديث ۵ بإسناده عن محمّد بن سنان، قال: كنت عند أبي جعفر الثاني (ع)، فأجريت اختلاف الشيعة، فقال: يا محمّد إنّ اللّه تبارك و تعالى لم يزل متفرّدا بوحدانيّته، ثمّ خلق محمّدا و عليّا و فاطمة، فمكثوا ألف دهر، ثمّ خلق جميع الأشياء، فأشهدهم خلقها و أجرى طاعتهم عليها و فوّض أمورها إليهم، فهم يحلّون ما يشاءون و يحرّمون ما يشاءون و لن يشاءوا إلاّ أن يشاء اللّه تبارك و تعالى، ثمّ قال: يا محمّد هذه الدّيانة الّتي من تقدّمها مرق و من تخلّف عنها

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۱، ص ۵۱۱

محق، و من لزمها لحق، خذها إليك يا محمّد.

و فيه أيضا الحديث ۹ بإسناده عن أحمد بن محمد، عن الصادق (ع) قال: إنّ اللّه كان إذ لا كان، فخلق الكان و المكان و خلق نور الأنوار الذي نوّرت منه الأنوار و أجرى فيه من نوره الّذي نوّرت منه الأنوار و هو النور الّذي خلق منه محمّدا و عليّا، فلم يزالا نورين أوّلين، إذ لا شيء كوّن قبلهما، فلم يزالا يجريان طاهرين مطهّرين في الأصلاب الطاهرة،

حتّى افترقا في أطهر طاهرين في عبد الله و أبي طالب (ع).

و فيه أيضا الحديث ١٠، بإسناده عن جابر بن يزيد قال: قال لي أبو جعفر (ع): يا جابر إنّ اللّه أوّل ما خلق خلق محمّدا (ص) و عترته الهداة المهتدين، فكانوا أشباح نور بين يدي اللّه، قلت:

و ما الأشباح؟ قال: ظل النّور أبدان نورانيّة بلا أرواح و كان مؤيّدا بروح واحدة و هي روح القدس، فبه كان يعبد اللّه، و عترته، و لذلك خلقهم حلماء، علماء، بررة، أصفياء، يعبدون اللّه بالصلاة و الصوم و السجود و التسبيح و التهليل و يصلّون الصلوات و يحجّون و يصومون.

و في البحار للمجلسي ج ٢٥، ص ٢٢ عن كتاب رياض الجنان لفضل بن محمود الفارسي بحذف السند عن جابر بن عبد الله في تفسير قوله تعالى: أوّل ما خلق اللّه نوري ابتدعه من نوره و اشتقّه من جلال عظمته، فأقبل يطوف بالقدرة حتّى وصل إلى جلال العظمة في ثمانين ألف سنة، ثمّ سجد للّه تعظيما، ففتق منه نور علي (ع)، فكان نوري محيطا بالعظمة و نور عليّ محيطا بالقدرة. الحديث و ذكرنا الحديث بتمامه في تعليقتنا ١٦٧ فراجع.

و في كمال الدين للصدوق رضي اللّه عنه ج ١، ص ٣٦٦ الباب الثالث و العشرون في نصّ اللّه تبارك و تعالى على القائم (ع) الحديث ٦ و أيضا في عيون أخبار الرضا له ج ١، باب ٢٦ ما جاء عن الرضا (ع) من الأخبار النادرة الحديث ٢٢، ص ٢٦٢ بإسناده فيهما عن عبد السلام بن صالح الهروي عن علي بن موسى الرضا عن آبائه عن علي بن أبي طالب (ع) قال: قال رسول اللّه (ص):

ما خلق اللّه خلقا أفضل منّي و لا أكرم عليه منّي، قال علي (ع): فقلت: يا رسول اللّه فأنت

أفضل أم جبرائيل؟ فقال (ص): يا علي إن اللّه تبارك و تعالى فضل أنبيائه المرسلين على ملائكته المقربين، و فضلني على جميع النبيّين و المرسلين، و الفضل بعدي لك يا علي و للأئمّة من بعدك، و إن الملائكة لخدّامنا و خدام محبينا يا علي:

الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَ مَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَ يَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا [سورة المؤمن، الآية: ۷].

بولايتنا يا علي، لولا نحن ما خلق اللّه آدم (ع) و لا حواء، و لا الجنّة، و لا النّار و لا السماء و لا الأرض، فكيف لا نكون أفضل من الملائكة؟ و قد سبقناهم إلى معرفة ربنا و تسبيحه و تهليله و تقديسه، لأنّ أوّل ما خلق اللّه عزّ و جلّ أرواحنا فأنطقها بتوحيده و تمجيده، ثمّ خلق الملائكة، فلمّا شاهدت أرواحنا نورا واحدا استعظمت أمرنا الحديث.

و راجع في أمثال هذه الروايات بحار الأنوار ج ۲۵، أبواب خلقهم و طينتهم و أرواحهم (ع) باب ۱

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‏۱، ص ۵۱۲

بدء أرواحهم و نورهم و أنهم نور واحد ص ۳۶- ۱ فيه أحاديث كثيرة فيها معارف عالية و دقيقة.

و اعلم. أنّ الأحاديث النبويّة في أنّه (ص) و عليّا (ع) خلقا من نور واحد، و أنّ خلقهما كان قبل أن يخلق آدم أو العالم بألف عام، و أنّهما (ع) أيضا من شجرة واحدة، و أنّهما أيضا من نور اللّه عزّ و جلّ، كثيرة جدّا، فلاحظ إحقاق الحقّ و ملحقات الإحقاق ج ۵،

ص ٢٦٦ إلى ٢٤٢، و ج ١٦، ص ١٣٥ إلى ١٠٥ و ج ٢١ ص ٤٣٣ إلى ٤٢٩ ذكر تلك الأحاديث بأسانيد مختلفة عن كتب شتّى من العامّة و نذكر ها هنا بعضا منها:

منها عن كفاية الطالب للعلاّمة الكنجي الشافعي المتوفى ٦٥٨ بإسناده عن ابن عباس قال: قال النبيّ (ص): خلق اللّه قضيبا من نور قبل أن يخلق الدّنيا بأربعين ألف عام فجعله أمام العرش حتّى كان أوّل مبعثي، فشق منه نصفا فخلق منه نبيّكم و النصف الآخر عليّ بن أبي طالب.

و منها عن الكتاب «در بحر المناقب» لمحمد بن أحمد الحنفي الموصلي الشهير بابن حسنويه المتوفى ٦٨٠ قال: مما رواه ابن مسعود عبد الله رضي اللّه عنه قال: دخلت يوما على رسول اللّه (ص) فقلت يا رسول اللّه أرى الخلق لأتصل إليه، فقال: يا عبد الله ألج المخدع، فولجت المخدع و عليّ رضي اللّه عنه يصلّي و هو يقول في سجوده و ركوعه: اللّهمّ بحق محمّد عبدك اغفر للخاطئين من شيعتي، فخرجت حتّى أخبر رسول اللّه (ص) فرأيته و هو يصلّي و هو يقول: اللّهمّ بحقّ علي بن أبي طالب عبدك اغفر للخاطئين من أمّتي، قال: فأخبرني من ذلك الخلع العظيم فأوجز النبيّ (ص) في صلاته فقال:

يا ابن مسعود! أكفر بعد إيمان؟ فقلت: حاشا و كلاّ يا رسول اللّه و لكني رأيت عليّا سأل بك، و رأيتك تسأل اللّه به فلا أعلم أيّكم أفضل عند اللّه؟ قال: اجلس يا ابن مسعود، فجلست بين يديه فقال لي: اعلم أنّ اللّه خلقني و عليّا من نور عظيم قبل خلق الخلق بألفي عام إذ لا تسبيح و لا تقديس ففتق نوري فخلق منه السماوات و الأرض، و أنا و اللّه أجل من السماوات و الأرض و فتق نور عليّ بن أبي طالب فخلق منه العرش و الكرسي، و عليّ بن أبي طالب أفضل من العرش و الكرسي، و فتق نور الحسن فخلق منه

اللوح و القلم، و الحسن، و اللّه أجل من اللوح و القلم، و فتق نور الحسين و خلق منه الجنان و الحور، و الحسين و اللّه أجل من الجنان و الحور، ثمّ أظلمت المشارق و المغارب فشكت الملائكة إلى اللّه تعالى أن يكشف عنهم تلك الظلمة، فتكلّم اللّه جلّ جلاله بكلمة فخلق روحا، ثمّ تكلّم بكلمة فخلق من تلك الكلمة الأخرى نورا، فأضاف النور إلى تلك الرّوح و أقامها أمام العرش فأزهرت المشارق و المغارب فهي فاطمة الزهراء، يا بن مسعود إذا كان يوم القيامة يقول اللّه جلّ جلاله لي و لعليّ:

أدخلا الجنّة من شئتما و أدخلا النار من شئتما، و ذلك قوله عزّ و جلّ:

أَلْقِيا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ [سورة ق، الآية: ٢٤].

فالكافر من جحد نبوّتي، و العنيد من جحد ولاية عليّ بن أبي طالب رضي اللّه عنه و عترته، و الجنّة لشيعته و لمحبّيه.

و منها عن كفاية الطالب أيضا بإسناده عن أبي إمامة الباهلي قال: قال رسول اللّه (ص): إن اللّه

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‏١، ص ٥١٣

و هذا خبر ذكره الأخطب الخوارزمي في الفصل الرابع عشر من كتابه بإسناد طويل صحيح، و كذلك غيره و أمثال ذلك كثير.

(النسب المعنويّة لأهل البيت (ع) إلى النبي (ص))

و أمّا النّسب المعنويّة، فتلك موقوفة على المناسبة الذاتيّة من الطّهارة و العصمة و الاستعداد و الفطرة السّليمة و القابليّة الأصليّة و قد سبق ذكرها فيهم و في سلمان مبسوطة.

ثم على العلم و المعرفة و الحكمة و الكشف و الشهود و الفرقان، و قد سبق ذكرها أيضا، و انتسابها إليهم بالنسبة إلى العلوم العقليّة و النقليّة و الكشفيّة.

خلق الأنبياء من أشجار شتّى و خلقني و عليّا من شجرة واحدة فأنا أصلها و عليّ فرعها و فاطمة لقاحها و الحسن و الحسين ثمرها، فمن تعلّق بغصن من أغصانها نجا، و من زاغ عنها هوى، و لو أنّ عبدا عبد اللّه بين الصّفا و المروة ألف عام، ثمّ ألف عام، ثمّ ألف، ثمّ لم يدرك صحبتنا أكبّه اللّه على منخريه في النّار، ثم تلا:

قُلْ لاٰ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبىٰ [سورة الشورى، الآية: ٢٣].

و منها عن (أرجح المطالب) ص ٤٦٢ للشيخ عبيد الله الحنفي الأمر تسري من المعاصرين قال:

روي من طريق أبي حاتم و أحمد بن علي العاصمي في «زين الفتى في شرح سورة هل أتى» عن أنس بن مالك، قال: قال رسول اللّه (ص): خلقت أنا و علي من نور واحد سبّح اللّه عزّ و جلّ في يمنة العرش قبل خلق الدنيا، و لقد أسكن آدم، الجنّة و نحن في صلبه، و لقد ركب نوح السفينة و نحن في صلبه، و لقد قذف إبراهيم في النار و نحن في صلبه، فلم نزل يقلبنا اللّه عزّ و جلّ من أصلاب طاهرة، حتّى انتهى بنا إلى صلب عبد المطلب، فجعل ذلك النور بنصفين فجعلني في صلب عبد الله، و جعل عليّا في صلب أبي طالب، و جعل فيّ النبوّة و الرسالة، و جعل في علي الفروسيّة و الفصاحة، و اشتق لنا اسمين من أسمائه فربّ العرش محمود، و أنا محمّد، و هو الأعلى و هذا عليّ.

و منها عن الحافظ بن عساكر في «ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق» بإسناده عن جابر بن عبد الله، قال: سمعت النبيّ رسول اللّه (ص) يقول لعليّ: النّاس من شجر شتّى و أنا و أنت من شجرة واحدة، ثمّ قرأ النبيّ (ص):

وَ جَنَّاتٌ مِنْ أَعْنٰابٍ وَ زَرْعٌ وَ نَخِيلٌ صِنْوٰانٌ وَ غَيْرُ صِنْوٰانٍ يُسْقىٰ بِمٰاءٍ وٰاحِدٍ [سورة الرعد، الآية: ٤].

و منها عن الشيخ حسام الدين المردي الحنفي في (آل محمد) بإسناده عن ابن عباس قال: سمعت رسول اللّه (ص) يقول لعليّ: خلقت أنا و أنت من نور اللّه عزّ و جلّ.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج١، ص ٥١۴

(العلم الإرثي مخصوص بهم و منحصر فيهم)

و قول النبيّ (ص):

«العلماء ورثة الأنبياء» [مرّت الإشارة إليه في التعليقة ١٣٥].

لا يصدق إلاّ عليهم، و على من يكون علمه إرثيا كسليمان و أمثاله من أرباب التّوحيد المتقدّم ذكرهم، لأنّ الألف و اللاّم في الخبر النّبويّ، و هو للعهد لا للجنس، لأنّه لو كان للجنس لكان يصدق على كلّ عالم حقّا كان أو باطلا و ليس كذلك، فلم يبق إلاّ أن يكون للعهد، و إذا كان للعهد لا يصدق إلاّ عليهم و على تابعيهم من أهل التّوحيد، لأنّ علومهم كلّها إرثيّة غير كسبية.

و إن قلت: يجوز أن يكون للحصر و التّعيين.

قلنا: سلّمنا ذلك لكن لا ينفعك، فإنّه أيضا يرجع إليهم بانحصار العلم الإرثي فيهم لا في غيرهم، لأنّ علم غيرهم بالاتّفاق كسبيّ و الكسبيّات ليست لها

دخل في الإرثيّات، و الوجهان موجّهان.

و وجه آخر و هو أنّه قال: علماء أمّتي كأنبياء بني إسرائيل «١٦٠».

و هذا يشهد بأنّ المناسبة بين علماء أمّته و بين أنبياء بني إسرائيل بالعلوم الإرثيّة الإلهيّة غير الكسبيّة، لأن الأنبياء قطّ ما يتعلمون إلاّ من اللّه، فعلماء أمّتي لو كان المراد بهم العلماء الذين حصلت لهم العلوم بالكسب لم يصدق علمهم المشابهة بكاف التّشبيه، فثبت أنّ المناسبة منهم لم تكن إلا بالعلوم الإرثيّة، و بناء على هذا فلا ينبغي أن يتوهّم أحد من العلماء الرّسميّة أنّه وارث النبيّ (ص)، و أمّا أنّه كأنبياء بني إسرائيل، فإنّه ليس كذلك لأنّه عالم بالعلم الكسبي و هؤلاء بالعلم الإرثي، و بينهما بون بعيد كما قرّرناه مرارا.

---

(١٦٠) قوله: و وجه آخر و هو أنّه قال (ص): علماء أمّتي كأنبياء بني إسرائيل.

رواه ابن أبي جمهور في عوالي اللئالي ج ٤، ص ٧٧، الحديث ٦٧.

و ورد أيضا: علماء هذه الأمّة أنبياء سائر الأمم، الفتوحات المكيّة ج ٣، ص ٣٥٩ الطبعة الجديدة.

و ورد أيضا: علماء هذه الأمّة كأنبياء بني إسرائيل، علم اليقين للفيض ج ٢، ص ٧٥٠.

(لا نفع في نسبة الصوري إلى النبيّ و أولاده إذا لم يكن معها

نسبة معنوية)

و يعلم من هذا شيء آخر و هو أنّ كلّ من لم يكن بينه و بين النّبيّ و ورثته نسبة معنويّة لا تنفعه النّسب الصّوريّة يوم القيامة، علويّا كان المنسوب إليهم أو عاميا، لقوله تعالى:

فَإِذٰا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلاٰ أَنْسٰابَ بَيْنَهُمْ [سورة المؤمنون: ١٠١].

و يشهد بذلك قوله تعالى في قضيّة نوح (ع):

إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صٰالِحٍ [سورة هود: ٤٦].

فإنّه تعالى انتفى الأهليّة من ولده بانتفاء النّسبة المعنويّة بقوله: فإنّه عمل غير صالح و ليس لأحد شكّ أنّ ولد نوح بحسب الصّورة و النّسب الصّوريّة كان ابنه، لأنّه لو لم يكن ابنه ما طلب نوح من اللّه نجاته، و ما سمّاه بالأهل فكان نوح (ع) أثبت النّسب الصّوريّة، و اللّه تعالى قال لا عبرة به حيث ماله نسبة معنويّة بالنّسبة إليك.

(من لم يكن له نسبة معنويّة إليهم (ع) ليس بإنسان حقيقة)

و هاهنا لطائف و دقائق أوّلا بالنّسبة إلى آدم (ع) و أولاده، ثمّ بالنّسبة إلى كلّ (نبيّ و أمّته)، فإن كلّ ولد لم يكن بينه و بين آدم نسبة معنويّة لم يكن ولده بشهادة اللّه تعالى و شهادة العقل الصحيح، و كلّ من لم يكن ولد آدم حقيقة لا يصدق عليه أنّه إنسان، و كل من لا يصدق عليه إنّه إنسان لا يكون إلاّ حيوانا صرفا، لقوله تعالى:

أُولٰئِكَ كَالْأَنْعٰامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ [سورة الأعراف: ١٧٩].

و كم مثل ذلك، أعني كم من إنسان عالما كان أو جاهلا، علويّا كان أو عاميا،

يتوهّم أنّه من ولد آدم و أنّه من العلماء الكبار و ورثة الأنبياء و ليس في الحقيقة إلاّ حيوانا أو أقلّ منه، و قوله تعالى:

إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاٰ يَعْقِلُونَ [سورة الأنفال: ٢٢].

يشهد بأنّ مثل هذا الإنسان أخسّ و أرذل من الحيوان، و من لسانهم قال أيضا.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج١، ص ٥١۶

لَوْ كُنّٰا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مٰا كُنّٰا فِي أَصْحٰابِ السَّعِيرِ [سورة الملك: ١٠].

فالعاقل يتوجّه إلى نفسه و يبصر أنّ الكل إنّما يكون حاله بهذه المثابة، كيف يكون حاله لعدم الحسرة و النّدامة المعبّر عنه بيوم القيامة عند أبيه في تلك الحالة، و إلى هذا المعنى أشار الحق تعالى في قوله:

يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَ أُمِّهِ وَ أَبِيهِ وَ صٰاحِبَتِهِ وَ بَنِيهِ [سورة عبس: ٣٤].

لأنّ فرارهم ليس إلاّ من عدم المناسبة و انكشاف أحوالهم عليهم نعوذ باللّه منهم و من أحوالهم، اللّهمّ أرنا الحقّ حقّا، و ارزقنا اتّباعه، و أرنا الباطل باطلا و ارزقنا اجتنابه برحمتك يا أرحم الراحمين.

و هاهنا أسرار و أبحاث قد أشرنا إليها في كتابنا الموسوم بجامع الأسرار فارجع إليه، فإنّ هذا المكان لا يحتمل أكثر من ذلك.

هذا آخر الدلائل الأولى الدّالة على خصوصيّتهم بالإرث المعنوي و العلوم الحقيقيّة.

(دلائل أخرى لتخصص التأويل بهم (ع))

و أمّا الثّانية من الدّلائل الدّالة، غير ما سبق، على خصوصيّة التّأويل بهم و

بتابعيهم، فقوله تعالى:

وَ مٰا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّٰهُ وَ الرّٰاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنّٰا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنٰا وَ مٰا يَذَّكَّرُ إِلاّٰ أُولُوا الْأَلْبٰابِ [سورة آل عمران: ٧].

لأنّ قوله: و ما يذّكر إلاّ أولوا الألباب، شاهد على خصوصيّة التّأويل بهم دون ما سبق من بحث الرّسوخ و نسبة العلوم إليهم، لأنّ العلوم على ثلاثة أقسام، إمّا قشر، و إمّا لب، و إمّا لبّ اللّبّ، كما سبق ذكرها في قول الغزالي و قول غيره.

و الكلّ راجع إليهم، سيّما العلوم الّتي هي لبّ اللبّ الموسومة بالعلوم اللدنيّة و الكشفيّة الصّادرة من مشرب التّوحيد و معدن التّجريد.

أمّا القشر فكالعلوم الظّاهرة كالمنقولات الصّرفة، و أمّا اللّب فكالعلوم الباطنة كالمعقولات الصّرفة، و أمّا لبّ اللّبّ فكالعلوم الباطنة للباطن كاللّدنيّات،

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‌١، ص ٥١٧

و الكشفيّات المحضة.

أو علوم الشّريعة و الطّريقة و الحقيقة.

و قد ورد في اصطلاحهم هذا التقسيم بعينه و هو قولهم:

القشر كلّ علم ظاهر يصون العلم الباطن - الّذي هو لبّة - عن الفساد، كالشّريعة للطريقة، و الطّريقة للحقيقة، فإن من لم يصن حاله و طريقته بالشّريعة، فسد حاله و آلت طريقته هوى و هوسا و وسوسة.

و من لم يتوصّل بالطّريقة إلى الحقيقة و لم يحفظها بها، فسدت حقيقته و آلت إلى الزّندقة و الإلحاد.

و لبّ اللبّ هو مادّة النّور الإلهي القدسيّ، الّذي يتأيّد به العقل، فيصفو عن القشور المذكورة و يدرك العلوم المتعالية عن إدراك القلب المتعلّق بالكون، المصون عن الفهم، المحجوب بالعلم الرّسمي، و ذلك من حسن السّابقة، المقتضى لخير الخاتمة.

و حيث إنّ القشر و اللبّ و لبّ اللبّ مرجوع إليهم و مسند إلى حضرتهم، فلا يكون الرّسوخ في العلوم إلاّ لهم، و لا يكون التّأويل مخصوصا إلاّ بهم، و بناء على هذا لا يجوز نقل التّفسير إلاّ منهم، و لا أخذ التّأويل إلاّ عنهم و عن تابعيهم من أرباب التّوحيد، حيث خصّ التّأويل بأولي الألباب و هم من أولي الألباب بشهادة العقل و النّقل و الكشف، و قد سبق النّص الصّريح في قوله تعالى في حقّ أهل البيت، و ردّ التّأويل و التّفسير إليهم و هو قوله:

يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللّٰهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنٰازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّٰهِ وَ الرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ ذٰلِكَ خَيْرٌ وَ أَحْسَنُ تَأْوِيلاً [سورة النّساء: ٥٩].

و طابق به العقل و الكشف، فنكتفي منها على هذا و نرجع إلى غيره و الحمد للّه وحده.

هذا آخر إسناد العلوم إليهم و آخر إثبات الوراثة لهم و إثبات أنّهم أولى بالتّأويل من غيرهم.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج١، ص ٥١٨

و حيث فرغنا من هذا فلنشرع في إسناد خرقة المشايخ إليهم و إلى جدّهم أمير المؤمنين (ع)، كما شرطناه أوّلا و هو هذا:

و أمّا إسناد خرقة المشايخ إلى أمير المؤمنين و أولاده (ع)، فذلك معلوم مشهور عند الخاصّ و العامّ، و مع ذلك نحن نشرع فيه إجمالا و تفصيلا، و نقرّره صورة و معنى بأسانيد صحيحة و روايات معتبرة و هو هذا:

اعلم أنّ هذا البحث يحتاج أوّلا إلى تحقيق الخرقة، ثمّ إلى إسنادها إليهم.

أمّا تحقيقها، فروى أنس بن مالك عن النّبيّ (ص)، أنّه قال:

لمّا أسري بي إلى السّماء فدخلت الجنّة، فرأيت في وسط الجنّة قصرا من ياقوتة حمراء، فاستفتح لي جبرائيل بابها، فدخلت القصر، فرأيت في القصر بيتا من درّة بيضاء، فدخلت البيت فرأيت في وسط البيت صندوقا من نور عليها قفل من نور، فقلت: يا جبرائيل ما هذا الصّندوق و ما ذا فيه؟ فقال جبرئيل: يا حبيب اللّه فيها سرّ اللّه لا يعطيها إلاّ لمن يحبّ، فقلت: يا جبرائيل افتح لي بابها فقال جبرائيل: أنا عبد مثلك ما أمرني اللّه تعالى بذلك و لكن سل ربّك حتّى يأذن لي، فسألت اللّه تعالى بذلك، فإذا النداء من قبل اللّه تعالى: يا جبرائيل: افتح له بابها، ففتح لي جبرائيل بابها، فرأيت فيها المرقع و الفقر، فقلت يا سيّدي و مولاي هب لي هذا المرقع و الفقر، فنودي لي يا محمّد هذان اخترتهما لك و لأمّتك من الوقت الّذي خلقتهما و لا أعطيهما إلاّ لمن أحبّ، و ما خلقت شيئا أعزّ منهما، فقد اختار اللّه تعالى المرقع و الفقر، و أنّهما أعزّ شيء على اللّه تعالى (١٦١).

---

(١٦١) قوله: فروى أنس بن مالك عن النّبيّ (ص) أنه قال: لمّا أسري بي إلى السماء

فدخلت الجنّة الحديث.

رواه عن النبيّ (ص) ابن أبي جمهور الاحسائي في كتابه عوالي اللئالي ج ٤ ص ١٣٠، و فيه:

فلبسها النبيّ (ص) و توجه اللّه بها، فلمّا رجع من المعراج ألبسها عليّا (ع) بإذن اللّه و أمره، فكان يلبسها و يرقعها بيده رقعة رقعة، حتّى قال: و اللّه رقعت مدرعتي هذه حتّى استحييت من راقعها، و ألبسها بعده لابنه الحسن ثمّ الحسين (ع)، ثمّ لبسها أولاد الحسين (ع)، فلبسها واحد بعد واحد حتّى اتصلت بالمهدي (ع) فهي معه مع سائر مواريث الأنبياء (ع).

و في الخصال للصدوق (رض) باب ما بعد الألف الحديث ٤٩، ص ٦٥٠ بإسناده عن محمد بن يزيد المحاربيّ عن الصادق (ع) يقول: جلّل رسول اللّه (ص) على عليّ (ع) ثوبا، ثم علّمه ألف

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ١، ص ۵١٩

و أمّا إسنادها فاعلم، أنّ الخرقة عند التّحقيق على قسمين: صوريّة و معنويّة.

أمّا الصّوريّة فباتّفاق المشايخ و أكثر العلماء من أرباب التّصوّف قد لبسها النبيّ (ص) عن جبرائيل بإذن اللّه و أمره كما سبق ذكره و لبسه، و لبس أمير المؤمنين عليّ (ع) عن النّبيّ (ص) و لبس الحسين بن علي عن علي (ع) و لبس زين العابدين عن أبيه الحسين و لبس محمد الباقر عن أبيه زين العابدين و لبس جعفر الصّادق عن أبيه محمد الباقر، و كذلك إلى أن وصل إلى المهدي (ع).

و أمّا المشايخ فقد لبس أويس القرني، و الحسن البصري، و كميل بن زياد النخعي رضي اللّه عنهم عن أمير المؤمنين عليّ (ع) كما ستعرفه مفصلا و امّا المتأخّرون عنه الموجودون في غير زمانه الّذين لبسوا الخرقة عن أولاده، فقد لبس أبو يزيد البسطامي رحمة اللّه عليه عن جعفر الصادق (ع)، و كان في خدمته سنين، و قد لبس الشقيق البلخي عن موسى بن جعفر المعروف بالكاظم (ع) و لبس معروف الكرخي عن عليّ بن موسى الرّضا (ع)، و من معروف السريّ السّقطي، و من السرّي شيخ الطائفة الجنيد البغدادي، و من الجنيد انقسم إلى المشايخ كلّها كما سنذكر اسنادهم إليه.

و بالجملة تنتهي الخرقة و إسنادها و نسبتها إلى ثلاثة باتّفاق المشايخ، إمّا إلى

كلمة، كلّ كلمة يفتح له ألف كلمة.

و أيضا فيه الحديث ٤٥ مثله، و ذكر الحديث أيضا السيد الأمير صالح الحسيني الترمذي الكشفي في كتابه مناقب المرتضوي «ألّفه سنة ١١٠٣»، ذكره في خطبة الكتاب و قال بعد ذكره: قصّة الخرقة و المعراج مذكورة في كتاب راحة القلوب للشيخ قدّس سرّه أيضا.

و نحن جمع من أهل السنّة و الجماعة نقول: بأنّ عليّا من كبار الصحابة و أنّه رابع الخلفاء في مقام الشريعة و السياسة، و أيضا نقول و نعتقد بأنّه من أهل البيت الكرام و أوّل خليفة بحسب الإرشاد و تلقين العلوم الصوريّة و المعنويّة و في مقام الطريقة و المعرفة، و لهذا نجعل اسمه المبارك في الشجرة الرابطة للطريقة و المعرفة بعد اسم المظهر المقدّس سيد

الكائنات، هذا كلام منّا عيان لا يحتاج إلى الاستشهاد و البيان.

و قال أيضا في الباب الحادي عشر من الكتاب: إنّ خلافة أمير المؤمنين في الطريقة بموجب الخرقة من الرسول (ص) و معراجه (ص) متّفق عليه بين التشيّع و التسنن، و هذا مبيّن و مبرهن عند أرباب العلم و البصيرة.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۱، ص ۵۲۰

جعفر الصّادق (ع)، و إمّا إلى الحسن البصري، و إمّا إلى كميل بن زياد النخعي رضي اللّه عنهما، و إن قال بعضهم بأويس القرني، فذلك أيضا يرجع إليهم، و أكثرها ينتهي إلى الجنيد، لأنّه رئيس القوم و شيخ الطّائفة، و قريب العهد إلى الأئمة المعصومين (ع).

و يعرف صدق هذا المعنى أعني انحصار الخرقة الصّوريّة في الطّوائف الثلاث من نسبة خرقة الشّيخين المعظمين إلى أمير المؤمنين و أولاده (ع)، أمّا الأوّل الشيخ الكامل الربّاني الشّيخ سعيد الدّين الحموي قدّس اللّه سرّه، و أمّا الثّاني، الشيخ العارف المحقّق شهاب الدّين السّهروردي رحمة اللّه عليه، فإنّهما ذكرا في بعض إجازتهما لبعض مريديهما نسبة خرقتهما إلى أمير المؤمنين (ع) بطرق ثلاثة أو بواحدة منها.

أمّا الشيخ الكامل الشيخ سعد الدين الحموي، فإنّه قال لبعض مريديه في إجازته:

اعلم وفّقك اللّه أن للقوم في هذا الأمر طريقين و نسبتين أحدهما نسبة الصّحبة و الثّاني نسبة الخرقة، أمّا نسبة الصّحبة لشيخي و سيّدي شيخ

الإسلام محمد بن حمويه فمع الخضر (ع).

و أمّا نسبة الخرقة فإنّه لبس الخرقة من ركن الإسلام أبي علي الفارمدي من قطب الوقت أبي القاسم الكركاني من الأستاذ أبي عثمان المغربي من شيخ الحرم أبي عمر الزّجاجي من سيّد الطائفة أبي القاسم الجنيد من سرّي بن المغلّس السّقطي من أبي محفوظ معروف الكرخي، و اختلفوا في نسبة مذهب أكثر المحدثين إلى أنّه أخذ هذه الطريقة، و لبس الخرقة من سيّده و مولاه علي بن موسى الرّضا، و هو من أبيه موسى الكاظم و هو من أبيه جعفر الصّادق، و هو من أبيه محمّد الباقر، و هو من أبيه زين العابدين، و هو من أبيه الإمام الحسين بن علي أمير المؤمنين، و هو من أبيه أمير المؤمنين، و هو من سيّد المرسلين و خاتم النبيّين صلوات اللّه عليه و على آله أجمعين.

و ذهب بعض المشايخ إلى أن معروفا قد لبس من داود الطّائي و أخذ هذه الطريقة منه و هو من حبيب العجمي و هو من سيّد التابعين الحسن البصري، و هو

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ۱، ص ۵۲۱

من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع)، و هو من سيّد المرسلين و خاتم النّبيّين محمّد المصطفى صلوات اللّه عليه و على آله أجمعين. و إنّي لبست الخرقة من شيخ الشيوخ أبي الحسن بن عمر بن أبي الحسن عن أبيه عماد الدّين عمر بن أبي الحسن علي بن محمّد حمويه قدس اللّه سرّه، و هو ممّن صحب جدّه الإمام محمد بن حمويه قدس اللّه أرواحهم.

و أمّا الشيخ الأعظم شهاب الدّين السهروردي قدّس الله سرّه المكنى بأبي حفص عمر بن محمد بن عبد الله بن البكري السهروردي فإنّه قال: ألبسنيها عمّي شيخ الإسلام أبو النّجيب ضياء الدين عبد القاهر بن عبد الله بن محمد السهروردي قال: ألبسنيها عمّي الشيخ وحيد الدّين عمر بن محمد يعرف بعمويه، قال ألبسنيها الشّيخان، الأوّل أخي فرج الزركاني عن أبي العباس النّهاوندي، عن الشّيخ أبي عبد الله محمد بن خفيف، عن أبي القاسم الجنيد الثاني والد محمد بن عمويه عن الشيخ أحمد الأسود الدّينوري عن ممشاد الدّينوري عن شيخ الطائفة أبي القاسم محمد الجنيد عن خاله السّري السّقطي عن معروف الكرخي عن الإمام علي بن موسى الرّضا (ع) عن أبيه موسى الكاظم (ع) عن أبيه جعفر الصادق (ع) عن أبيه محمد الباقر (ع) عن أبيه علي زين العابدين (ع) عن أبيه أبي عبد الله الحسين الشّهيد (ع) عن أبيه أبي الحسن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب و هو عن رسول اللّه (ص).

هذا آخر انتساب الشّيخين المعظّمين إلى أمير المؤمنين (ع) من الحسن البصري و الجنيد.

أمّا نسبة خرقة أبي يزيد البسطامي رحمة اللّه عليه من طريق جعفر الصّادق (ع)، فتلك تعرف من نسبة خرقة أولاده و مريديه إليه و تلك مشهورة معلومة.

و أمّا نسبة خرقة بعض المشايخ إلى كميل بن زياد النّخعي رضي اللّه عنه و تلقين الذّكر منه، فذكر بعض الفقراء هذا المعنى و انتسب طريقه إليه و هو

قوله:

تلقن هذا الفقير الضّعيف محمّد بن أبي بكر السّمناني جعله اللّه ممن حصل له البقاء بعد فناء هذا العمر الفاني من الشّيخ الصّالح الدّين أبي الخير شمس الدّين

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۱، ص ۵۲۲

محمّد بن علي بن محمد الأصفهاني، و هو يلقن يوم عيد الفطر سنة ثلاث و سبعمائة بالخانقاه السّميساطي في مجمع يقال له بيت الأحزان جوار الجامع المعمور بدمشق المحروسة، من الشّيخ الصّالح زين العباد، علم الزّهاد، فخر الأبرار، دائم الذّكر بالعشيّ و الإبكار، محمد بن أبي بكر الإسفرايني ذكر لا إله إلاّ اللّه، بحقّ تلقّنه من الشيخ سيف الدّين أبي المعالي سعيد بن المظهر بن سعيد البادرزي قدّس اللّه روحه، بحقّ تلقّنه من الشّيخ قطب الوقت أبي الجنّاب نجم الدّين أحمد بن عمر بن محمد بن عبد اللّه الخيوقي بحق تلقنه، عن شيخ الورى إسماعيل القيصري، و هو من الشّيخ محمد مانكيل و هو من الشّيخ داود بن محمّد المعروف بخادم الفقراء بحق تلقّنه، من شيخه أبي العباس بن إدريس بحقّ تلقّنه من شيخه أبي القاسم بن رمضان بحق تلقنه من شيخه أبي يعقوب الطبري بحقّ تلقنه عن شيخه أبي عبد اللّه بن عثمان بحقّ تلقنه من شيخه أبي يعقوب المهرخوري بحقّ تلقنه من شيخه أبي يعقوب السوسني بحقّ تلقنه من شيخه عبد الواحد بن زيد بحقّ تلقنه من شيخه كميل بن زياد النّخعي رضي اللّه عنه و عنهم أجمعين، و هو تلقنه من أمير المؤمنين علي (ع) و هو من رسول اللّه (ص)

و هو من جبرائيل أمين الوحي (ع) و هو من حضرة ربّ العزّة سبحانه و تعالى.

و إذا عرفت هذا فنقول:

لا شك أنّك عرفت نسبة الخرقة إلى أمير المؤمنين (ع) بطرق شتّى مفصّلا، و لكن ما عرفت نسبة تلقين الذّكر إليه كذلك بالإسناد، لأنّ تلقين الذّكر له ترتيب و تفصيل عند أهله، و حاصله و خلاصته ما ذكر الفقير المذكور في إجازته مفصّلا و هو قوله:

اعلم أنّه قد صحّ و ثبت بحكم النّقل عند مشايخ الصّوفيّة رضوان اللّه عليهم أجمعين: أنّ عليّا (ع) دخل على رسول اللّه (ص)، فقال يا رسول اللّه دلّني على أقرب الطرق إلى اللّه و أفضلها عند اللّه و أسهلها على عباد اللّه، فقال (ع): عليك يا علي بما نلت ببركة النبوّة، فقال علي: ما هذا يا رسول اللّه، قال (ع): ذكر اللّه تعالى: قال علي: يا رسول اللّه أ هكذا فضيلة الذّكر، و كلّ النّاس ذاكرون، قال رسول اللّه (ص): مه يا علي، لا تقوم السّاعة و على وجه الأرض من يقول: اللّه اللّه، ثمّ قال: أنصت يا علي حتّى أنا أقول ثلاث مرّات و أنت تسمع منّي فإذا سكت

فقل أنت حتّى أنا أسمع منك.

هكذا لقّن رسول اللّه (ص) عليّا ثمّ لقّن عليّ (ع) الحسن البصري، ثمّ لقّن الحسن حبيبا العجمي، ثمّ لقّن الحبيب داود الطائي، و لقّن داود معروف الكرخي، و لقّن معروف سري السّقطي، و هو لقّن أبا القاسم الجنيد بن

محمّد البغدادي، و لقّن الجنيد ممشاد الدّينوري و لقّن ممشاد أحمد الأسود الدّينوري و لقّن أحمد محمّد البكري السّهروردي المعروف بعمويه و لقّن محمد بن عبد الله البكري القاضي وحيد الدّين عمر بن محمد البكري، و لقن هو أبا نجيب عبد القاهر السّهروردي و هو لقّن شهاب الدّين عمر بن محمّد السّهروردي البكري و لقّن هو معين الدّين أصحاب شيخ شيوخ بلاد الرّوم و معيّن الدّين لقّن هذا الفقير أحمد بن مسعود ببلد قونية، و كان قدس اللّه سرّه شيخي و شيخ أبي و جدّي، و لقن هذا الفقير الضعيف المحتاج إلى رحمة اللّه تعالى الأخ الصالح الإمام العالم شمس الملة و الدّين جمال الإسلام و المسلمين محمد بن علي بن محمد المعروف بالزّاهد الأصفهاني، و لقن هو أدام اللّه حياته، الكاتب الفقير محمد بن أبي بكر السّمناني بلغه اللّه تعالى أقصى غاية الأماني في عاشر جمادى الأولى سنة إحدى و ثلاثين و سبعمائة.

هذا آخر إسناد الخرقة و الذّكر إلى أمير المؤمنين (ع) من طريق جعفر الصّادق و الحسن البصري و كميل بن زياد رضي اللّه عنهم.

و أمّا من طريق أويس القرني على دعوى بعض النّاس، فالّذي ذكره بعض المشايخ في بعض إجازاتهم أيضا منهم، الشّيخ الصالح المعري المحدّث نجم الدين أبو النّدا إسماعيل بن أمين الدّين إبراهيم بن أبي بكر التفليسي عرف بابن الإمام، فإنّه قال: ألبسنيها الشّيخ الحافظ جمال الدّين أبو حامد محمد بن الشيخ أبي الحسن علي بن جمال الدين أبي الفتح محمود المحمودي ابن الصابوني السّلامي، و قال هو: البسنيها المشايخ الثلاثة،

أوّلهم الشّيخ الرّباني شهاب الدّين السّهروردي قدّس الله سره، و قد سبق نسبته إلى الإمام (ع)، و ثانيهم الشيخ صدر الدّين أبو الحسن محمد بن عمر بن علي بن محمد بن حمويه الجويني و قد سبق نسبته إليه (ع). و ثالثهم الشّيخ الكامل فخر الدّين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن أحمد بن الخيري الفارسي، فإنّه قال: ألبسنيها والدي الشيخ الإمام أبو

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ١، ص ٥٢٤

إسحاق إبراهيم بن أحمد الخيري الفارسي، عن شيخ الشّيوخ أبي الفتح أحمد بن خليفة البيضاوي عن أبي إسحاق إبراهيم بن شهريار الكازروني عن الشيخ أبي محمّد الحسين الأكار عن الشّيخ أبي عبد الله محمد بن خفيف عن شيخ الطائفة الجنيد و عن الإمام جعفر الحذّاء عن الإمام أبي عمرو الاصطخري عن أبي تراب النّخشبي عن الإمام أبي علي شقيق البلخي، عن الإمام أبي عمرو موسى بن زيد الدّاعي عن أويس القرني رضي اللّه عنه عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) عن رسول اللّه (ص).

هذا بالنسبة إلى الخرقة الصّوريّة و المشايخ الصوريّة.

و أمّا بالنّسبة إلى الخرقة المعنويّة و المشايخ المعنويّة.

(المقصود من الخرقة هو سرّ الولاية و سر التوحيد و أنّ قاعدة السلوك التخلّق بأخلاق اللّه)

فاعلم، أنّ الخرقة المذكورة عند الخواصّ و خواصّ الخواصّ من الموحّدين، فهي عبارة عن سرّ الولاية و سرّ التّوحيد الّذي وصل من اللّه تعالى إلى آدم (ع) بواسطة جبرائيل أو غيره، ثمّ منه إلى شيت ولده بالإرث

المعنوي، و النّسبة المعنويّة المتقدّم ذكرها، ثمّ إلى نوح (ع) و من نوح إلى إبراهيم (ع)، و كذلك إلى أن وصل إلى محمّد (ص)، و من محمد إلى أمير المؤمنين (ع)، و منه إلى أولاده و تلامذته و مريديه إلى أن وصل إلى المهدي (ع)، و ختم به و صار هو خاتم الأولياء و سيّد الموحدين في زمانه كما سبق ذكره، لا الّذي ذكرناه بأنّها عبارة عن الخرقة المصنوعة المعمولة من الصّوف أو القطن أو غيرهما، فإن كلّ أحد يعرف أنّ الخرقة الصّوريّة ما لها دخل في تحصيل الكمالات الإنسانيّة التي هي موقوفة على الإرشاد و الهداية من الأنبياء و الأولياء و المشايخ و الكمّل، لا الخرقة الصّوريّة من الصّوف و الجبّة المعمولة من القطن و هذا ظاهر جليّ و عند التّحقيق كأنّها إشارة لطيفة و كناية شريفة إلى لبس الخرقة المعنويّة من يد هؤلاء المذكورين على طريق الاتّصاف بأوصافهم و قاعدة السّلوك على سبيلهم الّتي هي التّخلّق بأخلاقهم، لقوله تعالى:

قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ [سورة آل عمران: ٣١].

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج١، ص ٥٢٥

و إلى هذا المعنى أشار الحقّ تعالى أيضا و قال كناية و استعارة:

وَ رِيشاً وَ لِبٰاسُ التَّقْوىٰ [سورة الأعراف ٢٦].

و معلوم أن التّقوى ما لها لباس لكنّها إشارة إلى ستر صاحبها بلباس التّقوى الّذي هو الورع و الزّهد و العبادة و تهذيب الأخلاق بأخلاق اللّه و تأديب النّفس بآدابه لقول النّبيّ (ص):

«تخلّقوا بأخلاق اللّه» [انظر التعليقة ٣٧].

و لقوله: «أدّبني ربّي فأحسن تأديبي» [راجع التعليقة ١٣١].

(النبيّ (ص) مستور بالأسماء الجلاليّة و الجماليّة)

و كذلك قوله تعالى في الحديث القدسي:

الكبرياء ردائي و العظمة إزاري [انظر التعليقة ٦٩].

فإنه إشارة إلى ستره بستر الأسماء الجلاليّة و الجماليّة اللّذين هما نقاب و حجاب على وجه ذاته الكريم و جماله القديم، لقول بعض العارفين:

جمالك في كل الحقائق سائر و ليس له إلاّ جلالك ساتر

و قول النبيّ (ص):

«إن للّه تعالى سبعين ألف حجاب من نور و ظلمة. الحديث» [انظر إلى التعليقة ٧٠].

أيضا إشارة إلى هذا فإن حجابه تعالى ليس من جنس المخلوق حتّى يتوهّم أنّه من ثوب لطيف أو جسم كثيف بل حجابه عبارة عن بعد عبيده عنه بحجاب تعلّقاتهم و ستر تصوّراتهم المعبّر عنها في القرآن بالسّلسلة الّتي يكون ذرعها سبعون ذراعا لقوله:

ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهٰا سَبْعُونَ ذِرٰاعاً [سورة الحاقة: ٣٢].

و قد سبق بيان هذه السّلسلة و هذه التّعلّقات و علّة حصرها و موجب كميّتها في السّبعين لا غير، و كذلك حال الفتوّة المنسوبة إلى أمير المؤمنين (ع)، فإنّها أيضا معنويّة و النّاس قد أخذوها من طريق الصّورة و وضعوا لها

ضوابط و قوانين صورية في

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج١، ص ٥٢٦

العقد من الحلف و شرب ماء الملح و الألفاظ المستعملة في حالة العقد و أمثال ذلك، و كذلك جميع الأوضاع المشهورة بين النّاس فإنّها كانت معنويّة، و جعلوها صوريّة من ضعف استعدادهم، و قلّة ذكائهم و تفطّنهم، حتّى عبادة الأصنام و الأوثان فإنّها كانت معنويّة جعلوها صوريّة، و لولا مخافة التّطويل لشرعت في كلّ واحد واحد منها و بيّنت صلاحها و فسادها، و أقل ذلك الخرقة المسمّاة بهزارميخي.

(المقصود من الخرقة المسمّاة بهزارميخي)

فإنّ المراد منها لم يكن الخرقة الّتي يلبسونها بعض الصّوفيّة و يجتهدون في ترتيبها و تزيينها غاية الاجتهاد من الخياطة و ترتيب الأكمام و الأذيال و غير ذلك، فإنّ المراد منها كان خلع الأوصاف الذّميمة من النّفس الّتي هي على الإجمال ألف و اتّصافها بالأوصاف الحميدة الّتي هي أيضا على الإجمال ألف فإن كلّ من يفعل هذا يكون لابسا الخرقة المسمّاة بهزارميخي لأنّ قلع كلّ صفة ذميمة من النّفس بمثابة ضرب إبرة في الثّوب أو دق وتد في الحائط، و نعم الخرقة الّتي تكون على هذه الصّورة، و نعم الشّيخ الّذي يكون إرشاده على هذه الوتيرة، و هذا مثل شريف لطيف في هذا الباب، وَ تِلْكَ الْأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنَّاسِ وَ ما يَعْقِلُها إِلاَّ الْعالِمُونَ [سورة العنكبوت: ٤٣].

و كلّ عاقل يعرف من نفسه أنّ كلّ شخص لا يكون بينه و بينه مناسبة معنويّة لا ينفعه لبس ثوبة من القطن أو الصّوف، و الكلام إلى المصنّف

الفطن لا مع غيره، إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَذِكْرىٰ لِمَنْ كٰانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَ هُوَ شَهِيدٌ [سورة ق: ۳۷].

هذا آخر بيان الخرقة الصّوريّة و المعنويّة و انتسابهما و إسنادهما إلى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (ع) و إلى أولاده صلوات اللّه عليهم أجمعين، و آخر انتساب العلوم الظّاهرة و الباطنة إليهم، و آخر بيان خصوصيّة التّأويل بهم و بتابعيهم من أرباب التّوحيد.

و هذا المكان يحتاج إلى بيان الأقطاب و الأوتاد و تعدادهم و حصرهم و تعيينهم، و كذلك إلى تحقيق الأبدال و الأمناء و خاتم الأنبياء و خاتم الأولياء مطلقا و مقيّدا و تحقيق النبوّة و الرّسالة و الولاية و الوحي و الإلهام و الكشف و غير ذلك لكن

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‌١، ص ۵۲۷

أخرناه إلى المقدّمة السّادسة و السّابعة من المقدّمات المذكورة، فإنّ هذا البحث قد طال و خرج عن الاعتدال.

فأمّا الآن فلا بدّ من بحثين آخرين:

الأول بحث نسبتنا إلى أمير المؤمنين و أولاده (ع) صورة و معنى لأنّا إذا ذكرنا انتساب جميع المشايخ إليهم و إسناد جميع العلماء كذلك، و لم نذكر انتسابنا إليهم و لا نسبة علومنا إلى علومهم يلزم الإخلال بالأمر الواجب منّا من المروّة و الأدب و هذا لا يجوز عن العاقل، فمن هذا وجب ذكر ذلك مفصّلا.

و الثّاني بحث نسبة الأئمّة المعصومين المعبّر عنهم بأهل البيت (ع) إلى النّبيّ

(ص) كذلك صورة و معنى، و إن سبق بعض ذلك اختصارا و نريد أن نبيّن ذلك في صورة جدول مقسوم شامل لجميع أقسام الانتساب و ذكر الأولاد إناثا و ذكورا و مدّة أعمارهم و خلافتهم و موضع قبورهم و غير ذلك من التّوابع و اللّوازم.

أما البحث الأوّل المتعلّق بنسبتنا إليهم فتلك تكون من حيث الصّورة و من حيث المعنى كما قررناه.

(سلسلة النسب للمؤلف السيد حيدر رضي الله عنه إلى الأئمة (ع)

أمّا من حيث الصّورة، فأنا ركن الدّين حيدر بن السّيّد تاج الدّين علي پادشاه بن السيّد ركن الدّين حيدر بن السيّد تاج الدّين علي پادشاه بن السيّد محمّد أمير، بن عليّ پادشاه، بن أبي جعفر محمّد بن زيد بن أبي جعفر محمّد بن الدّاعي ابن أبي جعفر محمّد بن إبراهيم بن محمّد بن الحسين الكوسج بن إبراهيم سناء اللّه بن محمّد الحرون بن حمزة بن عبيد اللّه الأعرج بن الحسين الأصغر بن علي بن الحسين زين العابدين بن الحسين الشهيد بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع).

و تحقيق هذا يعرف من الشّجرة المستخرجة من كتب الأنساب، لأنّ هذا إجمال يحتاج إلى تفصيل، ثمّ إلى تاريخ و (تنقلات) من بلاد إلى بلاد و غير ذلك من الشّرائط، و يناسب بهذا المكان ما قال السّيّد الرضيّ رحمة اللّه عليه في خطبته لنهج البلاغة بالنّسبة إلى نفسه:

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع

(۱۶۲)

---

(۱۶۲) قوله: و يناسب بهذا المكان ما قال السيّد الرّضي رحمة اللّه عليه في خطبته لنهج البلاغة بالنّسبة

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۱، ص ۵۲۸

و أمّا من حيث المعنى، فذلك يحتاج إلى تقديم مقدمات:

(سير السيّد المؤلف رحمة اللّه في تحصيل العلم و الكمال)

منها إلى بيان حالي من ابتداء السّلوك إلى حين الوصول إجمالا.

إلى نفسه:

أولئك آبائي فجئني بمثلهم

إذا جمعتنا - يا جرير - المجامع

أقول: الشعر من أشعار الفرزدق المعروف مخاطبا لجرير.

أمّا السّيّد الرّضى و هو السيد الجليل غنيّ عما نقول في حقّه، أبو الحسن محمد بن أبي أحمد الحسين بن موسى بن محمّد بن موسى بن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم صلوات المصلّين و آلاف التحية و السلام أبد الآبدين.

و هو رضي اللّه عنه ذو الحسبين حيث إنّه من أولادهم (ع) من قبل الأب و الأمّ، و أمّه فاطمة بنت الحسن الناصر الصغير، بن أحمد بن الحسن الناصر الكبير، بن علي بن الحسين بن علي عمر الأشرف بن علي السجاد (ع)، هذا ما ذكره أخوه السيّد المرتضى في أوّل ناصرياته على ما حكى منه الشيخ محمّد تقيّ التستري دام ظله في كتابه نهج السعادة في شرح نهج البلاغة ج ١، ص ٥٦.

و هو رحمه اللّه تعالى ولد ببغداد سنة ٣٥٩ و توفّى بها في يوم الأحد ٦ محرم ٤٠٦ هـ

و أمّا الفرزدق و هو همام بن غالب بن صعصعة بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد بن مناة بن تميم، فهو شاعر معروف من بني تميم و البيت منه و من قصيدته التي يهجو بها جريرا مفتخرا بأجداده المعلومة و نسبه المعروف و صعصعة من أصحاب رسول اللّه (ص) و جرير من كليب بن يربوع كان بينهما التفاخر و المهاجاة مدّة حياتهما و كان أبو جرير خاملا و لم يكن له بيت و قبيلة و الفرزدق من بني تميم فكانوا معروفين في الجاهليّة و الإسلام و من

القصيدة:

و منّا الّذي اختير الرجال سماحة

وجودا إذا هب الرّياح الزعازع

و منّا الّذي أحيي الوئيد و غالب

و عمرو و منّا حاجب و الأقارع

و منّا الّذي أعطى الرسول عطيّة

أسارى تميم و العيون هوامع (دوامع)

إلى أن قال:

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع

بهم أعتلي ما حملتنيه دارم   و اصرع أقراني الّذين أصارع

أخذنا بآفاق السّماء عليكم   لنا قمراها و النجوم الطوالع

إلى أن قال:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ١، ص ٥٢٩

اعلم، انّي من عنفوان شبابي بل من أيّام طفولتي إلى مدّة ثلاثين سنة أو قريب منها كنت في تحصيل عقائد أجدادي المعصومين صلوات اللّه عليهم أجمعين من حيث الشّريعة و طريق الظّاهر المخصوصة بالطّائفة الإماميّة من بين الشّيعة حتّى حصلت لبّها و خلاصتها و قرأت العلوم المتعلّقة بها من المنقول و المعقول على أستاذيها، بعضها في بلدي آمل الّذي هو مولدي و مسقط رأسي و مسقط رأس آبائي و أجدادي، و بعضها في خراسان و استراباد، و بعضها في أصفهان، و هذا كان في مدّة عشرين سنة حتّى رجعت من اصفهان إلى آمل مرّة ثانية و اجتمعت بخدمة الملك العالم

العادل فخر الدّولة بن الملك المرحوم السّعيد

فوا عجبا حتّى كليب تسبّني كأنّ أباها نهشل أو مجاشع

هذا و الّذي أوجب للفرزدق حياة و ذكرا خيرا باقيا في الكتب و المحافل و له بحقّ شأن جليل و فخر عزيز هو أشعاره في مدح سيدنا و مولانا علي بن الحسين سيد الساجدين و زين العابدين الّذي أنشده في ما جرى له مع هشام بن عبد الملك، و القضيّة معروفة يأتي ذكرها في تعليقتنا رقم ۱۸۰ فراجع.

قال السيّد الشريف المرتضى في أماليه ج ۱، ص ٦۲:

كان شيعيّا مائلا إلى بني هاشم، و نزع في آخر عمره عما كان عليه من القذف و الفسق، و راجع طريقة الدين، على أنه لم يكن في خلال فسقه منسلخا من الدّين جملة و لا مهملا لأمره أصلا.

و مما يشهد لذلك ما أخبرنا به- قال بإسناده إلى معاوية بن عبد الكريم عن أبيه- قال: دخلت على الفرزدق فجعلت أحادثه فسمعت صوت حديد يتقعقع، فتأملت الأمر، فإذا هو مقيّد الرجل، فسألته عن السبب في ذلك، فقال: إنّي آليت على نفسي ألاّ أنزع القيد من رجلي، حتّى أحفظ القرآن.

إلى أن قال بعد صفحات:

و ممّا يشهد لذلك ما أخبرنا (ذكر السند) إلى أن قال: إن علي بن الحسين (ع) حجّ فاستجهر النّاس جماله، و تشوّفوا له، و جعلوا يقولون: من هذا؟ فقال الفرزدق:

هذا ابن خير عباد اللّه كلّهم هذا التّقي النقيّ الطاهر العلم

هذا الّذي تعرف البطحاء وطأته

و البيت يعرفه و الحلّ و الحرم

إذا رأته قريش قال قائلها إلى مكارم هذا ينتهي الكرم

يـكـاد يـمـسـكـه عـرفـان راحـتـه　　ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم

يغضي حياء و يغضى من مهابته
فـمـا يـكـلّـم إلاّ حـيـن يـبـتـسـم

أيّ القبائل ليست في رقابهم　　لأوّلـيـّة هـذا أولـه نـعـم

من يعرف اللّه يعرف أوّليّة ذا　　فالدّين من بيت هذا ناله الأمم

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۱، ص ۵۳۰

شاه كيخسرو أطاب اللّه ثراهما و جعل الجنة مثواهما و خصّني بالكرامة و الجلالة و جعلني من أقرب أصحابه و ندمائه، ثمّ من أخصّ خواصّه، ثمّ من أعظم نوابّه و حجّابه، و هم من أولاد كسرى و أنوشيروان إلى يزدجرد إلى پرويز، و جدّهم القريب كان ملك أردشير بن الحسين بن تاج الدّولة الّذي كان ممدوحا لظهير الدّين الفاريابي و سراج الدّين القمري و أمثالهم من الشّعراء الكبار و مضت برهة من الزّمان على هذا، ثم طلبني الملك العادل قهرمان الوقت، ملك الملوك الرّومان فخر الدولة شاه غازي خلد اللّه دولته الّذي هو الآن موجود، و كنت في خدمته على الوجه المذكور و في خدمة إخوته الملك الأعظم جلال الدّولة إسكندر طاب ثراه، و الملك المعظّم و شرف الدّولة كستهم و طوس ملك أعزّ اللّه أنصارهما، و مضت على هذا أيضا مدة و حصل لي من الجاه و المال فوق التّصوّر ببركة صحبتهم و كنت كذلك في أرغد عيش و أطيب حال بين الأهل و الأوطان و الأصحاب و الأحوال، حتّى غلب في باطني دواعي الحقّ و كشف لي فساد ما أنا فيه من الغفلة و الجهل و النّسيان، و ظهر لي ضلالي عن طريق الحقّ و الاستقامة على سبيل الزّيغ و الطّغيان، فناجيت ربّي في السرّ و طلبت منه الخلاص عن الكلّ و حصل لي شوقا تامّا إلى الترك و التّجريد، و التوجّه إلى حضرة الحقّ بقدم التوحيد و ما كنت أتمكّن من هذا في صحبة هؤلاء الملوك و لا في الوطن الأصلي المألوف، و لا في صحبة الأخوان و الأصحاب، فرأيت المصلحة تركهم بالكلّية و الخروج من عندهم إلى موضع تيسّر ذلك على أحسن الوجوه، فتركتهم على هذا الحال و تركت الأهل و المال و الملك و

الجاه و الوالد و الوالدة و الأخوة و الصّديق و الرّفيق، و لبست دلقا يكون قيمته أقلّ من درهم لأنّه كان ملقاة من (في) بعض الدّورين و توجّهت على هذا المنوال إلى زيارة جدّي رسول اللّه و الأئمّة المعصومين (ع) بنيّة الحجّ و زيارة بيت اللّه الحرام و بيت المقدّس، و كان ذلك بطريق الرّي و قزوين و اصفهان حتّى وصلت إلى اصفهان بعد أن كنت فيه مدّة طويلة في زمان الشّباب و كثرة الجاه و المال، و اجتمعت بخدمة المشايخ الّذين كانوا فيه و وقع بينهم عقد الأخوّة و الفتوّة، بيني و بين الشّيخ الكامل المحقّق نور الدّين الطهراني، و هو قرية على باب اصفهان من طرف دردشت و يسمّونها العوام تيران، و هو في الأصل طهران بكسر الطاء، و كان عارفا زاهدا مقبولا عند الخاصّ و العامّ و كانت الصّحبة بيننا و بينه أقل من الشهر و لبست الخرقة

الصّوريّة من يده بعد تلقين الذكر الخاص دون العام، و حصل لي من صحبته بهذه المدّة القصيرة فائدة كثيرة قدّس اللّه روحه العزيز، و عزمت من اصفهان إلى دهستان في بلدهم الموسومة بايذج و مال الأمير، و بقيت هناك في صحبة شخص كامل عارف منتظرا اجتماع قفل بغداد، و ما اتّفق ذلك و حصل الرّجوع إلى اصفهان من عارض جسمانيّ، و بالجملة حتّى بعد مدّة وصلت إلى بغداد بطريق آخر، و زرت المشاهد المقدّسة من مشهد أمير المؤمنين عليّ (ع) و مشهد الحسين و موسى و الجواد و سرّ من رأى (ع) و جاورتهم سنة كاملة، ثمّ توجّهت إلى الكعبة بقصد الحجّ مجردا فقيرا مع عدم التّمكن الصّوري، و زرت الرّسول (ص) و الأئمّة الأربعة بالمدينة،

و رجعت إلى العراق و سكنت المشهد المقدس الغروي سلام الله على مشرفه، و اشتغلت بالرّياضة و الخلوة و الطّاعة و العبادة و طلب العلوم الحقيقيّة اللّدنيّة الإرثيّة دون الكسبيّة التّعليميّة، و لم يكن هناك أحد يعرف هذا القسم، و كان هناك شخص عارف كامل خامل الذّكر بين النّاس (....)، وليّ من أولياء اللّه، اسمه عبد الرّحمن القدسي (عبد الرّحمن بن أحمد مقدّسي) فقرأت عليه أوّلا كتاب منازل السّائرين مع شرحه، ثمّ كتاب فصوص الحكم مع شرحه، ثمّ رسائل أخر، و مضى على هذا زمان و كشف لي ببركة هذا و ببركة المجاورة، و التّوجّه إلى حضرة الحقّ و حضرة الأئمّة (ع)، أكثر كتب التّصوّف من المطوّلات و المختصرات، و كتبت عليها شروحا و حواشي كما ذكرت في صدر هذا الكتاب مفصّلا، و صنّفت بعد ذلك، الكتب المذكورة في الفهرست الّتي هي قريبة إلى عشرين أو أربعة و عشرين كتابا، و ذلك في مدّة أربع و عشرين سنة، و كان آخر تلك الكتب هذا التأويل، و الحمد للّه على ذلك.

(صورة إجازة فخر المحققين للسيد المؤلف و تعبيره له بزين العابدين الثاني)

و كنت قد قرأت قبل هذا الحال و الاشتغال بهذه الأحوال على الشيخ الأعظم الأكمل سلطان العلماء و المحققين، فخر الحقّ و الملّة و الدّين ابن المطهر الحلّي قدس اللّه سرّه من علوم أهل البيت (ع) خلاف الّذي قرأت في العجم كتبا كثيرة في الأصول و الفروع تقليدا و استجازة، و كان يخاطبني بزين العابدين الثّاني، و يعتقد فيّ أنّي دون العصمة، ممّا كان

يشاهد من حسن سيرتي و لطف طريقتي، و كتب لي

إجازات متعددة.

منها إجازة طويلة جامعة في جميع العلوم، لا بدّ من ذكرها هاهنا تطبيقا بالإجازات السّالفة، و هذه صورة خطه و إجازته:

بسم اللّه الرحمن الرحيم الحمد للّه واجب الوجود، واهب وجود كل موجود، و صلّى اللّه على خاتم الأنبياء محمّد النبيّ و على آله الأصفياء.

أمّا بعد فقرأ عليّ المولى السيّد الأعظم الإمام المعظّم أفضل العلماء في العالم، أعلم فضلاء بني آدم. مرشد السّالكين، غياث نفوس العارفين، محيي مراسم أجداده الطّاهرين، الجامع بين المعقول و المنقول و الفروع و الأصول، ذو النّفس القدسيّة و الأخلاق النبويّة، شرف آل رسول ربّ العالمين، أفضل الحاجّ و المعتمرين، المخصوص بعناية ربّ العالمين، ركن الملّة و الحقّ و الدّين حيدر بن السّيّد السّعيد تاج الدّين علي پادشاه بن السيّد محمد أمير بن علي پادشاه بن أبي جعفر محمد بن زيد بن أبي جعفر محمد بن الدّاعي بن أبي جعفر محمد بن إبراهيم بن محمد بن الحسين الكوسج بن إبراهيم سناء اللّه بن محمد الحرون بن حمزة بن عبيد اللّه الأعرج بن الحسين الأصغر بن الإمام علي بن الحسين زين العابدين بن الحسين الشّهيد بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع)، كتاب جوامع الجامع في تفسير القرآن المجيد تأليف الشّيخ الإمام العالم أمين الدّين الطبرسي رحمة اللّه عليه، و كتاب شرائع الإسلام للشيخ الإمام السّعيد نجم

الدّين ابن سعيد رحمه اللّه، و كتاب مناهج اليقين في الكلام تصنيف والدي رحمه اللّه، و تهذيب الأحكام للشّيخ الإمام أبي جعفر الطّوسي قدّس اللّه روحه، و نهج البلاغة لأمير المؤمنين (ع)، و شرح نهج البلاغة لكمال الدّين ميثم بن علي البحراني، قراءة مرضيّة تشهد بتمام فضله و كمال علمه و بلوغه إلى أوج مرتبة التّحقيق، و قد أجزت له رواية ذلك كلّه بالطّرق الّتي لنا إلى المصنّفين رحمة اللّه عليهم أجمعين، و أجزت له رواية جميع مصنّفاتي في العلوم العقليّة و النّقليّة، و جميع ما نقلته و رويته من كتب أصحابنا السّابقين رضوان اللّه عليهم أجمعين بإسنادي المتصل إليهم خصوصا كتب والدي قدّس اللّه روحه عنّي عنه، و كتب الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النّعمان رحمه اللّه، عنّي و عن والدي عن جدّي، و عن الشيخ السعيد

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ١، ص ۵۳۳

نجم الدين أبي القاسم جعفر بن سعيد، و عن السّيّد جمال الدّين أحمد بن طاوس الحسيني و غيره عن الشّيخ يحيى بن محمّد بن يحيى بن الفرج السوراوي، عن الشّيخ الفقيه يحيى بن هبة اللّه بن رطبة عن المفيد أبي علي الحسن بن الشّيخ أبي جعفر محمد بن الحسن الطّوسي عن والده عن الشّيخ المفيد رحمه اللّه.

و عن والدي رحمه اللّه عن جدّي و الشيخ أبي القاسم جعفر بن سعيد و جمال الدّين أحمد بن طاوس و غيرهم عن السيّد فخار بن معد بن فخار العلوي الموسوي عن الفقيه شاذان بن جبرائيل القمي عن الشيخ أبي عبد

الله الدوريستي عن الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النّعمان رحمه الله، و أجزت له رواية كتب شيخنا أبي جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي قدّس اللّه سرّه بهذه الطّرق و غيرها عنّي عن والدي عن جدّي و عن الشّيخ أبي القاسم جعفر بن سعيد و السّيّد جمال الدّين أحمد بن طاوس جميعا عن السّيد أحمد بن يوسف بن أحمد بن العريضي العلوي الحسيني عن السّعيد الفقيه برهان الدّين محمد بن محمد بن علي الهمداني الفروخي (نزيل الرّي) عن السّيّد فضل اللّه بن علي بن الحسين الرّاوندي عن عماد الدّين أبي الصمصام (ذي الفقار) بن سعيد الحسني عن الشيخ أبي جعفر الطوسي قدس اللّه روحه. و أجزت له كتب السيّد المرتضى قدس اللّه روحه عنى بهذا الإسناد و غيره عن الشيخ أبي جعفر الطّوسي رحمه اللّه و عن والدي عن جدّي و الشّيخ أبي القاسم جعفر بن سعيد و السّيّد جمال الدّين أحمد بن طاوس الحسيني رضي اللّه عنهم، عن يحيى بن محمّد بن الفرج السوراوي عن الحسين بن رطبة عن المفيد أبي علي عن والده أبي جعفر الطّوسي عن السّيد المرتضى.

و قد أجزت له بهذه الطرق جميعا تصانيف من تضمّنه هذه الطرق المذكورة و غيرها من المذكورين فيها و غيرهم، و أجزت له أن يروي جميع الأحاديث المنقولة عن أهل البيت (ع) المذكورة بالأسانيد المذكورة من كتب علمائنا كالتّهذيب و الاستبصار و غيرهما من مصنّفات الشّيخ أبي جعفر الطّوسي، و كتب الشيخ أبي جعفر محمّد بن بابويه و كتاب الكليني تصنفي محمّد بن يعقوب الكليني المسمّى بالكافي و هو خمسون كتابا

بالأسانيد المذكورة في هذه الكتب كلّ رواية برجالها على حدتها بإسنادي عن أبي جعفر الطّوسي رحمه اللّه، عن رجاله المذكورين

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ۱، ص ۵۳۴

في كتبه و بإسنادي إلى أبي جعفر محمّد بن عليّ بن بابويه رحمه اللّه، عني عن والدي عن جدّي رحمهما اللّه، و عن الشّيخ أبي القاسم جعفر بن سعيد و السيّد جمال الدّين أحمد بن طاوس جميعا عن السيّد فخار بن (معد) بن فخار الموسوي عن الفقيه شاذان بن جبرئيل القمي عن جعفر بن محمّد الدوريستي عن أبيه عن أبي جعفر محمّد بن عليّ بن بابويه بالأسانيد المتّصلة بالأئمة (ع).

عن السيّد فخار بن (معد) بن فخار الموسوي عن الفقيه شاذان بن جبرئيل القمي عن جعفر بن محمّد الدوريستي عن أبيه عن أبي جعفر محمد بن علي بن بابويه بالأسانيد المتّصلة بالأئمة (ع).

و أمّا الكافي للشيخ محمد بن يعقوب الكليني، رويت أحاديثه المذكورة المتّصلة بالأئمّة (ع) عن والدي عن جدّي رحمهما اللّه و الشيخ أبي القاسم جعفر بن سعيد و جمال الدين أحمد بن طاوس و غيرهم بأسانيدهم المذكورة إلى الشيخ محمد بن النعمان المفيد رحمه اللّه عن إبراهيم جعفر بن محمد بن قولويه عن محمّد بن يعقوب الكليني عن رجاله المذكورة فيه في كلّ حديث عن الأئمّة (ع).

و كتب محمد بن الحسن بن يوسف المطهر، في رمضان سنة إحدى و ستّين و سبعمائة بالحلّة و الحمد للّه وحده و صلّى اللّه على سيّدنا محمّد و آله

الطاهرين.

هذه صورة إجازتي في العلوم العقليّة و النقليّة المقروءة في العرب دون العجم.

و أمّا صورة إجازتي في الخرقة الصّوريّة الّتي، لبستها من الشيخ المذكور نور الدّين الأصفهاني فقد ضاعت صورتها، لكن حاصلها:

إنّي لبستها منه بالشرائط المقرّرة بين المشايخ و هو لبسها عن المشايخ الذين كانوا (....) بالشرائط المقرّرة (...) كذلك بإسناد خرقة كلّ واحد منهم إلى الآخر إسنادا صحيحا مرتّبا على شرائط الإسناد حتّى وصل إلى الّذي لبسها عن الشّيخ الكامل المكمّل شيخ الطائفة أبي القاسم محمد الجنيد رحمة اللّه عليه عن خاله السري عن معروف الكرخي عن الإمام علي بن موسى الرّضا عن أبيه موسى الكاظم (ع) عن أبيه جعفر بن محمد الصادق عن أبيه محمد الباقر عن أبيه زين

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ١، ص ۵۳۵

العابدين عن أبيه أبي عبد الله الحسين الشهيد (ع) عن أبيه أبي الحسن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) عن النّبيّ (ص) عن جبرائيل عن اللّه تعالى.

(صورة إجازة السيّد المؤلّف في قراءته الفصوص و منازل السائرين)

و أما صورة إجازتي في القراءة للفصوص و منازل السائرين و شرحيهما و هي هذه:

بسم اللّه الرحمن الرحيم الحمد للّه ربّ العالمين، و الصلاة على نبيّه محمد و آله أجمعين.

أما بعد فقد قرأ عليّ السيد الإمام الهمام العالم الكامل قطب الموحدين (زبدة) المتبحرين كهف الحاج و المعتمرين المخصوص بعناية رب العالمين، السيد ركن الحق و الملّة و الدين حيدر بن تاج الدين علي بادشاه الحسيني الآملي آدام اللّه ظلله كتاب فصوص الحكم لمحيي الدين بن العربي قدّس اللّه سرّه مع شرح للقيصري و كتاب منازل السائرين للشيخ أبي إسماعيل الهروي رحمة اللّه عليه مع شرح الفصوص لعفيف الدّين التلمساني رحمة اللّه عليه، قراءة مرضيّة تشهد بفضله و فطنته، و كانت استفادتي منه أكثر من إفادتي له، و كان ذلك بالمشهد الشريف الغروي سلام اللّه على مشرفه، سلخ رجب المرجّب من سنة ثلاث و خمسين و سبعمائة، و كتب الفقير إلى اللّه تعالى عبد الرحمن بن أحمد القدسي تجاوز اللّه عن سيّئاته.

و بالجملة لم يكن وصولي و كشفي موقوفا على هذه الجملة بل كان وصولي سابقا على سلوكي لأنّي كنت من المحبوبين لا من المحبين كما بيّناه في أول المقدمة أن وصول المحبوب سابق على سلوكه كالأنبياء و الأولياء و تابعيهم على قدم الصدق لقوله تعالى:

إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنىٰ أُولٰئِكَ عَنْهٰا مُبْعَدُونَ [سورة الأنبياء: ۱۰۱].

و جرت كما جرت بعناية اللّه تعالى و محض إشفاقه لا بالعمل و لا بالعلم، و قد بيّنت تفصيل ذلك و كيفيّته في أول الفهرست بعد الخطبة فارجع إليه،

و الحمد لله الذي هدانا لهذا و ما كنا لنهتدي لو لا أن هدانا الله، و فيه أقول:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج١، ص ٥٣٦

كانت لقلبي أهواء مفرّقة
فاستجمعت مذ رأتك العين أهوائي

فصار يحسدني من كنت أحسده
و صرت مولى الورى مذ صرت مولائي

تركت للناس دنياهم و دينهم
شغلا بذكرك، يا ديني و دنيائي

و أما البحث الثاني المتعلق بنسبة الأئمة (ع) فذلك أيضا من حيث الصورة و المعنى، أما من حيث المعنى فقد سبق ذكره قبل هذا مفصلا مرتبا، و أما من حيث الصورة فذلك يكون أولا من حيث التقرير «١٦٣» ثم في صورة الجدول، أما التقرير فترتبه إما أن يكون من آخرهم إلى أولهم، إلى آدم، و إما أن يكون من آدم إلى أن يصل إلى الآخر و الأول أنسب، فنقول: محمد بن الحسن صاحب الزمان المنتظر المعروف بالمهدي (ع) بن علي النقي بن محمد التقي بن علي بن موسى الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن الحسين زين العابدين بن الإمام الشهيد الحسين بن علي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن

هاشم إلى آخره.

و إما أن نأخذ من الحسين بن فاطمة الزهراء بنت محمد بن عبد اللّه بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤيّ بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان بن أد بن أدد بن اليسع بن الهميسع بن سلامان بن قيدار بن إسماعيل (ع) بن إبراهيم (ع) بن تارخ بن ناخور بن ساروغ بن أرغو بن قالع بن عامر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح (ع) بن لمك بن متوشلخ بن اخنوق بن البارد بن مهلائيل بن القينان بن انوش بن شيث بن آدم (ع). و هؤلاء أجداد محمّد (ص) و آباؤه (ع)، و محمّد جدّهم، و آبائهم صلوات اللّه عليهم أجمعين و هم واحد و

خمسون أبا طاهرا باهرا شريفا كريما، و كان منهم سبعة عشر نبيّا، و سبعة عشر وصيّا وليّا، و سبعة عشر ملكا رئيسا، أولئك عليهم صلوات من ربّهم و رحمة و أولئك هم المهتدون.

(١٦٣) قوله: أما من حيث الصورة (النسب) من حيث التقرير. راجع في نسب الأئمّة و النبيّ (ع):

السيرة لابن هشام ج ١، ص ٣- ١ و السيرة الحلبيّة ج ١، ص ٣١- ٣ و السيرة لإسحق بن محمد الهمداني ج ١، ص ١١٢- ١٨، و مروج الذهب ج ٢، ص ٢٦٥.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج١، ص ٥٣٧

و قد وردت أسماء النبي و هؤلاء الأئمة (ع) في التوراة بلسان العبرانية و قد نقل عنها بهذه العبارة:

ميذميذ: محمد المصطفى، إيليا: علي المرتضى، قيذور: الحسن المجتبى، إيرييل: الحسين الشهيد، مشفور: زين العابدين، مشهور: محمد الباقر، مشموط: جعفر الصادق، ذو مرا: موسى الكاظم، هزاد: علي بن موسى الرضا، تيموزا: محمد التقى، يسطور: علي النقي، نوقش: الحسن العسكري، قريمونيا: محمد بن الحسن صاحب الزمان.

صلوات اللّه عليهم أجمعين، هذا وجه، و بوجه آخر نقلنا من كتب المتقدمين بإسناد صحيح أن لكل صاحب شريعة كان إثنا عشر وصيا لا أزيد و لا

أنقص و من جملة ذلك قول بعض العلماء بتقريره هذا:

(بيان الشرائع الست و أنّ لكلّ صاحب شريعة كان اثنا عشر وصيّا)

اعلم، أن أصحاب الشريعة من لدن آدم إلى محمد (ص) ستة، كل واحد منهم جاء بشريعة واحدة مدة فالأولة فاتحة و الآخرة خاتمة و ما بينهما ينسخ الأول الأخير لتعود الخاتمة فاتحة و الفاتحة خاتمة، و إلى ذلك أشار النبي (ص) باستدارة الزمان في قوله:

«إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق اللّه فيه السموات و الأرض» (١٦٤).

---

(١٦٤) قوله: و إلى ذلك أشار النبيّ (ص) باستدارة الزمان في قوله: قد استدار الخ.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ١، ص ٥٣٨

فالستة، آدم، نوح، إبراهيم، موسى، عيسى، محمد صلوات اللّه عليهم أجمعين، و أنه لكل واحد منهم من الأوصياء المتواصلين به في الأزمنة المتباعدة و المتقاربة اثنا عشر وصيا يحفظون كلمته و يقيمون شريعته ما دام التكليف باقيا و الوصي هو الحجّة بعد ذلك النبي و هو الإمام الناطق بتأويل الكتاب، الصامت بحفظ الشريعة، و يقيم الحدود، و يسدّ الثغور، و تقتصر به يد الظالم عن الظلم، بكل ما يمكن منه.

فالشريعة الأولة الفاتحة بآدم (ع)، أوصياؤها اثنا عشر وصيا، و هم، شيت،

هابيل، قينان، ميسم، شيسم، قادس، قيذوق، إتميخ، آيتوخ، إدريس، دينوخ، ناخوز.

أخرج الحديث مسلم في صحيحه ج ٣، ص ١٣٠٥ كتاب القسامة باب تغليظ تحريم الدماء و الأعراض و الأموال الحديث ٢٩- (١٦٧٩).

و أيضا أحمد بن حنبل في مسنده ج ٥، ص ٣٧، و ص ٧٣.

و أيضا البيهقي ج ٥، ص ١٦٥ من كتاب الحج.

و تمام الحديث، على ما نقله مسلم بإسناده عن أبي بكرة عن النبيّ (ص) أنّه قال:

إن الزّمان قد استدار كهيئته يوم خلق اللّه السموات و الأرض، السنة اثنا عشر شهرا، منها أربعة حرم، ثلاث متواليات: ذو القعدة و ذو الحجّة و المحرّم و رجب شهر مضر الّذي بين جمادي و شعبان، ثم قال: أيّ شهر هذا، قلنا: اللّه و رسوله أعلم، فسكت حتى ظنّنا أنّه سيسمّيه بغير اسمه، قال: أليس ذا الحجّة؟ قلنا: بلى، قال: فأيّ بلد هذا؟ قلنا: اللّه و رسوله أعلم، فسكت حتّى ظنّنا أنه سيسمّيه بغير اسمه، قال: أليس بالبلدة؟

قلنا: بلى، قال: فأيّ يوم هذا؟ قلنا: اللّه و رسوله أعلم، فسكت حتى ظنّنا أنّه سيسميه بغير اسمه قال: أليس يوم النحر؟ قلنا: بلى يا رسول اللّه! قال: فإنّ دماءكم و أموالكم و أعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا، و ستلقون ربّكم فيسألكم عن أعمالكم، فلا ترجعنّ (ترجعوا) بعدي كفارا (ضلالا) يضرب بعضكم رقاب بعض، ألا ليبلغ الشاهد الغائب (منكم) فلعلّ بعض من يبلّغه يكون أوعى له من بعض من سمعه.

و رواه أيضا الصدوق (رض) في الخصال ج ۲، ص ٤٨٦، الحديث ٦٢ بإسناده عن عبد الله بن عمر قال: نزلت هذه السورة: **إِذٰا جٰاءَ نَصْرُ اللّٰهِ وَ الْفَتْحُ، على رسول اللّه (ص) في أوسط أيّام التشريق، فعرف أنّه الوداع، فركب راحلته العضباء، فحمد اللّه و أثنى عليه، ثم قال: يا أيها الناس كلّ دم كان في الجاهليّة فهو هدر، إلى أن قال:**

يا أيها الناس إنّ الزمان قد استدار فهو اليوم كهيئته يوم خلق السماوات و الأرضين، و إن عدّة الشهور عند اللّه اثنا عشر شهرا في كتاب اللّه يوم خلق اللّه السماوات و الأرض الحديث و الحديث طويل فراجع.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ۱، ص ۵۳۹

الشريعة الثانية لنوح (ع) و أوصياؤها اثنا عشر وصيا، و هم، سام، يافث، أرشخ، فرشخ، فايو، شالخ، هود، صالح، ديميخ، معدل، دريجا، هجان.

الشريعة الثالثة لإبراهيم (ع)، و أوصياؤها اثنا عشر وصيا و هم، إسماعيل، إسحاق، يعقوب، يوسف، ايلون، أيتم، أيوب، زيتون، دانيال الأكبر، أينوخ، أناخا، ميدع.

الشريعة الرابعة لموسى (ع) و أوصياؤها اثنا عشر وصيا، و هم، يوشع، عروف، قيذوف، عزير، أريسا، داود، سليمان، أصف، اتواخ، منيفا، أرون، واعث.

الشريعة الخامسة لعيسى (ع) و أوصياؤها اثنا عشر وصيا، و هم، شمعون، عروف، قيذوف، عيسرو، اريسا، زكريّا، يحيى، اهدى، مشخا، طالوت، قش،

استين، بحيرا.

الشريعة السادسة لمحمد (ص)، و أوصياؤها، اثنا عشر وصيا و هم، أمير المؤمنين علي، الحسن الزكيّ، الحسين الشهيد، علي زين العابدين، محمد الباقر، جعفر الصادق، موسى الكاظم، علي بن موسى الرضا، محمد التقي، علي النقي، الحسن العسكري، المهدي القائم محمد بن الحسن صاحب الزمان، و به ختمت الأوصياء، و عدتهم اثنان و سبعون وصيا لستة أنبياء مرسلين.

هذا من حيث التقرير، و أما من حيث الجدول فهذه صورته «١٦٥»:

(العدد إثنا عشر في العلويّات و السفليّات)

هذا آخر البحث الثاني من حيث التقرير و الجدول و غير ذلك.

---

(١٦٥) قوله: و أمّا من حيث الجدول.

أقول: هذا متن الجدول نأتي به تسهيلا للقراءة:

صورة الجدول:

هذه صورة الجداول المخصوصة بالنبيّ، و فاطمة، و الأئمّة المعصومين من أهل بيته (ع) و أسمائهم، و ألقابهم، و كنيتهم، و أسماء آبائهم و أمّهاتهم، و مدّة أعمارهم، و موضع قبورهم على ما ذهب إليه العلماء. [.....]

و كأنّي بشخص صوفي سنّيّ مسلسل بسلاسل التعصّب و الجدال،

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۱، ص ۵۴۱

محجوب بحجاب أهل التقليد و أرباب المقال، يقول لي: لم يخصّصون الشيعة أئمّتهم بالاثني عشر اماما، و أيّة فائدة في هذه الأعداد؟ و لم لا يكون أكثر و أقل؟، و أنا أقول له: أيّها الصوفي المتعصّب الجاهل، هذا التعجّب منك إن كان على هذا العدد خاصّة بأنّه عدد غريب ما وقع مثله في الوجود، فهذا غير موجّه، لأنّ أعظم الأشياء و أجلّها في العلويّات مترتّب على هذا العدد مثل البروج، و في السفليّات ساعات اللّيل و النهار و الشهور المترتّبة عليهما، و كذلك أسباط بني إسرائيل و نقباؤهم، و العيون الصادرة من عصا موسى (ع)، و غير ذلك ممّا لا نعرف نحن و لا أنت، لأنّ مخلوقات اللّه ليست منحصرة، لا عندنا و لا عندك من الجزئيّات دون الكلّيّات. و إن كان على مطلق العدد، فهذا الاعتراض يرد على كل واحد من الأعداد، لأنّ كثيرا من الأشياء، و هو واقع على اثنين اثنين، و على ثلاثة ثلاثة، و على أربعة أربعة، و هكذا بالغا ما بلغ كما عرفته و ستعرفه إن شاء اللّه بعد هذا الكلام. فلو اعترضت على كل واحد واحد منها لطال عليك الزمان و ما حصل لك منه إلا تضييع الأيام و تصديع الأخوان، و هذا مثل أن تقول: لم كانت السموات سبعا أو تسعا، و الكواكب السيّارة لم كانت سبعا، و البروج لم كانت اثني عشرة، و الجهات

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۱، ص ۵۴۲

لم كانت ستا، و البحور لم كانت سبعة، و الأرضون كذلك، و الشهر، لم كان

ثلاثين يوما، و السنة لم كانت ثلاثمائة و ستين يوما، و أمثال ذلك إلى غير النهاية و كذلك فيما ورد في التسبيح و التهليل و التكبير مثل سبعين تسبيحا و أربعين تكبيرا أو ثلاثين تهليلا، و أربعة و ثلاثين تحميدا و غير ذلك من الأوضاع الشرعية و العرفية، بل يكفيك في هذا أن الموجودات واقعة على حكمة اللّه تعالى و إتقانه و إحكامه، و كل عدد له خصوصية و لوازم على ما هو عليه و ليس كل أحد مكلفا بمعرفته و لوازمه و إن كانت معرفته غير منهّى عنها و لا محظورة، ذلك تقدير العزيز العليم.

(أول من تكلم في طبيعة العدد في الموجودات)

و ذكر صاحب إخوان الصفا و قال: إن فيثاغورس الحكيم و هو أول من تكلم في طبيعة العدد و قال: إن الموجودات واقعة بحسب طبيعة العدد، فمن عرف طبيعة العدد و أنواعه و خواصه أمكنه أن يعرف كميّة أنواع الموجودات و أجناسها، و ما الحكمة في كميتها على ما هي عليه الآن و لِمَ لَم تكن أكثر من ذلك و لا أقل منه، و ذلك أن الباري جل و عز لما كان هو علة الموجودات و خالق المخلوقات و هو واحد بالحقيقة لم يكن من الحكمة أن تكون الأشياء شيئا واحدا من جميع الجهات بل وجب أن تكون واحدا بالهيولى كثيرا بالصورة و لم يكن من الحكمة أن تكون الأشياء كلها ثنائية و لا رباعية و لا أكثر من ذلك، و لا أقل بل كان الأحكم و الأنفس أن تكون على ما هي عليه من الأعداد و المقادير و كان ذلك في غاية الحكمة و ذلك أن من الأشياء ما هي ثنائية و منها ما هي ثلاثية و منها ما هي رباعية و منها مخمسات و مسدّسات و معشرات، و ما زاد على ذلك بالغا ما بلغ،

فالأشياء الثنائية مثل الهيولى و الصورة، و الجوهر و العرض و العلة و المعلول و البسيط و المركب و اللطيف و الكثيف و النيّر و المظلم و غير ذلك، و بالجملة في كل زوجين اثنين كما ذكر اللّه عز و جلّ:

وَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنٰا زَوْجَيْنِ [سورة الذاريات: ٤٩].

و أما الأشياء الثلاثية فمثل الأبعاد الثلاث التي هي الطول و العرض و العمق و مثل المقادير الثلاثة التي هي الخط و السطح و الجسم، و مثل الأزمان الثلاثة التي هي الماضي و المستقبل و الحال و غير ذلك، و بالجملة كل أمر ذي بال و بسط

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‌١، ص ۵۴۳

و طرف، و أما الأشياء الرباعية فمثل الطبائع الأربع التي هي الحرارة و البرودة و الرطوبة و اليبوسة، و مثل الأركان الأربعة التي هي النار و الهواء و الماء و الأرض، و مثل أجزاء الزمان التي هي الربيع و الصيف و الشتاء و الخريف، و مثل الجهات الأربع التي هي الشرق و الغرب و الجنوب و الشمال و على هذا المثال إذا اعتبر وجد أشياء كثيرة مخمّسات، مسدّسات، و مسبعات بالغا ما بلغ، و هذا المقدار يكفيك للتنبيه على حكمة الأعداد و خصوصياتها، و مع ذلك هذا الكلام يرجع إلى عدد الأنبياء (ع)، و أنهم لم انحصروا في مائة ألف نبي و أربعة و عشرين ألف نبي، و إلى عدد الأوصياء (ع) و أنهم لِم كانوا منحصرين في مائة ألف وصيّ و أربعة و عشرين ألف وصيّ، و إلى عدد الرسل و أنهم لِم كانوا مائة و ثلاثة عشر رسولا و إلى أولي العزم و أنهم لم كانوا خمسة أو ستة أو سبعة على اختلاف الأقوال، و

إلى سور القرآن أيضا أنها لم كانت مائة و أربع عشرة سورة و غير ذلك من عدد الملائكة و حملة العرش و الجنة و النار و الحور و القصور، و إلى الخلفاء الأربعة بعد النبي و إلى الماضين من بني العباس، و إلى الأئمة الأربعة المعلومة من الفقهاء الّذين كانوا في زمانهم و بعدهم، و أمثال ذلك من الأعداد، و كذلك يرجع إليك، فإن عندك الأولياء و الأقطاب منحصرة في ثلاثمائة و ستّة و خمسين عددا و هذا العدد ينقسم إلى ستّ طبقات كل طبقة عدد برأسها كالطبقة الأولى، فإنها ثلاثمائة و كالثانية فإنها أربعون و كالثالثة فإنّها سبع، و كالرابعة فإنّها خمس، و كالخامسة فإنّها ثلاث، و كالسادسة فإنّها فرد و هو القطب، و أنت لست بعالم بسبب ذلك و إن سألوك عن تحقيقه عجزت عن الجواب عنه، غاية ما في الباب تقول هذه كلمة اللّه و ما نحن بعالمين بها، و هذا الجواب بعينه جواب الشيعة الّذين أنت اعترضت عليهم في حقّ أئمتهم (ع) و أمثال هذه الاعتراضات ليست بجيدة و لا مستحسنة عند العقلاء فإنها إقرار بالجهل و دليل على قلة العقل لأنها اعتراضات من غير فائدة تحتها، و كل كلام يكون خاليا عن الفائدة فهو ليس بكلام في الحقيقة.

(نظرية أهل التوحيد في عدد الأئمة (ع))

و إذا عرفت هذا فاعلم أن لأرباب التحقيق الذين هم أهل التوحيد في هذا

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‌١، ص ۵۴۴

المقام أعني في عدد الأئمّة و الأقطاب و غيرهم نظر شريف و فكر دقيق و هو أنهم قالوا إننا قد طابقنا عالم الصورة بعالم المعنى، و كذلك عالم الآفاق

بالأنفس، فما وجدنا شيئا يكون في عالم الصورة و لا يكون في عالم المعنى، و حينئذ لما وجدنا في الصورة الأفلاك و الكواكب السبعة و البروج الاثني عشر و العناصر الأربعة و المواليد الثلاثة التي بها قوام هذا العالم، حكمنا بأنه يجب أن يكون في عالم المعنى كذلك ليكون التطابق صحيحا، و النص الوارد فيه واقعا، فالأفلاك التسعة في عالم المعنى: النبيّ المطلق و الوليّ المطلق و سبعة من الأنبياء الكبار الذين هم:

آدم، و نوح، و إبراهيم، و داود، و موسى، و عيسى، و محمّد (ص) لأن قيام عالم المعنى ليس إلاّ بهم، لأنهم أقطاب العالم بالأصالة، و الذين على قدمهم بالنيابة، و الكواكب السبعة: الأقطاب السبعة الّذين عليهم العالم المعنوي بمثابة هؤلاء السبعة من الأنبياء و البروج الاثنا عشر: الأئمة الإثنا عشر الدائرة فيها هؤلاء السبعة من الأقطاب، لأن دوران الأنبياء و الأقطاب لا يكون إلاّ على أبراج الأولياء و الأئمة، كتقديم (لتقديم) الولاية على النبوة، و شرف الولاية عليها كما قررناه مرارا، و نقرّره إن شاء اللّه، و هذا ليس بشرف الولي على النبي لأنّ التابع قط لا يكون أشرف من المتبوع من حيث هو تابع، و قد سبق هذا البحث مفصّلا.

و العناصر الأربعة، الأوتاد الأربعة التي على أطراف العالم من اليمين و اليسار و الخلف و القدّام، و المواليد الثلاثة، الأنواع الثلاثة من الإنسان و الجن و الملك، أو الولي و النبي و الرسول، و الجهات الستّ، المراتب الستّ الإلهية الوجودية، أو الشرائع الستّ المذكورة، أو الأيام الستّة المعلومة. و الأقاليم السبعة: الرجال السبعة الداخلة في تقسيم الطبقات الستّ المذكورة. هذا

بالنسبة إلى الآفاق و أما بالنسبة إلى الأنفس فالأفلاك التسعة: الدماغ و الصدر و الطحال، و الكبد و المرارة و القلب و الكلية و الفرج و الريّ.
و الكواكب السبعة: النفس الحيوانية و النفس اللوّامة و النفس الملهمة، و النفس المطمئنة، و العقل بالملكة، و العقل بالفعل و العقل المستفاد. و الأقاليم السبعة: الرأس و اليدان و البطن و الظهر و الرّجلان، و البروج الإثنا عشرة، الحواس العشر و قوّتا الشهوة و الغضب.
و الجهات الأربع: القوى الجاذبة، و الماسكة، و الهاضمة، و الدافعة، و العناصر الأربعة:
الحرارة و البرودة و الرطوبة و اليبوسة، أو الصفراء و السوداء و الدم و البلغم، و المواليد الثلاثة:
الروح النباتية و الحيوانية و النفسانية اللواتي في الكبد و القلب و الدماغ. و سيجيء بيان

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‏۱، ص ۵۴۵

هذين العالمين و تطبيق هاتين الصورتين في المقدمة الثّانية أبسط من ذلك مطابقا لقوله تعالى:
سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ [سورة فصّلت: ۵۳].
لكن قبل الوصول إلى تلك المقدمة و الشروع في ذلك التطبيق لا بد لك من ضرب مثال في هذا الباب و وضع دائرتين مشتملتين على هذين العالمين أعني الآفاق و الأنفس بحيث لا يبقى لك في هذا المعنى إشكال و تعرف

مقام الأقطاب السبعة فيها، و مقام الأئمة الإثني عشر كذلك، لأن الشيء إذا صعب إدراكه على العقل من حيث التعقل ليس هناك أنسب من الأشكال الحسية ليتوصل بها العقل و هو حينئذ إلى المطلوب سريعا، و من هنا اشتمل القرآن على ضرب مثال في أكثر المواضع لقوله تعالى:

وَ تِلْكَ الأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنَّاسِ وَ ما يَعْقِلُها إِلاَّ الْعالِمُونَ [سورة العنكبوت: ٤٣].

و لقوله:

وَ لَقَدْ ضَرَبْنا لِلنَّاسِ فِي هٰذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ [سورة الزمر: ٢٧].

(رئيس المعارف الثلاث: معرفة الحق، معرفة الآفاق، معرفة الأنفس)

و لا بد لنا في هذا المثال و الدائرة من تقديم ضابطة كلية تكون معينا لك في فهم هذا المعنى فنقول:

اعلم، أنه قد سبق في أول المقدمة أن رئيس المعارف كلها ثلاثة، معرفة الحق تعالى، و معرفة العالم المسمى بالآفاق، و معرفة الإنسان المسمى بالأنفس، لأن كل من حصل له هذه المعارف الثلاث فقد حصل له جميع المعارف الإلهية على حسب طبقاتها، و جميع المعارف الكونية من الملك و الملكوت و الجبروت، و تحصيل هذه المعارف بدون تطبيق الآفاق بالأنفس مستحيل ممتنع كما أشرنا إليه

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۱، ص ۵۴۶

و تمسّكنا فيه بقوله تعالى:

قُلْ فَأْتُوا بِكِتٰابٍ مِنْ عِنْدِ اللهِ هُوَ أَهْدىٰ مِنْهُمٰا أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صٰادِقِينَ [سورة القصص: ٤٩].

لأن الكتاب الأول الآفاق و الثاني الأنفس، و الحاصل منهما مشاهدة الحق على ما هو عليه في نفس الأمر لقول الإمام (ع):

لقد تجلى اللّه لعباده في كتابه و لكن لا تبصرون [انظر التعليقة ١٢].

و هذا التطابق يحتاج إلى علم جمّ جامع للعلوم الظاهرة و الباطنة، أو إلى كشف كامل جامع للكشف الصوري و المعنوي، أو إلى صحبة نبي كامل، أو إمام معصوم، أو إلى صحبة من يكون على قدمهم، و نحن بعناية اللّه تعالى و حسن توفيقه قد وضعنا لك دائرتين معتبرتين، الأولى مشتملة على الآفاقي و ما يتعلق به من العوالم صورة و معنى، و الثانية على الأنفسي و ما يتعلق به من المراتب صورة و معنى، و قد بينا فيهما مراتب الأنبياء و الأقطاب و الأقاليم و البروج و الكواكب و الأئمة و الأوصياء على أحسن الوجوه، فخذ بقدر استعدادك منهما ما شئت فإنهما يعطيان لك ما أردت، و ما ذلك على اللّه بعزيز.

ثم اعلم، أنه ليس كلامنا في هؤلاء الأئمة (ع) و تعيين مراتبهم و تحقيق منازلهم من حيث إنهم أجدادنا أو أئمتنا، بل من حيث إن في الواقع كذلك و يعلم هذا من سر عالم المثال و ما فيه من العجائب.

و كلام ابن عباس رضي اللّه عنه: أن في تلك العوالم ابن عباس مثلي. و من هذا قيل إن كل ماله وجود في العالم الحسّي هو في العالم المثالي دون العكس.

و لذلك قال أرباب الشهود: إن العالم الحسّي بالنسبة إلى العالم المثالي كحلقة ملقاة في ابتداء لا نهاية لها.

و مع ذلك إن لم تقبل قولنا مع هذه الدلائل كلها و تتوهّم أن هذا من قبيل العصبية و المذهب، فيجب عليك أن تعرف أن أكثر المشايخ من أرباب التصوف أشاروا إلى هذا كالشيخ الكامل سعد الدين الحموي قدّس اللّه سرّه في تصانيفه،

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‏١، ص ٥٤٧

و الشيخ الكامل صدر الدين القونوي قدس اللّه سره في تصانيفه، و كالشيخ الأعظم محيي الدين الأعرابي قدس اللّه روحه العزيزة فإنه ذكر في فتوحاته بعد تشكيل الأفلاك و شكل فلك الأطلس و فلك المكوكب و ما عليه من الصور، و شكل أرض المحشر و شكل الجنة و النار و شكل الدنيا و الآخرة، و شكل العالم كله، و شكل العرش و الكرسي و ما يتعلق بهما، شكل الفلك الأطلس و البروج و الجنّات، و شجرة طوبى، و سطح الفلك المكوكب و عيّن فيه شكل البروج المذكورة و حصر كل واحدة منها بملك يكون قيام أهل الجنة بهم كما أن قيام أهل الدنيا بالبروج المعلومة و سيرانها، و قال: إن الشيعة من هذا قالوا بالأئمّة الإثني عشر، و ما يشعرون أن الأئمة ليسوا (هؤلاء الملائكة)، بل الأئمة الاثنا عشر يأخذون منهم الفيض، و على جميع التقادير قال بهم و نسب قيام الدنيا إليهم كما نسب قيام الجنّة إلى تلك الملائك، و الكل موافق لدعوانا، و أوّل ذلك الفصل و هو الفصل من المجلّد الخامس «١٦٦» قوله:

اعلم أن الله خلق في جوف هذا الكرسي الذي ذكرناه جسما شفافا مستديرا قسّمه اثني عشر قسما سمّى الأقسام بروجا و هي التي أقسم بها لنا في كتابه فقال:

وَ السَّمٰاءِ ذٰاتِ الْبُرُوجِ [سورة البروج: ١].

و أسكن كل برج منها ملكا لأهل الجنة كالعناصر لأهل الدنيا فهم ما بين مائي و ترابي و هوائي و ناري و عن هؤلاء يتكوّن في الجنّات ما يتكون، و يستحيل فيها ما يستحيل و يفسد ما يفسد، أعني يفسد بتغيّر نظامه إلى أمر آخر ما هو الفساد المذموم المستخبث، فهذا معنى يفسد فلا تتوهم، و من هذا قالت الإمامية باثني عشر إماما، فإن هؤلاء الملائكة أئمة العالم الذي تحت إحاطتهم، و من كون هؤلاء الاثني عشر لا يتغيرون عن منازلهم لذلك قالت الإمامية بعصمة الأئمة، لكنهم لا يشعرون أن الإمداد يأتي إليهم من هذا المكان و إذا سعدوا سرت أرواحهم في هذه المعارج بعد الفصل و القضاء، إلى قوله: و جعل لكل نائب من هؤلاء الأملاك الاثني عشر، في كل برج ملكه إياه ثلاثون خزانة تحتوي كل خزانة منها على علوم شتّى يهبون

---

(١٦٦) قوله: و أوّل ذلك الفصل الخ.

الفتوحات المكيّة ج ٣، ص ٤٣٣، عنوان الفصل هكذا: فصل ثالث في الفلك الأطلس و البروج و الجنات و شجرة طوبى و سطح الفلك المكوكب.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۱، ص ۵۴۸

منها لمن نزل بهم عن قدر ما تعطيه رتبة هذا النازل و هي الخزائن التي قال اللّه تعالى فيها:

وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ عِنْدَنٰا خَزٰائِنُهُ وَ مٰا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ [سورة الحجر: ۲۱].

إلى قوله: و العلوم الحاصلة من هذه الخزائن الإلهية هي ما يظهر في عالم الأركان من التأثيرات بل ما يظهر من مقعر فلك الكواكب الثابتة إلى الأرض، و جعل لهؤلاء الاثني عشر نظرا في الجنات و أهلها و ما فيها مخلصا من غير حجاب فما يظهر في الجنان من حكم هؤلاء الاثني عشر بنفوسهم تشريفا لأهل الجنّة.

فالشيعة يقولون إن هؤلاء الملائكة التي ذكر الشيخ، و هم أرواح هؤلاء الأئمة و ملكوتها مطابقا للملك و عالم الشهادة، و الدنيا و الآخرة قائمتان بهم و بأجدادهم الذي ورد فيه: لولاك لما خلقت الأفلاك (۱۶۷).

---

(۱۶۷) قوله: فالشّيعة يقولون إن هؤلاء الملائكة الّتي ذكر الشيخ، و هم أرواح هؤلاء الأئمّة إلى أن قال: الذي ورد فيه:

لولاك لما خلقت الأفلاك.

أقول: و هو حديث قدسيّ مشهور، و ذكر محيي الدين بن عربي في الفتوحات ج ۲، ص ۳۰ (الطبعة الجديدة) بهذا التعبير:

إن اللّه يقول:

لولاك يا محمّدا! ما خلقت سماء و لا أرضا و لا جنّة و لا نارا.

و نذكر هنا أحاديث في مضمونه مزيدا للفائدة:

(أ) روي في الأحاديث القدسيّة عن اللّه تعالى خطابا لرسوله (ص): عبدي! خلقت الأشياء لأجلك و خلقتك لأجلي.

(ب) علل الشرائع ص ١٧٤، باب ١٣٩، الحديث ١، و البحار عن معاني الأخبار ص ١١، الحديث ١٣، ج ١۵ محمد بن علي الصدوق بإسناده عن محمّد بن حرب الهذلي عن الصادق (ع) قال:

إنّ محمّد و عليّا كانا نورا بين يدي اللّه قبل خلق الخلق بألفي عام، و إن الملائكة لمّا رأت ذلك النور، رأت له أصلا قد انشعب منه شعاع لامع، فقالوا: إلهنا و سيدنا: ما هذا النور؟ فأوحى اللّه إليهم:

هذا نور من نوري أصله نبوّة، و فرعه إمامة، أمّا النبوّة فلمحمّد عبدي و رسولي، و أمّا الإمامة فلعلي حجّتي و وليّي، و لولاهما ما خلقت خلقي.

(ج) المحدّث الجليل الحر العاملي في كتابه الجواهر السنيّة ص ٢٢٦ عن الخوارزمي في كتابه المناقب بإسناده عن عبد اللّه بن مسعود قال: قال رسول اللّه (ص): لمّا خلق اللّه آدم و نفخ فيه من

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‏١، ص ۵۴۹

روحه عطس آدم فقال: الحمد للّه، فقال اللّه: حمدني عبد و عزّتي و جلالي لو لا عبدان

أريد أن أخلقهما في دار الدنيا ما خلقتك، قال: يا ربّ أ يكونان مني؟ قال: نعم يا آدم، ارفع رأسك فانظر، فرفع رأسه فإذا على العرش: لا إله إلاّ اللّه، محمّد نبيّ الرّحمة، و عليّ مقيم الحجّة الحديث.

(د) في كمال الدين للصدوق رحمه اللّه، الباب الثالث و العشرون في نصّ اللّه تبارك و تعالى على القائم (عج) ص ٣٦٧.

روى بإسناده عن عبد السلام بن صالح الهروي (في حديث طويل) عن علي بن موسى الرّضا، عن آبائه (ع) عن النبيّ (ص)، قال: يا علي: لو لا نحن ما خلق اللّه آدم و لا حواء و لا الجنّة و لا النّار و لا السماء و لا الأرض الحديث.

(ه) في عيون أخبار الرّضا (ع) للصدوق عليه الرحمة ج ١، ص ٣٠٧، الحديث ٦٧، بإسناده عن عبد السلام بن صالح الهروي عن مولانا الرضا (ع) في حديث في بيان المراد من الشجرة التي أكل منها آدم، قال: قلت للرضا (ع): يا بن رسول اللّه أخبرني عن الشجرة الّتي أكل منها آدم و حواء ما كانت؟ فقد اختلف الناس فيها، فمنهم من يروي أنّها الحنطة، و منهم من يروي أنّها العنب، و منهم من يروي أنّها شجرة الحسد، فقال (ع): يا أبا الصلت إن شجرة الجنّة تحمل أنواعا فكانت شجرة الحنطة و فيها عنب و ليست كشجرة الدّنيا و إن آدم لمّا أكرمه اللّه تعالى ذكره بإسجاد ملائكته و بإدخاله الجنّة، قال، في نفسه: هل خلق اللّه بشرا أفضل مني؟ فعلم اللّه عزّ و جلّ ما وقع في نفسه، فناداه ارفع رأسك يا آدم و انظر إلى ساق العرش، فرفع آدم رأسه فنظر إلى ساق العرش فوجد عليه مكتوبا: لا إله إلاّ اللّه، محمد رسول اللّه (ص)، و علي بن أبي طالب (ع) أمير المؤمنين، و زوجته سيّدة نساء العالمين و الحسن و الحسين سيّدا شباب أهل الجنّة، فقال آدم (ع): يا ربّ من هؤلاء؟ فقال عزّ و جلّ:

هؤلاء من ذرّيتك و هم خير منك و من جميع خلقي، و لولاهم ما خلقتك و لا خلقت الجنّة و النّار و لا السماء و الأرض. الحديث.

أقول فراجع الحديث و تأمّل فيه بالدّقة و التحقيق و فيه معارف تنكشف لك إن شاء اللّه، منها، يعلم معنى تركه الأولى و مصداق ما هو الأولى و خلافه، و نظائر الحديث أيضا كثيرة في الروايات.

(و) في البحار ج ۱۵، ص ۲۹، الحديث ۴۸ عن كتاب الأنوار للشيخ أبي الحسن البكري أستاذ الشهيد الثاني قدس اللّه روحيهما في حديث طويل عن أمير المؤمنين قال: قال اللّه تعالى (خطابا للقلم): يا قلم فلولاه ما خلقت خلقي إلاّ لأجله فهو بشير و نذير، و شفيع و حبيب، فعند ذلك انشق القلم من حلاوة ذكر محمد (ص) الحديث.

(ز) قال القاضي نظام الدين المتوفى ۶۷۸ خلال قصيدته:

لأجل جدكم الأفلاك قد خلقت

لولاه ما اقتضت الأقدار تكوينا

قال العلامة الأميني صاحب الغدير في كتابه الغدير ج ۵، ص ۴۳۵، بعد ذكره الشعر المذكور:

أشار إلى ما أخرجه الحاكم و صحّحه في (المستدرك) ۲ ص ۶۱۵ عن ابن عباس رضي اللّه عنهما

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۱، ص ۵۵۰

و هاهنا أبحاث ستعرفها عند بحث النبوة، و الرسالة و الولاية، و الغرض حاصل بهذا المقدار و إذا تحقّقت هذه الضابطة الكلية، فارجع بجميع قلبك و خاطرك إلى مطالعة الدائرتين المذكورتين المعبّر عنهما بالدائرة الآفاقية و الأنفسية اللّتين هذه صورتهما (۱٦٨):

قال: أوحى اللّه إلى عيسى (ع):

يا عيسى! آمن بمحمّد و أمر من أدركه من أمّتك أن يؤمنوا به، فلولا محمّد ما خلقت آدم، و لولا محمّد ما خلقت الجنّة و النّار، و لقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه: لا إله إلاّ اللّه، محمد رسول اللّه، فسكن.

و ذكره السبكي في (شفاء السقام) ص ۱۲۱، و كذلك الزرقاني في شرح المواهب ۱، ص ٤٤.

و أخرج الحاكم بعده حديثا، و لفظه:

قال رسول اللّه (ص): لمّا اقترف آدم الخطيئة قال: يا ربّ! أسألك بحق محمد لمّا غفرت لي، فقال اللّه: يا آدم! و كيف عرفت محمّدا و لم أخلقه؟ قال: يا رب! لأنّك لمّا خلقتني بيدك و نفخت فيّ من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوبا: لا إله إلاّ اللّه، محمد رسول اللّه، فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلاّ أحبّ الخلق إليك فقال اللّه: صدقت يا آدم إنّه لأحب الخلق إليّ، ادعني بحقّه فقد غفرت لك، و لو لا محمّد ما

خلقتك.

و أخرجه البيهقي في (دلائل النبوّة) و الطبراني في المعجم الصغير، و السمهودي في وفاء الوفاء ص ٤١٩، و القسطلاني في المواهب اللدنيّة، و الزرقاني في شرحه ١، ص ٤٤، و الغرّامي في فرقان القرآن ص ١١٧.

(١٦٨) قوله: فارجع بجميع قلبك و خاطرك إلى مطالعة الدائرتين المذكورتين المعبّرتين عنهما بالدائرة الآفاقيّة و الأنفسيّة.

أقول: لمّا كانت القراءة و المطالعة مشكلة أو صعبة نقدّم لكم متن الدائرتين زيادة في الفائدة و سهولة في القراءة و المطالعة، و المتن هكذا:

هذه صورة الدائرة الآفاقيّة تطبيقا بالأقطاب و الأئمّة، صورة و معنى بحكم قوله تعالى:

سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَ وَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ الآية [سورة فصّلت، الآية: ٥٣].

كلّيات هذه العوالم أربعة:

(الجبروت، الملكوت، الإنسان، الملك) بحكم الأسماء الّتي هي: الأوّل، و الآخر، و الظّاهر، و الباطن.

القطب العالم، الأرض الإنسان، الهواء الحيوان، الماء النّبات، النّار المعدن.

الجنوب الوتد الأوّل، الشّمال الوتد الثّالث، المشرق الوتد الرّابع، المغرب الوتد الثاني.

الحمل المرتضى، الثّور الحسن، الجوزاء الحسين، السّرطان السّجّاد، الأسد الباقر، السنبلة الصّادق، الميزان الكاظم، العقرب الرّضا، القوس التّقي، الجدي النّقي، الدّلو

العسكري، الحوت المهدي.

النبيّ المطلق: مظهر الحيّ، و العقل الأوّل عبارة عنه.

الوليّ المطلق: مظهر العلم، و النّفس الكلّيّة عبارة عنه.

صورة الأقطاب السبعة:

القطب الأوّل: آدم مظهر الاسم القادر لأنّ القدرة بعد العلم.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج١، ص ۵۵۲

القطب الثّاني: نوح مظهر الاسم المريد لأن الإرادة بعد القدرة.

القطب الثّالث: إبراهيم مظهر الاسم المتكلّم لأن الكلام بعد الإرادة.

القطب الرابع: داود مظهر الاسم السّميع لأنّ الاستماع بعد التكلّم.

القطب الخامس: موسى مظهر الاسم البصير لأنّ الرّؤية بعد السّمع.

القطب السّادس: عيسى مظهر الاسم الجواد لأنّ الجود بعد الرّؤية.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج١، ص ۵۵۳

القطب السّابع: محمّد مظهر الاسم المقسط لأنّ القسط بعد الجود.

صورة الطوائف السّبعة:

طائفة الإقليم الأوّل يتعلّق بالقطب الأوّل و الّذي على قدمه.

طائفة الإقليم الثّاني يتعلّق بالقطب الثّاني و الّذي على قدمه.

طائفة الإقليم الثّالث يتعلّق بالقطب الثّالث و الّذي على قدمه.

طائفة الإقليم الرّابع يتعلّق بالقطب الرّابع و الّذي على قدمه.

طائفة الإقليم الخامس يتعلّق بالقطب الخامس و الّذي على قدمه.

طائفة الإقليم السّادس يتعلّق بالقطب السّادس و الّذي على قدمه.

طائفة الإقليم السّابع يتعلّق بالقطب السّابع و الّذي على قدمه.

فلك الأفلاك مظهر الرّحمن و العرش عبارة عنه.

فلك البروج مظهر الرّحيم و الكرسي عبارة عنه.

صورة الأفلاك السّبعة:

فلك زحل، مظهر الاسم الرّازق و لهذا خصّ بالزّارع و أمثالهم.

فلك المشتري، مظهر الاسم العليم و لهذا خصّ بأرباب العلم و أمثالهم.

فلك المريخ، مظهر القهّار و لهذا خصّ بالأمراء و أشباههم.

فلك الشّمس، مظهر الاسم النّور و لهذا خصّ بالسّلاطين و أقرانهم.

فلك الزّهرة، مظهر الاسم المصوّر و لهذا خصّ بأرباب الطرب و أمثالهم.

فلك عطارد، مظهر الباري و لهذا خصّ بالحساب و الكتاب، و أمثالهم.

فلك القمر، مظهر الخالق و لهذا خصّ بالتّصوير و الأشكال.

صورة الأقاليم السّبعة:

الإقليم الأوّل، يتعلّق بزحل و يعرف ذلك من أهله.

الإقليم الثّاني، يتعلّق بالمشتري و يعرف ذلك من أهله.

الإقليم الثّالث، يتعلّق بالمريخ و يعرف ذلك من أهله.

الإقليم الرّابع، يتعلّق بالشّمس و يعرف ذلك من أهله.

الإقليم الخامس، يتعلّق بالزّهرة و يعرف ذلك من أهله.

الإقليم السّادس، يتعلّق بعطارد و يعرف ذلك من أهله.

الإقليم السّابع، يتعلّق بالقمر و يعرف ذلك من أهله.

و هذه صورة الدائرة الأنفسيّة تطبيقا بالأقطاب و الأئمّة صورة و معنى بحكم قوله تعالى: **اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَ مَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا** [سورة الإسراءِ، الآية: ١٤].

كلّيّات هذه العوالم أربع: بحكم التطابق الأنفسي مطابقا لقوله: **اقْرَأْ كِتَابَكَ الآية (الرّوح الجزئي، العقل الجزئي، القلب الصوري، البدن الحسّي).**

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ١، ص ۵۵۴

الخليفة الإنسان، الحرارة الدم، البرودة الصّفراء، الرّطوبة البلغم، اليبوسة السّوداء.

القدّام الجاذبة، الشمال الماسكة، الخلف الهاضمة، الميمين الدافعة.

الحمل الخيال، الثّور الوهم، الجوزاء الحسّ المشترك.

السّرطان المفكّرة، الأسد الحافظة، السّنبلة الباصرة، الميزان السّامعة، العقرب الذّائقة،

القوس الشّامّة، الجدي اللاّمسة، الدّلو الغضبيّة، الحوت الشّهويّة.

فلك الأفلاك: الدّماغ لأنّه بمثابته في الإنسان.

فلك البروج: الصّدر لأنّه بمثابته في الإنسان.

صورة الأفلاك السّبعة:

فلك زحل: الطّحال لأنّه بمثابته في الإنسان.

فلك المشتري: الكبد لأنّه بمثابته في الإنسان.

فلك المريخ: المرارة لأنّها بمثابته في الإنسان.

فلك الشّمس: القلب لأنّه بمثابته في الإنسان.

فلك الزّهرة: الكلية لأنّها بمثابته في الإنسان.

فلك عطارد: الفرح لأنّه بمثابته في الإنسان.

فلك القمر .... لأنّه بمثابته في الإنسان.

صورة الأقاليم السّبعة:

الإقليم الأوّل: الرأس لأنّه بمثابته في الإنسان.

الإقليم الثّاني اليد اليمنى لأنّها بمثابته في الإنسان.

الإقليم الثّالث اليد اليسرى لأنّها بمثابته في الإنسان.

الإقليم الرّابع البطن لأنّه بمثابته في الإنسان.

الإقليم الخامس الظهر لأنّه بمثابته في الإنسان.

الإقليم السّادس الرّجل اليمنى لأنّها بمثابته في الإنسان.

الإقليم السّابع الرّجل اليسرى لأنّها بمثابته في الإنسان.

العقل الجزئي مظهر الاسم الحيّ الذي بمثابته العقل الكلي.

الرّوح الجزئي مظهر العليم الّذي بمثابته الرّوح الكلّي.

صورة الأرواح السّبعة:

النّفس الحيوانيّة مظهر الاسم القادر الّذي بمثابة آدم.

النّفس اللوامة مظهر الاسم المريد الّذي بمثابة نوح.

النّفس الملهمة مظهر الاسم المتكلّم الّذي بمثابة إبراهيم.

النّفس المطمئنّة مظهر الاسم السّميع الّذي بمثابة داود.

العقل بالملكة مظهر الاسم البصير الّذي بمثابة موسى.

العقل بالفعل مظهر الاسم الجواد الّذي بمثابة عيسى.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج١، ص ٥٥٥

(الأحاديث الواردة فيهم و عددهم و أسمائهم (ع))

هذا آخر ما أردنا بيانه في هذه الدوائر و الجداول من بحث الأقطاب السبعة و الأئمة الاثني عشر عقلا و حسّا و كشفا و شهودا.

و أما من حيث النقل الوارد فيهم اسما و كنية و عددا و غير ذلك من الدلالات و العلامات الدالة على فضيلتهم، فالذي روى عن النبي (ص) أنّه قال لابنه الحسين بن علي (ع):

«إن ابني هذا إمام ابن إمام أخو إمام أبو أئمة تسعة، تاسعهم قائمهم حجّة ابن حجّة أخو حجّة أبو حجج تسع» «١٦٩».

و روي عن سلمان الفارسي رحمة اللّه عليه بالإسناد الصحيح البالغ حدّ التواتر أنه قال:

كنت بين يدي رسول اللّه (ص) و هو مريض، فدخلت علينا فاطمة (ع)، فبكت و قالت: يا رسول اللّه! أخشى الضّيعة بعدك، فقال: يا فاطمة: أما علمت أن

العقل المستفاد مظهر الاسم المقسط الّذي بمثابة محمّد.

صورة العلوم السّبعة:

العلوم الضّروريّة من اقتضاء النّفس الحيوانيّة التي هي بمثابة القطب في العالم.

العلوم النّظريّة من اقتضاء النفس اللوّامة الّتي هي بمثابة القطب في العالم.

العلوم الإلهاميّة من اقتضاء النّفس الملهمة الّتي هي بمثابة القطب في العالم.

العلوم الحكميّة من اقتضاء (النفس) المطمئنّة الّتي هي بمثابة القطب في العالم.

العلوم اللدنيّة من اقتضاء العقل بالفعل الّتي هي بمثابة القطب في العالم.

العلوم الإلهيّة من اقتضاء العقل المستفاد الّتي هي بمثابة القطب.

(١٦٩) قوله: روي عن النبي (ص) أنّه قال لابنه الحسين بن علي (ع).

أقول: اعلم أن تنصيص رسول اللّه (ص) بأن خلفاءه و أوصياءه بعده اثنا عشرة، و أنّهم عليّ بن أبي طالب، و الحسن بن علي، و الحسين بن علي، و تسعة من ذريّة الحسين (ع)، و تنصيصه أيضا بأسمائهم (ع) كلّها، أمر معروف بين الفريقين و رووه متواترا بأسناد كثيرة و بألفاظ مختلفة، و إن شئت فلاحظ:

كتاب بحار الأنوار ج ٣، باب ٨، ص ٢٤٩ باب أن الأئمّة من ذرّية الحسين (ع)، و أيضا فيه ج ٣٦ أبواب ٤٠- ٤٨، ص ١٩٢- ٤١٨.

و كتاب إحقاق الحقّ و ملحقاته مجلد ٥، ص ٣٢- ٣٨ و أيضا ج ٤، ص ٨٧- ٨٠، و أيضا ج ١٣، ص ١- ٧٤.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ١، ص ٥٥٦

اللّه حتم الفناء على جميع خلقه، و أن اللّه اطلع على الأرض فاختار منها أباك، ثم اطلع ثانيا و اختار منها زوجك و أمرني أن أتّخذه وليا و وزيرا، و أن أجعله خليفتي في أمّتي، فأبوك خير الأنبياء، و بعلك خير الأوصياء، و أنت أول من يلحق بي من أهل بيتي، ثم أطلع ثالثة فاختارك و ولدك، و أنت سيّدة النساء، و الحسن و الحسين سيّدا شباب أهل الجنة، و ابنا بعلك أوصيائي إلى يوم القيامة، و الأوصياء بعدي علي و الحسن و الحسين ثم تسعة من ولد الحسين «١٧٠».

و روي عن جابر بن عبد اللّه أيضا أنه قال «١٧١»: لمّا نزل قوله تعالى: يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ، قلت: يا رسول اللّه عرفنا اللّه و رسوله فمن أولي الأمر الذين قرن اللّه طاعتهم بطاعتك؟

فقال (ص): هم خلفائي يا جابر، و أئمة المسلمين بعدي أوّلهم علي بن أبي طالب

---

(١٧٠) قوله: و روي عن سلمان الفارسي (رض).

رواه الصدوق في كتابه كمال الدين، الباب الرابع و العشرون الحديث ١٠، ص ٣٧٧، ج ١.

(١٧١) قوله: و روي عن جابر بن عبد الله أيضا.

رواه الصدوق (رض) في كتابه كمال الدّين ج ١ الباب الثالث و العشرون الحديث ٣، ص ٣٦٥ بإسناده عن جابر بن يزيد الجعفي قال: سمعت جابر بن عبد الله الأنصاري يقول: لمّا أنزل اللّه عزّ و جلّ على نبيّه (ص):

يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللّٰهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ [سورة النساء، الآية: ٥٩].

قلت: يا رسول اللّه عرفنا اللّه و رسوله فمن أولو الأمر الّذين قرن اللّه طاعتهم بطاعتك؟

فقال (ع):

هم خلفائي يا جابر، و أئمّة المسلمين من بعدي، أوّلهم علي بن أبي طالب ثمّ الحسن و (ثمّ) الحسين و علي بن الحسين ثمّ محمّد بن علي المعروف في التوراة بالباقر، و ستدركه يا جابر، فإذا لقيته فاقرأه منّي السّلام، ثمّ الصادق جعفر بن محمّد، ثمّ موسى بن جعفر، ثمّ علي بن موسى، ثمّ محمّد بن علي، ثمّ علي بن محمّد، ثمّ الحسن بن علي، ثمّ سميّي و كنيّي حجّة اللّه في أرضه، و بقيّته في عباده ابن الحسن بن علي، ذاك الذي يفتح اللّه- تعالى ذكره- على يديه مشارق الأرض و مغاربها، ذاك الّذي يغيب عن شيعته و أوليائه غيبته (غيبة)، لا يثبت فيها على القول بإمامته إلاّ من امتحن اللّه قلبه للإيمان.

قال جابر: فقلت له: يا رسول اللّه فهل يقع لشيعته الانتفاع به في غيبته؟ فقال (ص) أي و الّذي بعثني بالنبوّة إنّهم يستضيئون بنوره و ينتفعون بولايته في غيبته كانتفاع الناس بالشمس و إن تجلّلها سحاب يا جابر، هذا من مكنون سرّ اللّه و مخزون علم اللّه فاكتمه إلاّ عن أهله. الحديث.

رواه أيضا المجلسي في البحار ج ٣٦، باب ٤١ باب نصوص الرسول (ص) على الأئمّة

(ع) ص ۲٤۹ فراجع الباب ففيه أحاديث كثيرة.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۱، ص ۵۵۷

ثم الحسن، ثم الحسين، ثم عدّ تسعة من ولد الحسين بأسمائهم. و الأخبار في ذلك كثيرة، هذا بالنسبة إليهم مجموعهم، بقدر هذا المقام.

فأما بالنسبة إلى أمير المؤمنين خاصّة فأوّل ذلك ما رواه أخطب خوارزم عن ابن عباس قال «۱۷۲»:

قال رسول اللّه (ص): لو أن الرّياض أقلام، و البحر مداد، و الجنّ حساب و الإنس كتاب، ما أحصوا فضائل علي بن أبي طالب.

و من وصفه النبي بمثل ذلك كيف يمكن التعبير عن وصف فضائله.

و قال بعض الفضلاء، و قد سئل عن فضائله (ع) فقال: ما أقول في شخص أخفى أعداؤه فضائله حسدا له، و أخفى أولياؤه فضائله خوفا و حذرا، و ظهر فيما بين هذين فضائل طبقت الشّرق و الغرب.

و روى أخطب خوارزم عن جابر أنه قال «۱۷۳»:

---

(۱۷۲) قوله: فأوّل ذلك ما رواه أخطب خوارزم الخ.

انظر في مصادر الحديث بأسانيد مختلفة و بعبارات متفرقة إحقاق الحق و ملحقاته ج ٤، ص ۳۸۹ الحديث الأوّل من الأحاديث الجامعة و فيه: و في كتاب أنوار إرشاد الأمّة (مخطوط) ما لفظه:

قال الشافعي:

يقولون لي قل في عليّ مدائحا فإن أنا لم أفعل يقولوا معاند

إلى أن قال:

فلو أن ماء السبعة الأبحر الّتي

خلقن مدادا و السماوات كاغذ

و أشجار أرض اللّه أقلام كاتب إذا الخط أفناهن عدن عوائد

و كان جميع الجنّ و الإنس كتبا إذا كلّ منهم واحد قام واحد

و راموا جميعا منقبا اثر منقب

لما خط من تلك المناقب واحد

و قال العوفي:

و لو كانت الآجام كلّ بأسرها تقطع أقلاما و تبرى و تحضر

و كانت سماء اللّه و الأرض كاغذا

و كانت بأمر اللّه تطوى و تنشر

و كان جميع الإنس و الجنّ كتبا و كان مداد القوم سبعة أبحر

لكلت أياديهم و غار مدادهم

و لم يعط عشر العشر من فضل حيدر

فلاحظ أيضا فيه ج ١٥، ص ٦٠٩ الحديث الثاني.

[.....]

(١٧٣) قوله: و روى أخطب خوارزم عن جابر الخ.

انظر في مصادر الحديث كتاب إحقاق الحقّ و ملحقاته ج ٥، ص ١٢٩، الحديث التاسع عشر و المائة و ج ١٥، ص ٦٠٧، الفصل الثالث في مستدرك الأحاديث الجامعة، الحديث الأوّل.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ١، ص ٥٥٨

قال رسول اللّه (ص): إن اللّه تعالى جعل لأخي علي فضائل لا تحصى كثرة، فمن ذكر فضيلة من فضائله مقرّا بها غفر اللّه له ما تقدم من ذنبه و ما تأخّر، و من كتب فضيلة من فضائله لم تزل الملائكة تستغفر له ما بقي لتلك الكتابة رسم، و من استمع لفضيلة من فضائله غفر اللّه له الذنوب التي اكتسبها بالاستماع، و من نظر إلى كتاب من فضائله غفر اللّه له الذنوب التي التبسها بالنظر، ثم قال النظر إلى علي بن أبي طالب عبادة، و لا يقبل اللّه إيمان عبد إلا بولايته و البراءة من أعدائه.

و هذا على سبيل الإجمال فيه و فيهم (ع).

و أما على سبيل التفصيل فقد ذكر الشيخ الأعظم جمال الدين بن المطهّر قدّس اللّه روحه العزيز في كتاب السلطان الموسوم بكشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين، فصلا جامعا مشتملا على فضل كل واحد واحد منهم و هو مناسب بهذا المقام نذكره و نختم عليه هذا البحث و هذه المقدمة بأسرها، و هو هذا:

(مذهب الشيعة مأخوذ عن الأئمة المعصومين (ع))

اعلم أن الإمامية أخذوا مذهبهم عن الأئمة المعصومين المشهورين بالفضل و العلم و الزهد و الورع، و الاشتغال في كل وقت بالعبادة و الدعاء و تلاوة القرآن، و المداومة على ذلك، من الطفولة إلى آخر العمر الذين وردت فيهم آية الطهارة، و العصمة، و آية الابتهال، و آية الإمارة للمسلمين، و آية إيجاب المودة لهم (١٧٤).

---

(١٧٤) قوله: ورد فيهم آية الطهارة و العصمة و آية الابتهال، و آية إيجاب المودّة لهم.

أقول: و أمّا آية الطّهارة في سورة الأحزاب الكريمة ٣٣: **إِنَّمٰا يُرِيدُ اللّٰهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً.**

و أمّا الآية الكريمة العصمة و لعلّ المقصود منها الآية الكريمة ١٢٤ من سورة البقرة:

وَ إِذِ ابْتَلىٰ إِبْرٰاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمٰاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قٰالَ إِنِّي جٰاعِلُكَ لِلنّٰاسِ إِمٰاماً قٰالَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِي قٰالَ لاٰ يَنٰالُ عَهْدِي الظّٰالِمِينَ.

و أمّا الآية الكريمة الابتهال: في سورة آل عمران ٦١:

فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مٰا جٰاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعٰالَوْا نَدْعُ أَبْنٰاءَنٰا وَ أَبْنٰاءَكُمْ وَ نِسٰاءَنٰا وَ نِسٰاءَكُمْ وَ أَنْفُسَنٰا وَ أَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللّٰهِ عَلَى الْكٰاذِبِينَ.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج١، ص ٥٥٩

و أمّا الآية الامارة للمسلمين: في سورة النّساء ٥٩:

يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللّٰهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنٰازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّٰهِ وَ الرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ ذٰلِكَ خَيْرٌ وَ أَحْسَنُ تَأْوِيلاً.

و أمّا الآية إيجاب المودة لهم و هي في سورة الشورى ٢٣:

قُلْ لاٰ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبىٰ الآية.

أقول: دلالة الآية: قال لا ينال عهدي الظالمين، على العصمة في الإمام ظاهر، لأنّ الظلم صادق على المعصية و ارتكاب المحرّم و لو كان صغيرا و بما أنّ العاصي ظالم لنفسه، لقوله تعالى:

وَ مَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ [سورة البقرة، الآية: ٢٣١].

وَ مَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللّٰهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ [سورة الطلاق، الآية: ١].

و تدلّ أيضا بأنّ الإمامة العهدية المجعولة من قبل اللّه تعالى لا توجد في غير ذرّيّة إبراهيم (ع)، لأنّ اللّه تعالى ينفي الإمامة عن الظالمين من الذريّة، كأنّه يقول: إن الإمامة

توجد، و تجعل فيهم فقط و هم الّذين ينالون بهذا المقام الشريف اختصاصا و لكن للمعصومين منهم لا الظّالمين منهم، فعلى هذا لا يوجد المعصوم في غيرهم أيضا فلا يوجد الإمام العهدي في غير الذريّة.

و أعني من الإمام العهدي الّذي يكون واسطة بينه و بين خلقه في بيان شرعه و أحكامه تعالى، و هذا هو الّذي يشترط فيه العصمة حتّى عن النسيان و السهو مثل النبيّ (ص) لأن الملاك واحد، لأنّه لولا العصمة و لولا كون الإمام معصوما لن يحصل الاعتماد بقوله بأنه قول اللّه تبارك و تعالى، و هذا بيّن و ضروريّ بالعقل و الوجدان، و هذا هو مراد النبيّ (ص) في حق السبطين الحسن و الحسين (ع) في قوله: إن الحسن و الحسين إمامان قاما أو قعدا.

و نذكر هاهنا أحاديث فيها بيان لحقائق كثيرة في فضل الإمامة و حقيقتها و معارف عميقة أخرى تطلب التأمل و التعمّق جدا و بيانا و توضيحا تفصيلا و لكن ليس هنا موضعه و لا تغفل فانظر فيها نظرة مع البصيرة حتى ينكشف لك عناية من اللّه سبحانه و تعالى و نورا إلهيا و ولاية ربّانيّة إن شاء اللّه، و أمّا الأحاديث:

(أ) روى محمد بن يعقوب الكليني في اصول الكافي ج ١، ص ١٧۵، الحديث ٢ بإسناده عن زيد الشحام قال: سمعت أبا عبد اللّه (ع) يقول: إنّ اللّه تبارك و تعالى اتخذ إبراهيم عبدا قبل أن يتّخذه نبيّا، و إنّ اللّه اتّخذه نبيّا قبل أن يتّخذه رسولا، و إنّ اللّه اتّخذه رسولا قبل أن يتّخذه خليلا، و إنّ اللّه اتّخذه خليلا قبل أن يجعله إماما، فلمّا جمع له الأشياء قال: إنّي جاعلك للنّاس إماما، قال: فمن عظمها في عين إبراهيم قال: و من ذرّيّتي، قال: لا ينال عهدي الظالمين. قال:

لا يكون السفيه إمام التقيّ.

(ب) الشيخ الطوسي في الأمالي ص ٣٨٨ بإسناده عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول اللّه (ص): أنا دعوة أبي إبراهيم، قلنا: يا رسول اللّه و كيف صرت دعوة أبيك إبراهيم؟ قال: أوحى اللّه عزّ و جلّ إلى إبراهيم: إنّي جاعلك للنّاس إماما، فاستخف إبراهيم الفرح فقال:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‏١، ص ٥٦٠

يا ربّ و من ذريّتي أئمة مثلي؟ فأوحى اللّه عزّ و جلّ إليه: يا إبراهيم إنّي لا أعطيك عهدا لا أفي لك به، قال: يا ربّ ما العهد الّذي لا تفي له به؟ قال: لا أعطيك لظالم من ذرّيّتك، قال: يا ربّ و من الظالم من ولدي الّذي لا ينال عهدك؟ قال: من سجد لصنم من دوني لا أجعله إماما أبدا، و لا يصح أن يكون إماما، قال إبراهيم: و اجنبني و بني أن نعبد الأصنام، ربّ إنّهن أضللن كثيرا من الناس، قال النبيّ (ص) فانتهت الدعوة إليّ و إلى أخي عليّ لم يسجد أحد منّا لصنم قط، فاتّخذني اللّه نبيا و عليّا وصيّا.

(ج) الكليني (رض) في أصول الكافي ج ١، ص ١٩٨، باب نادر جامع في فضل الإمام و صفاته الحديث الأوّل بإسناده عن عبد العزيز بن مسلم، و أيضا الصدوق (رض) في عيون أخبار الرضا (ع) ج ١، ص ٢١٦، باب ٢٠، باب ما جاء عن الرضا (ع) في وصف الإمامة و الإمام و ذكر فضل الإمام و رتبته، الحديث الأوّل بإسناده عن عبد العزيز بن مسلم قال: كنّا في أيّام علي بن موسى الرّضا (ع) بمرو، فاجتمعنا في مسجد جامعها في يوم الجمعة في بدء مقدمنا فإذا رأي الناس (فأداروا) أمر الإمامة و ذكروا كثرة اختلاف

الناس فيها، فدخلت على سيّدي و مولاي الرضا (ع)، فأعلمته ما خاض الناس فيه، فتبسّم (ع)، ثمّ قال: يا عبد العزيز! جهل القوم و خدعوا عن أديانهم، إنّ اللّه تبارك و تعالى لم يقبض نبيّه (ص) حتى أكمل له الدين و أنزل عليه القرآن فيه تفصيل كلّ شيء، بيّن فيه الحلال و الحرام و الحدود و الأحكام، و جميع ما يحتاج إليه كملا، فقال عزّ و جلّ:

مٰا فَرَّطْنٰا فِي الْكِتٰابِ مِنْ شَيْءٍ [سورة الأنعام، الآية: ٣٨].

و أنزل في حجّة الوداع و هي آخر عمره (ص):

الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلاٰمَ دِيناً [سورة المائدة، الآية: ٣].

و أمر الإمامة من تمام الدّين، و لم يمض (ص) حتّى بين لأمته معالم دينهم، و أوضح لهم سبيلهم و تركهم على قصد الحق (على قصد سبيل الحق)، و أقام لهم عليّا (ع) علما و إماما، و ما ترك شيئا تحتاج إليه الأمّة إلاّ بيّنه، فمن زعم أن اللّه عزّ و جلّ لم يكمل دينه، فقد ردّ كتاب اللّه عزّ و جلّ، و من ردّ كتاب اللّه تعالى فهو كافر (به).

هل يعرفون قدر الإمامة و محلّها من الأمّة فيجوز فيها اختيارهم؟.

إنّ الإمامة أجل قدرا، و أعظم شأنا، و أعلى مكانا، و أمنع جانبا، و أبعد غورا، من أن يبلغها الناس بعقولهم، أو ينالوها بآرائهم، أو يقيموا إماما باختيارهم.

إنّ الإمامة خصّ اللّه (عزّ و جلّ) بها إبراهيم الخليل (ع) بعد النبوّة و الخلّة، مرتبة ثالثة و فضيلة شرّفه بها، و أشاد بها ذكره، فقال:

«إني جاعلك للنّاس إماما» فقال الخليل سرورا بها: «و من ذرّيتي» قال اللّه عزّ و جلّ: **لاٰ يَنٰالُ عَهْدِي الظّٰالِمِينَ [سورة البقرة، الآية: ١٢٤].**

فأبطلت هذه الآية إمامة كلّ ظالم إلى يوم القيامة، و صارت في الصفوة.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج١، ص ٥٦١

ثم أكرمه اللّه عزّ و جل بأن جعلها في ذريّته أهل الصفوة و الطهارة، فقال عزّ و جلّ:

وَ وَهَبْنا لَهُ إِسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ نافِلَةً وَ كُلاًّ جَعَلْنا صالِحِينَ وَ جَعَلْناهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا وَ أَوْحَيْنا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْراتِ وَ إِقامَ الصَّلاةِ وَ إِيتاءَ الزَّكاةِ وَ كانُوا لَنا عابِدِينَ [سورة الأنبياء: ٧٢- ٧٣].

فلم تزل في ذريّته يرثها بعض عن بعض، قرنا فقرنا حتّى ورّثها (اللّه تعالى) النبيّ (ص) فقال اللّه عزّ و جلّ:

إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْراهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَ هذَا النَّبِيُّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ اللّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ [سورة آل عمران، الآية: ٦٨].

فكانت له خاصّة فقلّدها (ص) عليّا (ع) بأمر اللّه عزّ و جلّ على رسم ما فرضها اللّه عزّ و جلّ، فصارت في ذريّته الأصفياء الّذين آتاهم اللّه العلم و الإيمان بقوله عزّ و جلّ:

وَ قالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَ الإِيمانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتابِ اللّهِ إِلى يَوْمِ الْبَعْثِ [سورة الروم، الآية: ٥٦].

فهي في ولد عليّ (ع) خاصّة إلى يوم القيامة، إذ لا نبيّ بعد محمّد (ص) فمن أين يختار هؤلاء الجهّال؟

إنّ الإمامة هي منزلة الأنبياء، وارث الأوصياء، إنّ الإمامة خلافة اللّه و خلافة الرسول (ص) و مقام أمير المؤمنين و ميراث الحسن و الحسين (ع).

إنّ الإمامة زمام الدّين، و نظام المسلمين، و صلاح الدنيا و عزّ المؤمنين.

إنّ الإمامة أسّ الإسلام النّامي و فرعه السامي، بالإمام تمام الصلاة و الزكاة و الصيام و الحجّ و الجهاد و توفير الفيء و الصدقات و إمضاء الحدود و الأحكام و منع الثغور و الأطراف.

الإمام يحلّ حلال اللّه، و يحرّم حرام اللّه، و يقيم حدود اللّه، و يذب عن دين اللّه، و يدعو إلى سبيل ربّه بالحكمة و الموعظة الحسنة، و الحجة البالغة.

الإمام كالشمس الطالعة للعالم (المجلّلة بنورها للعالم) و هي بالأفق بحيث لا تنالها الأيدي و الأبصار.

الإمام البدر المنير، و السراج الزّاهر، و النور الساطع، و النجم الهادي، في غياهب الدجى، و البيد القفار (و أجواز البلدان و القفار)، و لجج البحار.

الإمام الماء العذب على الظماء، و الدالّ على الهدى و المنجي من الردى.

الإمام النار على اليفاع، الحارّ لمن اصطلى به، و الدليل في المهالك، من فارقه فهالك.

الإمام السحاب الماطر، و الغيث الهاطل، و الشمس المضيئة، (و السماء الظليلة)، و الأرض البسيطة، و العين الغزيرة، و الغدير و الروضة.

الإمام الأمين (الأنيس) الرفيق، و الوالد الشفيق، و الأخ الشقيق، (و الأمّ البرّة بالولد الصغير)، و مفزع العباد في الداهية (النّاد).

الإمام أمين اللّه في خلقه، و حجّته على عباده، و خليفته في بلاده، الداعي إلى اللّه، و الذاب عن حرم اللّه.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ۱، ص ۵۶۲

الإمام المطهر من الذنوب، المبرّأ من العيوب، مخصوص بالعلم، مرسوم بالحلم، نظام الدين، و عزّ المسلمين و غيظ المنافقين و بوار الكافرين.

الإمام واحد دهره، لا يدانيه أحد، و لا يعادله عالم، و لا يوجد منه بدل، و لا له مثل، و لا له نظير، مخصوص بالفعل (بالفضل) كلّه من غير طلب منه له و لا اكتساب، بل اختصاص من المفضل الوهّاب.

فمن ذا الّذي يبلغ معرفة الإمام و يمكنه اختياره؟ هيهات هيهات ضلّت العقول، و تاهت الحلوم، و حارت الألباب، و حسرت (خسئت) العيون، و تصاغرت العظماء، و تحيّرت الحكماء، و حصرت الخطباء، و جهلت الألبّاء، و كلّت الشعراء، و عجزت الأدباء، و عييت البلغاء، عن وصف شأن من شأنه، أو فضيلة من فضائله، فأقرّت بالعجز و التقصير، و كيف يوصف له (بكلّه) أو ينعت بكنهه، أو يفهم شيء من أمره، أو يوجد من يقام مقامه و يغني غناه، لا، كيف و أنّى؟ و هو بحيث النجم من أيدي المتناولين، و وصف الواصفين، فأين الاختيار من هذا؟ و أين العقول عن هذا؟ و أين يوجد مثل هذا؟

أظنّوا أن يوجد ذلك «أ تظنّون أنّ ذلك يوجد» في غير آل الرّسول (ص)؟ كذبتهم و اللّه أنفسهم، و منتهم الباطل «الأباطيل»، فارتقوا مرتقا صعبا دحضا، تزلّ عنه إلى الحضيض أقدامهم، راموا إقامة الإمام بعقول حائرة بائرة ناقصة و آراء مضلّة، فلم يزدادوا منه إلاّ بعدا، **قٰاتَلَهُمُ اللّٰهُ أَنّٰى يُؤْفَكُونَ** [سورة التوبة، الآية: ۳۰].

(و) لقد راموا صعبا، و قالوا إفكا و، **ضَلُّوا ضَلاٰلاً بَعِيداً** [سورة النساء، الآية: ۱٦٧].

و وقعوا في الحيرة إذ تركوا الإمام عن بصيرة، **وَ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَ كانُوا مُسْتَبْصِرِينَ [سورة العنكبوت، الآية: ٣٨].**

و رغبوا عن اختيار اللّه و اختيار رسوله إلى اختيارهم، و القرآن يناديهم:

وَ رَبُّكَ يَخْلُقُ ما يَشاءُ وَ يَخْتارُ ما كانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحانَ اللهِ وَ تَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ [سورة القصص، الآية: ٦٨].

و قال عزّ و جلّ:

وَ ما كانَ لِمُؤْمِنٍ وَ لا مُؤْمِنَةٍ إِذا قَضَى اللهُ وَ رَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ [سورة الأحزاب، الآية: ٣٦].

و قال عزّ و جلّ:

ما لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ. أَمْ لَكُمْ كِتابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ. إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَما تَخَيَّرُونَ. أَمْ لَكُمْ أَيْمانٌ عَلَيْنا بالِغَةٌ إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَما تَحْكُمُونَ. سَلْهُمْ أَيُّهُمْ بِذلِكَ زَعِيمٌ. أَمْ لَهُمْ شُرَكاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكائِهِمْ إِنْ كانُوا صادِقِينَ [سورة القلم، الآية: ٣٦- ٤١].

و قال عزّ و جلّ:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ١، ص ٥٦٣

أَ فَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلى قُلُوبٍ أَقْفالُها [سورة محمد (ص)، الآية: ٢٤]، أم طَبَعَ عَلى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ [سورة التوبة، الآية: ٨٧]، أم

قَالُوا سَمِعْنَا وَ هُمْ لاٰ يَسْمَعُونَ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاٰ يَعْقِلُونَ وَ لَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيْراً لَأَسْمَعَهُمْ وَ لَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَ هُمْ مُعْرِضُونَ [سورة الأنفال، الآية: ۲۱- ۲۳]، قَالُوا سَمِعْنٰا وَ عَصَيْنٰا [سورة البقرة، الآية: ۹۳]، بل هو فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشٰاءُ وَ اللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ [سورة الحديد، الآية: ۲۱]. فكيف لهم باختيار الإمام؟ و الإمام عالم لا يجهل، (و) راع لا ينكل، معدن القدس و الطهارة و النسك و الزهادة و العلم و العبادة مخصوص بدعوة الرسول (ص)، و هو نسل المطهرة البتول لا مغمز فيه في نسب و لا يدانيه ذو حسب، فالنسب (فالبيت) (في البيت) من قريش و الذروة من هاشم، و العترة من آل الرسول، و الرضا من اللّه عزّ و جلّ، شرف الأشراف، و الفرع من عبد مناف، نامى العلم، كامل الحلم، مضطلع بالإمامة، عالم بالسياسة، مفروض الطاعة، قائم بأمر اللّه عزّ و جلّ، ناصح لعباد اللّه، إن الأنبياءِ و الأئمة صلوات اللّه عليهم يوفقهم اللّه و يؤتيهم من مخزون علمه و حكمه ما لا يؤتيه غيرهم فيكون علمهم فوق كل علم أهل زمانهم (الزمان) في قوله تعالى:

أَ فَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لاٰ يَهِدِّي إِلاّٰ أَنْ يُهْدىٰ فَمٰا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ [سورة يونس، الآية: ۳۵].

و قوله عزّ و جلّ:

وَ مَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً [سورة البقرة، الآية: ۲٦۹].

و قوله عزّ و جلّ في طالوت:

إِنَّ اللهَ اصْطَفٰاهُ عَلَيْكُمْ وَ زٰادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَ الْجِسْمِ وَ اللهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشٰاءُ وَ اللهُ وٰاسِعٌ عَلِيمٌ [سورة البقرة، الآية: ٢٤٧].

و قال عز و جلّ لنبيه (ص):

وَ كٰانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيماً [سورة النساء، الآية: ١١٣].

و قال عز و جل في الأئمة من أهل بيته (بيت نبيّه) و عترته و ذريته: أَمْ يَحْسُدُونَ النّٰاسَ عَلىٰ مٰا آتٰاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنٰا آلَ إِبْرٰاهِيمَ الْكِتٰابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ آتَيْنٰاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً. فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَ مِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَ كَفىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيراً [سورة النساء، الآية: ٥٤- ٥٥]. و إن العبد إذا اختاره اللّه عزّ و جلّ لأمور عباده شرح اللّه صدره لذلك، و أودع قلبه ينابيع الحكمة، و ألهمه العلم إلهاما، فلم يعي بعده بجواب، و لا يحيد (يحير) فيه عن الصواب، و هو معصوم مؤيد موفّق مسدّد، قد أمن الخطايا و الزلل و العثار، يخصّه اللّه بذلك ليكون حجّته على عباده، و شاهده على خلقه، و ذلك فضل اللّه يؤتيه من يشاءُ و اللّه ذو الفضل العظيم. فهل يقدرون على مثل هذا؟ فيختارونه أو يكون مختارهم بهذه الصفة فيقدموه «فيقدمونه»؟ تعدّوا، و بيت اللّه، الحق و نبذوا كتاب اللّه وراءِ ظهورهم كأنهم لا يعلمون، و في كتاب اللّه الهدى و الشفاءِ، فنبذوه و اتبعوا أهواءِهم، فذمّهم اللّه و مقّتهم و أتعسهم فقال عزّ و جلّ:

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج١، ص ۵۶۴

فاولهم علي بن أبي طالب (ع) الذي كان أفضل الخلق بعد رسول اللّه (ص)، و جعله اللّه تعالى نفس رسوله حيث قال:

وَ أَنْفُسَنٰا وَ أَنْفُسَكُمْ [سورة آل عمران: ٦١].

و واخاه الرسول (ص)، ثم جعله خليفة في حياته و بعد وفاته، و زوّجه ابنته فاطمة (ع)، و ظهرت عنه معجزات كثيرة و كرامات جمّة حتى أدّعى قوم فيه الربوبية، و صار إلى مقالتهم آخرون إلى هذه الغاية كالغلاة و النصيريّة و الإسماعيلية.

و ثانيهم و ثالثهم، الحسن و الحسين (ع) اللّذان كانا ولديه و سبطي رسول اللّه (ص)، و سيّدي شباب أهل الجنّة، و إمامين معصومين بنصّ النبيّ (ص) لقوله:

«هذان ابناي إمامان قاما أو قعدا» [قد أشرنا إليه في التعليقة ١١٠ فراجع] و كانا أزهد الناس و أعلمهم في زمانهم، و جاهدا في سبيل اللّه حتى قتلا، و كان الحسن (ع) يلبس الصوف تحت ثيابه الفاخرة من غير أن يشعر أحد بذلك، و أخذ النبي (ص) يوما الحسين على فخذه الأيمن، و ولده إبراهيم على فخذه الأيسر، فنزل عليه جبرائيل و قال:

قال اللّه تعالى: لم يكن ليجمع لك بينهما فاختر من شئت منهما، فقال إذا مات الحسين بكى عليه أنا و علي و فاطمة، و إذا مات إبراهيم بكيت أنا عليه، فاختار موت إبراهيم، فمات بعد ثلاثة أيام، و كان إذا جاء الحسين بعد ذلك يقبله و يقول:

أهلا و مرحبا بمن فديته بابني إبراهيم (١٧٥).

وَ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوٰاهُ بِغَيْرِ هُـدىً مِـنَ اللهِ إِنَّ اللهَ لاٰ يَـهْـدِي الْـقَـوْمَ الظّٰالِمِينَ [سورة القصص، الآية: ۵۰].

و قال عزّ و جلّ:

فَتَعْساً لَهُمْ وَ أَضَلَّ أَعْمٰالَهُمْ [سورة محمّد (ص)، الآية: ٨].

و قال عزّ و جلّ:

كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ وَ عِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذٰلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَـلـىٰ كُـلِّ قَـلْـبِ مُتَكَبِّرٍ جَبّٰارٍ [سورة المؤمن، الآية: ٣۵].

(١٧۵) قوله: و يقول (ص): أهلا و مرحبا بمن فديته بابني إبراهيم.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج١، ص ۵٦۵

و رابعهم، علي بن الحسين زين العابدين (ع)، و كان يصوم نهاره، و يقوم ليله، و يتلو الكتاب العزيز، و يصلي كل يوم و ليلة ألف ركعة، و يدعو بعد كل ركعتين بالأدعية المنقولة عنه و عن آبائه (ع)، ثم يرمي الصحيفة كالمتضجر و يقول:

أنّى لي بعبادة عليّ «١٧٦».

و كان كثير البكاء حتى أخذت الدموع من لحم خدّيه (١٧٧)، و سجد حتى

ذكره العلامة الحلّي (ره) في منهاج الكرامة ص ١٥، و راجع مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب ج ٣، ص ٢٣٤، و نقل عنه المجلسي في البحار ج ٢٢، ص ١٥٣، الحديث ٧، و نقل الحديث أيضا عن الطرائف ص ٥٢ نقلا عن الجمع بين الصحاح الستة عن سفيان، و انظر أيضا إحقاق الحق ج ١١، ص ٦- ٣١٥ رواه عن مناقب الكاشي ص ٢٣٩ (مخطوط) نقلا عن الحنبلي في غاية السؤال.

و الحديث على ما في البحار نقلا عن المناقب هكذا:

المناقب عن تفسير النقّاش بإسناده عن سفيان الثوري، عن قابوس بن أبي ظبيان، عن أبيه، عن ابن عباس قال: كنت عند النبي (ص) و على فخذه الأيسر ابنه إبراهيم، و على فخذه الأيمن الحسين بن عليّ، و هو تارة يقبل هذا، و تارة يقبل هذا، إذ هبط جبرائيل بوحي من ربّ العالمين، فلما سرى عنه قال: أتاني جبرائيل من ربّي فقال: يا محمّد إنّ ربّك يقرأ عليك السلام و يقول:

لست أجمعهما، فافد أحدهما بصاحبه، فنظر النبي (ص) إلى إبراهيم فبكى، و نظر إلى الحسين فبكى، و قال: إن إبراهيم أمّه أمة، و متى مات لم يحزن عليه غيري، و أمّ الحسين فاطمة، و أبوه عليّ ابن عمّي لحمي و دمي، و متى مات حزنت ابنتي، و حزن ابن عمّي، و حزنت أنا عليه، و أنا أوثر حزني على حزنهما يا جبرائيل بقبض إبراهيم فديته للحسين، قال: فقبض بعد ثلاث، فكان النبي (ص) إذا رأى الحسين مقبلا قبّله و ضمّه إلى صدره و رشف ثناياه و قال: فديت من فديته بابني إبراهيم.

(١٧٦) قوله: و كان يصوم نهاره و يقوم ليله إلى أن قال: أنّى لي بعبادة علي (ع)، الخ.

روى المفيد (ره) في الإرشاد ص ٢٥٦، بإسناده عن جابر الجعفي عن أبي جعفر (ع) قال: كان علي بن الحسين (ع) يصلي في اليوم و الليلة ألف ركعة و كانت الريح تميله بمنزلة

السنبلة.

و روى أيضا في المصدر بإسناده عن سعيد بن كلثوم عن الصادق (ع) قال: و لقد دخل أبو جعفر ابنه (ع) عليه، فإذا هو قد بلغ من العبادة ما لم يبلغه أحد فرآه قد اصفر لونه من السهر، و رمصت عيناه من البكاء و دبرت جبهته، و انخرم أنفه من السجود، و ورمت ساقاه و قدماه من القيام في الصلاة، فقال أبو جعفر (ع) فلم أملك حين رأيته بتلك الحال البكاء فبكيت رحمة عليه و إذا هو يفكّر فالتفت إليّ بعد هنيئة من دخولي، و قال يا بنيّ أعطني بعض تلك الصحف التي فيها عبادة علي بن أبي طالب (ع) فأعطيته فقرأ فيها شيئا يسيرا ثم تركها من يده تضجّرا و قال من يقوى على عبادة علي (ع).

(۱۷۷) قوله: و كان كثير البكاء .. الخ.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ۱، ص ۵۶۶

سمّي ذا الثفنات «۱۷۸»، و سمّاه رسول اللّه (ص) سيد العابدين «۱۷۹». و كان قد حجّ هشام بن عبد الملك فاجتهد أن يستلم الحجر فلم يمكنه الزّحام، فجاء زين العابدين فوقف الناس له و تنحّوا عن الحجر حتى استلمه، و لم يبق عند الحجر سواه، فقال هشام من هذا، فقال الفرزدق الشاعر:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته

و البيت يعرفه و الحلّ و الحرم



روى الصدوق (ره) في الخصال باب الخمسة الحديث ١٥، ص ٣٧٢ بسند و في أماليه ص ١٢١، الحديث ٥ من المجلس التاسع و العشرين بسند آخر بإسناده في الطريقين عن محمد بن سهل البحراني مرفوعا عن الصادق (ع) قال: البكّاؤن خمسة: آدم، و يعقوب، و يوسف، و فاطمة بنت محمّد (ص) و عليّ بن الحسين (ع) إلى أن قال: و أما علي بن الحسين فبكى على الحسين (ع) عشرين سنة أو أربعين سنة «الترديد من الراوي» ما وضع بين يديه طعام إلا بكى حتى قال له مولى له: جعلت فداك يا ابن رسول اللّه إنّي أخاف عليك أن تكون من الهالكين، قال: **إِنَّمٰا أَشْكُوا بَثِّي وَ حُزْنِي إِلَى اللّٰهِ وَ أَعْلَمُ مِنَ اللّٰهِ مٰا لاٰ تَعْلَمُونَ [سورة يوسف، الآية: ٨٦]. إني ما (لم) أذكر مصرع بني فاطمة إلا خنقتني لذلك عبرة.**

(١٧٨) قوله: و سجد حتى سمّى ذا الثفنات ... الخ.

الصدوق في علل الشرائع ج ١، باب ١٦٧، الحديث ١، ص ٢٣٣ بإسناده عن محمد بن إسماعيل بن موسى بن جعفر (ع) عن أبيه، عن آبائه، عن محمد بن علي الباقر (ع) قال: كان لأبي (ع) في موضع سجوده آثار ناتئة، و كان يقطعها في السنة مرتين في كل مرة خمس ثفنات، فسمّى ذا الثفنات لذلك. [.....]

(١٧٩) قوله: و سماه رسول اللّه (ص) سيّد العابدين.

في علل الشرائع للصدوق (ره) ج ١، باب ١٦٥، الحديث ١، ص ٣٢٩ بإسناده عن ابن عباس، عن رسول اللّه (ص) قال: إذا كان يوم القيامة ينادي مناد أين زين العابدين فكأني أنظر إلى ولدي علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب يخطو بين الصفوف.

و روى الصدوق أيضا في كمال الدين باب ٢٤، الحديث ٣، ص ٣٧١ بإسناده عن أبي حمزة الثمالي، عن الصادق (ع) عن أبيه، عن آبائه (ع) عن رسول اللّه (ص) قال: حدثني جبرائيل عن ربّ العزّة جلّ جلاله أنه قال: من علم أنه لا إله إلا أنا وحدي، و أن محمدا عبدي و رسولي، و أن عليّ بن أبي طالب خليفتي، و أن الأئمة من ولده حججي أدخلته الجنّة برحمتي إلى أن قال: فقام جابر بن عبد الله الأنصاري فقال: يا رسول اللّه و من الأئمة من ولد عليّ بن أبي طالب؟ قال:

الحسن و الحسين سيّدا شباب أهل الجنة، ثم سيّد العابدين في زمانه علي بن الحسين، ثم الباقر محمّد بن علي و ستدركه يا جابر فإذا أدركته فاقراه مني السلام، ثم الصادق جعفر بن محمد، ثم الكاظم موسى بن جعفر، ثم الرضا علي بن موسى، ثم التقيّ محمد بن علي، ثم النقي علي بن محمّد، ثم الزكي الحسن بن علي، ثم ابنه القائم بالحق مهدي أمتي الذي يملأ الأرض قسطا و عدلا كما ملئت جورا و ظلما الحديث.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ١، ص ٥٦٧

هذا ابن خير عباد اللّه كلهم ‌ ‌ ‌ هذا التّقي النّقي الطّاهر العلم

يكاد يمسكه عرفان راحته ‌ ‌ ‌ ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم

إذا رأته قريش قال قائلها ‌ ‌ ‌ إلى مكارم هذا ينتهي الكرم

إن عدّ أهل التّقى كانوا أئمتهم

أو قيل من خير أهل الأرض قيل هم

هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله بجده أنبياء اللّه قد ختموا

(و ليس قولك من هذا بضائره
العرب تعرف من أنكرت و العجم)

يغضى حياء و يغضى من مهابته
فما يكلّم إلا حين يبتسم

ينشق نور الهدى عن صبح غرّته
كالشمس تنجاب عن إشراقها الظّلم

مشتقة من رسول اللّه نبعته
طابت عناصره و الخيم و الشيم

اللّه فضّله قدما و شرّفه جرى بذاك له في لوحة القلم

من معشر حبّهم دين و بغضهم كفر و قربهم ملجإ و معتصم

لا يستطيع جواد بعد غايتهم و لا يدانيهم قوم و إن كرموا

هم الغيوث إذا ما أزمة أزمت
و الأسد أسد الشرى و الرأي محتدم

لا ينقص العسر بسطا من أكفّهم
سيّان ذلك إن أثروا و إن عدموا

ما قال لا قط إلا في تشهده لولا التشهد كانت لاءه نعم

يستدفع السّوء و البلوى بحبّهم و يسترب به الإحسان و النعم

مقدّم بعد ذكر اللّه ذكرهم في كلّ بدء و مختوم به الكلم

من يعرف اللّه يعرف أولية ذا فالدين من بيت هذا ناله الأمم

فغضب هشام و أمر بحبس الفرزدق بين مكّة و المدينة، فبعث إليه الإمام زين العابدين (ع) ألف دينار فردّها و قال: إنما قلت هذا غضبا للّه و لرسوله فما أخذ عليه أجرا، فقال علي بن الحسين (ع): نحن أهل بيت لا يعود إلينا ما خرج منّا فقبلها الفرزدق (۱۸۰).

(۱۸۰) قوله: و كان قد حج هشام بن عبد الملك إلى أن قال: فقال علي بن الحسين (ع): نحن أهل بيت لا يعود إلينا ما خرج منّا فقبلها الفرزدق.

أقول: هذا هو ما جرى بين الفرزدق و هشام بن عبد الملك في تعريف الإمام المعصوم علي بن الحسين زين العابدين عليه و على آبائه و أبنائه آلاف التحية و السلام في موسم الحج حين حج هشام و الفرزدق و رأى هشام عدم اعتناء المسلمين به و لكنهم محبّون حقا و صدقا للإمام (ع) و هو

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۱، ص ۵۶۸

و خامسهم محمّد الباقر (ع) و هو ابنه و كان أعظم الناس زهدا و عبادة بقر السجود جبهته، و كان أعلم أهل وقته، سمّاه رسول اللّه (ص) الباقر، و جاء جابر بن عبد الله الأنصاري إليه و هو صغير في الكتاب، فقال له: جدّك رسول اللّه (ص)، يسلّم عليك، فقال: و على جدّي السلام، فقيل لجابر كيف هذا قال كنت جالسا عند رسول اللّه (ص)، و الحسين في حجره و هو يلاعبه، فقال: يا جابر يولد له مولود اسمه محمّد الباقر إنه يبقر العلم

بقرا، فإذا أدركته فاقرأه منّي السلام «۱۸۱».

و سادسهم، الصّادق (ع) و هو ابنه و كان أفضل أهل زمانه و أعبدهم، قال علماء السيرة أنه اشتغل بالعبادة عن طلب الرّياسة، قال عمرو بن أبي المقدام «۱۸۲»: كنت إذا نظرت إلى جعفر بن محمد علمت أنه من سلالة النبيّين، و هو الذي نشر فقه الإمامية و المعارف الحقيقية و العقائد اليقينية، و كان لا يخبر بأمر

محبوبهم و بذلك تنحى الناس له (ع) في المواقع و لكنه مع قدرته الظاهرة لم يقدر على العبور بين الناس و لم يقدر على الاستلام من الزحام و بذلك قال حاسدا و بالكذب و التجاهل لخوفه أن يرغب عنه أهل الشام: أنا لا أعرفه و كان الفرزدق حاضرا قال و لكنّي أنا أعرفه بتأكيد منه ثلاثا- لكنّي أنا أعرفه- و أنشد القصيدة المعروفة المذكورة في الكتاب و ذكر الواقعة جمع كثير من المورخين و المحدّثين من الفريقين في مؤلّفاتهم، منها وفيّات الأعيان لابن خلّكان ج ٦، ص ۹٥، شذرات الذّهب لابن العماد الحنبلي ج ١، ص ١٤٢، كشف الغمّة لعلي بن عيسى الأربلي ج ٢، ص ٢٦٧، المناقب لابن شهر آشوب ج ٤، ص ١٦٩، حياة الحيوان الكبرى لكمال الدين الدميري ج ١، ص ٩، أمالي الشريف السيّد المرتضى ج ١، ص ٦٩. الخرائج و الجرائح لقطب الدّين الرّاوندي ص ٢٤٠.

الإختصاص للشيخ المفيد (ره) ص ١٩١، البحار للمجلسي رحمه اللّه ج ٤٦، ص ١٢٤، و منهاج الكرامة للعلاّمة الحلّي ص ١٦.

و راجع جميع الأشعار في المصادر المذكورة، و قد تقدّم منّا بعض الكلام في ترجمة

الفرزدق في تعليقنا رقم ١٦٢.

(١٨١) قوله: و جاء جابر بن عبد اللّه الأنصاري إليه و هو صغير ... الخ.

رواه الصدوق في كتابه علل الشرائع باب ١٦٨، ص ٢٣٣، الحديث ١، و رواه أيضا في أماليه المجلس السادس و الخمسون ص ٢٨٩، الحديث ٩، و ذكره الاربلي في كشف الغمة ج ٢، ص ٣٢١، و انظر أيضا بحار الأنوار ج ٤٦، باب ٣ تاريخ الإمام محمد الباقر صلوات اللّه عليه ص ٢٢٣.

(١٨٢) قوله: قال عمرو بن أبي المقدام ... الخ.

رواه الأربلي في كشف الغمة مرسلا ج ٢، ص ٣٧٩ و نقل عنه المامقاني في رجاله تنقيح المقال ج ٢، ص ٣٢٩ ذيل ترجمة الرجل. و ذكره العلامة في منهاج الكرامة ص ١٧.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ١، ص ۵۶۹

إلا وقع و به سمّوه الصادق الأمين، و كان عبد اللّه بن الحسن جمع أكابر «١٨٣» العلويّين للبيعة لولديه، فقال له الصادق (ع): إن هذا الأمر لا يتم، فاغتاظ من ذلك فقال: إنه لصاحب القباء الأصغر، و أشار بذلك إلى المنصور، فلما سمع المنصور بذلك فرح لعلمه بوقوع ما يخبر به و علم أن الأمر يصل إليه، و لما هرب كان يقول:

أين قول صادقهم، و بعد ذلك انتهى الأمر إليه.

و سابعهم موسى الكاظم (ع) و هو ابنه و كان يدعى بالعبد الصالح، و كان أعبد أهل وقته يقوم الليل و يصوم النهار، سمّي الكاظم لأنه كان إذا بلغه عن أحد شيء بعث إليه بمال، و نقل فضله المخالف و المؤالف، قال ابن

الجوزي- من الحنابلة «١٨٤»- عن شقيق البلخي قال: خرجت حاجّا في سنة تسع و أربعين و مائة، فنزلت القادسية، فإذا شاب حسن الوجه شديد السمرة، عليه ثوب صوف مشتمل بشملة، في رجليه نعلان، و قد جلس منفردا عن الناس، فقلت في نفسي: هذا الفتى من الصوفية يريد أن يكون كلاّ على الناس، و اللّه لأمضينّ إليه و أوبّخنّه، فدنوت منه فلمّا رآني مقبلا قال: يا شقيق اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ [سورة الحجرات: ١٢].

---

(١٨٣) قوله: و كان عبد الله بن الحسن جمع أكابر ... الخ.

ذكره الشيخ المفيد (ره) في الإرشاد باب طرف من أخبار أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق (ع)، ص ٢٧٦ نقلا عن كتاب مقاتل الطالبيين لأبي الفرج علي بن الحسين بن محمد الأصفهاني بخطّه، بإسناده عن عبد الله بن محمد بن علي (ع) قال المفيد في ذيله إنّ الحديث مشهور لا تختلف العلماء بالآثار في صحّته و هو مما يدل على إمامة أبي عبد الله الصادق (ع) و أن المعجزات كانت تظهر على يده لإخباره بالغايات و الكائنات قبل كونها كما كان يخبر الأنبياء (ع) فيكون ذلك من آياتهم و علامات نبوّتهم و صدقهم على ربّهم عزّ و جلّ.

ذكره أيضا المجلسي في بحار الأنوار ج ٤٧، ص ١٢٠ نقلا عن الخرائج و الجرائح. و ذكره العلامة في مفتاح الكرامة ص ١٨.

(١٨٤) قوله: قال ابن الجوزي- من الحنابلة- عن شقيق البلخي ... الخ.

و هو جمال الدين أبو الفرج، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن أحمد بن محمّد بن جعفر الجوزي القرشي التيمي البكري البغدادي الفقيه الحنبلي، الواعظ الحافظ، المتوفى سنة سبع و تسعين و خمسمائة. و له كتب كثيرة منها: صفوة الصفوة، و ذم الهوى، و الأذكياء، و ذكر واقعة شقيق البلخي في صفوة الصفوة ج ۲، ص ۱۰٤. و ذكرها أيضا علي بن عيسى الأربلي في كشف الغمّة ج ۳، ص ٤، و المجلسي في البحار عنه و عن غيره من الفريقين فراجع ج ٤٨، ص ۸۰.

و ذكرها العلاّمة الحلّي في منهاج الكرامة ص ۱۹.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۱، ص ۵۷۰

فقلت: في نفسي هذا عبد صالح قد نطق على ما في خاطري لألحقنّه و لأسألنّه أن يجيبني، فغاب عن عيني، فلمّا نزلنا واقصة، فإذا به يصلّي و أعضاؤه تضطرب و دموعه تتحادر، فقلت أمضي إليه و اعتذر فأوجز صلاته، ثم قال:

يا شقيق، وَ إِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تٰابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ صٰالِحاً ثُمَّ اهْتَدىٰ [سورة طه: ۸۲].

فقلت هذا من الأبدال قد تكلّم على سرّي مرّتين، فلمّا نزلنا زبالة، إذا به قائم على البئر و بيده ركوة يريد أن يستقي ماء، فسقطت الرّكوة في البئر، فرفع طرفه إلى السّماء و قال:

أنت ربّي إذا ظمئت إلى الماء و قوّتي إذا أردت الطعاما

يا سيّدي مالي سواها، قال شقيق: فواللّه لقد رأيت البئر قد ارتفع ماؤه فأخذ الرّكوة و ملأها ماء، و توضّأ و صلّى أربع ركعات، ثمّ مال إلى كثيب رمل هناك، فجعل يقبض بيده و يطرحه في الرّكوة و يشرب، فقلت: اطعمني من فضل ما رزقك اللّه، أو أنعم اللّه عليك، فقال: يا شقيق! لم تزل نعم اللّه علينا ظاهرة و باطنة، فأحسن ظنّك بربّك، ثمّ ناولني الرّكوة، فشربت منها فإذا سويق و سكّر، ما شربت و اللّه ألذّ منه و لا أطيب ريحا، فشبعت و رويت و أقمت أيّاما لا أشتهي طعاما و لا شرابا، ثمّ لم أره حتّى دخل مكّة، فرأيته ليلة

إلى جانب قبّة الشّراب نصف الليل يصلي بخشوع و أنين و بكاء فلم يزل كذلك، حتّى ذهب اللّيل، فلمّا طلع الفجر جلس في مصلاّه يسبّح ثمّ قام إلى صلاة الفجر و طاف بالبيت أسبوعا و خرج فتبعته فإذا له حاشية و أموال و غلمان و هو على خلاف ما رأيته في الطّريق و دار به النّاس، يسلّمون عليه و يتبرّكون به، فقلت لبعضهم: من هذا، فقال: موسى بن جعفر، فقلت: قد عجبت أن تكون هذه العجائب إلاّ لمثل هذا السيّد. هذا رواه الحنبلي.

و على يده (ع) تاب بشر الحافي، لأنّه (ع) اجتاز على داره ببغداد فسمع الملاهي و أصوات المغاني و القصب، تخرج من تلك الدّار، فخرجت جارية و بيدها قمامة البقل، فرمت به في الدّرب، فقال لها: يا جارية! صاحب هذا الدّار حرّ أم عبد؟ قالت بل حرّ، فقال: لو كان عبدا لخاف من مولاه، فلمّا دخلت قال

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج‌١، ص ۵٧١

مولاها: و هو على مائدة السّكر: ما أبطأك علينا فقالت: حدّثني رجل بكذا و كذا، فخرج حافيا حتّى لقي مولانا الكاظم (ع) فتاب على يده «١٨۵».

و ثامنهم، علي بن موسى الرّضا (ع) و كان أزهد أهل زمانه و أعلمهم، و أخذ عنه فقهاء الجمهور كثيرا، و ولاّه المأمون لعلمه بما هو عليه من الكمال و الفضل، و وعظ يوما أخاه زيدا (١٨٦)، فقال له: يا زيد ما أنت قائل لرسول اللّه (ص) إذا

(۱۸۵) قوله: فخرج حافيا حتى لقي مولانا الكاظم (ع) ... الخ.

ذكره العلاّمة الحلّي في كتابه منهاج الكرامة ص ۱۹ و قال: و على يده تاب بشر الحافي لأنه (ع) اجتاز على داره في بغداد فسمع الملاهي و أصوات الغناء و القصب و الرقص تخرج من تلك الدار، فخرجت جارية ... و بيدها قمامة النقل (البقل) فرمت به في الدرب فقال لها يا جارية! صاحب هذا الدار حرّ أم عبد؟ فقالت بل حرّ، فقال (ع) صدقت لو كان عبدا خاف من مولاه، فلما أخذت الماء و رجعت و دخلت عليه، قال مولاها و هو على مائدة المسكر: ما أبطأك علينا، فقالت:

حدّثني رجل بكذا و كذا فخرج حافيا حتّى لقي مولانا الكاظم (ع) و اعتذر و بكى و استحيى من فعله و عمله منه فتاب على يده.

(۱۸٦) قوله: و وعظ يوما أخاه زيدا ... الخ.

ذكره العلامة الحلّي في مفتاح الكرامة ص ۱۹.

و ذكره الأربلي في كشف الغمّة ج ۳، ص ۱۴۸، نقلا عن تذكرة ابن حمدون مع تفاوت يسير.

و رواه الصدوق في عيون أخبار الرضا ص ۲۳۲، باب ۵۸، الحديث ۱ بإسناده عن الحسن بن موسى بن علي الوشاء البغدادي، قال: كنت بخراسان مع علي بن موسى الرضا (ع) في مجلسه و زيد بن موسى حاضر، قد أقبل على جماعة في المجلس يفتخر عليهم و يقول: نحن و نحن، و أبو الحسن (ع) مقبل على قوم يحدثهم، فسمع مقالة زيد، فالتفت إليه، فقال: يا زيد أغرّك قول ناقلي الكوفة: إن فاطمة (ع) أحصنت فرجها، فحرم اللّه ذريتها على النار، فواللّه ما ذاك إلا للحسن و الحسين ولد بطنها خاصة، فأما أن يكون موسى بن جعفر (ع) يطيع اللّه، و يصوم نهاره، و يقوم ليله، و تعصيه أنت ثم تجيئان يوم

القيامة سواء؟! لأنت أعزّ على اللّه عزّ و جلّ منه، إنّ علي بن الحسين (ع) كان يقول: لمحسننا كفلان من الأجر، و لمسيئنا ضعفان من العذاب، قال الحسن الوشاء: ثم التفت إلي، فقال لي: يا حسن كيف تقرءون هذه الآية؟: **قٰالَ يٰا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صٰالِحٍ [سورة هود، الآية: ٤٦]. فقلت: من الناس من يقرأ إنّه عمل غير صالح، فمن قرأ انه عمل غير صالح فقد نفاه عن أبيه، فقال (ع): كلا لقد كان ابنه، و لكن لما عصى اللّه عزّ و جلّ نفاه عن أبيه، كذا من كان منا لم يطع اللّه عزّ و جلّ فليس منا، و أنت إذا أطعت اللّه عز و جل فأنت منا أهل البيت.**

أقول: قال الشريف المرتضى في أماليه ج ۱، ص ۵۲، المجلس ۳۱ بعد أن ذكر وجوها في تأويل الآية الكريمة:

فأما قوله تعالى: **إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صٰالِحٍ فالقراءة المشهورة بالرفع، و قد روى عن جماعة من**

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ۱، ص ۵۷۲

سفكت الدّماء و أخفت السبيل، و أخذت الأموال من غير حلّها، غرّك حمقا أهل الكوفة، و قد قال رسول اللّه (ص) إنّ فاطمة أحصنت فرجها فحرّم اللّه ذرّيتها على

المتقدمين أنهم قرأوا: إنّه عمل غير صالح بنصب اللام و كسر الميم و نصب غير و لكل

وجه، فأما الوجه في الرفع فيكون على تقدير: أن ابنك ذو عمل غير صالح، و صاحب عمل غير صالح، فحذف المضاف، و أقام المضاف إليه مقامه، إلى أن قال:

فأما القراءة بنصب اللام فقد ضعّفها قوم و قالوا: كان يجب أن يقال: إنه عمل عملا غير صالح، لأن العرب لا تكاد تقول هو يعمل غير حسن، حتى يقولوا: عملا غير حسن، و ليس وجهها بضعيف في العربية، لأن من مذهبهم الظاهر إقامة الصفة مقام الموصوف عند انكشاف المعنى و زوال اللبس، فيقول القائل: قد فعلت صوابا، و قلت حسنا، بمعنى فعلت فعلا صوابا و قلت قولا حسنا.

و قال شيخ الطائفة الطوسي في التبيان ج ۵، ص ٤٩٤:

قرأ الكسائي و يعقوب: إنه عمل غير صالح، على الفعل، و نصب (غير) الكسائي، الباقون (عمل) اسم مرفوع منوّن، (غير) رفع. إلى أن قال:

في هذه الآية حكاية عمّا أجاب اللّه به نوحا حين سأله نجاة ابنه بأن قال له: يا نوح إنه ليس من أهلك، و قيل في معناه ثلاثة أقوال:

أحدها- قال ابن عباس و سعيد بن جبير و الضحاك و أكثر المفسّرين: إنه ليس من أهلك الذين و عدتك بنجاتهم معك، و إنه كان ابنه لصلبه، بدلالة قوله: و نادى نوح ابنه، فأضافه إليه إضافة مطلقة.

و الثاني، إنه أراد بذلك أنه ليس من أهل دينك، كما قال النبي (ص): سلمان منا أهل البيت، و إنما أراد على ديننا. (قد مرّ منا مصادره في التعليقة الرقم ١١١).

ثالثها، قال الحسن و مجاهد: إنه كان لغيره و ولد على فراشه، فسأل نوح على الظاهر فأعلمه اللّه باطن الأمر، فنفاه منه على ما علمه، فيكون على هذا هو نفسه عمل غير صالح ... الخ.

أقول: ذكرنا هذين عن المرتضى و الطوسي (رضي اللّه عنهما) توضيحا للحديث.

و أيضا في معناه و مضمونه حديثين آخرين في العيون الحديث ٤، ص ٢٣٤ و الحديث ٦، ص ٢٣٥ من الباب فراجع.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ١، ص ٥٧٣

النّار، و اللّه ما نالوا ذلك إلاّ بطاعته، إنك إذن لأكرم على اللّه منهم. و ضرب المأمون اسمه على الدّراهم و الدنانير، و كتب إلى الآفاق ببيعته، و طرح السّواد و لبس الخضرة «١٨٧». و قيل لأبي نواس لم لا تمدح الرّضا (ع) فقال:

قيل لي أنت أفضل النّاس طرا   في المعاني و في الكلام النبيه

فلما ذا تركت مدح ابن موسى   و للخصال الّتي تجمعنّ فيه

قلت: لا أستطيع مدح إمام   كان جبريل خادما لأبيه

«١٨٨» و تاسعهم ولده محمد الجواد (ع)، و كان على منهاج أبيه في العلم و التّقى و الجود، و لما مات أبوه الرّضا (ع)، شغف به المأمون لكثرة علمه و دينه و وفور عقله مع صغر سنّه، فأراد أن يزوّجه ابنته أمّ الفضل و كان قد زوّج أباه الرّضا (ع) بابنته أمّ حبيب، فغلظ ذلك على العباسيّين و استكبروه و خافوا أن يخرج الأمر منهم و أن يبايعه كما بايع أباه، فاجتمع الأدنون منه

و سألوه ترك ذلك و قالوا إنّه صغير لا علم عنده، فقال: أنا أعرف به فإن شئتم امتحنوه فرضوا بذلك و جعلوا للقاضي يحيى بن أكثم مالا كثيرا على امتحانه في مسألة يعجزه فيها فتواعدوا إلى يوم، فأحضره المأمون و حضر القاضي و جماعة العباسيّين، فقال القاضي: أسألك عن شيء، فقال له (ع): سل، فقال: ما تقول في محرم قتل صيدا، فقال له الإمام (ع): قتله في حلّ أو حرم، عالما أو جاهلا، مبتديا بقتله أو عائدا، من صغار الصّيد أم من كبارها، عبدا كان المحرم أو حرّا، صغيرا كان أو كبيرا، من ذوات

(۱۸۷) قوله: و ضرب المأمون اسمه على الدّراهم ... الخ.

قال المسعودي في مروج الذهب ج ۳، ص ۴۴۰.

المأمون و علي بن موسى الرضا (ع): و وصل إلى المأمون أبو الحسن علي بن موسى الرضا، و هو بمدينة مرو، فأنزله المأمون أحسن إنزال، و أمر المأمون بجميع خواص الأولياء، و أخبرهم أنه نظر في ولد العباس رضي اللّه عنهم، فلم يجد في وقته أحدا أفضل و لا أحق بالأمر من علي بن موسى الرضا، فبايع له بولاية العهد، و ضرب اسمه على الدنانير و الدراهم، و زوّج محمد بن علي بن الرضا بابنته أمّ الفضل، و أمر بإزالة السواد من اللباس و الأعلام و أظهر بدلا من ذلك الخضرة في اللباس و الأعلام و غير ذلك.

(۱۸۸) قوله: و قيل لأبي نواس لم لم تمدح الرضا (ع) ... الخ.

أقول: ذكر الصدوق (ره) في عيون أخبار الرضا ج ۲، ص ۱۴۲، باب ۴۰، الحديث ۹ بإسناده عن محمّد بن سليمان النوفلي، قال: إن المأمون لما جعل علي بن موسى الرضا (ع) ولي عهده و أن الشعراء قصدوا المأمون و وصلهم بأموال جمّة حين مدحوا الرضا (ع) و صوبوا رأي المأمون في الأشعار دون أبي نواس إذ أنه لم يقصده و لم يمدحه، و دخل على المأمون، فقال له: يا أبا نواس قد علمت مكان علي بن موسى الرضا منّي و ما أكرمته به، فلما ذا أخرت مدحه و أنت شاعر زمانك و قريع دهرك؟ فأنشد يقول:

قيل لي أنت أوحد الناس طرا في فنون من الكلام النبيه

لك من جوهر الكلام بديع   يثمر الدر في يدي مجتنيه

فعليّ من جوهر الكلام بديع   و الخصال التي تجمعن فيه

قلت لا أهتدي لمدح إمام   كان جبريل خادما لأبيه

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ١، ص ۵٧۴

الطّير كان الصّيد أم من غيرها، فتحيّر يحيى بن أكثم و بان العجز في وجهه حتّى عرف جماعة أهل المجلس أمره، فقال المأمون لأهل بيته: عرفتم الآن ما كنتم تنكرونه، ثمّ أقبل على الإمام فقال: أ تخطب؟ فقال: نعم فقال: أخطب لنفسك خطبة النكاح، فخطب و عقد على خمسمائة درهم جيادا مهر جدّته فاطمة (ع)، ثمّ تزوّج بها «١٨٩».

و عاشرهم عليّ بن محمّد الهادي (ع)، و يقال له العسكري لأنّ المتوكّل

أشخصه من المدينة إلى بغداد، ثمّ منها إلى سرّ من رأى، فأقام بموضع عندها يقال له العسكر ثمّ منها إلى سرّ من رأى فأقام بها عشرين سنة و تسعة أشهر، و إنّما أشخصه المتوكّل لأنّه كان يبغض عليّا (ع)، فبلغه مقام علي بالمدينة و ميل النّاس إليه فخاف منه فدعا يحيى بن هرثمة و أمره بأشخاصه فضج أهل المدينة لذلك خوفا عليه لأنّه كان محسنا إليهم ملازما للعبادة في المسجد فحلف لهم يحيى أنّه لا مكروه عليه ثمّ فتش منزله فلم يجد فيه سوى مصاحف و أدعية و كتب العلم فعظم في عينه و تولّى خدمته بنفسه فلمّا قدم بغداد بدأ بإسحاق بن إبراهيم الطاهري والي بغداد فقال له يا يحيى هذا الرّجل قد ولده رسول اللّه (ص) و المتوكّل من تعلم فإن حرّضته عليه قتله و كان رسول اللّه (ص) خصمك يوم القيامة فقال له يحيى و اللّه ما وقفت منه إلاّ على خير فلمّا دخلت على المتوكّل أخبر به بحسن سيرته و ورعه و زهده فأكرمه المتوكّل ثمّ مرض المتوكّل فنذر إن عوفي يتصدّق بدراهم كثيرة فسأل الفقهاء عن ذلك فلم يجد عندهم جوابا فبعث إلى عليّ الهادي (ع) سأله فقال تصدّق بثلاثة و ثمانين درهما فسأله المتوكّل عن السّبب فقال لقوله تعالى:

---

(۱۸۹) قوله: و لما مات أبوه الرضا (ع)، شغف به المأمون ... الخ.

ذكره العلامة الحلّي في منهاج الكرامة ص ۲۰.

رواه علي بن إبراهيم القمي (ره) في تفسيره عن محمد بن الحسين (الحسن) عن محمد

بن عون النصيبي ج ۱، ص ۱۸۲ ذيل الآية:

يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاٰ تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَ أَنْتُمْ حُرُمٌ [سورة المائدة، الآية: ٩٥].

و ذكره أيضا تفصيلا المفيد (ره) في الإرشاد، عن الحسن بن محمد بن سليمان عن علي بن إبراهيم بن هاشم عن أبيه عن الريّان ابن شبيب، ص ۳۱۹ باب طرف من الأخبار عن مناقب أبي جعفر (ع) و دلائله و معجزاته.

و ذكره أيضا بتفصيله الطبرسي في الاحتجاج ج ۲، ص ۲٤۰ عن الريّان بن صلت، فراجع.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ۱، ص ٥٧٥

لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّٰهُ فِي مَوٰاطِنَ كَثِيرَةٍ [سورة التوبة: ٢٥]. و كانت المواطن هذه الجملة، قال: النبيّ (ص) غزا سبعا و عشرين غزاة و بعث ستّا و خمسين سريّة.

قال المسعودي: نمى «۱۹۰» إلى المتوكّل بعليّ بن محمّد أنّ في منزله سلاحا من شيعته من أهل قم و أنّه عازم على الملك فبعث إليه جماعة من الأتراك فهجموا على داره (ع) ليلا فلم يجدوا فيها شيئا و وجدوه في بيت مغلق عليه و هو يقرأ و عليه مدرعة صوف و هو جالس على الرّمل و الحصى متوجّها إلى اللّه تعالى فحمل على حالته تلك إلى المتوكّل فأدخل عليه و هو في مجلس الشراب، و الكأس في يد المتوكّل،

(۱۹۰) قوله: نمى إلى المتوكل بعلي بن محمد (ع) ... الخ.

ذكره المسعودي في كتابه مروج الذهب ج ٤، ص ١١، قال فيه: و قد كان سعى بأبي الحسن علي بن محمّد إلى المتوكّل، و قيل له: إن في منزله سلاحا و كتبا و غيرها من شيعته، فوجه إليه ليلا من الأتراك و غيرهم من هجم عليه في منزله على غفلة ممن في داره، فوجده في بيت وحده مغلق عليه، و عليه مدرعة من شعر، و لا بساط في البيت إلا الرمل و الحصى، و على رأسه ملحفة من الصوف متوجها إلى ربه يترنّم بآيات من القرآن في الوعد و الوعيد، فأخذ على ما وجد عليه، و حمل إلى المتوكّل في جوف الليل، فمثل بين يديه و المتوكل يشرب و في يده كأس، فلما رآه أعظمه و أجلسه إلى جنبه و لم يكن في منزله شيء ممّا قيل فيه، و لا حالة يتعلل عليه بها، فناوله المتوكّل الكأس الذي في يده، فقال: يا أمير المؤمنين! ما خامر لحمي و دمي قط، فأعفني منه، فعافاه، و قال: أنشدني شعرا أستحسنه، فقال: إني لقليل الرواية للأشعار، فقال: لا بد أن تنشدني فأنشده:

باتوا على قلل الأجبال تحرسهم

غلب الرجال فما أغنتهم القلل

و استنزلوا بعد عزّ عن معاقلهم فأودعوا حفرا، يا بئس ما نزلوا

ناداهم صارخ من بعد ما قبروا

أين الأسرة و التيجان و الحلل؟

أين الوجوه التي كانت منعمة

من دونها تضرب الأستار و الكلل

فأفصح القبر عنهم حين ساءلهم

تلك الوجوه عليها الدود يقتتل

قد طالما أكلوا دهرا و ما شربوا

فأصبحوا بعد طول الأكل قد أكلوا

و طالما عمروا دورا لتحصنهم

ففارقوا الدور و الأهلين و انتقلوا

و طالما كنزوا الأموال و ادخروا

فخلفوها إلى الأعداء و ارتحلوا

أضحت منازلهم قفرا معطلة

و ساكنوها إلى الأجداث قد رحلوا

قال: فأشفق كل من حضر على علي، و ظن أن بادرة تبدر منه إليه، قال: و اللّه لقد بكى المتوكل بكاء طويلا حتى بلت دموعه لحيته، و بكى من حضره، ثم أمر برفع الشراب.

[.....]

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج۱، ص ۵۷۶

فعظمه و أجلسه إلى جانبه و ناوله الكأس، فقال: و اللّه ما خامر لحمي و دمي قطّ، فاعفني فأعفاه و قال له أسمعني صوتا فقال (ع): كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَ عُيُونٍ الآيات [سورة الدخان: ۲۵].

فقال: أنشدني شعرا فقال: إنّي قليل الرّواية للشّعر، فقال: لا بدّ من ذلك فأنشده:

باتوا على قلل الأجبال تحرسهم

غلب الرّجال فما أغنتهم القلل

و استنزلوا بعد عز عن معاقلهم

و أسكنوا حفرا يا بئس ما نزلوا

ناداهم صارخ من بعد دفنهم

أين الأساور و التّيجان و الحلل

أين الوجوه الّتي كانت منعّمة

من دونها تضرب الأستار و الكلل

فأفصح القبر عنهم حين سائله

تلك الوجوه عليها الدود يقتتل

قد طال ما أكلوا دهرا و قد شربوا

فأصبحوا بعد طول الأكل قد أكلوا

فبكى المتوكّل حتّى بلّت دموعه لحيته.

و الحادي عشر منهم ولده الحسن العسكري (ع)، و كان عالما فاضلا زاهدا أفضل أهل زمانه روت عنه العامّة كثيرا و الخاصّة كذلك و من جملتها ما روت الثقات بالأسانيد الصحيحة من كلامه مشافهة «۱۹۱» و هو قوله:

قد صعدنا ذرى الحقائق بأقدام الفتوّة و الهداية، فنحن ليوث الوغى، و غيوث النّدى، و فينا السّيف و القلم في العاجل، و لواء الحمد في الآجل، و أسباطنا خلفاء الدّين و حلفاء اليقين، و مصابيح الأمم و مفاتيح الكرم، فالكليم ألبس حلّة الاصطفاء لما عهدنا الوفاء، و روح القدس في جنان الصاقورة ذاق من حدائقنا الباكورة، و شيعتنا الفئة الناجية و الفرقة الزّاكية، صاروا لنا رداء و صونا، و على الظّلمة إلبا و عونا، و سيفجر لهم ينابيع الحيوان بعد لظى النيران لتمام الطواوية و الطّواسين من السّنين.

و الثّاني عشر ولده الخلف المنتظر المهدي محمد بن الحسن صاحب

(١٩١) قوله: ما روت الثقات: نقله العلاّمة المجلسي (ره) في بحار الأنوار ج ٧٨، ص ٣٧٨، فراجع.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج١، ص ٥٧٧

الزّمان (ع) روى ابن الجوزي بإسناده إلى ابن عمر قال: قال رسول اللّه (ص):

«يخرج في آخر الزّمان رجل من ولدي اسمه كاسمي و كنيته كنيتي يملأ الأرض عدلا و قسطا كما ملئت جورا و ظلما فذلك هو المهدي» «١٩٢».

(١٩٢) قوله: روى ابن الجوزي بإسناده إلى ابن عمر قال: الحديث ذكره بعينه العلاّمة الحلّي في منهاج الكرامة ص ٢٢ و أما الحديث فمعروف مشهور عند الفريقين ورد عن النبي (ص) بألفاظ مختلفة نذكر هاهنا طرفا منها:

روى الشيخ الطوسي (ره) في الغيبة ص ١١١ بإسناده عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول اللّه (ص) يقول على المنبر: إن المهدي من عترتي، من أهل بيتي يخرج في آخر الزمان، ينزل له من السماء قطرها و تخرج له الأرض بذرها فيملأ الأرض عدلا و قسطا كما ملأها القوم ظلما و جورا.

و روى أيضا في الأمالي ج ٢، ص ١٢٦ الجزء الثامن عشر الحديث ٢٦ بإسناده عن خمر بن نوف أبي الوداك، عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول اللّه (ص) يقول: لا يزال

بكم الأمر حتى يولد في الفتنة و الجور من لا يعرف عندها، حتى يملأ الأرض جورا فلا يقدر أحد أن يقول اللّه، ثم يبعث اللّه عز و جل رجلا منّي و من عترتي فيملأ الأرض عدلا كما ملأها من كان قبله جورا، و تخرج له الأرض أفلاذ كبدها، و يحثو المال حثوا و لا يعده عدا، و ذلك حتى يضرب الإسلام بجرانه.

و روى الصدوق (ره) في كمال الدين باب ٢٤، الحديث ٣٥، ص ٣٩٦ بإسناده عن عبد اللّه بن عباس، قال: قال رسول اللّه (ص): إن خلفائي و أوصيائي و حجج اللّه على الخلق بعدي الإثني عشر، أولهم أخي و آخرهم ولدي، قيل: يا رسول اللّه و من أخوك؟ قال: علي بن أبي طالب، قيل فمن ولدك؟ قال: المهدي الذي يملأها قسطا و عدلا كما ملئت جورا و ظلما، و الذي بعثني بالحق بشيرا لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول اللّه ذلك اليوم حتى يخرج فيه ولدي المهدي، فينزل روح اللّه عيسى بن مريم فيصلي خلفه و تشرق الأرض بنوره (ربه) و يبلغ سلطانه المشرق و المغرب.

و روى المجلسي في البحار ج ٥١، ص ٧٣، الحديث ١٨، عن كمال الدين للصدوق (رض) بإسناده عن ابن عبّاس قال: قال رسول اللّه (ص) علي بن أبي طالب (ع) إمام أمّتي و خليفتي عليهم بعدي و من ولده القائم المنتظر الّذي يملأ اللّه عزّ و جلّ به الأرض عدلا و قسطا كما ملئت جورا و ظلما، و الّذي بعثني بشيرا إنّ الثابتين على القول به في زمان غيبته لأعزّ من الكبريت الأحمر، فقام إليه جابر بن عبد اللّه الأنصاري، فقال: يا رسول اللّه و للقائم من ولدك غيبة؟ فقال:

إي و ربّي **وَ لِيُمَحِّصَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ يَمْحَقَ الْكافِرِينَ [سورة آل عمران، الآية: ١٤١] يا جابر إنّ هذا لأمر من أمر اللّه و سرّ من سرّ اللّه، مطوىّ عن عباده، فإيّاك و الشكّ في أمر اللّه فهو كفر.**

و أخرج الحاكم في المستدرك ج ٤، ص ٨- ٥٥٧ أحاديث فراجع و أيضا أخرج المتقي في كنز العمال ج ١٤، ص ٤- ٢٧٣ أحاديث فانظر فيها، منها: عن ابن مسعود عن رسول اللّه (ص):

يخرج رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي و خلقه خلقي، فيملؤها عدلا و قسطا كما ملئت ظلما و جورا.

و إن شئت الاطلاع أكثر فراجع تعليقتنا الرقم ٥٧.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج ١، ص ٥٧٨

و أمثال ذلك كثيرة، فهؤلاء الأئمّة الفضلاء المعصومون الّذين بلغوا الغاية في الكمال و لم يتّخذوا ما اتّخذ غيرهم من الأئمّة المستعلين بالملك و طلب الدّنيا و أنواع المعاصي و الملاهي و شرب الخمور و الفجور و فيهم قيل:

شفيعي نبيّ و البتول و حيدر
و سبطاه و السّجاد و الباقر النجدي

و جعفر و الثاوي ببغداد و الرّضا
و نجل الرضا و العسكريان و المهدي

هذا آخر المعارضات مع الصوفي المعترض على الشّيعي، أو آخر الأبحاث المتعلّقة بالأئمّة (ع)، و آخر المقدّمة الأولى المشتملة على بحث التّأويل و تعريفه و تخصيص التّأويل بأهل البيت (ع) و أرباب التّوحيد من تابعيهم،

و إذ فرغنا منها فلنشرع في المقدّمة الثانية و بحث الكتاب الآفاقي و القرآني و التطبيق بينهما على سبيل الإجمال و التّفصيل، و اللّه المستعان و عليه التّكلان و هو يقول الحقّ و هو يهدي السبيل.

تفسير المحيط الأعظم و البحر الخضم، ج١، ص ٥٧٩

قد تمّ بحمد اللّه و المنّة المجلّد الأوّل من تفسير المحيط الأعظم للسيّد الفقيه العارف السيّد حيدر الآملي رضي اللّه عنه حسب تجزئتنا، و يليه إن شاء اللّه المجلّد الثاني المشتمل على المقدّمات الثانية و الثالثة و الرّابعة.